

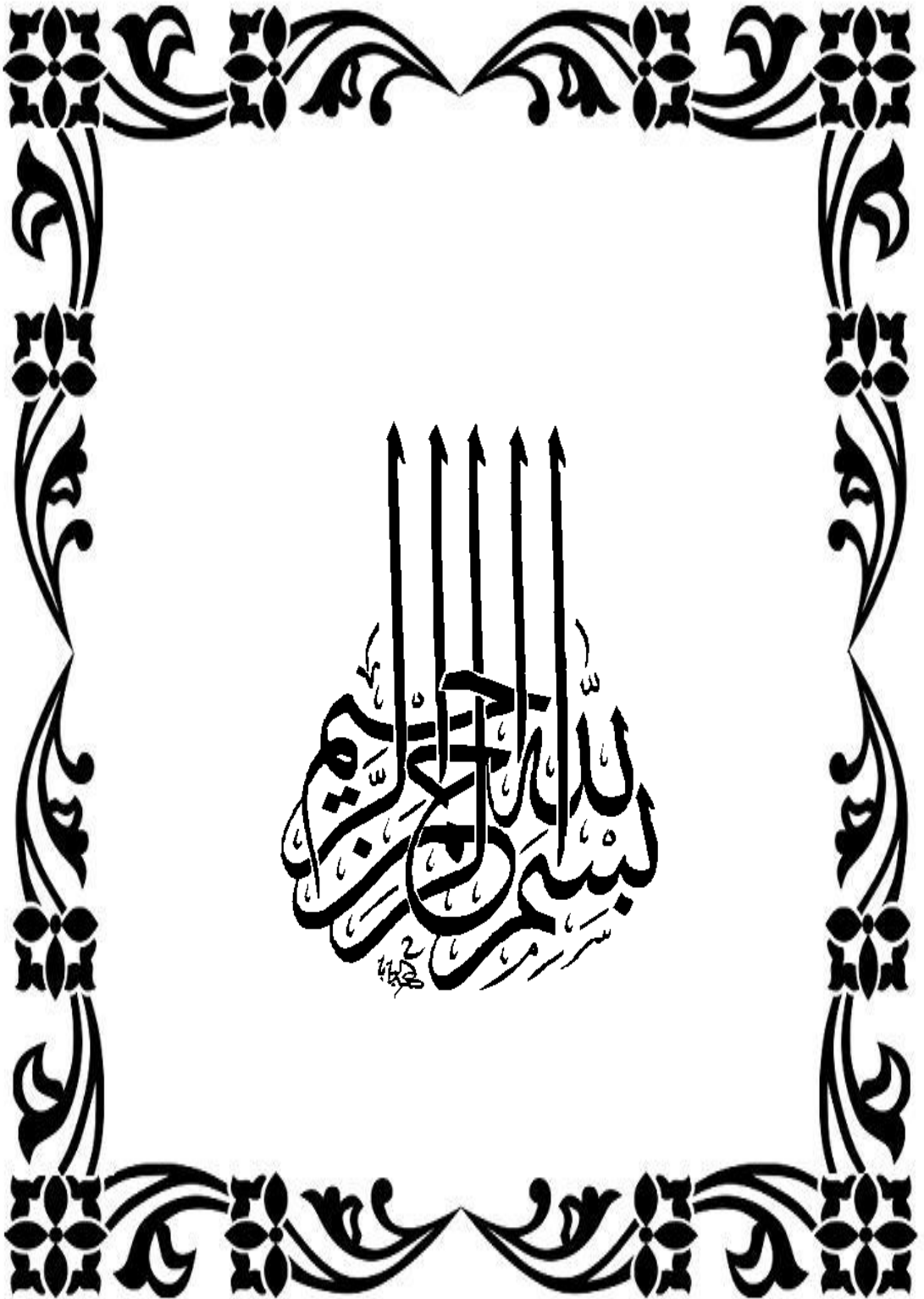
الموسوعة الشاملة للتصوف

دراسة في المنهج الصوفي ..مدارسه وأبرز رجاله

عدنان أحمد ياسين الفلاحي الحسني

الجزء الخامس

الطبعة الثانية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حرف الشين
ش

شاه الكرمانى

أبو الفوارس شاه بن شجاع

أبو الفوارس الكرمانى شاه بن شجاع ، تعرّى من الأعراس تحرّزا من الأعراس ، كان من أبناء الملوك وتشمر للسلوك ، تخفف للاستباق متحققا بالاشتياق ، صحب أبا تراب النخشى وأبا عبىء البسرى ، كان ظرىفا فى الفتوة عرىفا فى المروءة^١

وتذهب بعض المصادر التاريخية انه تولّى الملك بعد أبىه وقبل ان يسلك طريق التصوف .

فمما يذكره صاحب كتاب مشاهير شعراء الشيعة :

شاه شجاع (٧٣٣ - ٧٨٦ هـ) هو ثانى ملوك آل المظفر حكام يزد وكرمان والعراق وفارس، وهو إلى جانب ذلك أديب وحافظ للقرآن.

هو أبو الفوارس جلال الدين شاه شجاع ابن مبارز الدين محمد بن مظفر بن منصور بن بهلوان حاجى الكرمانى الخوافى الخراسانى .

تولى الحكم بعد وفاة أبىه سنة ٧٦١ هـ، وقيل سنة ٧٥٩ هـ^٢

وفى الوقت الذى تشير أكثر المصادر من كتب التاريخ والسير والتراجم انه كان من أبناء الملوك فتزهد ، ذهب الشبستري الى انه تولى الحكم لفترة .

قال عنه ابن الجوزى :

(كان من أبناء الملوك فتزهد ، ﷺ)^٣

وربما يكون للأمر صلة بالمنهج الذى رسمه لمن أراد قوة وصحة الفراسة قوله رضى الله عنه :

^١ حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٧ برقم ٥٦٦

^٢ مشاهير شعراء الشيعة ٢ / ٢٧٦ برقم ٤٣١

^٣ صفة الصفوة ص ٧٣٠ برقم ٦٤٧

من غَضَّ بصره عن المحارم ، وامسك نفسه عن الشهوات ، وعمَّر باطنه بدوام
المراقبة ، وظاهره بإتباع السنَّة ، وعودَّ نفسه أكل الحلال ، لم تُخطِّ له فراسة ^١
فيما يذكر القشيري في رسالته عند ترجمة حياته انه :
كان من أولاد الملوک ، صحب ابا تراب النخشي ، وأبا عبيد البُسري ، واولئك
الطبقة .

وكان من أكابر الفتيان ، كبير الشأن ^٢

قال عنه ابو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول : كان
شاه بن شجاع حاد الفراسة .
وقيل : (ما أخطأت فراسته .

وكان من أجلة الفتيان ، وعلماء هذه الطبقة ، وله رسالة مشهورة ، والمثلثة التي
سمها : مرآة الحكمة) ^٣
من أقواله :

- لأهل الفضل فضلٌ .. مالم يَرَوْه ، فإذا رأوه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية
ولاية مالم يروها ، فإن رأوها فلا ولاية لهم ^٤
- علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات ^٥
- شغل العارف بثلاثة أشياء :
بالنظر الى معبوده مستأنساً به ملاحظاً لمننه وفوائده ، شاكراً له معترفاً به ،
ومنياً تائباً اليه ^١

^١ صفة الصفوة ص ٧٣٠

^٢ الرسالة القشيرية ١ / ٤١

^٣ طبقات الصوفية ص ٦٢

^٤ صفة الصفوة ٧٣٠

^٥ الرسالة القشيرية ١ / ٤٢

- من نظر الى الخلق بعينه طالت خصومته معهم ، ومن نظر اليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه ، وقلَّ اشتغاله بهم^٢

- (وذكر لي أبو عامر عبد الوهاب بن مُجَّد عن أبي عبد الله مُجَّد بن أحمد قال: ”كنت عند سهل بن عبد الله جالسا فسقطت بيننا حمامة فجعلت أنحيها فقال سهل: أطعمها واسقها فقممت ففتت لها خبزا ووضعت لها ماء فلقطت الخبز وسقطت على الماء فشربت ومضت طائرة، فقلت لسهل: أي شيء هذا الطير؟ فقال لي: يا أبا عبد الله، مات أخي بكرمان فجاءت هذه تعزيني به، قال أبو عبد الله: وأظنه ذكر شاه بن شجاع وكان من الأبدال، فكتبت تاريخ اليوم والوقت فقدم قوم من أهل كرمان فعزونا فيه وذكروا أنه مات في اليوم والوقت الذي سقطت عندنا الحمامة”

وأنشد أبو عامر قال : أنشدني عبد الله الأفرقوهي لشاه بن شجاع : وهي من البحر البسيط :

والله ما الله يبدو لكم وبكم

والله والله ما هذا هو الله

فهذه أحرف تبدو لكم وبكم

إذا تمعنت معناها هو الله)^٣

- اجتنبوا الكذب ، والخيانة ، والغيبة ، ثم اصنعوا ما بدا لكم^٤

- (اعملوا الطاعات أنزه ما يكون ، وانظروا اليها أقدر ما يكون .

^١ حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٧ برقم ٥٦٦

^٢ حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٨

^٣ حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٨

^٤ الرسالة القشيرية ١ / ٤٢

- من صحبتك ووافقك على ما يجب ، وخالفك فيما تكره ، فإنما يصحب هواه ، ومن صاحب هواه فهو طالب راحة الدنيا .
- الفتوة من طباع الأحرار ، واللؤم من شيم الأندال ، وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب الى اولياء الله بما يحبون ، لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله .
- الإعراض عن الحق هو السخط ^١
- وقال شاه الكرمانى : من عرف ربه طمع في عفوهِ ورجا فضله .
- سمعت مُجَدِّ بن الحسين يقول : سمعت مُجَدِّ بن أحمد بن إبراهيم يقول : سمعت محفوظا يقول :
- كان شاه يأمر أصحابه أن يظهروا له ما يجري على سرهم ، ثم كان يداوي كل واحد منهم بدوائه ، ويقول : ليس بعاقل من كتم الطبيب علته .^٢
- علامة الركون إلى الباطل التقرب إلى المبطلين .
- وقال : المعجب بنفسه محبوب عن ربه .
- (وروى أنه كان بينه وبين يحيى بن معاذ صداقة. فجمعهما بلد واحد، فكان شاه لا يحضر مجلسه ، فقبل له في ذلك ، فقال : الصواب هذا فما زالوا به حتى حضر مجلسه ، وقعد ناحية وهم لا يشعرون .
- فلما أخذ يحيى بالكلام ارتج عليه وسكت ، ثم قال : هنا من هو أحق بالكلام منى .
- فقال لهم شاه : قلت لكم الصواب ألا أحضر مجلسه .
- وروى انه كان قد تعود السهر، فغلبه النوم مرة واحدة، فرأى الحق تعالى في المنام، فكان يتكلف النوم بعد ذلك، فقبل له في ذلك، فأنشد:
- رأيت سرور قلبي في منامي ... فأحببت التنعس والمناما)^١

^١ طبقات الصوفية ص ٦٣

^٢ طبقات الأولياء ١ / ٢٥٧

- (علامة الركون الى الباطل التقرب الى المبطلين .
- علامة الحكمة معرفة أقدار الناس .
- ما أعجب عبد بنفسه حتى يكون محجوباً عن ربه .
- من عرف ربه نسي كل ما دونه ، ومن جهل ربه تعلق بكل شيء دونه ،
ومن اعتز بالعلم فاز ، ومن اعتز بالجهل خاب وخسر .
- الجاهل في ظلمة جهله ، فكيف يكون اذا كان العالم في ظلمة علمه ،
وظلمة العلم أشد)^٢

^١ طبقات الأولياء / ١ - ٢٥٧ - ٢٥٨

^٢ طبقات الصوفية ص ٦٣

شعيب بن الحسين الأنصاري

أبو مدين الغوث

١١٢٦ م / ٥٠٩ هـ - ١١٩٨ م / ٥٩٤ هـ

(إن أقامك به ثبتت ، وإن قمت بنفسك سَقَطَتْ ، اللهم فهِمنا

عنك، فإننا لا نفهم عنك إلا بك) من حكم الشيخ أبي مدين الغوث

كان قلبه يخفق بشدة حين يرى من يُصَلِّي ، فقد كان يحب الصلاة ، يشعر أنَّ فيها طمأنينة وصفاء ، وكم كان يتمنى ان يصلي ، لكنه لم يكن يعرف كيف يصلي .. او ماذا يقول في صلاته ..

وحين يسمع من يقرأ القرآن .. كان يشعر بأن قلبه يغادره ويطير الى دنيا من صفاء وجمال .. كان الترتيل في أذنيه أشبه بتسبيح ملائكي يأتي من عالم بعيد . وكم تمنى ان يعرف كيف يقرأ ، فلو عرف لما ترك القرآن ، ولعاش اللذة والسكينة التي يطالعتها في وجوه المرتلين .. لكنه لم يكن يعرف القراءة .

كانت الحروف بالنسبة له عالم من الألغاز .

وانتبه على صوت أغنامه ... لم يكن يعرف لماذا عليه ان يرهاها دون اخوته الكبار ، فمند وفاة أبيه واخوته يجبرونه على رعي الغنم التي ورثوها ... كانوا يهزؤون من حلمه بتعلم القراءة او بتعلم الصلاة .

كان كل ليلة يغفو على حلمه بتعلم الصلاة ، ويصحو عليه .

وظل الحلم يراوده ...

لم يعرف لماذا ظل حلمه لصيق قلبه ... او لماذا كان يريد الوصول الى الله ... كأن قدراً أكبر منه يدفعه الى الله سبحانه .. أو كأن الله تعالى اختاره لقربه .

انه الإجتباء .. والجذب .. والله يختار من يريد ويجتبي اليه من يشاء ..

وكان العناية الربانية تختاره من حيث لا يدري .. كما ستختار الكرخي معروف

الفتى المسيحي .. وستختار الكثير من أهل الإجتباء والجذبة .،،، والذين شرفهم الله بقربه .

التعريف بالشيخ :

أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني ويلقب بـ (شيخ الشيوخ) ولقبه ابن عربي بـ (معلم المعلمين) : فقيه ومتصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس إحدى أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس، تعلم في إشبيلية وفاس وقضى أغلب حياته في بجاية في الجزائر وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره .

النسب :

أبو بومدين الغوث التلمساني، هو شعيب ابن الحسين الأنصاري البجائي ، واسم والدته فاطمة بنت أحمد بن عبد الله بن مدين بن شعيب المدينة^١ وكنيته أبو مدين، تكنى بابنه سيدي مدين دفين مصر ، بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي .

وأصله من إشبيلية بالأندلس، ولد رضي الله عنه على مقربة من شمالها بحصن قنطيانة في العقد الثاني من القرن السادس هجري سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م في عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين^٢

وباعتباره فقيه الأولياء، وعمدة الأتقياء في وقته ترجم له العديد من المؤرخين والباحثين في التاريخ^٣

^١ لطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها ص : ٨٢

^٢ الجزائر أرض العقيدة والثقافة ص : ٢٥١

^٣ ومن ضمن من ترجم لأبي مدين : الأعلام، ص : ١٦٥ ، سير أعلام النبلاء، ص : ٢١٩ ، الزركلي، ص : ١٦٦ ، أعلام مشاهير الصوفية، ص : ٧ ، كمال بوشامة: الجزائر أرض

النشأة :

نشأ عليه السلام تيمماً ، وكان والده الذي توفي في عهد مبكر من حياة شيخنا ، صاحب غنم ، ولم تكن الغنم من الكثرة بحيث تستدعي استئجار راعٍ لها ، ولأن شعيب أصغر اخوته فقد كلفوه برعيها ورعايتها .

وكان شيخنا في غدوّه ورواحه يرى أناسٌ يُصلّون او يتعبدون بالذكر وبالتلاوة فكان يعجبه منظرهم وهم يتعبدون ، وأخذ خشوعهم بقلبه وعقله .

فكان يدنو منهم ، يستمع لما يقولون ، لكنه لا يفقه قولهم ولا يستطيع ان يتعبد كما يتعبدون .

عن مُجّد بن إبراهيم بن مُجّد الأنصاري^١ ، قال: (سمعت أبا مدين يحدث ببدء أمره ويقول: كنت تيمماً، فجعلني إخوتي راعياً لهم لمواشيهم، فإذا رأيت من يصلي أو من يقرأ القرآن أعجبتني ودنوت منه، وأجد في نفسي غماً لأنني لا أحفظ شيئاً من القرآن، ولا أعرف كيف أصلي، فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة...)

كان عمله في رعي الغنم لا يترك له مجالاً للتعلم والتعبّد فقرر ان يهرب ، وكان قراراً صعباً فهو لا يدري الى اين سيهرب واين سيتجه ولا كيف سيأخذ العلم بعد هربه ، كل الذي كان يدريه ان عليه ان يهرب ليتعلّم كيف يعبد الله .

العقيدة والثقافة، ترجمة : مُجّد المعراجي ، الوافي للوفيات، ص: ٩٥ ، توشيح الديباج، ص:

٨٩ ، نيل الابتهاج، ص: ١٩٣ ، باقة السوسان، ص: ٤٦٤ ، التشوف، ص: ١٣١٩

البيستان، ص: ١٠٨ ، شجرة النور، ص: ٠٧ ، تلمسان العهد الزباني، ج ٢، ص: ٣٨٤

، بغية الرواد، ص: ١٢٥ ، تعريف الخلف، ج ٢، ص:

١٧٢ ، الذيل والتكملة، ص: ١٢٧ ، نفح الطيب، ج ٧، ص: ١٣٦ . الدكتور عبد الحليم

محمود : شيخ الشيوخ ابو مدين الغوث

^١ مُجّد بن إبراهيم الأنصاري : هو من أصحاب الشيخ أبي مدين، وهو من كبار تلامذته وكثير الرواية عنه.

وتحت جناح الليل يفر الشيخ ، ولما فرَّ لحقه أخوه ويده حربة، فطلب منه الرجوع وهدده بالقتل إن لم يفعل ذلك، فما كان من الشيخ إلا الرجوع، رجع والألم يعتصر قلبه ، ولكن عزمته بقيت على حالها، وشوقه الى العبادة ظل على حاله ، وقرر الفرار في الليل، وفي طريق آخر غير الذي سلكه في المرة الأولى، ولكن أخاه أدركه بعد طلوع الفجر، فسل سيفه مخاطبا إياه: والله لأقتلنك وأستريح منك...، وحسب رواية مُحمَّد بن إبراهيم أن الشيخ أبا مدين قال: (لما علاني بسيفه ليضربني تلقيته بعود كان بيدي، فانكسر سيفه وتطاير قطعاً فلما رأى ذلك قال لي: يا أخي اذهب حيث شئت)^١

لقد اندهل الأخ الكبير من تكسُّر سيفه وشعر بأن الفتى الصغير تدفعه قوة وتحميه ، قوة كبيرة وعظيمة .

ويودع الشيخ أخاه الكبير ، ويمضي ، لا يدري الى أين ، او أي اتجاه سيسلك ، لكنه يمضي وهو يشعر بأن عناية تحيط به وتدفعه الى حيث لا يعلم .

طلبه للعلم :

وتقوده خطاه الى البحر .

ويعبر الفتى البحر عاملاً مع عمالٍ على ظهر سفينة .

يقول الشيخ : (فذهبت إلى البحر وعبرت إلى طنجة، ثم ذهبت إلى سبتة، فكنت أجيرا للصيادين، ثم ذهبت إلى مراكش فدخلتها، وأدخلني الأندلس معهم في جملة الأجناد، فكانوا يأكلون عطائي

ولا يعطونني منه إلا اليسير)^٢

ويتقلَّب الفتى بين الحرف ، راعٍ وصياد، وأجير لدى البحارة ، وجندي ، ويتنقل بين المدن ، فيتعرف على أخلاق المهن واحوال المدن ، ويصحو في قلب الفتى

^١ انظر التشوف إلى رجال التصوف ص : ٣٢٠

^٢ انظر شيخ الشيوخ ابو مدين ص ٢٦ - ٢٨

حينه الى العلم والى تعلُّم العبادَة ، فهو لم يترك أهله ليشغل بالصيد او ليكون جندياً ...

وقيل له : (ان رأيت ان تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس) ويشد عزمه على التوجه سيراً الى فاس ، وحين وصلها توجَّه الى أقرب جامع فيها . وكانت هذه المدينة هي الوجهة الأولى للمغرب، كما ستكون للشيخ وجهة أخرى إلى المشرق، وكان القصد من هذه الرحلات، طلب العلم بالدرجة الأولى وكذا معرفة الطريق إلى الله .

ويلزم الفتى الجامع ويشرع بالعبادة والتعلُّم ، يقول ﷺ :

(ولزمت جامعها ، وتعلمت الوضوء والصلاة)^١

ويتحقق حلم الفتى بالوقوف بين يدي ربه تعالى يناجيه في صلاة طالما تاقت نفسه إليها .

وكانت تلك بداية الطريق الذي تجشَّم الشيخُ العناء لأجله .

ويبدأ بالجلوس الى حلقات الفقهاء والعلماء في المسجد ، لكنه لم يكن يفقه ما يقولون ، او ان ما يقولوه لا يصل الى قلب الفتى ، ويتنقل بين مجالس العلم ، ويظل على حاله القديم لا يفقه كثيراً مما يقولون .

الى ان شاء الله تعالى ان ينتقل الى حلقة درس عند شيخ يقول عنه سيدي ابو مدين : (ثبت كلامه في قلبي ، فسألت من هو ؟ فقيل لي : إنه ابو الحسن بن

حرزهم)^٢

فكانت بداية مسيرة شيخنا ، وخطواته الأولى في دنيا العلم حين التقى بالشيخ ابن حرزهم .

^١ شيخ الشيوخ ابو مدين ص ٣٠

^٢ شيخ الشيوخ ابو مدين ص ٣١

كان كلام الشيخ ابن حرزهم^١ يدخل قلب الفتى ابو مدين فيجد حلاوته ويتحسس معناه وأبعاده ومراميه ومقاصده .

ولقد فسر السر في ذلك لفتاننا بقوله إني قصدت الله بكلامي فخرج من القلب .
ويندمج قلب الشيخ ابو مدين مع ما يسمع ويأخذ من عِلْمٍ من الشيخ ابن حرزهم .

وكان من ضمن ما قرأ على الشيخ كتاب الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي ،
وكتاب احياء علوم الدين للغزالي والذي سيقول عنه شيخنا لاحقاً : طالعت
كتب التذكير فما رأيت كالأحياء للغزالي .

ويشرح الله قلب الشيخ لدرس ابن حرزهم فيدرس على يديه كتاب السنن في
الحديث للإمام الترمذي .

أما علوم الصوفية فقد بدأ شيخنا دراستها على الشيخ الصالح أبي علي الدقاق

^١ يقول مُجَدِّدُ بن رزق في ترجمته للشيخ ابن حرزهم في كتابه التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا ١ / ٢٦١ : علي بن إسماعيل بن مُجَدِّد بن عبد الله بن حرزهم أبو الحسن الفاسي .
ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

مُجَدِّدٌ حافظ مفسر من أهل فاس ومن كبار فقهاءها ومدرسيها العباد الزهاد.

أخذ عن عمه أبي مُجَدِّد وعن أبي بكر بن العربي المعافري المفسر وغيرهما.

وأخذ عنه أبو مدين الغوث وأبو عبد الله التاودي وغيرهما.

ودرس بفاس ومراكش وتوب ناسا وزهد أمير مراكش في الدنيا وكثر أتباعه وتلاميذه.

قال عنه الكتاني في (سلوة الأنفاس) ٣ / ٧١ : كان فقيهاً عارفاً بالمسائل والفقهِ والحديث ومعرفة التفسير والتصريف .

وقال المكناسي في (جذوة الاقتباس) ٢ / ٤٦٥ : وكرامات ابن حرزهم لا تحصى .

ويقول عنه الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه شيخ الشيوخ ابو مدين ص ٣٢ :
تتقف ابن حرزهم في الفقه حتى أصبح فقيهاً نابهاً ، وضمَّ الى الفقه دراسة التصوف فأصبح
فقيهاً صوفياً ، وهو فقيه صوفي زاهد ذو كرامات وفراسات .

وهو من كبار مشايخ الصوفية وكان إماماً في ذلك ... ودرس في حينها كتاب الرسالة القشيرية للإمام القشيري.

يقول عبد الحليم محمود في كتابه (أبي مدين الغوث): "لقد تثقف سيدي أبي مدين كأحسن ما يكون المثقف، تثقف من مصادر أصلية: القرآن الكريم، والسنن، الإحياء، والرعاية، والرسالة القشيرية، وكان يصاحب في دراسته القمم: السنة النبوية، الحارث بن أسد المحاسبي، وحجة الإسلام الغزالي، الإمام القشيري... وقد درس الفقه أيضاً، وله فيه فتاوي نفيسة، ودرس التفسير، وامتزج قلبه بنور القرآن، وكان عابداً، فاجتمع له العلم والعبادة...، فكان الشخصية الإسلامية المتكاملة، فلقد كان متفنناً في علوم الإسلام المختلفة،
نقلها وعقلياً....)"^١

كان أبو مدين ينهج نهج الصحابة رضوان الله عليهم في تفسير القرآن، وفهم أصوله وأسراره، يقول: (كنت إذا سمعت تفسير آية من كتاب الله تعالى، ومعه حديث واحد من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قنعت بهما، وانصرفت إلى خارج فاس، لموضع خال من الناس، اتخذته مأوى للعمل بما يفتح الله عليّ من الآيات والحديث، ثم أعود إلى فاس، فأخذ آية وحديثاً وأخرج إلى خلوتي)^٢

فلقد بدأ أبو مدين بدراسة علم التصوف وسلوكه، على الشيخ أبي يعزى، و الشيخ أبي علي الدقاق، وهو من كبار مشايخ الصوفية ، الذي افتخر بتلميذه حيث قال :

أنا أول من أخذ منه الشيخ أبو مدين علم التصوف^٣

^١ شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث ، ص: ٥٠ - ٥٢

^٢ -أنس الفقير، ص: ٤٨

^٣ -[أبي مدين الغوث، ص: ٣٢ - ٣٨

في حضرة الشيخ أبي يعزى :

لقد قيَّض الله تعالى من يسير بأبي مدين في طريق التصوف على السنن والمنهج الموفق ... حين التقى بالشيخ أبي يعزى ، وذلك بعد ان تكاملت لديه المعرفة النظرية بالتصوف وأحوال السالكين ومقاماتهم ، وهذا الشيخ له اسلوب قاسٍ في تربية تلاميذه ومريديه ، لكنه اسلوب مثمر فقد كان الشيخ يعرف كيف يربي الرجال .. وشيخنا ابو مدين يتحدث عن هذا اللقاء فيقول :

(ثم سمعت الناس يتحدثون عن كرامات أبي يعزى. فذهبت إليه في جماعة توجهت لزيارته. فلما وصلنا جبل إيروجان ودخلنا على أبي يعزى أقبل على القوم دوي. فلما أحضر الطعام منعي من الأكل. فقعدت في ركن الدار. فكلما أحضر الطعام وقمت إليه انتهرني، فأقمت على تلك الحالة ثلاثة أيام وقد أجهدي الجوع ونالني الذل. فلما انقضت ثلاثة أيام قام أبو يعزى من مكانه. فأتيت إلى ذلك المكان ومرغت وجهي فيه. فلما رفعت رأسي نظرت فلم أرى شيئاً وصرت أعمى. فبقيت أبكي طول ليلتي :

قليل لمثلي زفرة ونحيب وليس له إلا الحبيب مجيب
وأمثل ما يلقي المحب خضوعه إذا كان من يدعو له ليس يجيب
فلما أصبحت استدعاني وقال: اقرب، يا أندلسي. فدنوت منه، فمسح بيده على عيني، فأبصرت؛ ثم مسح بيده على صدري وقال للحاضرين: هذا يكون له شأن عظيم، أو قال كلاماً في معناه. فأذن لي في الانصراف^١
وعلى الرغم من هذا اللقاء القاسي عاد ابو مدين مرة ثانية وثالثة وأخذ يكرر زيارته فنال من بركاته وشاهد العجائب من كراماته .

طلبه للعلم بالمشرق:

بعد إقامة طويلة بفاس لطلب العلم والمعرفة، وبعد أن تحصل أبو مدين شعيب

^١ فرسان العشق الإلهي ص ٨٤ - ٨٥

على ما يريده من علوم الظاهر والباطن من شيوخه الأجلاء، أمثال: ابن حرزهم، وابن غالب، وأبي يعزى، وأبي عبد الله الدقاق السجلماسي الأصل، تآقت نفسه لأداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام وقبر الرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام .

ويغادر المغرب إلى المشرق

اتصاله بالشيخ عبد القادر الجيلاني :

وعندما وصل إلى الحجاز التقى بالشيخ أبي صالح عبد القادر الجيلاني (أو الكيلاني)، بجبل عرفات وتعرف عليه، وبعد اتصاله به، لازمه الشيخ أبو مدين بعض الوقت في الحرم الشريف بمكة، ودرس عنه علم الحديث، وعلم التصوف، وتحصل منه على خرقة صوفية ، وأودعه كثيرا من أسراره، وحلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعده أفضل مشايخه الكبار، فضلا أنه قد أخذ عن أعلام العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء .

الشيخ في (بجاية)¹ :

ولما عاد الشيخ ابو مدين من المشرق انصرف الى تعليم الصوفية في بلاد المغرب فاستقر في بجاية بالجزائر ناسكاً ناسكاً شديداً وسرعان ما اشتهر بولايته وعلمه وهرع الناس اليه من أقصى البلاد يسألونه ويأخذون عنه ، بعد ان ظهرت على يديه كرامات في فاس وفي بلاد المشرق وفي بجاية .

وإذا كانت بوادر النبوغ العلمي والصوفي قد ظهرت على أبي مدين في فاس، قبل ارتحاله للمشرق، فإن مناقب الشهرة وألقابها، التي طبقت الآفاق، مثل : "شيخ الشيوخ" و"الجامع بين الحقيقة والشريعة"، و"صاحب مقام التوكل"،

¹ مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي مدينة عريقة تاريخية أسسها الناصر بن علناس ابن حماد بن زيري أحد ملوك بني حماد بالجزائر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، لذا تسمى أيضاً الناصرية نسبة إليه.

"مخرج الألف شيخ"، و"علم العلماء"، و"الحافظ"، و"المفتي"، و"صاحب الكرامات والخوارق"، و"القطب"، قد نالها في أغلبها وهو في بجاية التي أحبها. حيث استمر بأبي مدين المقام في بجاية وكانت حاله تزداد سموا ورفعة، ويرد عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب، وعد من جملة علمائها وكبار فقهاءها وأئمتها، مهيبا معظما مكرما مشهودا له بالخير، وكان أهل زمانه عموما وسكان بجاية خصوصا، يعتقدون أن كل من قرأ عليه ساد ونبغ في العلوم، وانساق إليه العلم والجاه والنعمة والثراء، وكان الآباء يوجهون أبناءهم لحضور مجلسه والاقتراب من معارفه وأسراره، فظهر فضله على كثير من الناس.

لقد بلغ الشيخ أبو يعزى بأبي مدين إلى مرتبة الصوفي الكامل، بالقيام والصلاة والتقشف المتواصل الشديد، ولم يجد أبو مدين - لفقره الشديد - أية صعوبة في التخلص من هذا العالم ومن ملذاته الزائلة، فتنقل متدرجا في مراتب الصوفية، حتى بلغ مرتبة القطب (الغوث) .

فاشتغل أبو مدين بالتدريس والإرشاد، وكان من جملة الكتب التي درّسها: "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للإمام الغزالي، وكثيرا ما لجأ إليه المشتغلون بالعلم ليحل ما استعصى عليهم من المسائل، فيأتي بأبدع التأويلات، وأبرع الإجابات.

ومتليء المصادر التي ترجمت له بقصص تأويله وفتواه في مثل هذه المسائل المختلف فيها، كما تعج تلك المصادر بالكرامات التي أجراها الله على يديه في المغرب والمشرق، وهي كثيرة .

من كرامات الشيخ :

وقد ظهرت للشيخ كرامات كثيرة تحدثت عنها كتب السيرة والتاريخ، (يقول الشيخ ابن قنفذ : وكراماته أكثر من ان تحصرها مجلدات ، واعظم بركاته ظهور

ألف شيخ على يده ، ولذلك يقال له شيخ المشايخ عليه السلام)^١
(وقد أَلَّفَ بعض الفضلاء في كراماته ، ويقول صاحب كتاب أنس الفقير :
وكان ببركة الشيخ ابي مدين وظهور عنايته ، من انتسب اليه تُكْرِمَه العلماء
والسلاطين ، وما يكتب اليه أحد من الأمراء الراشدين إلا وخصَّه بالسيادة .
وكتب مرة لأمير منهم في تسريح مسجون ، فسرح كل من في السجن بسبب
ذلك)^٢

وذكر ابن قنفذ في كتابه أنس الفقير : (كان الشيخ أبو مدين عليه السلام مشغولاً
بالتربية، والإفادة، والتعليم، والعبادة ، والإقبال على الله تعالى في الظاهر
والباطن.

وكانت تحدث له في أثناء تدريسه بعض الطرائف، من ذلك ما حَدَّث به الشيخ
الصالح أبو مُحَمَّد عبد الله بن ماكسن الصنهاجي، وهو الذي حدث عنه بهذه
الحكاية ، قال: كان الشيخ أبو مدين رضي عنه في مجلس إقراءه فجاء رجل
ليعترض عليه، فأراد القارئ أن يقرأ فمنعه الشيخ أبو مدين من القراءة وقال له:
اسكت ، ثم التفت إلى الرجل وقال له :لم أتيت ؟.. قال : أتيت لأقتبس من
أنوارك... فقال له الشيخ: ما في كمك ؟ .. فقال له الرجل:

مصحف .. فقال له أبو مدين: أخرجه وافتحه وقرأ أول سطر منه فإذا فيه :

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ

فقال له أبو مدين أما يكفيك هذا ؟..)^٣

شيخ الشيوخ :

كان عليه السلام فردا من أفراد الرجال، وصدرا من صدور الأولياء الأبدال،

^١ شيخ الشيوخ ابو مدين ص ٥٨

^٢ شيخ الشيوخ ابو مدين ص ٥٩

^٣ أنس الفقير، ص: ٥١

جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، وأثار به معالم هذه الطريقة، وأقامه ركنا من أركان الوجود، وأظهره بالبلاد المغربية، هاديا وداعيا الخلق للملك المعبود، واشتهر بشيخ المشايخ في جميع الأمصار .

ونقلًا عن العباس بن إبراهيم في كتابه الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام الذي قال :

هذا الشيخ من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين، وعظماء العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الظاهرة، والأحوال الغزيرة والمقامات العالية، والهمم السامية، صاحب الفتح السني، والكشف الجلي والحقائق النفيسة، والمعارف الجليلة، له التصدر في مراتب القرب، والتقدم في منازل القدس، والسبق في طرق الملكوت، والترقي في معارج الوصل، وله اليد البيضاء في أحكام الولاية، فهو أحد أوتاد المغرب، وهو أحد من أظهره الله تعالى للوجود، وأظهر على يده العجائب، وأنطقه بفنون الحكم ، وأوقع له القبول العظيم والهيبة الوافرة في قلوب الخلق، وهو أحد من جمع الله بين علمي الشريعة والحقيقة^١

أصحابه وتلاميذه :

صحب الشيخ أبا مدين عليه السلام خلق كثير، منهم الشيخ الصالح أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف، لازمه ثلاثين سنة ولم يفارقه إلا بموته، حدث عنه أخبارا ورأى له أسراراً وانتفع على يديه، وتحسر بعد موته ونسب كل فضيلة ظهرت في تلامذته إليه، ومنهم الفقيه العالم الصالح أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت ٥٨١هـ)، من قلعة بني حماد، لقي الشيخ وقرأ عليه كتاب "المقصد الأسنى"، من فاتحته إلى خاتمته، ومنهم أيضا الشيخ الشهير العالم المحدث، الصالح، الخطيب، القاضي العدل أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن

^١ الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام ١٠ / ١٧٤

الإشبيلي (ت ٥٨٢هـ)، الحافظ صاحب "الأحكام الكبرى والصغرى في الحديث"، و"العاقبة في التذكير"... وصحبه كذلك الشيخ الفقيه القاضي العدل الشهير أبو علي المسيلي، صاحب "التذكرة في أصول الدين"، أخى أبا مدين وأقر له بالسبق في الطريق، إذ كان يقول عنه (عن أبي مدين): "هذا وارث على الحقيقة".

كما أورد ابن قنفذ في "أنس الفقير" تراجم لكثير من علماء التصوف كانت لهم صلة وثيقة بالشيخ، أبرزهم الشيخ أبو زكريا يحيى بن أبي علي الزواوي، والفقيه أبو عبد الله التاودي والشيخ الصالح الشهير أبو مسعود بن عريف (ت ٧١٧هـ) من جبال شلف بأرض تلمسان، والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الأنصاري السقطي، وغيرهم.

أما تلامذته، فهم كثيرون حتى ان الشيخ ابن قنفذ يرى أن أعظم بركات الشيخ الجليل أبي مدين، تخرج ألف شيخ على يده، وظهرت لكل واحد منهم الكرامة والبركة، ولذلك يقال له شيخ المشايخ، وإمام العباد والزهاد.

ومن أبرز تلامذته عبد الرحيم القنائي أو القناوي المتوفى سنة ٥٩٢هـ، وأبي الحسن الششتري الصوفي المعروف والشاعر المجود، وقد تتلمذ على يده ببجاية، وكان يحضر حلقات المدينة ولهذا سمي بالمديني، ومن شدة تأثر الششتري به نسبت بعض موشحات أبي مدين إليه خطأ.

ومنهم أيضا جعفر بن عبد الله بن بونة الخزاعي الصوفي الكبير والولي الشهير، وهو من أهل شرق الأندلس توفي سنة ٦٤٢هـ ويعد من أخص أصحاب أبي مدين، وهو مؤسس الطريقة البونية التي لاقت صدى كبيرا في الأندلس، وهي متفرعة عن الطريقة المدينية، ومن تلامذته كذلك الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي، لقي أبا مدين بفاس، وعرف في كتاب له بالشيخ أبي مدين وذكر فيه فضله.

ويعد الشيخ الأكبر محي الدين الحاتمي الطائي، أشهر كبار العلماء المعدودين من تلاميذ أبي مدين، فلقد تأثر بالشيخ كثيراً وظل وفيماً لذكراه، إذ تحدث عن فضله وكراماته في مواضع كثيرة من مؤلفاته؛ كالفتوحات المكية، ومواقع النجوم، ومحاضرة الأبرار، رغم أنه يقول في كتابه "روح القدس في محاسبة النفس" بأنه لم يجتمع بأبي مدين وكان يتمنى ذلك، حيث جاء في رسالة على لسان أبي عمران السيدراني، أرسلها أبو مدين لابن عربي قوله: "أما الاجتماع بالأرواح فقد صح بيني وبينك وثبت، وأما الاجتماع بالأجسام في هذه الدار فقد أبى الله ذلك، فسكن خاطرک، والموعد بيني وبينك عند الله في مستقر رحمته".

لقد مثل أبو مدين بحق شمعة هداية، ونوراً ممتداً من السماء إلى الأرض، لينير درب أصحابه ومريديه وأتباعه الكثيرين، ويأخذ بيدهم بعلمه وصبره وحكمته ليقودهم إلى سبيل الله، فقد كان عظيم الشأن شديد التأثير في عامة أهل المغرب حينها، من الرجل البسيط محدود المعرفة، إلى العالم العارف الواسع المدارك، ما أوغر عليه صدور حكام دولة الموحدين وقتها.

منهج أبي مدين في التصوف :

لقد تنوعت ثقافة هذا المتصوف بحكم المناطق التي رحل إليها، والمشايخ الذين أخذ عنهم، واكتسب بذلك عدة ثقافات، أندلسية ومغربية ومشارقية، فتلمذ على (أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي بفاس وابي الحسن علي بن غالب القرشي (ت ٥٦٨هـ - ١١٧٢م)، وهما من تتلمذا على ابن العريف وأخذوا عنه تصوفه القائم على الزهد في كل شيء ما عدا الله، وأخذ العلم أيضاً

عن أبي عبد الله الدقاق الذي اعتمد أسلوب المجاهدة النفسية في تصوفه، وأبي الحسن السلوي، إلى جانب أبي الحسن علي ابن إسماعيل بن حرزهم، إلا أنه انتفع واستفاد أكثر من أبي يعزى يلنور (ت ٥٧٢هـ - ١١٧٦م)، والذي ألزمه

القيام بالمجاهدات والرياضات، كالصيام إذ تركه دون طعام لمدة ثلاثة أيام وذلك لتطهير نفسه^١

كان أبو يعزى يثني عليه، وقد تأثر به حتى أنه فضل الأخذ عتمه، وعند انتقاله إلى المشرق أخذ عن مشايخه تعاليم ومبادئ المتصوفة الكبار، أمثال الجنيد والقشيري والغزالي، والتقى أثناء تواجده بعرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦٠هـ - ١١٦٤م)، وتأثر بأفكاره ومبادئه، وقرأ عنه الحديث، كما ألبسه خرقة التصوف .

كل ما تقدم جعل الشيخ ابو مدين يخلص إلى طرح مذهب صوفي مزج فيه ما أخذه من الأندلس والمغرب والمشرق من ثقافات، وقد قام على عدة أسس فرأى أن الزهد الحقيقي هو الذي يطهر قلب المرید من شهوات الدنيا ويغمره بحب الله تعالى ، فقال : (التعظيم امتلاك القلب بإجلال الرب) ، ويتم ذلك بالمداومة على ذكره تعالى عز وجل وقال في هذا السياق :

إني إذا ما ذكرتُ ربَّ

يهتئُ شوقي إلى لقاء

طابت حياتي وضاء قلبي

بذكرِ ربِّي جلّ ثناؤه

حارب الزهد في المظهر الخارجي وتجلّى ذلك في ثيابه الجميلة التي ارتداها، ورائحة الطيب والمسك التي كانت تفوح منه حتى أنه شبه بالملوك في مظهره واستطاع ابو مدين شعيب بآرائه التي برزها في التصوف أن يوفق بين عدة نظريات صوفية او توجّه صوفي استقاها و استخلصها من خلال ثقافته المشرقية والمغربية والأندلسية، التي ضمنت له ذلك، فدمجها وخلص في الاخير الى مذهب صوفي حمل أفكاره، وفي الوقت نفسه حافظ على نظريات شيوخه

^١ أنس الفقيه ص : ١٥

فتضمن منهج محاسبة النفس الذي أخذه عن الرعاية للمحاسبي في قوله :

(بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة)

، ووافق كل من المتصوفين المشركيين، القشيري والغزالي فيما يتعلق بفرغ القلب ، عما سوى الله ، إلى جانب قوله: " بقدرة القلب على إدراك الحقيقة الإلهية " وهو ما قال به الغزالي، كما أنه أكد نظرية المتصوف ابن العريف فيما يخص الحب الإلهي، وفناء المرید المحب في محبوبه .

وكان ﷺ حريصاً على ملازمة الشريعة والاحتكام إليها ، وهذا ما وصّى به أتباعه ، وذلك يبدو جلياً في قوله :

لا تحسب الزمر الحرام مرادنا

مزماؤنا التسبيح والأذكار

وشرابنا من لطفه وغناؤنا

نعم الحبيب الواحد القهار

فالله تعالى هو المقصود على الدوام .

كان للشيخ ﷺ أبي مدين منهاج خاص في تربية مريديه وترقيتهم ، خاصة في مقامات الولاية ، فيرى الإمام المناوي نقلا عن الإمام الشعراي، أن سيدي علي الخواص كان يقول : كان مذهب الشيخ - يعني أبا مدين - ﷺ ، تقريب الطريق على المریدين ونقلهم إلى محل الفتح، من غير أن يمر على الملكوت .

كما يروي العارف المناوي عن سيدي محي الدين أن سيدي بومدين كان يقول لأصحابه :

(أظهروا للناس ما عندكم من المواقف ، كما يظهر الناس بالمخالفة ، وأظهروا

بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة - يعني خرق العوائد- والباطنة - يعني المعارف

، فإنه تعالى يقول : واما بنعمة ربك فحدّث

ثم يقول سيدي محي الدين : " وهذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم
ظهروا في عالم الشهادة " ، وكان الشيخ أبو مدين يقول لأصحابه " اعلنوا
بالطاعة حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي ولا يستحيون
من الله " وكان يقول في قوله تعالى : " فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب " ^١
فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمان ، وإلى ربك فارغب في
الدوام ، وإذا دخلت في عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل يا ليتها
كانت القاضية .)

وكان القطب أبو مدين فقيهاً بأسرار العبادات ، فهو يعلل لأفضلية صلاة
الجماعة على صلاة الفرد قائلاً : (إنما فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد ،
لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام منها ، فيكتب من صلاة عشرينها ،
ومن صلاة ثلاثها ونصفها ، وغير ذلك - أي كما في الحديث - فيرتفع للجميع
صلاة مكملة الأجزاء بعضها ببعض ، فيعيد الله بركة الكمال والإتمام على
الجماعة ، فيكتب لكل واحد منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع) ^٢

و من فوائده في تربية المريدين ما ذكره سيدي محي الدين قائلاً : " كان شيخنا
ﷺ يقول : من علامة صدق المرید في إرادته ، فراره عن الخلق ، ومن علامة فراره
عنهم وجوده للحق ، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق ، فهذا
هو حال الوارث للنبي ﷺ فإنه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلى الله فيه ، ويترك
بيته وأهله ويفر إلى ربه ، حتى بعثه الله رسولا مرشداً لعباده ، فهذه حالات
ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته ، ومثله يسمى وارثا ، فالوارث
الكامل

^١ الفتوحات المكية ١١/٢

^٢ بحار الولاية الحمديّة ص ٤٣٨

من ورثه علما وعملا وحالاً^١

كما تناول الشيخ أبا مدين مفهوم الفقر عند الصوفية بالإيضاح قائلاً: ("الفقر امارة على التوحيد ، ودلالة على التفريد ، وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه " وكان يقول : " من كان الأخذ أحب إليه من الإعطاء فما يشم للفقر رائحة". وفي حقيقة الإخلاص يقول : "الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق " وكان يقول : "كل بدل قبضته عارف لان ملك البدل في السماء على الارض وملك الثرى)^٢

من حِكْمِ الشَّيْخِ أَبُو مَدِين :

- لا يصلح لسماح هذا العلم إلا لمن حصلت له أربعة: الزهد، والعلم والتوكل، واليقين.
- الحق سبحانه مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال، فأبما قلب رآه مؤثراً له، حفظه من طوارق الحن ومضلات الفتن.
- إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.
- عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك.
- الحق سبحانه يجري على ألسنة علماء كل زمان بما يليق بأهله.
- من تحقق بالعبودية نظر أعماله بعين الرياء، وأحواله بأعين الدعوى، وأقواله بأعين الافتراء.
- ليس للقلب إلا وجهة واحدة، فمتى توجه عليها حجب عن غيرها، فإياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته.
- البصيرة تحقق الانتفاع.
- من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم.

^١ بحار الولاية المحمدية ص ٤٣٨ - ٤٣٩

^٢ بحار الولاية المحمدية ص ٤٣٩

- من عرف الله استفاد منه في اليقظة والمنام.
- أضر الأشياء صحبة عالم غافل، وصوفي جاهل، وواعظ مداهن. من رأيته يدعي مع الله حالاً لا يكون على ظاهره شيء منه فاحذره.
- من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعو إلى ذلك فهو مفتون.
- ما وصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية.
- من ضيع حكم وقته فهو جاهل، ومن قصر عنه فهو غافل.
- لا تعم عن نقصان نفسك فتطع.
- من تزين بزائل فهو مغرور.
- لا ينفع مع الكبر عمل، ولا يضر مع التواضع بطالة.
- احرص أن تصبح وتمسي مسلماً أو مؤمناً، لعله ينظر إليك فيرحمك.
- اجعل الصبر زادك والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك.
- التسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام.
- اللهم فهمنا عنك فإننا لا نفهم عنك إلا بك.
- إن أقامك ثبت وإن قمت بنفسك سقطت.
- الخوف سوط يسوق ويعوق، يسوق إلى الطاعة ويعوق عن المعصية.
- السعيد من يئس من الفرح إلا من عند مولاه.
- أنفع العلوم العلم بأحكام العبودية، وارفح العلوم معرفة التوحيد.
- الحمية في الأبدان ترك المخالفة بالجوارح، والحمية في القلوب ترك الركون إلى الأغيار، والحمية في النفوس ترك الدعوى.
- أهل الصدق قليل في أهل الصلاح.
- جعل الله قلوب أهل الدنيا محلاً للغفلة والوسواس، وقلوب العارفين مكاناً للذكر والاستتناس.

- من أخلص الله في معاملته تخلص من الدعوى الكاذبة .

ابو مدين الشاعر :

وأصبح يقصده الناس و يرسلونه من أطراف الأرض للاستفتاء فيفتيهم ،
وكانت له مواقف ومحاطبات صوفية على شاكلة مواقف أبي يزيد البسطامي
والتقري ومحاطباتهما الصوفية، كما أن ابن الفارض تأثر بشعره، وديوانه مشهور
عند أهل التصوف، وقصائده يُرَدِّدُها جميع المرئدين والسالكين في حلقات الذكر
إلى يومنا هذا، ومن أشهرها :

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفُقَرَا هُمُ السَّلَاطِينُ وَالسَّادَاتُ وَالْأُمَرَا
فَاصْحَبُهُمْ وَتَأَدَّبَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَخَلَّ حَظَّكَ مَهْمَا قَدَّمُوكَ وَرَا
وَاسْتَعْنِمِ الْوَقْتَ وَاحْضُرْ دَائِمًا مَعَهُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّضَا يَخْتَصُّ مَنْ حَضَرَ
أَيُّ مَا لَذَّةُ عَيْشِ السَّالِكِ فِي طَرِيقِ مَوْلَاهُ إِلَّا صُحْبَةُ الْفُقَرَاءِ، وَالْفَقِيرُ فِي
اصطلاح الصوفية هو المتجرِّدُ عن العلائقِ المعرِضُ عن العوائقِ، ويروي صاحب
شذرات الذهب هذه الأبيات من شعر أبي مدين :

يَأْمَنُ عَلَا فَرَأَى مَا فِي الْعُيُوبِ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَظِلَامُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ ضَاعَتْ مَذَاهِبُهُ أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ حَارَتْ بِهِ الْحَيْلُ
إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَ الْأَمَالَ وَاثِقَةً وَالْكَلُّ يَدْعُوكَ مَلْهُوفٌ وَثَبْتُهُ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَذُو فَضْلٍ وَذُو كَرَمٍ وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ

ويروي الإمام الشَّعْرَانِي أَنَّ أبا مدين كان يقول : (الحُضُورُ مع الله جنة، والعَيْبَةُ
عنه نار، والقربُ منه لَذَّةٌ، والبُعدُ عنه حَسْرَةٌ، والأنسُ به حياة، والاسْتِيْحَاشُ
منه مَوْتٌ) وَحَدَّدَ أبو مدين معلِّم طريق القربِ من الله بقوله: (من اشتغل
بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذلِّ) وحَدَّرَ من الميلِ إلى غيرِ الله بقوله: (إياك أن
تميلَ إلى غيرِ الله فيسلبك لَذَّةُ مُنَاجَاتِهِ) ويُعبِّرُ عن ذلك بقوله في ديوانه :

الله قُلْ وَدَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى إِنَّ كُنْتَ مُرْتَاداً بُلُوعَ كَمَالِ
فَالْكُلِّ دُونََ اللهِ إِنَّ حَقَّقْتَهُ عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ

وقال في الحُصُورِ مَخَاطِبَا اللهُ تَعَالَى مُعْبِراً عَنِ الْعِشْقِ الْإِلَهِيِّ فِي رَمُوزِ صُوفِيَّةٍ وَمَعَانِي
وُجْدَانِيَّةٍ :

تَذَلَّلْتُ فِي الْبُلْدَانِ حِينَ سَبَيْتَنِي وَبِثُّ بِأَوْجَاعِ الْهَوَى أَتَقَلَّبُ
فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدٍ وَأَتْرُكُ قَلْباً فِي هَوَاكَ يُعَدَّبُ
وَلَكِنْ لِي قَلْباً تَمَلَّكَهُ الْهَوَى فَلَا الْعَيْشُ يَهْنَأُ لِي وَلَا الْمَوْتُ أَقْرَبُ
كَعَصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَضُمُّهَا تَذُوقُ سِيَّاقِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَحْنُ لِمَا يَمَّا وَلَا الطَّيْرُ ذُو رِيَشٍ يَطِيرُ فَيَذْهَبُ
سُمِّيْتُ بِالْمَجْنُونِ مِنْ أَلْمِ الْهَوَى وَصَارَتْ بِي الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ
فِيَا مَعْشَرَ الْعَشَاقِ مُوتُوا صَبَابَةً كَمَا مَاتَ بِالْهَجْرَانِ قَيْسُ الْمَعْدَبُ

كما ويقول في بعض أشعاره واصفاً شيوخ التصوف :

قوم كرام السجايا حيثما جلسوا

يبقى المكان على آثارهم عطرًا

يهدى التصوف من أخلاقهم طرفًا

حُسن التآلف منهم راقني نظرا

هم أهل وُدِّي وأحبابي الذين هُم

مَنْ يَجُرُّ ذِيولَ الْعِزِّ مُفْتَخِرًا

وقد تكون القصيدة النونية الخمرية ، من أشهر قصائد سيدي أبي مدين

الصوفية، و التي تعد من بواكير القصائد الخمرية الصوفية، و التي يكون

ابن الفارض قد استلهم منها قليلا أو كثيرا لصناعة ميميته الخمرية المشهورة، و

عدتها خمسون بيتا، أولها :

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا

فنحن أناس لا نرى المزج مذكنا
عرفنا بما كل الوجود ولم نزل
إلى أن بما كل المعارف أنكرنا
هي الخمر لم تُعرف بكرم يخصها
ولم تجلها راح ولم تعرف الدنا
وغنّ لنا فالوقت قد طاب باسمها
لأننا إليها قد رحلنا بما عنا
لها كل روح تعرف العهد عهدها
وفي كل قلب جاهل للسوى معنى
مشعشة تكسو الجوه جمالة
وفي كل شيء من لطافتها معنى
حضرنا وغبنا عند دور كئوسها
وعدنا كأننا لا حضرنا ولا غبنا
وأبدت لنا في كل شيء إشارة
وما احتجبت إلا بأنفسنا عنا
فلا تطق الأفهام تعبير كهنها
ولكنها لاذت باللطافها الحسنى
نصحتك لا تقصد سوى باب حانها
فمن وجد الأعلى فلا يطلب الأدنى

ثناء العلماء عليه :

الشيخ محي الدين بن عربي :

يضع الشيخ أبا مدين في منزلة عالية، يعز بلوغها على من رامها، ويسميه (شيخ الشيوخ) ، وهذه كلمات تبين مدى تقدير ابن عربي لأبي مدين، حيث يقول : (شيخنا أبو مدين من الثمانية عشر نفسا الظاهرين بأمر الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان)^١

وقال في موضع آخر : (شيخنا أبو مدين عليه السلام الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شيء فكل حال عنده أعمال، فتعلن بالصدقة كما يذكره في الملاء، فإن من ذكره في الملاء فقد ذكره في نفسه، فإن ذكر النفس متقدم بلا شك، وما كل من ذكره في نفسه ذكره في الملاء، فهذه حالة زائدة على الذكر النفسي، لها مرتبة تفوق صاحب ذكر النفس، لا يطلع عليه في الحالين، فهو سر بكل وجه، فصدقة الإعلان تؤذن بالاعتقاد الإلهي، فمن يخفيها أو يسرها هو الظاهر في المظاهر الإمكانية، فهذه كانت طريقة شيخنا، وكان يقول: «قل الله ثم ذرهم» «أغير الله تدعون»)^٢

الإمام الشعراني :

كان له عدة كلمات في تقدير أبي مدين، حيث قال: (الشيخ أبو مدين المغربي عليه السلام ورحمه، هو من أعيان مشايخ المغرب وصدور المرابين، وشهرته تغني عن تعريفه، واسمه شعيب فقد أجمع المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأدبوا بين يديه، وكان ظريفا جميلا متواضعا، زاهدا وورعا محققا، مشتملا على كرم

(الأخلاق)

وقد قال عنه الشيخ يوسف اللخمي: (هو من أعيان مشايخ المغرب، وصدور المقربين، وعظماء العارفين وأئمة المحققين، صاحب الكرامات...، وهو أحد

^١ شيخ الشيوخ أبي مدين ص ١٣٥

^٢ الكواكب الدرية ٤٧/٢

أوتاد المغرب)^١

وقال عبد الله الفهري السبتي في التعريف به : (كان مقبوضا بالزهد والورع، مبسوطا بالعلم، قد خاض من الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسراراً...
وقال صاحب النجم:

سيدي أبو مدين سيد العارفين، وقدوة السالكين...، جمع بين الشريعة والحقيقة
وأثار به معالم هذه الطريقة، وأقامه ركنا من أركان الوجود، وأظهره بالبالد
المغربية، هاديا، وداعيا للخلق)^٢

وقد ذكر ابن الزيات التادلي في كتابه التشوف إلى رجال التصوف، عن إبراهيم
الأنصاري يقول: (خَرَجَ أَبُو مَدِينِ أَلْفِ تَلْمِيذٍ، ظَهَرَتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
كِرَامَةٌ)^٣

وهذه أكبر كرامات سيدي أبي مدين رحمه الله، ولعل من أكبر تلاميذه الذين
تخرجوا على يده "العارف سيدي محي الدين ابن عربي، والعارف الشيخ سيدي
أبو عبد الرحيم القنائي، والعارف الشيخ أبو عبد هلالا القرشي)^٤
وغيرهم كثير.

لقد كان سيدي أبو مدين نورا لامعا في أهل زمانه، سرى بمريديه وتلامذته إلى
أرقى الأحوال، وأزكى الدرجات، وأعظم المقامات، يقول أحمد القسنطيني (ابن
قنفذ) في كتابه أنس الفقير : (كان الشيخ أبو مدين رحمته مشغولا بالتربية،
والإفادة ، والتعليم، والعبادة ، والإقبال على الله تعالى في الظاهر والباطن)^٥

^١ المطرب ، ص : ٦٧

^٢ المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ص : ١٨٣

^٣ التشوف إلى رجال التصوف ص ٢٥٩

^٤ أنس الفقير، ص ١٤ - ١٥

^٥ أنس الفقير، ص : ٥١

ويقول مُجَّد بن مُجَّد مخلوف : (ولي الله أبو مدين شعيب بن حسن الأندلسي البجائي ، شيخ المشايخ، وسيد العارفين وقدوة السالكين، شيخ الطريقة جمع الله له علم الشريعة والحقيقة ، كان من الفضلاء، وأعلام العلماء، ومن حفاظ الحديث خصوصا الترمذي، وكان يقوم عليه، وكانت ترد عليه الفتاوى في مذهب الإمام مالك عليه السلام، فيجيب عنها في الوقت، مناقبه شهيرة وكراماته كثيرة، أخذ عن الحافظين أبي الحسن بن حرزهم، وأبي الحسن بن غالب والشيخ أبي يعزى...)^١

ذكر الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري فقال: « كان زاهدا، فاضلا عارفا بالله تعالى، قد خاض من الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسرار، وخصوصا مقام التوكل، لا يشق فيه غباره، ولا تجهل آثاره، وكان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى، حتى ختم الله له بذلك .

وسئل عليه السلام عما خصه الله تعالى به فقال : مقامي العبودية، وعلومي الألوهية، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية، ملئت علومه سري وجهري، وأضاءت بنوره بري وبحري، فالمرقب من كان به عليما، ولا يسمو إلا من أوتي قلبا سليما، الذي يسلم مما سواه ولا يكون في الوعاء إلى ما جعل فيه مولاه، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب)^٢

مؤلفات الشيخ :

وقد خلف الشيخ أبو مدين مصنفات ومؤلفات لم يذكر المؤرخين منها إلا كتابين : « أنس الوحيد ونزهة المرید » ، وكتاب : « مفاتيح الغيب لإزالة

^١ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٦٤

^٢ تعريف الخلف برجال السلف ص ١٧٢

الريب وستر العيب » ، وترك " كلامًا وأدعية وشعراً ، وشعره على ما ذكر المقري كثير مشهور بين الناس ، وهو شعر مستكمل النفاسة لفظاً ومعناً ، والبعض منه يغنى به وينشد في محافل الذكر لحد الآن

تأسيس الطريقة المدينية :

لقد أسس الشيخ أبا مدين طريقته المدينية ، وهي لا تزال قائمة حتى الآن. ومبنى هذه الطريقة على الجهر بذكر الجلالة (كالطريقة القادرية) ، وكان إمام هذه الطريقة سيدي بومدين شعيب يعلن بالصدقة ويجهر بها وبذكر الله ، وكان يقول " قل الله ثم ذرهم ، أفعير الله تدعون " .

(ومن شأن مريدي هذه الطريقة عدم التوقف في الملابس والمأكل على خشن أو غيره ، ويقبلون ما يأتيهم من غير سؤال ولا استشراف نفس ، والسالك ينبغي له الأخذ بالأشد على نفسه ، ومن آدام، صلاة ركعتين نفلاً بعد الأكل ، والاشتغال بقراءة سورة الملك ، ويدخلون الخلوة بالذكر الوارد (لا إله إلا الله لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، ومن شأنهم اتخاذ سبحة للذكر) ^١

ويمكن أن نلخص تعاليم ابي مدين كلها في هذا البيت الذي كان يردده دائماً،

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بصدق مرد

(وبهذا المبدأ وصل أبو مدين بأتباعه إلى أقصى مراتب الصوفية، فتجردت نفسه التجرد كله.

فتنقل متدرجاً في كل مراتب الصوفية، حتى بلغ مرتبة القطب " الغوث " ^٢

وفاة الشيخ رحمه الله تعالى :

واستمر الشيخ يعبد ربه ، ويدعو الى عبادته ، واستمر الشيخ ينير لتلاميذه

^١ الطرق الصوفية في مصر ص ٧٥

^٢ شيخ الشيوخ ابي مدين ص ٥٣

الطريق الى رضوان الله ، يدعو ويصبر وينصح ويُدكّر ، واستمر ... الى ان أتاه النداء ليلتحق بالرفيق الأعلى ، فيلبي طائعا نداء مولاه .

كما هي العادة فإن أولياء الرحمن يعانون من مكائد الشيطان وأتباعه ، ومن الحاسدين ، وتلك سنة مرّ بها كل الشيوخ .

فلما اشتهر أمر شيخنا ، وشاع في الآفاق ذكره ، وكثُرَ حوله التلاميذ والمحبون ، سعى به البعض عند خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش ، فأمر السلطان بأن يترك الشيخ (جباية) ويحضر اليه ، وكتب الى والي بجاية بالوصية عليه وبأن يحمله خير محمل ، وبدأ الشيخ بالتحضر للسفر ، وشقّ هذا الأمر على أصحابه فالشيخ قد تقدّم في السنّ ، فكانوا يحشون عليه مشقة السفر ، والمكائد .

فقال لهم ﷺ : شعيب شيخ كبير ضعيف لا قوة له على المشي ، ومنيته فُذِّرت في غير هذا المكان ، ولا بد من الوصول الى موضع المنية ، فقيض الله من يحملني الى مكان الدفن برفق ، ويسوقني الى مرام المقادير أحسن سوق ، والقوم لا يروني ولا أراهم .

فطابت نفوسهم واطمأنت وذهب عنهم البأس .

وارتحل الشيخ حتى وصل الى تلمسان ، فلما رأى العباد قال لرفقائه : ما يقال لهذا المكان ؟ .. فقيل له : العباد .. فقال : مليح للرقاد .

وشرفت تلك البقعة بالشيخ ، وكانت تلك آخر كراماته .

قال ابو علي الصواف رحمه الله تعالى : لما احتضر الشيخ ابو مدين استحييت

ان اقول له : أوصني . فأتيته بغيري وقلت له : هذا فلان فأوصه ، فقال :

سبحان الله ، وهل كان عمري كله معكم إلا وصية ؟ وأي وصية أبلغ من

مشاهدة الحال ؟

قال ابو علي الصواف : وسمعتة عند النزح وهو يقول : الله الله الله ، حتى رَقَّ
صوته^١

^١ انظر شيخ الشيوخ ص ١٤٦ - ١٤٧

شقيق البلخي

ابو علي البلخي

أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدى البلخي، أحد علماء أهل السنة والجماعة
ومن اعلام التصوف في القرن الثاني الهجري .

تعود جذوره وكنيته الى مدينة بلخ في اقليم خراسان^١
وهو من أهل بلخ في خراسان .

صحب العابد الزاهد ابراهيم ابن ادهم ، نهل من علمه وذوقه ، وعنه اخذ
التصوف .

وقد روى الحديث عن كثير بن عبد الله الأبلي ، وإسرائيل بن يونس ، وعباد بن
كثير .

وكان كثير النفقة والجهاد في سبيل الله .

وقد تتلمذ عل يديه واحد من أعلام التصوف هو حاتم الأصم^٢
حدّث عنه عبد الصمد بن يزيد مرزويه و مُجَّد بن أبان المستملي و حاتم الأصم
و الحسين بن داود البلخي .

من مآثره ﷺ :

ما رواه علي بن مُجَّد بن شقيق قال :

كان لجدي ثلاثمائة قرية ، ولم يكن له حين مات كفن يكفَّن به ، قدّم ذلك كله

^١ كلمة مركبة تعني الشمس المشرقة ، كانت مقاطعة كبيرة من الدولة الإسلامية، حدودها
مما يلي العراق ، وآخر حدودها، مما يلي الهند ، ومن أطراف حدودها طخارستان وغزنة
وسجستان وكرمان، ومن أهم مدنها: نيسابور وهرارة، ومرو وبلخ ، تتقاسمها اليوم إيران و
تركمانستان

^٢ انظر فرسان العشق ص ١٧٥

بين يديه ، وثيابه وسيفه الى الساعة معلق يتبركون به ^١
وبلغ من ثقته بالله وصدق توكله عليه ، ما رواه عنه تلميذه حاتم الأصم حيث
قال : كنا مع شقيق البلخي ونحن مُصافوا الترك في يوم لا أرى فيه الا رؤوساً
تندر ، وسيوفاً تقطع ، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين : يا حاتم كيف ترى
نفسك في هذا اليوم ؟ تراها مثلها في الليلة التي زُفَّت اليك امرأتك ؟
فقلت : لا والله .

قال : لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي .
ثم نام بين الصفين ودرَّفته ^٢ تحت رأسه ، حتى سمعت غطيته ^٣
قال الذهبي : سافر ابو علي البلخي ومعه ثلاثمائة فقير فتوسل اليه المأمون حتى
اجتمع به .

واجتمع به قبله ابوه الرشيد ، وقال له : أنت شقيق الزاهد ؟
فقال : نعم شقيق ، ولست بالزاهد .
فقال له : أوصني .

فقال : ان الله قد أجلسك مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه ،
واجلسك مكان الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل ، واجلسك
مكان عثمان ويطلب منك مثل حياؤه وكرمه ، ومقام علي ، ويطلب منك مثل
علمه وعدله ^٤

فقال له الرشيد زدني من وصيتك .

^١ صفة الصفوة ص ٧٨١ برقم ٧٠٣

^٢ الدرر بفتح الدال والراء : الترس من جلد ، ليس فيه خشب

^٣ صفة الصفوة ص ٧٨١ برقم ٧٠٣

^٤ الرسالة القشيرية حاشية ص ٦٤

فقال شقيق : نعم ، إن الله داراً تعرف بجهنم ، وإنه جعلك بواب تلك الدار ، وأعطاك ثلاثة أشياء لترد عباده عنها :

أعطاك بيت المال ، والسوط ، والسيف ، وأمرك أن تمنع الخلق من دخول النار بهذه الثلاثة ، فمن جاءك محتاجاً إلى طعامٍ حلالٍ فلا تمنعه حقه في بيت المال ، حتى لا يسرق ويقتل .

ومن خالف أمر دينه ، وخرج على حدود الله تعالى فأدّبه بالسوط .

ومن قتل نفساً بغير حق فاقتله بالسيف ، بإذن ولي المقتول .

فإن لم تفعل ما أمرك الله فأنت تكون الغريم لأهل النار ، والمتقدم إلى أهل البوار . فقال له الرشيد : زدنا .

فقال له شقيق : يا أمير المؤمنين ، مثلك كمثل معين الماء ، ومثل سائر العلماء كمثل السواقي على منبع الماء ، فإذا كان المعين صافياً لا يضر كدر السواقي ، وإذا كان المعين كدراً لا ينفع صفاء السواقي .

وهنا بكى هارون الرشيد ، وأمر بمال وفير للبلخي ، لكنه أبي أن يأخذه ، وتركه وانصرف^١

عن جعفر بن محمد الفريابي قال حدثنا ابو عبد الله قال سمعت شقيق ابن ابراهيم يقول : كنت رجلاً شاعراً فرزقني الله تعالى التوبة واني خرجت من ثلاثمائة الف درهم .

وكنت مرابطاً ولبست الصوف عشرين سنة ، وانا لا اعلم حتى لقيت عبد العزيز بن رواد فقال لي : يا شقيق ليس البيان في اكل الشعير ولا لباس الصوف والشعر .

البيان المعرفة ، ان تعرف الله عز وجل ، تعبه ولا تشرك به شيئاً .

والثانية الرضا عن الله عز وجل .

^١ فرسان العشق ص ١٧٧

والثالثة : تكون بما في يد الله أوثق منك بما في ايدي المخلوقين .

قال شقيق : فقلت له فسر لي هذا حتى أتعلمه .

قال : أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً ويكون جميع ما تعمله لله خالصاً من صوم او صلاة او حج او غزو او عبادة فرض او غير ذلك من الأعمال حتى تكون خالصاً لله .

ثم تلى هذه الآية : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ^١ ﴾^٢

عن محمد بن طلحة قال : قال خشنام بن حاتم الأصم قال : قال لي أبي حاتم : قال لي شقيق البلخي : خرجت حاجا في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فيينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم ، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف ، فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة في رجله نعلان وقد جلس منفردا ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كالأعلى الناس في طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه ، فدنوت منه . فلما رأني مقبلا قال : يا شقيق " اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم " ثم تركني ، ومضى ، فقلت في نفسي إن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي ، وما هذا إلا عبد صالح لألقنه والأسألنه أن يجليني فأسرعت في أثره فلم ألقه وغاب من عيني ، فلما نزلنا واقصة وإذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري ، فقلت : هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله .

فصبرت حتى جلس ، وأقبلت نحوه فلما رأني مقبلا قال : يا شقيق أتل " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " ثم تركني ومضى فقلت : إن هذا الفتى لمن الابدال ، لقد تكلم على سري مرتين ، فلما نزلنا زباله إذا بالفتى قائم

^١ الكهف ١١٠

^٢ حلية الأولياء ٨ / ٦٠

على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا
أنظر إليه ، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما سيدي مالي غيرها
فلا تعدمنيها ، قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها فمد يده
وأخذ الركوة وملؤها ماء ، فتوضأ وصلى أربع ركعات ، ثم مال إلى كئيب رمل
فجعل يقبض بيده وي طرحه في الركوة ويحركه ويشرب ، فأقبلت إليه وسلمت
عليه فرد علي فقلت : أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك ، فقال : يا شقيق
لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ، ثم ناولني الركوة
فشربت منها فإذا هو سويق وسكر ، فوالله ما شربت قط ألد منه ولا أطيب
ريحا فشبعنت ورويت ، وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا .

ثم لم أره حتى دخلنا مكة ، فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل
قائما يصلي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما رأى
الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام فصلى الغداة ، وطاف بالبيت أسبوعا
وخرج فتنبعته وإذا له غاشية وموَالٍ وهو على خلاف ما رأته في الطريق ، ودار
به الناس من حوله يسلمون عليه ، فقلت لبعض من رأته يقرب منه : من هذا
الفتى ؟ فقال : ويحك أما تعرفه فقلت لا قال هذا هو الحج الأكبر هذا موسى
أبن جعفر.....هذا موسى بن جعفر بن مُجَدِّ بن علي بن الحسين بن علي
بن أبي طالب عليهم السلام ،

فقلت : قد عجبت أن يكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد^١

سبب زهده :

كان سبب توبته وزهده حادثة مرّت به وأراد الله ان تغير مجرى حياته : فقد
كان من عائلة ثرية غنية ، وحدث ان خرج الشيخ بتجارة الى أرض الترك، وهو

^١ فرسان العشق ص ١٧٨ و بحار الأنوار ٨ / ٨٠-٨٢ و كشف الغمة ٣ / ٤

لما يزل في مقتبل عمره . فدخل بيتاً للأصنام، ورأى هناك خادماً للأصنام ؛ قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً أرجوانية.

فقال شقيق للخادم : إنَّ لك صانعاً حيّاً، عالماً، قادراً، فاعبده.. ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع .

فقال خادم الأصنام : إن كان كما تقول، فهو قادر على أن يرزقك ببلدك، فلم تعنيت إلى هنا للتجارة ؟

وأراد الله لتلك الكلمات ان تفعل فعلها في قلب شقيق ، وأن توجه حياته فيما بعد الى وجهة جديدة وسلوك جديد .. فكانت سبباً في زهده .

وقيل: كان سبب زهده:

أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط، فيما كانت قلة الطعام تحيل حياة الآخرين الى هم متواصل وضنك وشدة .

فقال شقيق : ما هذا النشاط الذي فيك ؟ أما ترى ما فيه الناس من الجذب والقحط ؟

فقال ذلك المملوك : وما عليّ من ذلك ، ولمولاي قريةٌ خالصة يدخل له منها ما نحتاج إليه .

فانتبه شقيق ، وقال : إن كان لمولاه قرية ، ومولاه مخلوق فقير ، وهو لذلك مطمئن ولا يهتم لرزقه ، فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني ؟^١

وهناك من يورد سبباً آخر لزهده شقيق وتركه متاع الدنيا :

فغن أحمد بن مُجَّد البخاري: ان حاتم الأصم قال :

كان شقيق بن إبراهيم موسراً ، وكان يفتي^٢ ويعاشر الفتيان^٣ ،

^١ انظر الرسالة القشيرية ص ٦٤

^٢ يعمل بأعمال الفتيان ويتصرف كما يتصرفون

^٣ يصاحبهم ويسايرهم

وكان عليُّ بن عيسى بن ماهان أميرَ بلخ ، وكان يحب كلاب الصيد .
ففقد كلباً من كلابه ، فسُعيَ برجل أنه عنده ، وكان الرجل في جوار شقيق ،
فطلب الرجل ، فهرب... فدخل دار شقيق مستجيراً ، فمضى شقيق إلى الأمير
وقال: خلوا سبيله ، فإن الكلب عندي أردته إليكم بعد ثلاثة أيام .

فخلوا سبيله ، وانصرف شقيق مهتماً لما صنع .
فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ فرجع إليها ،
فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة ، فأخذه ، وقال: أهديه إلى شقيق ، فإنه
يشتغل بالتفتي .

فحملة إليه، فنظر شقيق فإذا هو كل الأمر، فسرَّ به وحمله إلى الأمير وتخلَّص
من الضمان فرزقه الله الانتباه ، وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد .^١
وربما تعدد الأسباب التي تقود العبد الى الزهد ، فالحوادث رسائل تصبُّ في
قلب العبد ، فقد تؤثر الأولى بهذا القدر او ذاك ، ثم تأتي الثانية فيكون تأثيرها
مضاف الى تأثير الأولى ، وتستمر الرسائل ، وتستمر العظات ، وتستمر الآيات
تترى ، فيعتبر من يعتبر ، ويغفل من يغفل ، ولكلٍ قَدَرٌ من الأحداث التي تؤثر
بمجموعها بقلبه وتغير سلوكه ، فهناك من يعتبر بالقليل من العبرِ وهناك من
يتعظ بالكثير ... ومنهم من لا يتعظ مهما توالى عليه وحوله الآيات :

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٢

من أقواله ﷺ :

- الزاهد من اقام زهده بفعله ، والمتزهد من اقام زهده بلسانه^٣
- العاقل لا يخرج من هذه الأحرف الثلاثة :

^١ تاريخ مدينة دمشق ١٣ / ١٤٩

^٢ يونس ٣٣

^٣ طبقات الصوفية ص ٢٥

- الأول ان يكون خائفاً لما سلف منه من الذنوب ، والثاني لا يدري ما ينزل به ساعة بعد ساعة ، والثالث يخاف من إبهام العاقبة ، لا يدري ما يختتم له ^١
- لو أن رجلاً عاش مئتي سنة لا يعرف هذه الأربعة لم ينجح :
- معرفة الله ، ومعرفة النفس ، ومعرفة أمر الله ونهيه ، ومعرفة عدو الله وعدو النفس .
- جعل الله أهل طاعته أحياء في مماتهم، وأهل المعاصي أمواتاً في حياتهم .
- من أراد أن يعرف معرفته بالله، فليتنظر إلى ما وعده الله وما وعده الناس ، بأيهما قلبه أوثق .^٢
- التوكل أن يطمئن قلبك بموعود الله .^٣
- تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء : في أخذه، ومنعه، وكلامه ^٤
- مثل المؤمن مثل من غرس نخلة يخاف أن تحمل شوكة، ومثل المنافق مثل من زرع شوكةً يطمع أن يحمل تمراً ، هيهات .
- اصحب الدنيا كما تصحب النار ، خذ منفعتها واحذر ان تحرقك ^٥
- ليس شيء أحب إلي من الضيف ؛ لأن رزقه على الله ، وأجره لي .
- علامة التوبة البكاء على ما سلف ، والخوف من الوقوع في الذنب ، وهجران إخوان السوء ، وملازمة الأخيار.^٦

^١ طبقات الصوفية ص ٢٤

^٢ الرسالة القشيرية ص ٦٢

^٣ طبقات الصوفية ص ٢٣

^٤ طبقات الصوفية ص ٢٣ والرسالة القشيرية ص ٦٢

^٥ صفة الصفوة ص ٧٨٢

^٦ طبقات الصوفية ص ٢٥

- من شكها مصيبة إلى غير الله ، لم يجد حلاوة الطاعة .^١
- أُغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء : اشتغالهم بالنعمة عن شكرها ،
ورغبتهم في العلم وتركهم العمل ، والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة ، والاعتزاز
بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم ، وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها ،
وإقبال الآخرة عليهم وهم مُعرضون عنها .

(وقد تعلم حاتم الأصم من البلخي أشياء ، رواها الأول له حين سأله الأخير
عَمَّا عرفه منه بعد طول صحبة قائلاً :

تعلمت ثمانية مسائل هي :

الأولى : فإني نظرت إلى الخلق فإذا كل شخص له محبوب ، فإذا وصل إلى القبر
فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبي حسناتي ؛ لتكون معي بالقبر .

والثانية : فإني نظرت إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾^٢

فأجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

أما الثالثة : فإني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، فنظرت إلى

قوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^٣

فكلما وقع معي شيء له قيمة وَجَّهته إلى الله ليبقى لي عنده .

والرابعة : فإني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف وليست بشيء ،

فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^٤

فعملت بالتقوى حتى أكون عند الله كريماً .

والخامسة : فإني رأيت الناس يتحاسدون ، فنظرت إلى قوله تعالى :

^١ صفة الصفوة ص ٧٨٢

^٢ النازعات : ٤٠

^٣ النحل : ٩٦

^٤ الحجرات : ١٣

﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^١

فتركت الحسد بالكلية ؛ لأن الحسد اعتراض على الله .

أما السادسة : رأيت الناس يتعادون ، فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^٢

فتركت عداوتهم، واتخذت الشيطان وحده عدوا .

والسابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق، فنظرت إلى قوله تعالى :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^٣

فاشتغلت بما له عليّ ، وتركت ما لي عنده ثقة به ، وبقينا بما عنده .

أما الثامنة : رأيتهم متوكلين على تجارهم وصنائعهم وصحة ابدانهم ، فتوكلت على الله :

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^٤ °

اقوال العلماء فيه :

قال عنه الشيخ ابو نعيم الأصفهاني :

ومنهم الرائد العقيق ، الزاهد الحقيق أبو علي البلخي شقيق .

كان شقيق بن إبراهيم البلخي أحد الزهاد من المشرق ، وكان يقول : تطرح

المكاسب والمطالب في الأسباب والمذاهب ، قدم للمعاد وتنعم بالوداد زلق

بكفالة الوكيل فتوكل ، واجتهد فيما التزم فاحتمل ، وحقيقة الزهد الركون

^١ الزخرف: ٣٢

^٢ فاطر: ٦

^٣ هود/ ٦

^٤ آل عمران / ١٥٩

^٥ فرسان العشق ص ١٧٩

والسكون ، وتحول الأعضاء والغصون ، والتخلي من القرى والحصون .^١

وقال عنه الشيخ القشيري :

من مشايخ خراسان ، له لسان في التوكل^٢

وقال عنه الشيخ السلمي :

ابو علي شقيق بن ابراهيم الأزدي ، حُسن الجري على سبيل التوكل ، وحُسن

الكلام فيه .

وهو من مشاهير مشايخ خراسان ، وأظنه أول من تكلم في علوم الأحوال في

كورخراسان^٣

وفاته رحمه الله تعالى :

كنا ذكرنا قصة وردت في الرسالة القشيرية ان حاتم الأصم قال :

كنا مع شقيق البلخي ونحن مُصافّوا الترك في يوم لا أرى فيه الا رؤوساً تندر ،

وسيوفاً تقطع ، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين :

يا حاتم كيف ترى نفسك في هذا اليوم ؟

تراها مثلها في الليلة التي زُفَّت اليك امرأتك ؟

فقلت : لا والله .

قال : لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي .

ثم نام بين الصفين ودَرَقْتَهُ^٤ تحت رأسه ، حتى سمعت غطيته^٥

^١ حلية الأولياء ٨ / ٥٨ - ٥٩ برقم ٢٩٥

^٢ الرسالة القشيرية ص ٦١

^٣ طبقات الصوفية ص ٢٤

^٤ الدرق بفتح الدال والراء : الترس من جلد ، ليس فيه خشب

^٥ صفة الصفوة ص ٧٨١ برقم ٧٠٣

وهناك من يكمل القصة وعن لسان حاتم حيث يقول :

(لقينا التُّرك ، وكان بيننا جولة ، فرماني تركي ، فقلبني وقعد علي صدري ، وأخذ بلحيتي ، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني ، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ، ولا عند سكينه ، إنما كان قلبي عند سيدي ، لأنظر ماذا ينزل منه بي ، فقلت : قضيت سيدي ذلك ؟ فعلي الرأس والعين إنما أنا ملكك فبيننا أنا أخاطب سيدي ، وهو قاعد علي صدري ، آخذ بلحيتي ليذبحني ، إذا رماه المسلمین بسهم ، فما اخطأ حلقه ، فسقط عني ، فقممت أنا أليه ، وأخذتها من يده ، وذبحته بها . فما هو ألا أن تكون قلوبكم عند السيد ، حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات)^١

وقد استشهد البلخي رحمه الله تعالى في هذه الموقعة المعروفة بغزوة كولان .

وكان ذلك سنة ١٩٤ هجرية

^١ طبقات الأولياء: ١ / ١٧٨ - ١٨٠

شيبان الراعي

المنيب الواعي شيبان أبو مُحَمَّد الراعي .

كان في العبادة فائقا ، وبالتوكل على ربه عز وجل واثقا .

حدثنا (مُحَمَّد بن حمزة المرتضى ، قال : كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس

عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلت فاغتسل ، وكان يذهب إلى الجمعة

فيخط على غنمه فيجيء فيجدها على حالتها لم تتحرك)^١

هو مُحَمَّد بن عبد الله المعروف بشيبان الراعي الإمام العالم العابد العارف الزاهد

الناسك، الذي حير عقول العلماء بدقائقه ورقائقه حتى جالسوه وأخذوا منه

ونهلوا من علمه رضي الله عنه .

يذكر القشيري (أن الإمام أحمد كان عند الشافعي، فجاء شيبان الراعي، فقال

أحمد:أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ، ليشغل بتحصيل

بعض العلوم .

فقال الشافعي: لا تفعل .

فلم يقنع ، فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم

والليلة ، ولا يدري أي صلاة نسيها ، ما الواجب عليه يا شيبان ؟

فقال شيبان: يا أحمد ، هذا قلب غفل عن الله تعالى ، فالواجب أن يؤدب حتى

لا يغفل عن مولاه بعد .

فغشي على أحمد ، فلما أفاق قال له الإمام الشافعي:

ألم أقل لك لا تحرك هذا .

قال القشيري:وشيبان الراعي كان أميًّا منهم ، فإذا كان حال الأمي منهم

هكذا ، فما الظن بأئمتهم)^٢

^١ حلية الأولياء ٣١٧/٨ برقم ٤٢٣

^٢ الرسالة القشيرية ٢ / ٥٧٢

وقد وردت الحادثة برواية قريبة :

(فقال له الإمام الشافعي : لا تحرك هذا فإني أرى أثر الصوفية عليه ، فأصر

الإمام أحمد ، فقال للرجل : نريد أن نعلمك أمور دينك

فقال الراعي : أنا أعلم بأمور ديني

فقال له الإمام أحمد : إذن نختبرك ، فسأله الإمام أحمد : ما حق الله في هذه

الأغنام ؟

فقال الراعي : عندنا أم عندكم ؟ فقال له : عندنا وعندكم .

فقال الراعي : أما عندكم في كل أربعين شاة شاة واحدة (المقصود : نصاب

الزكاة) ، أما عندنا فالعبد وما ملكت يده ملك لسيده (يعني الله تعالى) .

فسأله الإمام أحمد : ما حكم من سهى في صلاته ؟

فقال الراعي : عندنا أم عنكم ؟

فقال : عندنا وعندكم ؟

فقال الراعي : عندكم من سهى في صلاته يسجد سجدة سهو ، أما عندنا

فالقلب الذي يسهى عن خالقه يستحق قطعه .

فغشي على الإمام أحمد بن حنبل

فقال له الشافعي : ألم أقل لك لا تحرك هذا .

ان ما عرف شيبان من علم أخذه في الظاهر ، أثمر نور إتباع وعمل في باطنه ،

فذاق به وعرف علماً لا يُقرأ ولا يُكتب .

قال نبي الله عيسى عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام :

من عمَل بما يعلم ، أورثه الله عِلْمَ ما لا يعلم .

وشيبان ، أثمر العلم والورع في قلبه معرفة جعلت كبار العلماء يذهبون اليه

ليرققوا قلوبهم ويتعرفوا زيادةً بالله سبحانه .

كان مقصد الإمام أحمد رحمته الله فيما يبدو ان يعرف ان عبادة شيبان تقوم على

اساسٍ وفهمٍ من العلم ، فالإنسان مهما ابرز ارادة عبادة وتُسك ان لم يُقمها على قواعد الشريعة فهي هباء .

ويقال ان جواب شيبان رضي الله عنه حول الساهي في الصلاة ، أنّ قلباً غفل عن الله وهو في حضرة الله يحتاج ان يؤدب بسنة من القيام والصيام عند أهل القرب .
وحول الزكاة ، زكاة الماشية ، فكان قصد شيبان على ما يبدو ان المواشي والأغنام هي كلها لله في حساب اهل التصوف ، فمن جاء فقيراً او محتاجاً ، يأخذ ما يلزمه ، وما يسد حاجته ، حتى يكتفي وتُسد حاجته .

ان هذا الرقي في فهم الفقه يقوم على البذل ، فالصوفي يبذل ويبذل لله تعالى حتى يحصل بهذا البذل شعور وتحقق ، بأن المال أمانة عنده ، فيخرج من ظلمة شعوره بأن المال مُلكاً له حقيقة ، الى نور فهم انه في الظاهر مالك وفي الحقيقة مُستأمن .

فالصوفي لا يكون له تعلق بالأمانة .

فيكون البذل عند القوم قائماً على قواعد من الآداب مع الله بالبذل .

ومن هنا كانوا ينتقون الأطيب عند الإنفاق .

ويروى انه : حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي ، فعرض لهما سبع ، فقال

سفيان لشيبان : اما ترى هذا السبع ؟

فقال : لا تخف .

فأخذ شيبان اذنه فعركها ... فبصبص وحرّك ذنبه .

فقال سفيان : ما هذه الشهرة ؟

فقال : لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي الا على ظهره حتى آتي مكة^١

^١ الرسالة القشيرية ٢ / ٥٤٢

وفاته رحمه الله تعالى :

وقد ذكر صاحب الوافي بالوفيات أن شيبان توفي سنة ١٧٠ هـ ، وصاحب
النجوم الزاهرة أرخ سنة وفاته ١٥٨ هـ
و مقامه و قبره في قلب الياس في لبنان .



حرف الصاد

ص

صالح بن عبد الجليل

صالح بن عبد الجليل من قدماء مشايخ بغداد .

صحب الفضيل، وكان من أقران بشر الحافي^١

قال عنه الشيخ ابو نعيم الأصفهاني :

ومنهم المستلد بالطاعة ، والمجتزي بالبلغة والقناعة - صالح بن عبد الجليل^٢

وكان عليه السلام واعظاً زاهداً روى عنه أبو سليمان الداراني .

من اقواله :

سئل عن السماع فقال : ما وجدت قلبك يصلح عليه فافعله^٣

وكان عليه السلام يقول :

(ذهب المطيعون لله بلذيد العيش في الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى لهم يوم

القيامة : أصبتم بي في الدنيا على شهواتكم ، فعندي اليوم فباشروها ، وعزتي ما

خلقت الجنان إلا من أجلكم .

ومن اقواله :

ينظر أهل البصائر إلى ملوك أهل الدنيا بالتصغير لهم ، وينظر إليهم أهل الدنيا

بالتعظيم لهم والغبطة)^٤

لقاء الشيخ صالح بن عبد الجليل بالخليفة المهدي :

دخل صالح بن عبد الجليل على المهدي، فسأله أن يأذن له في الكلام، فقال:

تكلم فقال:

"إنه لما سئل علينا ما توعد على غيرنا من الوصول إليك، قُمنّا مقام الأداء

^١ طبقات الأولياء / ١ / ٢٤٥

^٢ حلية الأولياء / ٨ / ٣١٧ برقم ٤٢٤

^٣ طبقات الأولياء / ١ / ٢٤٥

^٤ حلية الأولياء / ٨ / ٣١٧ برقم ٤٢٤

عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي، عند انقطاع عُذْر الكتمان، ولا سِيَّما حين اتسمت بميسم التواضع، ووعدت الله وحَمَلَةَ كتابه إثثار الحق على ما سواه ، فَجَمَعْنَا وإياك مشهدً من مشاهد التمحيص، ليتم مؤدِّينا على موعود الأداء عنهم، وقابلنا على موعود القَبُول، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية، ويُحَلِّينا حلية الكذابين، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون :

من حجب الله عنه العلم ، عدَّبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً مَنْ أقبل إليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به ، فقد رَغِبَ عن هديَّة الله وقصَّرَ بها .

فأقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا، قبولَ تحقيق وعمل، لا قبولَ سَمْعَةٍ ورياء، فإنه لا يَعدَمُك منا إعلامٌ لما تجهل، أو مواطأة على ما تعلم، أو تذكير لك من غفلة، فقد وطن الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، وتعزيةً عما فات ، وتحصيناً من التماذي، ودلالة على المخرج ، فقال:

(وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

فَأَطِيعَ الله على قلبك ، بما ينور الله به القلوب ، من إثثار الحق ، ومنازمة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك يُرِثُك وأثر الله عليك فيه، لا حول ولا قوة إلا بالله^١

^١ جمهرة خطب العرب ٣ / ٧٩ برقم ٧١



حرف الطاء

ط

طيفور بن عيسى البسطامي

أبو يزيد البسطامي

١٨٨ هـ - ٢٦١ هـ

في ترجمته الشخصية يقول عنه ابن خلكان :

هو طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد المشهور .

كان جده مجوسياً فأسلم .

وكان له أخوان زاهدان عابدان : آدم وعلي ، وكان ابو يزيد أجلَّهُم^١

فيما ذهب الحافظ الذهبي في ترجمته :

سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي ، أحد الزهاد

، أخو الزاهد آدم وعلي^٢

وهو من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري .

ولد في بسطام ، وبسطام بلدة بين خراسان والعراق ، أصله منها ووفاته بها .

وكان باراً بأمه حريص على رضاها متعلقاً قلبه بها .

وثمة قصة تبين بره بوالدته ، يرويها هو قائلاً :

طلبت أُمي ماء فجئتها فوجدتها نائمة فقمت انتظر يقظتها ، فلما استيقظت

قالت : اين الماء ؟ فأعطيتها الكوز وقد سال الماء على اصبعي فجمد عليها

الماء من شدة البرد ، فلما اخذت الكوز انسلخ جلد اصبعي فسال الدم .

فقالت : ما هذا ؟ فأخبرتها فقالت : اللهم اني راضية عنه فارض عنه^٣

حياته :

كانت تحيط به العناية الإلهية قبل ولادته ، فكأنه أُعدَّ لأمرٍ كبير ،

^١ انظر وفيات الأعيان ٢ / ٥٣١

^٢ سير اعلام النبلاء ١٣ / ٨٦

^٣ فرسان العشق ص ١٠٤

كان ابوه صالحاً ، يتحرى مرضاة الله في جميع شئونه ، وكان الورع من صفاته ، فكان يتحرى الحلال في مأكله وفي مشربه وفي شأنه كله .. وحتى في ملبسه ومسكنه . وكأنما في قلبه دوماً يتردد حديث رسول الله ﷺ :

(إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ،

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾^١

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^٢

ثم ذكر الرجل يُطيل السفر، أشعث ، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب،

رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب له)^٣

هذا حال أبيه من الورع والتقوى .

أما امه رضي الله عنه وعنهما (وكانت امه في قيد الأحياء أما غريبة في النساء ،

مع الضياء والبهاء ، والستر والحياء ، والتواضع والدعاء ، والخوف والرجاء ،

زاهدة عابدة ، صائمة قائمة ، عفيفة شريفة ، راضية مرضية)^٤

ورغم الصفات الفاضلة للأب والأم إلا انه: (روي ان عيسى والد الشيخ أبي

يزيد رحمه الله تعالى ، لما تزوج بأمه ، وزفَّها ، لم يباشرها ويلامسها اربعين ليلة

حتى علم انه لم يبق في جوفها أثر ما أكلته من قبل ، وتناولته فيما غبر من

الأيام التي كانت في بيت والدها ، ثم لما باشرها ظهر من اولاده مثل أبي يزيد)^٥

يروى أبو يزيد عن أمه بعد حملها به :

(وكانت أمي لما حملت بي ، اذا قدّم لها طعام حلال امتدت يدها اليه ، او

^١ المؤمنون: ٥١

^٢ البقرة: ١٧٢

^٣ صحيح مسلم برقم ١٠١٥ و صحيح الترمذي برقم ٢٩٨٩

^٤ انظر سلطان العارفين ابو يزيد البسطامي ص ١٤ - ١٥

^٥ شطحات الصوفية ص ٦٢

حرام انقبضت .

ثم يختم بقوله : فالعناية منذ الأزل)^١

وكشأن الرجال كبيرى الشأن ، كان فيه اختلاف ، فبين من ينسب اليه تأسيس الشطح في التصوف والذي يزونه يُخرج من الملة ، وبما يفتح الباب بعده للحلاج ومن تبعه ، وثمة من يتحدث عن كراماته التي تخب الألباب والتي تُنبئ عن مقام وحال عاليين .

فكان الرجل محلّ خلاف بين كُتاب السير والمحللين والعلماء والفقهاء ، قد يكون هو الأكبر في تاريخ التصوف والباحثين في حياة رجاله .

ابو يزيد والعلم :

كان مشايخ ابي يزيد يحدثون عنه انه كان يقول :

(كان ابتداء أمري ان اقامني الحق تعالى على ابواب العلماء ، وصحبة المتعلمين دهرًا طويلاً ، فلما استكثرت من انواع العلوم جعلت نفسي تحدثني انك قد علمت وعرفت ، والعالم والعارف في اعلى المراتب ، فأشرف بي الحق تعالى حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين ، فلم ار لنفسي معهم موضع قدم .

فتلاشيت وانصرفت ولم اصل الى الحق ، فقلت : العلم والمعرفة من غير حقيقة حجة ، وكان عندي ان الحقيقة في العلم والاجتهاد)^٢

وكانت بداية رحلة ابي يزيد الروحية بالعلم شأنه بذلك شأن أغلب رجال التصوف وشيوخه .

كان ﷺ يقول (الحقيقة في العلم والاجتهاد) أي العلم والعبادة ، وذلك ينتج عنه الصفاء والإلهام .

وذلك مطلب كل الساعين الى الله من اهل التصوف .

^١ سلطان العارفين ص ١٦

^٢ ابو يزيد البسطامي سلطان العارفين ص ٩٣

علم كسبي وعلم وهي .

العابد السائح :

قيل له : ما اشد ما لقيت في سبيل الله ؟ فقال : ما لا يمكن وصفه

فقيل له : فما أهون ما لقيته نفسك منك ؟

فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات ، فلم تجبني ، فمنعتها

الماء سنة ^١

كانت بداياته في الجهاد والمجاهدة مبكرة . فبدأ بتحصيل العلم ومجاهدة النفس
وكثرة التعبد .

يقول عنه الهجويري ^٢ :

(له روايات عالية لأحاديث الرسول ﷺ)

ويقول في وصفه : فلك المرقعة .

وعن وصف علمه يقول :

كان متمسكاً بالشرعية السمحاء ، بعيداً عن مظان الشبه التي نسبها إليه اهل
الباطل تدعيماً لبدعهم .

وسار ابو يزيد أشواطاً وأشواطاً .

ومع ذلك ، ومع جدُّ والاجتهاد ، فإن درجة القرب من الله سبحانه وتعالى هي
توفيق منه سبحانه وتعالى ، ولا يصل إليه إلا من يلجأ إليه .

(نقل انه في بداياته كان يقرأ القرآن ، وله أمم ، فوصل الى قول الله تعالى :

^١ طبقات الأولياء ص ٣٩٩

^٢ أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي ، عالم ومتصوف
فارسي، صاحب كتاب كشف المحجوب الذي يعد من المصادر الأساسية في التصوف
وسجلاً جامعاً للتيارات الدينية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي في القرن الخامس
الهجري

﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^١

فاستفسر عن الشيخ معنى الآية ، ثم استجاز منه وذهب الى أمه ، فقالت امه

بالعجل : جئت اليوم يا طيفور ؟

قال : نعم ، قرأت هذه الآية ، وانا ارى في نفسي اني لا اطيق الشكرين جميعاً ،

فإما اطلبيني من الله تعالى لأكون في خدمتك ، وإما اتركيني لأشتغل بخدمة الله

تعالى .

فقالت امه : تركتك لخدمة الله تعالى ، ووهبتك له .

فارتحل من بسطام ، وسافر ثلاثين سنة .

وكان في البوادي وبلاد الشام مشغولاً بالرياضة والسهر والجوع .

وصحب مائة وثلاثة عشر من المشايخ ، واستفاد منهم ، ووصل الى صحبة

جعفر الصادق عليه السلام)^٢

وفي البداية يكون البحث عن الطريق ، والطرق كثيرة ، والمنزقات حول الطرق

كثيرة أيضاً ، لذلك يكون البحث ، ومراقبة النفس ، والحذر ففي كل خطوة

يكون الشيطان متربصاً ومكائده حاضرة .

ويظل الخوف والحذر ، مقروناً بالرجاء ، مصاحباً في الطريق ... ويظل التبتل

والدعاء والتضرع ملازماً للصوفي ، ليتعرض السالك الى نفحاته ، وفي الحديث

النبوي :

(إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها)^٣

ويبدو ان ابا يزيد بصورة لا شعورية كان يشعر بنفسه ، بل هو يصرح بذلك

^١ لقمان / ١٤

^٢ تذكرة الأولياء ص ١٨٤

^٣ ارشاد الساري ٤ / ٥٣٨ من حديث ابي هريرة وابي سعيد والسيوطي في الفتح

الكبير عن محمد بن مسلمة واحياء علوم الدين ٣ / ١١

بمناسبة موضوع الحج فيقول انه (حج أول مرة : فرأى الكعبة ، لقد رأى مبنى ورأى نفسه .

ثم حج ثانية فرأى مبنى الكعبة ، وشعر مع ذلك برب الكعبة ، وشعر بنفسه أيضاً .

ثم حج للمرة الثالثة فشعر برب الكعبة ، ولم يشعر بنفسه .

وهنا علم ان هذه الحجة كاملة^١

ومن اجل ذلك فإنه في المنهج الذي تحدث فيه عن سيره الى الله بعد ان طوّف بالعلم والعبادة والجهاد ، ولم يصل بكل ذلك الى درجة القرب التي يتمناها ، وذلك بسبب رؤيته نفسه في العبادة والاعتداد بها ، لجأ الى الله متضرعاً مبتهلاً خاشعاً .

ويروي ذلك ابو يزيد فيقول :

فقلت إلهي ارحمني وارحم حيرتي ، وأقم بعبدك مقاماً لا ينافسني في ذلك المقام منافس ، ولا يزاحمني فيه مزاحم ، فلقد أشرف بي على من سبقوني اليك ورأيتني لا أطيق اللحوق بهم .

فناداني الحق :

يا ابا يزيد ، انه لا يتقرب اليّ متقرب بمثل من يأتيني بما ليس لي .

قلت : إلهي ، وما الذي ليس لك ، وانت تقرب من يأتيك به ؟ ومن أين لي ما ليس لك ؟

فقال : يا أبا يزيد ليس لي فاقة ولا فقر ، فمن ابتغى لدي الوسيلة بها ، قربته من بساطي

قلت : اللهم أشرف بي على ذوي الفقر والفاقة .

^١ انظر بحار الولاية ص ٢٩٦

فأشرف بي ، فإذا هم شردمة قليلون ، ولا أرى هناك ازدحاماً ، ولا تنافساً ، ولا أرى لهم على الباب جلبة ولا صياحاً .

فعاهدته لا أوتر على الفقر والفاقة شيئاً .

فها أنا معه على هذا العهد ، فليس من ساعة إلا وتأتيني منه كرامة جديدة .

فقلت : إلهي هذا شيء خصصتني به من بين خلقك ؟

قال : هذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليهما^١

ان هذه المعرفة في الوصول الى الله ، وتبين الطريق الأصح لم تأتي إلا بعد مجاهدة وبحث وسعي ، واستنجد بالله سبحانه والتبتل اليه ، فالخير منه سبحانه وبيده .

فهذه المعرفة كانت بعد ثلاثين عاماً من المجاهدة والبحث .

ثلاثون عاماً من المجاهدة والتنقل بين البوادي ليس معه الا الله تعالى متفرغاً لعبادته والتقرب اليه ... مستغرقاً في خلوته تاركاً لصحبة الخلق من البشر .

(وكان يوماً في خدمة الصادق عليه السلام فقال له :

إئتني بذلك الكتاب من تلك الطاقة .

قال ابو يزيد : اين الطاقة ؟ قال الصادق : كم من الأيام انت هنا ، وكم مرة

تجيء الى هذا البيت وما عرفت الطاقة ؟

قال : انا ما جئت لأنظر الى الطاقة ، وما جئت إلا لأصحبك .

فقال له الصادق : ارحل الى بسطام ، فإنه قد تم شغلك .

كما نقل انه دخل بادية الحجاز ، وبقي اثنتي عشرة سنة حتى وصل الى الكعبة

عظّمها الله تعالى ، وكان يصلي ركعتين ثم يخطو خطوة ، ويقول :

ليس دهليز سلطان مجازي حتى أجوز فيه دفعة ، وفي تلك السنة ما زار النبي

ﷺ وقال :

^١ سلطان العارفين ص ٨٦ - ٨٧

ما جمعت في هذه السنة لزيارة النبي ﷺ ، ويكون من سوء الأدب ان ازور من غير قصد زيارته ، فقصد زيارة النبي ﷺ مرة اخرى وجاء الى المدينة شرفها الله تعالى^١

نقل انه قال :

(كنت اثنتي عشرة سنة حداداً لنفسي أحميها من كورة الرياضة بنار المجاهدة ، وأحضتها على المداومة ، وأضرب عليها بمطرقة الملاحة ، حتى صنعت من نفسي مرآة ، ثم صقلتها في خمس سنين بمصقل انواع العبادات والطاعات ، ثم نظرت فيها بنظر الاعتبار، رأيت على وسطي الزنار من العجب والغرور، والاعتماد على الطاعة والعمل، فاجتهدت خمس سنين أخرى في قطع الزنار، وجددت الإسلام، ثم رأيت الخلق كلهم موتى،

فقلت : أصلي عليهم صلاة الأموات ، وكبرت أربع تكبيرات لفنائهم ، ثم بلا واسطة الخلق ولا مُزاحمة النفس ، لكن بمد الحق رجعت إليه ، ووصلت إلى مقام القرب.

نقل انه كلما اراد ان يدخل مسجداً ، كان يقف على باب المسجد ويكي ، ثم يدخل .

وحين سُئل عن هذه الحال ، قال :

أجد نفسي كامرأة مستحاضة ، أخاف ان ألوث المسجد)^٢

سأله ابو موسى الديلمي وهو احد تلاميذه :

سلكت هذا الطريق زماناً ، فماذا رأيت فيها ؟

قال : أول الأمر كنت أجتر نفسي الى بابه ، وهي تبكي ... فحين حصل لي مددٌ من الحق ، النفس تذهب اليه وهي تضحك .

^١ تذكرة الأولياء ص ١٨٤ - ١٨٥

^٢ تذكرة الأولياء ص ١٨٧

التصوف ... عند أبي يزيد :

قد تتوضح نظرة الشيخ البسطامي الى التصوف في قوله حين سُئل عن المتصوف :

(هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه ، وسنة رسول الله بشماله ، وينظر بإحدى عينيه الى الجنة وبالأخرى الى النار ، ويبتزر بالدنيا ويرتدي بالآخرة ، ويلبي من بينهما للمولى : لبيك اللهم لبيك)^١
فللدنيا نصيب في تصوف البسطامي ، وللآخرة حظ وافر ، وكل ذلك يحكمه الكتاب والسنة .

ثم التصوف عند البسطامي محبة الله تعالى ، محبته مع تعظيمه تبارك وتعالى ، وفي هذا يقول ﷺ :

هذا فرحي بك وأنا أخافك ، فكيف فرحي بك إذا أمنتك ؟
ليس العجب من حيي لك ، وأنا عبد فقير ، إنما العجب من حبك لي ، وأنت ملك قدير^٢

فالتصوف هو التعلق بالله ومحبته ، والتمسك بالكتاب والسنة .
لقد خصَّ الله سبحانه الشيخ البسطامي بكرامات ، كان الشيخ يجاهد ان يخفيها ، منها :

ثُمَّ انه حمل زاده على طريق الحج على بعير .
فقال شخص : سبحان الله ، بعير ضعيف وحمل ثقيل ، هذا ظلم ظاهر .
وقال ذلك مرّات .
فقال ابو يزيد : أنظر .

^١ سلطان العارفين ص ٥٠

^٢ سير أعلام النبلاء ١٣ / ٨٦

فلما نظر رأى الحمل مرفوعاً عن ظهر البعير مقدار شبر ، والبعير يمشي تحته خفيف الظهر .

ثم قال : شأني عجيب ، ان أفشيت حقيقة حالي فلا طاقة لكم بذلك ، وان أُخفيها تطولون ألسنتكم بالطعن في^١

انه التمسك بالشرعية ، والسير مفتقراً ، فهذا طريق الفقراء .

فهذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليهما .

كان سعيه الى الله بالله ، فالله سبحانه هو الغاية وهو المعلم ، لقد عرف انه من لم يكفه الله لم يكفه غيره في السماوات والأرض ، فاشتغل لسانه بذكره ، وبدنه في خدمته .

(يقول أبو يزيد : عرفت الله بالله ، وعرفت ما دون الله بالله .

وقال : رأيت رب العزة بالنام فقال لي : كل الناس يطلبون مني ، غير انك تطلبني)^٢

ابو يزيد ... والشرعية :

للشيخ ابي يزيد اقوال تدل على التصاق قلبه وروحه بالشرعية .

حيث روي انه قال لبعض أصحابه :

قم بنا إلى فلان ، لرجل قد شهر نفسه بالزهد في ناحية ، فقصداه .

فراه أبو يزيد قد خرج من بيته ، ودخل المسجد وتفل في قبلة المسجد ، فقال أبو يزيد لصاحبه :

هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من أداب السنة ، كيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء ؟^٣

^١ تذكرة الأولياء ص ١٨٦

^٢ سلطان العارفين ص ٩٣

^٣ كتاب طبقات الأولياء ٤٠٠/١

ويبقى التصوف عند البسطامي يتركز على الشريعة ، بل هي اساسه وميزانه ..
فهو عليه السلام يقول :

الله خلق كثير يمشون على الماء ، لا قيمة لهم عند الله ، ولو نظرتهم إلى من أعطي
من الكرامات حتى يطير ، فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي ،
وحفظ الحدود والشرع^١

فالتمسك بالشريعة هي الميزان والأساس الذي يرسم المنهج الصوفي لدى
البسطامي عليه السلام .

كان عليه السلام يتحرى مرضاة الله تعالى في كل ما يأتي وفي كل ما يدع ، يفعل ذلك
في يقظته ، ويلتزمه حتى في منامه ... فهو يقول :

رأيت رب العزة في المنام فقال لي : أيش تريد ؟

فقلت : أريد ألا أريد غير ما تريد .

فقال لي : أنا لك كما أنت لي .

ولقد عرف ابو يزيد (من غير شك) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاسم الجميل
الذي يقول فيه :

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به^٢

ويقول ابو يزيد متناغماً مع الحديث الشريف :

طلب هواه في مخالفة هواك ، ومحبتته في بغض نفسك الأمانة بالسوء ، فإنه
معروف عند مخالفة الهوى ، محبوب عند بغض النفس .

العلاقة بينه وبين الله علاقة محبة ، وَتَحَقُّقٍ بِالْعِبُودِيَّةِ ، فهو عليه السلام يتمنى صدق
العبودية ، وهي مراده .

يقول عليه السلام :

^١ سير أعلام النبلاء ١٣/٨٨

^٢ جامع العلوم والحكم : ٣٩٣/٢ و معارج القبول ٤٢٢/٢

الناس كلهم يهربون من الحساب، ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله ان يحاسبني ،
فقيل : لم ؟ قال : لعله يقول لي، فيما بين ذلك؛ يا عبدي ، فأقول : لبيك .
فقوله لي : يا عبدي ، أحب إلى من الدنيا وما فيها ؛ ثم يفعل بي ما يشاء^١
فالمحبة عند البسطامي جوهر علاقته بالله .

والخوف عند أبي يزيد خوف تعظيم ، ورهبة إجلال .

فهو محب خائف ، محب يعظم محبوبه .

عن العباس بن حمزة قال :

صليت خلف أبي يزيد الظهر ، فلما أراد ان يرفع يديه ليكبّر لم يقدر إجلالاً
لإسم الله ، وارتعدت فرائضه حتى كنت اسمع تقعقع عظامه ، فهالني ذلك^٢
وكان ﷺ يقول :

لم أزل ثلاثين سنة كلما اردت ان أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله
أن أذكره^٣

أراد الله سبحانه وتعالى ، وترك ما سواه ، وذلك مقصد الشريعة ، وجوهرها ،
فمن ترك الدنيا ، فلا سبيل للحرام الى قلبه او عمله .

يقول ﷺ : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاتاً لا رجعة لي فيها ، وصرت الى ربي وحدي
، فناديت بالاستغاثة : إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك .

فلما عرف صدق الدعاء من قلبي ، واليأس من نفسي ، كان أول ما ورد علي
من إجابة هذا الدعاء :

أن أنساني نفسي بالكلية ، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم^٤

^١ كتاب طبقات الأولياء ١/٤٠٠ وصفة الصفوة ص ٧٥٦

^٢ صفة الصفوة ص ٧٥٤

^٣ صفة الصفوة ص ٧٥٥

^٤ صفة الصفوة ص ٧٥٦

وكان ﷺ شديد الحذر في ورعه لا تأخذه الغفلة .

ويوماً كان يصلي خلف إمام فلما فرغ من صلاته سأله الإمام :

يا ابا يزيد من اين تأكل ؟

قال : اصبر حتى اعيد صلاتي ، فإنك شككت في رزق المخلوق ولا تجوز

الصلاة خلف من لا يعرف الرزاق^١

اقوال العلماء في الشيخ البسطامي :

قال عنه الشيخ فريد الدين العطار :

(كان اكبر المشايخ ، واعظم الاولياء ، وحجة الخلق ، وخليفة الحق ، وقطب

العلم ، ومرجع الأوتاد ، ولم يكن له نظير في الرياضة والكرامات والحالات ،

وكان له في الحقائق والأسرار نظرٌ نافذ ، وجدُّ بليغ ، ودائماً كان في مقام القرب

والهيبه ، غريباً في بحر الأنس والمحبة ، ولا يزال جسده في المجاهدة ، وقلبه في

المشاهدة .

وله في رواية الحديث اسانيد عالية ، ما كان لأحد قبله ولا بعده .

وله استنباط عظيم في علم الطريقة الى ان يمكن أن يُقال :

إنه الذي أظهر طريق السير والسلوك .

ولا تخفى كمالاته على أحدٍ ، حتى قال الجنيد رحمه الله تعالى :

هذا الرجل الخراساني (يعني ابا يزيد) بيننا كجبريل بين الملائكة)^٢

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته :

(سلطان العارفين ، واحد الزهاد)^٣

يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في (المواهب السرمدية) عن فضل

^١ بحار الولاية المحمدية ص ٢٩٦

^٢ تذكرة الأولياء ص ١٨٣

^٣ سير اعلام النبلاء ١٣ / ٨٦

البسطامي :

هو القطب الغوث في زمانه... فمن الأقطاب من يكون ظاهر الحكم، ويجوز الخلافة الظاهرة كما حاز الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، رضى الله عنهم، ومنهم من له الخلافة الباطنة ولا حكم له في الظاهرة كأبي يزيد .

قال الشيخ الحافظ ابو نعيم رحمه الله تعالى :

ومنهم النائه الوحيد الهائم الفريد البسطامي أبو يزيد .

تاه فغاب وهام فأب غاب عن المحدودات الى موجد المحسوسات والمعدومات :
فارق الخلق ووافق الحق ، فَأُيِّدَ بِأَخْلَاءِ الْحَيْرِ وَأُمِدَّ بِاسْتِيْلَاءِ الْبِرِّ ، إشارته هائنة ،
وعباراته كامنة لعارفيها ضامنة ولمنكريها فاتنة ¹

البسطامي وامتحان القس له :

وأشهر ما يروى عن البسطامي قصته مع أحد القساوسة التي تقول :

رأى أبا يزيد في منامه هاتفاً يقول له : قم وتوضأ واذهب الليلة إلى دير
النصارى وسترى من آياتنا عجبا فذهب وهو العارف بالله .

وبعد ان توضأ وصلى الصبح ، توكل على الله وتوجه الى الدير بعد ان لبس
لباسهم وزئبهم .

وجلس أبو يزيد بين الجالسين منتظراً حضور القس الأكبر الذي سيلقي عِظَتَهُ .

وحضر القس ، وجلس بصمت ، وطال صمته .

وعندما طلب منه الحضور ان يبدأ بالوعظ وان يتكلم في الذي اجتمعوا لسماعه ،
قال : بيننا مُجَدِّيٌّ ، ولن أتكلم بحضوره .

وتفاجأ الجميع ، فكيف يدخل بينهم مُجَدِّي ؟ ولماذا يدخل ؟ وهذا الانتهاك قد
يودي بحياته .

¹ حلبة الأولياء ١٠ / ٣٣

وحين سألوا القس كيف عرفت بوجود مُجَدِّي ؟ ؟

قال : سيماهم في وجوههم ..

ثم أضاف : المحمدي لن يخرج ويعلن عن نفسه إلا اذا اعطيتموه الأمان .

ونادى القس : اخرج يا مُجَدِّي ولك الأمان .

فوقف البسطامي ، ولم يخرج . فقال له القس : أخرج . قال : ما أنا بخارج .

قال له البابا : سنسألك عدة أسئلة وإن لم تجبنا على سؤال واحد منها لن تخرج

من هنا إلا محمولاً على أكتافنا ، فوافق أبو اليزيد على ذلك وقال له اسأل ما

شئت . قال القس :

ما هو الواحد الذي لا ثاني له ؟

وما هما الاثنان اللذان لا ثالث لهما ؟

ومن هم الثلاثة الذين لا رابع لهم ؟

ومن هم الأربعة الذين لا خامس لهم ؟

ومن هم الخمسة الذين لا سادس لهم ؟

ومن هم الستة الذين لا سابع لهم ؟

ومن هم السبعة الذين لا ثامن لهم ؟

ومن هم الثمانية الذين لا تاسع لهم ؟

ومن هم التسعة الذين لا عاشر لهم ؟

وما هي العشرة التي تقبل الزيادة ؟

وما هم الاحد عشر أخا؟

وما هي المعجزة المكونة من اثنتي عشر شيئاً؟

ومن هم الثلاثة عشر الذين لا رابع عشر لهم ؟

وما هي الاربعة عشر شيئاً التي كلمت الله عز وجل؟

وما هو الشيء الذي يتنفس ولا روح فيه ؟

وما هو القبر الذي سار بصاحبه ؟
ومن هم الذين كذبوا ودخلوا الجنة ؟
ومن هم اللذين صدقوا ودخلوا النار؟
وما هو الشيء الذي خلقه الله وأنكره ؟
وما هو الشيء الذي خلقه الله واستعظمه ؟
وما هي الأشياء التي خلقها الله بدون أب وأم ؟
وما هي الشجرة التي لها اثنا عشر غصناً وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة
خمس ثمرات ثلاث منها بالظل واثنان منها بالشمس
فأجاب البسطامي :
الأول هو الله (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)
والاثنان اللذان لا ثالث لهما الليل والنهار (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ)
والثلاثة الذين لا رابع لهم أعدار موسى مع الخضر في إعطاب السفينة ، وقتل
الغلام ، وإقامة الجدار
والأربعة الذين لا خامس لهم التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الكريم
والخمسة الذين لا سادس لهم الصلوات المفروضة
والسته التي لا سابع لهم هي الأيام التي خلق الله تعالى بها الكون وقضاهن سبع
سماوات في ستة ايام
فقال له البابا ولماذا قال في آخر الآية (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) ؟
فقال له : لأن اليهود قالوا أن الله تعب واستراح يوم السبت فنزلت الآية
أما السبعة التي لا ثامن لهم هي السبع سموات (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُوتٍ)
والثمانية الذين لا تاسع لهم هم حملة عرش الرحمن (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)

التسعة التي لا عاشر لها وهي معجزات سيدنا موسى عليه السلام .. فقال له
البابا اذكرها !

فأجاب أنها اليد والعصا والطمس والسنين والجراد والظوفان والقمل والضفادع
والدم

أما العشرة التي تقبل الزيادة فهي الحسنات (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)
والأحد عشر الذين لا ثاني عشر لهم هم أخوة يوسف عليه السلام
أما المعجزة المكونة من ١٢ شيئاً فهي معجزة موسى عليه السلام (وَإِذِ
اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
عَيْنًا)

أما الثلاثة عشرة الذين لا رابع عشر لهم هم إخوة يوسف عليه السلام وأمه
وأبيه

أما الاربع عشر شيئاً التي كلمت الله فهي السماوات السبع والارضين السبع
(فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِثْنَيْتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)

وأما الذي يتنفس ولا روح فيه هو الصبح (وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ)

أما القبر الذي سار بصاحبه فهو الحوت الذي التقم سيدنا يونس عليه السلام
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ

وأما الذين كذبوا ودخلوا الجنة فهم إخوة يوسف عليه السلام عندما قالوا لأبيهم
(قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ)

وعندما انكشف كذبهم قال أخوهم

(قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

وقال أبوهم يعقوب

(سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي)

أما اللذين صدقوا ودخلوا النار فقال له اقرأ قوله تعالى

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ) ، (وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ
عَلَى شَيْءٍ)

وأما الشيء الذي خلقه الله وأنكره فهو صوت الحمير (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)

وأما الشيء الذي خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء (إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ)
) ، (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)

وأما الأشياء التي خلقها الله وليس لها أب أو أم فهم آدم عليه السلام ، الملائكة
الكرام ، ناقة صالح ، وكبش اسماعيل عليهم السلام

وأما الشجرة التي بها اثنا عشر غصناً وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة
خمس ثمرات ثلاث منها بالظل واثنان منها بالشمس فالشجرة هي السنة

والأغصان هي الأشهر والأوراق هي أيام الشهر

والثمرات الخمس هي الصلوات ، ثلاث منهن ليلاً واثنتان منهن في النهار

وهنا تعجب كل من كانوا في الكنيسة

فقال له ابو اليزيد إني سوف أسألك سؤالاً واحداً فأجبني إن استطعت

فقال له البابا : اسأل ما شئت

فقال : ما هو مفتاح الجنة ؟

عندها ارتبك القسيس وتلعثم وتغيرت تعابير وجهه ولم يفلح في إخفاء رعبه ،
وطلب منه الحاضرون في الكنيسة أن يرد عليه ولكنه رفض فقالوا له لقد سألته

كل هذه الاسئلة وتعجز عن رد جواب واحد فقط ؟

فقال إني أعرف الإجابة ولكني أخاف منكم .

فقالوا له : أجه ولا تخف .

فقال :

مفتاح الجنة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وهنا أسلم القس وأسلم معه كل من كان بالكنيسة^١

من أقواله :

- أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة :

فأولهم الزاهد بزهده ، والثاني العابد بعبادته ، والثالث العالم بعلمه ، ثم قال : مسكين الزاهد قد ألبس زهده وجرى به في ميدان الزهاد ، ولو علم المسكين أن الدنيا كلها سماها الله قليلا ، فكم ملك من القليل؟! وفي كم زهد مما ملك؟! ثم قال : إن الزاهد هو الذي يلحظ إليه بلحظة فيبقى عنده ، ثم لا ترجع نظره إلى غيره ولا إلى نفسه ، وأما العابد فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة أكثر من العبادة حتى تعرف عبادته في المنّة ، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ ، فكم علم هذا العالم من ذلك السطر؟ وكم عمل فيما علم؟

- عاجلت كل شيء فما عاجلت أصعب من معالجة نفسي ، وما شيء أهون علي منها

- عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لتعبت ، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد

- لذات الدنيا ثلاث :

صديق واد ، وصحبة ملك جواد ، ومجالسة مفيد ومفاد .

- حسب المؤمن من عقله ان يعلم ان بالله غنى عن عمله .

- هلاك الخلق في شيئين : في ترك الحرمة ونسيان المنّة .

- الناس بحر عميق ، والبعد عنهم سفينة ، وقد نصحتك فاختر لنفسك

^١ انظر فرسان العشق ص ٩٩ - ١٠١

المسكينة .

- طوبى لمن كان همه هماً واحداً ، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه ، وسمعت أذناه
- حسب المؤمن ان يعلم ان الله غني عن عمله .
- لا عقوبة أشد من الغفلة ، لأن الغفلة عن الله طرفة عين أشد من النار .
- من نظر الى الناس بعين العلم مقتهم ، ومن نظر اليهم بعين الحقيقة عذرهم .
- لا يعرف نفسه من صحبته شهوته .
- من اختار الدنيا على الآخرة غلب جهله علمه ، وفضوله ذكره ، وعصيانه طاعته .
- الدنيا لأهلها غرور في غرور ، والآخرة لأهلها سرور في سرور ، ومحبة الله لأهل محبته نور على نور .
- إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون معه الى ان تطلبوا المعاصي .
- ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه ، فهو متكبر .
- قال الله تعالى : للكافر آمن ، وللمنافق أخلص ، وللعاصي ارجع ، وللمحب إرض ، وللعارف أبصر .
- عند نسيان النفس ، ذكر بارئ النفس .
- يرزق العبد الحلاوة ، وفرحه بما ، يمنعه عن حقائق القرب .
- من اختار الآخرة على الدنيا ، يغلب سكوته كلامه ، وفقره غناه ، وهمه سروره ، وقلبه محبته ، وسره قربه ، فتصير نفسه مقيدة بقيد الخدمة ، وقلبه أسيراً لخوف الفرقة ، وسره مستأنساً بأنس الصحبة .
- ان الله تعالى أمر العباد ونهاهم ، فأطاعوه ، فخلع عليهم خلعاً من خلعه ، فشغلوا بالخلع عنه ، واني لا اريد من الله الا الله .
- جاء رجل إلى أبي يزيد فقال : أوصني ، فقال له : انظر إلى السماء ، فنظر صاحبه إلى السماء فقال له أبو يزيد : أتدري من خلق هذا ؟ قال : الله ، قال

أبو يزيد : " إن من خلقها لمطلع عليك حيث كنت فاحذره
- غلظت في ابتدائي في أربعة أشياء : توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ،
فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته سبقت معرفتي ، ومحبتة أقدم من
محبتتي ، وطلبه لي أولاً حتى طلبته

- غبت عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتني عنه ذكري إياه ، فلما خنست عنه
وجدته في كل حال حتى كأنه أنا .

- جاء رجل إلى أبي يزيد فقال : بلغني أنك تمر في الهواء ،
قال : وأي أعجوبة في هذه ؟ طير يأكل الميتة يمر في الهواء ، والمؤمن أشرف من
الطير .

- ووجه إليه أحمد بن حرب حصيرا ، وكتب معه إليه صل عليه بالليل ، فكتب
أبو يزيد إليه : اني جمعت عبادات أهل السماوات والأرضين السبع فجعلتها في
مخدة ووضعها تحت خدي .

- قال ﷺ : ان المؤمن بلا نفس .. ثم قرأ :

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ^١

فمن باع نفسه فكيف تكون له نفس ؟

وسئل متى يكون الرجل عاملاً على معنى العبودية ؟

فقال : اذا لم يكن له ارادة .

فقيل : كيف يكون ذلك ؟

قال : حين تكون ارادته وتمنيه وشهوته داخله في محبة ربه ، ولا تتقدم له ارادة
في شيء ابدأ حتى يعلم ارادة الله عز وجل ومحبتة فيه .

كراماته :

الكرامات ، ما يخصُّ الله به أوليائه فيحرق لهم المألوف ، وهذا الخرق لا يترتب

^١ التوبة / ١١١

عليه مستحيل ، فعادات الطبيعة وقوانينها لا تسيطر على رب الطبيعة .
وكل من تقع له الكرامة او تجري على يديه ينسبها الى من هو على كل شيء
قدير .

سأل رجلٌ أبا يزيد عن المشي في الهواء فقال :

(اذا طابت نفس الرجل بقلبه مطرت قلبه بحسن ظنه بربه وضح ظنه بإرادته ،
واتصلت بمشيئة خالقه ، فشاء بمشيئة الله ونظر بموافقة الله ، وترفع قلبه برفعة الله
، وتحركت نفسه بحركة الله ، وصار حيثما شاء هذا العبد بمشيئة الله تعالى ،
ونزل حيث شاء الله في كل مكان علماً وقدرة ، فهذا العبد كان معه في كل
مكان ولا يخلو عنه مكان .

فإذا كان هذا العبد مع الله فلا يخلو عنه مكان ، واذا لم يكن مع الله فليس هو
في مكان ، نفس الرجل متصل بقلبه ، وقلب الرجل متصل بظنه ، وظنه متصل
بإرادته ، وإرادته متصلة بمشيئة الله تعالى .. قال تعالى في الحديث القدسي :

(انا عند ظن عبدي بي)

فاذا كان الله عند ظن العبد اذا ظن ، فكان العبد حيثما كان الله ... كما ان
الله لا يخلو عن العبد حيث كان العبد ... كذلك العبد لا يخلو عن الله بالله
حيثما كان الله ، الله لا يخو عن مكان دون مكان .

فاذا صح حسن ظن العبد بالله وقع ظنه بربه ، وقلبه بظنه ، ونفسه بقلبه ،
فصار من حيث يشاء الى حيث شاء بمشيئة الله ، ويأتيه كل شيء هو على
مكانه بلا عناء ، يأتيه المشرق والمغرب كله فكلما ظن بمكان فالمكان يحضره
وهو لا يحضر المكان اذ هو لا يزول ثم لا يزول ، اذ هو مع من لم يزل ولا يزال
، إذ هو من هو لم يزل ولا يزال ، فافهم ذلك تتبعه الأشياء ولا يتبع شيئاً
إنما الأشياء كلها كائن من الله)¹

¹ سلطان الأولياء ص ١٦٥ - ١٦٦

ولكن ابا يزيد اذا كان قد علل الكرامات وفسرها فإنه لا يعبأ بها ، بل يقلل من شأنها ، بل يصل به الأمر الى التحذير منها ، اذ يقول :

(الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات كالمشي على الماء والهواء ، وطى الأرض ، وركوب السماء ، فإن ادعية الكفار تجاب ، والأرض تطوى للشياطين والدجال ، والهواء مسخر للطير ، والماء للحوت ، فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر)^١

الكرامات ليست عجيبة انما العجيب شيء أسمى من الكرامات .

فيوم صلى ابو يزيد ليلة فأضاء المنزل كأنه منتصف النهار فقال ابو يزيد :
(ان كان شيطاناً فأنا أعز وامنع جانباً من ان تطمع فيّ .

وان كان من عند الله فيني اسأله ان يؤخره من دار الخدمة الى محل الكرامة)
ومثلها يوم بلغ ابو يزيد شاطيء دجلة فانضمت الدجلة الى بعضها وانطبق الجانبان لبعضهما .

فجلس على الشاطيء وقال :

انا أحمل من هذا الجانب الى الآخر بدانق ،
وانا لا أبيع عمر ثلاثين سنة بدانق^٢

^١ سلطان الأولياء ص ١٦٦

^٢ سلطان الأولياء ص ١٦٧

حرف العين

ع

عبد الحلیم محمود

الإمام الأكبر وشيخ الجامع الأزهر

١٣٢٨هـ / ١٩١٠م - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م

كان وهو يتحدث عن شيوخ التصوف ، كرسامٍ يرسم أجمل صور الحب ، او شاعر يتغزل بمن أحبَّ بشعرٍ كأنه عزف ناي تتكسر الحانه فوق أمواج بحيرة لحظة الغروب ، فينعكس عزفه صوتاً يحمل الوان أطيافٍ بلون قوس القزح او شعاعٍ لقمر ييزغ .

تحسّنه وهو يتنقل في سماءهم كحبيب يقترب ممن يحب ، بتوجس وحذر مخافة ان يوقظه .

كان يقترب من أرواحهم كنسمة الشمال تنتقل بين عوالمهم بكل حذر الدنيا مخافة ان تقطع عليهم لحظة تأمل ، او ... او تقطع عليهم لحظة تسبيح وتقديس .

فكأنه يصف نفسه من خلالهم ومن خلال حديثه عن حبههم ، او يصف شوقه عندما يصف أشواقهم ، ويوم يكتب عن لوعتهم ... تكاد تلمس دموعه وتحس لوعته .

كانوا مرايا لنفسه وشوقه ومواجيده .

كيف لا ... والكأس واحد والشراب ذاته ، والحبيب هو نفس الحبيب تقدست أسماءه وجلّت صفاته ...

والطريق واحد لكن خطاهم تفاوتت ... فهذه خطوة تأخرت وتلك خطوة سبقت ... وكلها خطى على ذات الدرب ... وحين يصف خطواتهم ، كان يخطو على آثار أقدامهم ، ويرسم على الرمال نفس المسار الذي سلكوا ، ويسهر ذات الليل الذي سهروا ...

ودمعه كان ... بقايا دموعهم التي ذرفوا ، في لحظة خشوع او شوق .

كان منهم ... لكن حياؤه غلب عليه ، فوصفهم ونسي نفسه .

انه سيدي الشيخ الدكتور عبد الحلیم محمود .

العالم الرباني الزاهد ، غزالي وقته .

الولادة والنشأة :

ولد الشيخ في ٢ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ الموافق ١٢ مايو ١٩١٠م ، بعزبة أبو

أحمد قرية السلام مركز بلييس بمحافظة الشرقية بمصر .

نشأ في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى ، وكان أبوه ممن تعلم بالأزهر لكنه

لم يكمل دراسته فيه .

كانت بداية الشيخ مع القرآن الكريم ، حيث حفظه صغيراً .

حفظ القرآن الكريم ثم التحق بالأزهر سنة ١٩٢٣م .

حياته :

(ولدتُ في صحة لا بأس بها ، الذكاء والعقل والاتزان أحسب أنني في كل

ذلك وسط ، إنني وإن كنت غير حاد الذكاء فليني أيضا لست قوي الذاكرة ،

ولكنني أقول في غير فخرٍ أنني لستُ بليداً...)

كان ترتيبي دائما في الدراسة في أوائل المتوسطين وهو ترتيب أحمدُ الله تعالي

عليه ..

أما الاتزان .. فيكفيني أنني لست متمتماً وليس بي جمود .

كلما تذكرت حياتي ماضيها البعيد كما وعيته، وسيرها المتتابع كما واجهته

وحاضرها الراهن كما أعيشه قلت الحمد لله.)

هذه كانت أول كلمات الإمام الراحل الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر

الشریف الأسبق وإمام العارفين وسفير أولياء الله الصالحين في العصر الحديث

وهو يتكلم عن نفسه في مذكراته الخاصة والتي كتبها بنفسه ووثق فيها نشأته من

القرية إلى العالمية دونما فخر يدعيه أو زهو يحتفي به ، أو كبر يرتديه، أو خيلاء

تسير في ركابه.. فقد كان التواضع مذهبه، والعلم ديدنه منذ أن طلبه في الأزهر الشريف وحتى نيله الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس عاصمة النور. عرف عن الشيخ عبد الحلیم محمود زهده في كل شيء ، المال ، المناصب ، السلطنة ، الشهرة ، فكان يبعد عن كل زخرف الحياة الدنيا ، شأنه في ذلك شأن العلماء والمتصوفة الذين تركوا الدنيا وزينتها واتجهوا إلى رب الدنيا آمليين مغفرتهم وطمعاً برضاه سبحانه .

أتمَّ شيخنا دراسته في الأزهر وحصل على العالمية سنة (١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة لاستكمال تعليمه العالي ، حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية عن الحارث المحاسبي سنة (١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م) .

بعد عودته عمل مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية بكليات الأزهر ثم عميدا لكلية أصول الدين سنة (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) وعضواً ثم أميناً عاما لمجمع البحوث الإسلامية فنهض به وأعاد تنظيمه ، ثم عُيِّنَ وكيلاً للأزهر سنة (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) فوزيراً للأوقاف وشئون الأزهر .

كما عُيِّنَ بمنصب شيخ الأزهر في الفترة بين عامي (١٩٧٣ و ١٩٧٨) .

نشاطه الإصلاحية :

بدأت بوادر الإصلاح واضحة في سلوك الشيخ عبد الحلیم محمود بعد توليه أمانة مجمع البحوث الإسلامية الذي حل محل جماعة كبار العلماء، فبدأ بتكوين الجهاز الفني والإداري للمجمع من خيار رجال الأزهر، وتجهيزه بمكتبة علمية ضخمة استغل في تكوينها صداقاته وصلاته بكبار المؤلفين والباحثين وأصحاب المروءات .

عمل الشيخ على توفير الكفايات والكفاءات العلمية التي تتلاءم ورسالة المجمع العالمية ، وفي عهده تم عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، وتوالى انعقاده

بانتظام ، كما أُنقِعَ المسئولين بتخصيص قطعة أرض فسيحة بمدينة نصر لتضم
المجمع وأجهزته العلمية والإدارية ، ثم عني بمكتبة الأزهر الكبرى ، ونجح في
تخصيص قطعة أرض مجاورة للأزهر لتقام عليها .

أثناء توليه لوزارة الأوقاف عني بالمساجد عناية كبيرة ، فأنشأ مساجد جديدة ،
وضم عدداً كبيراً من المساجد الأهلية ، وجدد المساجد التاريخية الكبرى مثل
جامع عمرو بن العاص ثاني أقدم المساجد في إفريقيا بعد مسجد سادات قريش
بمدينة بلبس محافظة الشرقية ، وأوكل الخطبة فيه إلى الشيخ مُجَدِّ الغزالي فدبت
فيه الروح ، وعادت إليه الحياة بعد أن عاش الإهمال طويلاً ، وتدفقت إليه
الجماهير من كل صوب وحذب .

وأنشأ بمساجد الوزارة فصولاً للتقوية ينتفع بها طلاب الشهادات الإعدادية
والثانوية ، جذبت آلافاً من الطلاب إلى المساجد وربطتهم بشعائر دينهم
الحنيف .

وحتى يؤمَّنَ مورداً مالياً للوزارة يتناسب مع حجم الإنفاق الكبير الذي تستلزمه
حملة الإصلاح ، استردَّ من وزارة الإصلاح الزراعي أوقافاً تمت اضافتها إليها
سابقاً ، وأنشأ هيئة كبرى لإدارة هذه الأوقاف لتدر خيراتها من جديد ، وعَلِمَ
أن هناك أوقافاً عَدَّتْ عليها يد الغضب أو النسيان ، فعمل على استرداد
المغتصب ، وإصلاح الحرب .

استعادة هيئة الأزهر وشيخه :

صدر قرار تعيين الشيخ عبد الحلیم محمود شيخاً للأزهر في (٢٢ صفر ١٣٩٣هـ
/ ٢٧ مارس ١٩٧٣م) ، وكان هذا هو المكان الطبيعي الذي أعدته المقادير له ،
وما كاد الشيخ يمارس أعباء منصبه وينهض بدوره وبشكل علمي وإصلاحِيٍّ
مدروس حتى بوغت بصدور قرار جديد من رئيس الجمهورية في ١٧ جمادى
الآخرة ١٣٩٤هـ / ٧ يوليو ١٩٧٤م) يكاد يجرّد شيخ الأزهر مما تبقى له من

اختصاصات ويمنحها لوزير الأوقاف والأزهر، ويتركه عاجزاً عن تطبيق ما يطمح له من تطوير وإصلاح .

فما كان من الشيخ إلا أن قدم استقالته لرئيس الجمهورية على الفور، معتبراً أن هذا القرار يغض من قدر المنصب الجليل ويعوقه عن أداء رسالته الروحية في مصر والعالم العربي والإسلامي .

روجع الإمام في أمر استقالته من كثيرين ، وتدخّل الحكماء لإثناؤه عن قراره ، لكن إصرار الشيخ على الاستقالة كان أكبر من مناشداتهم . وأصر الشيخ على استقالته ، وامتنع عن الذهاب إلى مكتبه ، ورفض أخذ راتبه، وطلب تسوية معاشه وإحالته على التقاعد .

وأحدثت هذه الاستقالة دوياً هائلاً في مصر وسائر أنحاء العالم الإسلامي ، وتقدم أحد المحامين الغيورين بطلب لرفع دعوى حاسبة أمام محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة ضد رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف، طالباً وقف تنفيذ قرار رئيس الجمهورية.

ويضطر رئيس الجمهورية أنور السادات إلى معاودة النظر في قراره ودراسة المشكلة من جديد ، وأصدر قراراً أعاد فيه الأمر إلى نصابه ، جاء فيه :
شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ، وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية في الأزهر .

وتضمن القرار فقرات تقضي بأن يعامل شيخ الأزهر معاملة الوزير من حيث المرتب والمعاش ، ويكون ترتيبه في الأسبقية قبل الوزراء مباشرة .
وانتهت الأزمة وعاد الشيخ إلى منصبه ليواصل جهاده .

مسؤولية شيخ الأزهر :

كان الشيخ عبد الحلیم يدرك خطورة منصبه، وأنه مسؤول عن القضايا التي

تتعلق بالمسلمين، وأنه لا ينتظر من أحد توجيهها إلى النظر في بعض القضايا وغض النظر عن بعضها، فكان للأزهر في عهده رأي ومقال في كل قضية وموضوع يتعلق بأمر المسلمين ، فتصدى لقانون الأحوال الشخصية الذي حاولت الدكتورة عائشة راتب إصداره دون الرجوع إلى الأزهر، وحرصت على إقراره من مجلس الشعب على وجه السرعة ، وكان هذا القانون قد تضمن قيودا على حقوق الزوج على خلاف ما قررتة الشريعة الإسلامية.

لما علم الإمام الأكبر بهذا القانون أصدر بيانا قويا حذّر فيه من الخروج على تعاليم الإسلام .

وأرسل البيان إلى جميع المسؤولين وأعضاء مجلس الشعب وإلى الصحف ، ولم ينتظر صدور القانون بل وقف في وجهه قبل أن يرى النور، لكن بيان الشيخ تأمرت عليه قوى الظلام فصدرت التعليمات إلى الصحف بالامتناع عن نشره ، واجتمعت الحكومة للنظر في بيان الشيخ عبد الحليم محمود ، ولم تجد مفرأ من الإعلان عن أنه ليس هناك تفكير على الإطلاق في تعديل قانون الأحوال الشخصية .

وبذلك نجح الإمام في قتل القانون في مهده .

الكتب الدينية المشتركة :

اقترح البابا شنودة بطريرك الأقباط في مصر تأليف كتب دينية مشتركة ليدرسها الطلبة المسلمون والمسيحيون جميعا في المدارس، مبررا ذلك بتعميق الوحدة الوطنية بين عنصري الأمة، وتقوية الروابط بينهما. لقي هذا الاقتراح قبولا بين كبار المسؤولين، وزار الدكتور مصطفى حلمي وزير التربية والتعليم آنذاك الإمام الأكبر ليستطلع رأيه في هذا الاقتراح، لكن الشيخ الغيور واجه الوزير بغضبة شديدة قائلا له :

من آذنتك بهذا، ومن الذي طلبه منك ، إن مثل هذه الفكرة إذا طلبت فإنما

توجه إلينا من كبار المسؤولين مباشرة ، ويوم يطلب منا مثل هذه الكتب فلن يكون ردي عليها سوى الاستقالة .

فما كان من الوزير إلا أن استرضى الشيخ الغاضب وقدم اعتذارا له قائلاً له: إنني ما جئت إلا لأستطلع رأي فضيلتكم وأعرف حكم الدين ، ويوم أن تقدم استقالتك لهذا السبب فسأقدم استقالتى بعدك مباشرة .

الحياة الاجتماعية للشيخ الوزير :

عاش الإمام الأكبر في شقة متواضعة مستأجرة بشارع العزيز بالله بحي الزيتون في محافظة القاهرة .

وكان ﷺ وهو وزيراً لأوقاف مصر يسكن في ذات الشقة التي عاش بها سابقاً . هو رجلٌ لم يغيّره منصب ولم يكبر بعنوان دنيوي .

كان وزيراً يسكن بشقة صغيرة مستأجرة .

ويوم تولى منصب مشيخة الأزهر عُرضَ عليه الإقامة في فيلا حتى يصبح المكان ملائماً له ولمنصبه الجديد .

يومها رفض ، رفض وبشدة .

كان رجلٌ ذكي يعرف ما يريد ، فطموحه لم يقف عند حدود (فيلا) او (سيارة) ، كان طموحه أكبر ، فقد ذاق من حلاوة القرب ، ما جعله يحس بلذة الفقر التي تقود الى القرب ، كان يشعر بلذة الافتقار التي تحقق العبودية الى ربٍ غني ، كان طموحه كبير ، ونظره يمتد بعيداً ، الى ما خلف (الفيلا) و(السيارة الفارحة) كان نظره يمتد ليشاهد جمالاً لا يراه إلا من عاش القرب وبلغ مقام الرضا .

وحين ألحَّ عليه أبناءه يطلبون التوسعة والانتقال الى مسكن أوسع وأرحب ، سافر الى قرية أبو أحمد بمركز بلبس بمحافظة الشرقية ؛ ليبيع جزءاً من ممتلكاته ليوسع على أبنائه مثلما طلبوا .

وباع الشيخ من أرضه وعاد الى القاهرة بثمان الأرض .
ويشاء الله للشيخ بأن يلتقي برجلٍ ذي حاجة ، الجأته حاجته الى سؤال الناس ،
ويوازن الشيخ بين حاجته هو وعياله ، وبين حاجة الرجل المسكين ، ويتذكر
قول الله تعالى :

﴿ فَلَا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي
يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) بَيْتًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾^١

ويقتحم الشيخ العقبة ، ويعطي كل الذي معه الى المسكين .
ويرجع الى أهله خاليًا إلا من حبه لله ، وعبوديته له .
كان موقفه موقف رجل تشربت قيم التصوف في روحه وقلبه حددت له أسلوب
ومستوى تفكيره وخياراته .

الشيخ والتصوف :

كانت حياة الشيخ عبد الحليم محمود جهادا متصلا وإحساسا بالمسئولية التي
يحملها على عاتقه، فلم يركن إلى اللقب الكبير الذي يحمله، أو إلى جلال
المنصب الذي يتقلده ، فتحرك في كل مكان يرجو فيه خدمة الإسلام
والمسلمين ، وأحس الناس فيه بقوة الإيمان وصدق النفس ، فكان يقابل مقابلة
الملوك والرؤساء ، بل أكثر من ذلك ؛ حيث كانت الجموع المحتشدة التي هرعت
لاستقباله في الهند وباكستان وماليزيا وإيران والمغرب وغيرها تخرج عن حب
وطواعية لا عن سؤق وحشد وإرهاب .

كما جعل الشيخ عبد الحليم محمود من التصوف جوهرًا للدين .
حتى أصبح ﷺ رمزًا وقيمة كبيرة لدي الصوفيين ، فهو الرجل الذي عرف بقوته
وورعه ترك الكثير من المجلدات دفاعًا عن الوسطية وحفاظا على التصوف من
المبتدعة ومدعى الروحانية، فكانت مجلداته خليطًا بين الفكر وإعمال العقل،

^١ البلد / ١١ - ١٥

وبين التصديق والاتباع فيما يخص العقيدة التي تصل إلى حد اليقين بمبدأ الاتباع وعدم الابتداع كونها مكتملة لا نقص فيها.

يقولون المواقف لا تعرف بالرجال، ونرى إنما الرجال هم من يعرفون بالمواقف، هكذا كان شيخ الأزهر السابق وغزالي القرن العشرين الدكتور عبدالحليم محمود، فرغم أن الظروف دائماً ما كانت تضعه في صدامات ، إلا أن اسمه سُطّر في كتب التاريخ كأحد المناضلين ، فلقد كان هدفه الوحيد ، ومحرك الثورة داخله حبه وغيرته على الكيان الذي نسب إليه - الأزهر - حتى لقب بـ"هبة الأزهر". اتسم الإمام الأكبر بغزارة إنتاجه الفكري الذي يربو على مائة كتاب تأليفاً وتحقيقاً وترجمة، معظمها في التصوف ويُعدُّ من أسبق رواده في العصر الحديث في الكتابات عن الصوفية، فقد تبدى مثلاً للصوفية المقيّدة بكتاب الله، البعيدة عن الإفراط والتفريط، حتى لُقّب بـ"غزالي مصر"، و"أبي المتصوفين"، فكانت كتاباته الصوفية لها الحظ الأوفر من مؤلفاته، بالإضافة إلى الكتب الفلسفية، وبعض الكتب باللغة الفرنسية، ومنها: مُجَدِّ رسول الله ، قصة ترجمها عن الفرنسية، من تأليف أندريه موروا، عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، وكان أول ما نُشر له، بالإضافة إلى كتابه أسرار العبادات في الإسلام ، وهو من أهم المراجع التي تتناول علم الفلسفة من منظور إسلامي؛ حيث يؤرخ فيه للفكر الفلسفي في الإسلام، ويستعرض التيارات المذهبية المتعددة فيه؛ لبيان أصالة الفلسفة الإسلامية، وسببها الفلسفة الغربية في كثير من طرق التفكير؛ ومن أشهر كتبه: "أوروبا والإسلام"، و"التوحيد الخالص" أو "الإسلام والعقل"، و"التفكير الفلسفي في الإسلام"، و"القرآن والنبى"، و"المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي"... وغيرها

يعد الإمام عبد الحليم محمود ممن تناول قضية التصوف بالشرح والتحليل في منهج الإمام الغزالي وسفيان الثوري، وأبي الحسن الشاذلي، وأبي مدين الغوث

ويذكر بدايته مع التصوف عندما اختار موضوع رسالته للدكتوراه قائلاً :
(بعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك ، هداني الله - وله الحمد والمنة - إلى
موضوع التصوف الإسلامي، فأعددت رسالةً عن (الحارث بن أسد المحاسبي)
فوجدت في جوِّ (الحارث بن أسد المحاسبي) الهدوءَ النفسي، والطمأنينة الروحية،
هدوء اليقين ، وطمأنينة الثقة ، لقد ألقى بنفسه في معترك المشاكل ، التي يثيرها
المبتدعون والمنحرفون ، وأخذ يصارع مناقشاً مجادلاً، وهادياً مرشداً ؛ وانتهيت
من دراسة الدكتوراه ، وأنا أشعر شعوراً واضحاً بمنهج المسلم في الحياة ، وهو
منهج الاتباع ، لقد كفانا الله ورسوله كل ما أهمنا من أمر الدين ، وبعد أن قرَّ
هذا المنهج في شعوري ، واستيقنته نفسي، أخذتُ أدعو إليه كاتباً ومحاضرًا ،
ومدرساً ، ثم أخرجت فيه كتاب "التوحيد الخالص" وما فرحت بظهور كتاب
من كتبي، مثل فرحي يوم ظهر هذا الكتاب، لأنه خلاصة تجربتي في الحياة
الفكرية)

ويقول عن التصوف :

إنه نظام الصفوة المختارة، إنه نظام هؤلاء الذين وهبهم الله حساً مرهفاً، ودكاًء
حاداًء، وفطرة روحانية ، وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة ، وطبيعة تكاد
تكون مخلوقة من نور .

ويعرف الصوفي بقوله :

الصوفي هو الذي التزم بتعاليم الإسلام سيرةً وسلوكاً ، وقولاً وعملاً، وهو الذي
يستحضر ذكر ربه في كل وقت ؛ فإذا وصل المؤمن إلى إسلام حقيقي يجعله
مستحضراً ربه في كل وقت فلن يهتم بمعصيته ، ولن يأمر بمنكر ، ولن ينهى عن
معروف .

وقال أيضاً :

فالصوفي لا يكون صوفيّاً بالقراءة أو الدراسة والبحث ، حتى ولو كانت هذه

القراءة والدراسة في الكتب الصوفيّة نفسها ، وفي المجال الصوفي خاصّةً ، وقد يكون شخص من أعلم الناس بهذه الكتب ، درسها دراسة باحث متأمل ، وعرف قديمها وحديثها ، وميز بين الزائف منها والصحيح ، وصنفها زمنياً وميزها أمكنةً ، وهو مع ذلك لا سهم له ، في قليل ولا في كثير في المجالات الصوفية .
وقال :

التصوف ليس ثمرة لثقافة كسبيّة ؛ إن الوسيلة إليه ليست هي الثقافة ، ولكن الوسيلة إليه إنما هي العمل ، إن الطريق إليه إنما هو السلوك ، والمعرفة الناشئة عن العمل والسلوك هي إلهام ، وهي كشف ، وهي ملاء أعلى انعكس على البصيرة المجلوّة فتذوقه الشخص حالاً ، وأحس به ذوقاً ، وأدركه إلهاماً وكشفاً .
وحول مصدر التصوف يقول :

إن مصدر التصوف الأصلي هو الذوق والمشاهدة ، اللذان يصل الإنسان إليهما عن طريق الخلوة والرياضة والمجاهدة والاشتياق بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، وليس الثقافة الكسبية أو كتب القوم ، فهذه الثقافة والكتب تكمن أهميتها في كونها محفزة للسالك على الاستمرار في الطريق والصبر على السير فيه ، وأن النزوع إلى التصوف فطرة واستعداد في الإنسان .

ودافع الشيخ محمود عن فهم قضية وحدة الوجود التي يؤمن بها الصوفية بأن القضية التي يثيرها معارضو التصوف تفهم على نحو خاطئ ، فالذي يعترض عليه معارضو التصوف ، لم يقله الصوفية أنفسهم بما فيهم ابن عربي والحلاج ، فهم يسمونه وحدة الموجود ، أما الآخرون فيخلطون بينهما ، فالموجود متعدد سماء وأرض وجبال وأناس ، أما الوجود الواحد فلا شك فيه ، هو وجود الله المستغنى بذاته عن غيره ، الذي منح الوجود لكل كائن وليس لكائن غيره ، وأن

الخلط جاء من أن فريقاً من الفلاسفة مثل : هيراقليطس وماكس شيلر قال
بوحدة الموجود .

وأوجد شيخ الأزهر الراحل للتصوف أصلاً في الإسلام، حيث يستشهد بقول
الشيخ عبدالواحد يحيى (رينيه جينو) :

الصوفية ليست شيئاً أضيف إلى الدين الإسلامي ، إنها ليست شيئاً أتى من
الخارج فألصق بالإسلام ، وإنما هي ، بالعكس تكون جزءاً جوهرياً من الدين ،
إذ أن الدين بدونها يكون ناقصاً ، بل يكون ناقصاً من جهته السامية ، أعني
جهة المركز الأساسي ، لذلك كانت فروضاً رخيصة تلك التي تذهب بالصوفية
إلى أصل أجنبي: يوناني أو هندي أو فارسي .

ويضيف :

إن كل من لم ينطلق من الشريعة الصادقة والاتباع الدقيق فإنه لا يصل إلى شيء
من درجات الصوفية ، إن الصوفية لا تتأتى إلا بالافتداء بالنبي ﷺ ، مستطرداً
لا يوجد تصوف إلا في المحيط الإسلامي ، وأن التصوف المسيحي أو اليهودي
لا يمت للتصوف الإسلامي بصلة ، فالتصوف الإسلامي هدفه المعرفة ، بخلاف
التصوف المسيحي الذي هدفه الحب ، ثم إن المسيحي الذي اتخذ ال
(mysticism) الذي يطلق عليه التصوف المسيحي سبيلاً في الحياة ينهج في
سلوكه منهجاً سلبياً ، إنه يقتصر على تلقي ما يأتيه دون أن يكون له أثر
شخصي ، ومن أجل هذا لم يكن في المسيحية طرق صوفية ، ولذلك لا يتخذ
المسيحي (شيخاً) ، وليس عنده فكرة عن السلسلة أو الإسناد ، الذي بواسطته
يصل إليه التأثير الروحي، الذي لا بد منه في التصوف .

تعريفه برجال التصوف وشيوخه :

يعد الشيخ الأستاذ الدكتور الحليم محمود (الإمام الأكبر وشيخ الجامع الأزهر)
من أهم وأشهر أساتذتنا المعاصرين الذين كتبوا عن رواد التصوف على مر

العصور الإسلامية المختلفة حتى لقد قيل بعد وفاته :
 مات الإمام العارف بالله أبو التصوف في العصر الراهن لتسكن من بعده
 المطابع عن نشر تراثنا الصوفي. فقد تناول الإمام سير وحياة أئمة التصوف
 العظام، كلٌّ في كتاب مستقل بذاته، نذكر منها على سبيل المثال :
 "إمام السائرين.. الحارث المحاسبي"، " أبو البركات أحمد الدرديري"، و " ذو
 النون المصري"، و"الفضيل بن عياض"، «الإمام عبد الله بن المبارك»، "أبو بكر
 الشبلي"، "السيد أحمد البدوي"، "أبو مدين الغوث"، "أبو اليزيد البسطامي"،
 "سهل التستري"، و"بشر الحافي".. وكتابه عن المستشرق الفرنسي رينيه جينو ،
 والذي أصبح اسمه عبد الواحد يحيى بعد ان أنار الله قلبه بالإسلام .
 وكانت اسعار كتبه ﷺ ، على علوّ قدرها العلمي والأدبي والمعريّ ، زهيدة
 يتمكن الجميع من شرائها يُيسرٍ وبلا تكلف .

أقوال العلماء فيه :

يعد الدكتور عبدالحليم محمود من العلماء الذين قلما يتفق عليهم علماء السنة
 والشيعنة، فوصف بالعالم الورع، والإمام التقى الذي لا يعرف للحق سوى طريق
 واحد، واسع الأفق زاهد، متصوف يعي حقيقة التصوف؛ حيث قال عنه الإمام
 الأكبر الشيخ مُحمَّد مصطفى المراغي: "عالم، ذكي، ذو شخصية جارفة، مهيب،
 صاحب رأي في العلم، وصاحب رأي في السياسة، بليغ الأسلوب، أما صوته
 في الخطابة وفي الدرس، فإنه نعمةٌ موسيقية عذبة، ولعل الإذاعة تتنبه إلى ذلك
 فتعيد إذاعة ما عندها من خطبه وأحاديثه، بين الحين والحين، لينعم الناس بنعمة
 جميلة، ويستفيدوا علمًا غزيرًا."

كما قال عنه الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق: "عالم، فيلسوف،
 حيي، حلیم، كريم بماله ووقته لطلبة العلم، خرَّج جيلاً من النابحين في الجامعة،
 وأسهم في الحركة العلمية بجهود عظيمة؛ ألف، وحاضر، وكتب المقالات، ووجَّه

تلاميذه إلى التحقيق، والتأليف، والترجمة، وفتح مكتبته الغنية بشتى الكتب، ونوادرها، لكل طالب علم مجّد .

كذلك قال عنه الأستاذ الدكتور مُجّد رجب البيومي :

لا يفارقك وأنت في مجلس الإمام عبد الحلیم محمود إحساسك أنك مع إنسان يعرف ربه وأنه بهذه المعرفة الحقيقية قد ارتفع إلى مستوى وضيء فأنت معه في مكان واحد، ولكن شعورك يدعوك إلى أن ترى أنه في السماء وأنك في الأرض. هيئته تملأ مشاعرك وتواضعه يزيدك لألاء ويزيدك إجلالاً للعارفين بالله فتحاول أن تسمع منه ليعطيك مفضلاً مأثرة السكوت الناطق أمام وجه مضيء الملامح طاهر القسّمات تنطق أساريه المؤمنة بمعان لا تعرفها الأرض، لأن بوارقها الفاتنة تلوح في الأفق الأعلى كما تلوح أشعة الشمس وضيء القمر، ومن الإنسان ما يتألق ويشع ويضيء مثل مُجّد عبده وعبد الحلیم محمود .

وكتبت عنه الأستاذة سناء البيسي بأسلوبها السلس الرشيق :

فيلسوف الفقهاء وفقه الفلاسفة من لم يعرف الخصام إلى نفسه سبيلاً، ولا البغض إلى قلبه طريقاً، ولم تعرف تصفية الحسابات إلى حياته باباً.. حلیمًا ودودًا محبا سمحا مخلصا يجمع خصائص الأئمة من أصحاب الفكر المستنير الذين لا يموتون، وإن توارت عنا أجسادهم فأعمالهم وعلمهم يذكرنا دومًا بهم ليحق فيه قول أحمد شوقي :

والناس صنفان : موتى في حياتهم وآخرون يبطن الأرض أحياء .

مؤلفاته :

امتازت كتابات الشيخ إضافة لغزارتها في الكمّ وفي حجم المعلومات التي توردها ، امتازت بجمال الأسلوب وبالإحاطة ، وبقوّة الحجّة والرصانة العلمية والقدرة العالية على ابراز الحقيقة وفرضها .

ومن مؤلفاته رحمته :

استاذ السائرين الحارث المحاسبي
الإسراء والمعراج
الإسلام والعقل
الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك
الحمد لله هذه حياتي
الرعاية لحقوق الله للمحاسبي
السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفني
العارف بالله بشر بن الحارث الحافي
العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه
العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري
العبادة أحكام واسرار
الفضيل بن عياض صوفي من الرعيل الأول
القرآن في شهر القرآن
القرآن والنبي
القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش
الليث بن سعد إمام أهل مصر
إمام التابعين سعيد بن المسيب
أوروبا والإسلام
تفسير سورة آل عمران
دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ
سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث
سيدنا زين العابدين

سيدي أبو البركات احمد الدردير
شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله
فاذكروني أذكركم
فتاوى الامام عبد الحلیم محمود
فتاوى عن الشيعوية
قضية التصوف المدرسة الشاذلية
قضية التصوف المنقذ من الضلال
لطائف المنن للعارف بالله ابن عطاء الله السكندري
مُحَمَّد رسول الله
مع الانبياء والرسول
موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة
وربك الغفور ذو الرحمة
أبو ذر الغفاري والشيعوية
أقطاب التصوف الثلاثة السيد أحمد البدوي، السيد أحمد الرفاعي، السيد عبد
الرحيم القناوي - صلاح عزام - تقديم عبد الحلیم محمود
التفكير الفلسفي في الإسلام
الحج إلى بيت الله الحرام
الرسالة القشيرية سيرة ذاتية ومنهاج و مفاهيم صوفية لأقطاب التصوف
الإسلامي
الرسول ﷺ لمحات من حياته
السيد احمد البدوي رحمه الله
الصلاة أسرار وأحكام
الطريق إلى الله - كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز

المشكلة الأخلاقية والفلاسفة

تاج الصوفية أبو بكر الشبلي حياته وآراؤه

سلطان العارفين أبو اليزيد البسطامي

شرح الحكم العطائية للشيخ زروق

شهر رمضان

عوارف المعارف ٢

فلسفة ابن طفيل

كتاب الجهاد

مقالات في الإسلام والشيوعية

وازن الارواح - اندريه موروا

يارب

الإسلام والإيمان

تربية الناشئ المسلم

قطبا المغرب سيدي عبد السلام ابن بشيش

وفاته رحمه الله تعالى :

في ظل هذا النشاط الجسم والرحلات المتتابعة لتفقد المسلمين شعر بالآلام شديدة

بعد عودته من الأراضي المقدسة فأجرى عملية جراحية لقي الله بعدها في

صبيحة يوم الثلاثاء الموافق (١٥ ذو القعدة ١٣٩٧ هـ / ١٧ أكتوبر ١٩٧٨م)

تاركا ذكرى طيبة ونموذجا لما يجب أن يكون عليه شيخ الأزهر.

عبد الرحمن بن أحمد بن عطية

أبو سليمان الداراني

١٤٠ هـ - ٢١٥ هـ

(قال الجنيد : شيء يروى عن أبي سليمان أنا استحسنته كثيراً ... قوله :
من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن
الناس)^١
أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني ، أحد علماء أهل السنة والجماعة
ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، من أهل دارياً^٢
وصفه الذهبي بـ (الإمام الكبير ، زاهد العصر)^٣
وجاءت ترجمته في وفيات الأعيان : أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية
العنسي ، الداراني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة ، كان من جلة السادات ،
وأرباب الجد في المجاهدات^٤
وقال تلميذه أحمد بن أبي الحواري : اسم أبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن
عطية العنسي من صليبية العرب^٥
و أبو سليمان الداراني ، أحد أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط ، سكن
قرية غربي دمشق يقال لها : دارياً^٦

^١ مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ١٩٦

^٢ قرية من قرى دمشق في سوريا

^٣ سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٨٣

^٤ وفيات الأعيان ٣ / ١٣١

^٥ سير اعلام النبلاء ١٠ / ١٨٢

^٦ البداية والنهاية ١٤ / ١٤٤

روى عن :

وروى عن سفيان الثوري وأبي الأشهب العطاردي وعبد الواحد بن زيد البصري وعلقمة بن سويد وصالح بن عبد الجليل.

روى عنه :

تلميذه أحمد بن أبي الحواري ، وهاشم بن خالد ، وحמיד بن هشام العنسي ، وعبد الرحيم بن صالح الداراني ، و إسحاق بن عبد المؤمن ، وعبد العزيز بن عمير ، وإبراهيم بن أيوب الحوراني ، وأبو الجهم بن طلاب^١

حياته :

(قال أحمد ورأيت أبا سليمان حين أراد ان يلبي غشي عليه فلما أفاق قال بلغني أن العبد إذ حج من غير وجهه فقال لبيك قيل له لا لبيك ولا سعديك حتى تطرح ما في يديك فما يؤمننا أن يقال لنا مثل هذا ، ثم لبي .

وعن الجنيد انه قال : سمعت السري السقطي حدثنا أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول قدم إلي أهلي مرة خبزاً وملحاً فكان في الملح سمسة فأكلتها فوجدت رانها على قلبي بعد سنة)^٢

وقال: نمت ليلة عن وردى فإذا بحوراء تقول لي: تنام وأنا أرى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟^٣

وقال أبو القاسم القشيري: حكى عن أبي سليمان الداراني، قال: اختلفت إلى مجلس قاصّ فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء، فعدت إليه ثانية فأثر في قلبي بعد ما قمت وفي الطريق، ثم عدت إليه ثالثة فأثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق،

^١ سير اعلام النبلاء ١٠ / ١٨٢

^٢ سير اعلام النبلاء ١٠ / ١٨٥

^٣ وفيات الأعيان ٣ / ١٣١

فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ، فقال: عصفور اصطاد كركيا

(يعني بالعصفور القاص، وبالكركي: أبا سليمان)

وقال: كنت ليلة في المحراب أدعو ويداي ممدوتان فغلبني البرد فضممت إحداهما

وبقيت الأخرى مبسوطة أدعو بها، وغلبتني عيني فنمت فهتف بي هاتف :

يا أبا سليمان ، قد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا

فيها.

قال : فأليت على نفسي ألا أدعو إلا ويداي خارجتان حراً كان أو برداً^١

من أقواله :

قال أحمد بن أبي الحواري وسمعته يقول من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة

الخدمة.

وعنه : إذا تكلف المتعبدون أن يتكلموا بالإعراب ذهب الخشوع من قلوبهم

وعنه : إن من خلق الله خلقاً لو زين لهم الجنان ما اشتاقوا إليها فكيف يجبون

الدنيا وقد زهدهم فيها.

قال أحمد وسمعته يقول لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا ولربما رأيت القلب

يضحك ضحكاً.

(وسمعت أبا سليمان يقول: ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال ولولا أنني

أدع الفكر فيها ما جزتها أبداً ولربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل فسبحان

الذي رده إليهم،

قال أحمد: وقلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي.

قال: ولا على قلبي، ولكن لعلنا أتينا من قلبي وقلبك فليس فينا خير وليس

نحب الصالحين.

^١ البداية والنهاية ١٤ / ١٤٤

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً.^١

(قال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول صلّ خلف كل مبتدع إلا القدري لا تصل خلفه وإن كان سلطاناً. وسمعته يقول كنت بالعراق أعمل وأنا بالشام أعرف.

وسمعته يقول ليس لمن المهم شيئاً من الخيرات ان يعمل به حتى يسمعه من الأثر. عن الجنيد قال :

قال أبو سليمان الداراني ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة.^٢

وعن أبي سليمان : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس. وقال لكل شيء علم وعلم الخذلان ترك البكاء ولكل شيء صداً وصدأ القلب الشبع.

عن ابن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول :

أصل كل خير الخوف من الدنيا ومفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع . قال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم وسخت نفسه وقلت وساوسه في صلاته .

وله انه قال : ومن الفتوة أن لا يراك الله حيث نحاك ولا يفقدك حيث أمرك. وجاء في "وفيات الأعيان" لابن خلكان:

ومن كلامه : من أحسن في نهاره كفي في ليله، ومن أحسن في ليله كفي في نهاره، ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله سبحانه وتعالى بها من قلبه، والله

^١ صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣ برقم ٧٥٧

^٢ سير اعلام النبلاء ١٠ / ١٨٥

تعالى أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له .

(وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان، يقول: ليس لمن أهتم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر، فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان نوراً على نور.

وقال: لكل شيء صداً، وصدأ نور القلب شبع البطن.

وقال: كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم^١

(وقال لي يوماً : يا أحمد ، جوع قليل ، وعري قليل ، وفقير قليل ، وصبر قليل ، وقد انقضت عنك أيام الدنيا.

وقال أحمد: اشتهى أبو سليمان يوماً رغيفاً حاراً بملح فجئته به فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي ويقول :

يا رب عجلت لي شهوتي، لقد أطلت جهدي وشقوتي وأنا تائب ، فلم يذق الملح حتى لحق بالله عز وجل

وسمعته يقول: من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة

وقال: ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء، فإذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب.

وقال لي يوماً : هل فوق الصبر منزلة؟

فقلت : نعم (يعني : الرضا)

فصرخ صرخة غشي عليه ثم أفاق فقال: إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب، فما ظنك بالأخرى وهم الذين رضي عنهم.

وقال: ما يسرني أن لي الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أنفقته في وجوه البر، وإني أغفل عن الله طرفة عين .

وقال أحمد بن أبي الحواري: بتُّ ليلة عند أبي سليمان فسمعته يقول: وعزتك

^١ البداية والنهاية ١٤ / ١٤٤

وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني ببخلي لأطالبنك بكرمك، ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهل النار أنني أحبك.
وكان يقول: لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي.
وقال: إن اللص لا يجيء إلى خربة ينقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء، وإنما يجيء إلى البيت المعمور، كذلك إبليس لا يجيء إلا كل قلب عامر ليستزله وينزله عن كرسیه ويسلبه أعز شيء^١
وقال :

إن قوما طلبوا الغنى في المال وجمعه فأخطأوا من حيث ظنوا، ألا وإنما الغنى في القناعة، وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة، وطلبوا الكرامة من الخلق وإنما هي في التقوى، وطلبوا التنعم في اللباس الرقيق اللين، والطعام الطيب، والمسكن الأنيق المنيف، وإنما هو في الإسلام والإيمان، والعمل الصالح، والستر والعافية، وذكر الله.

وفاته :

قال أحمد بن أبي الحواري : مات سنة خمس ومائتين وعاش ابنه سليمان بعده سنتين وأشهرًا^٢
وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان : لقد أصيب به أهل الإسلام كلهم.

وقد دفن في قرية داريا في قبلتها ، وقبره بها مشهور وعليه بناء ، وقبلته مسجد

^١ البداية والنهاية ١٤ / ١٤٦ - ١٤٧

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ٢٥٠

عبد الرحيم القنائي^١

٥٢١ هـ / ١١٢٧ م - ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م

عبد الرحيم القنائي أو عبد الرحيم القناوي عالم دين وتفسير إسلامي مغربي .
اسمه :

هو السيد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن مُحمَّد بن حمزة بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر بن مُحمَّد بن الحسين بن علي بن مُحمَّد بن جعفر الصادق السبتي . شيخ من مشايخ الإسلام وإمام من الائمة العارفين^٢ سبتي الأصل مغربي صوفي .

اكتسب نسبه من اسم مدينة قنا في مصر ، رغم ولادته في بلدة ترغاي في مقاطعة سبتا^٣ في أقصى المغرب .

ولد رضى الله عنه في ترعة غمارة من قبيلة بني عموان ، وهي نفس قبيلة السيد أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره .

المولد :

في مدينة ترغاي من مقاطعة سبتة في المغرب الأقصى ولد شيخنا في الأول من شعبان سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م .

ورغم ولادة الشيخ في المغرب ، إلا انه عاش ودفن في قنا بمصر ، حيث سيشهد مقامه ومسجده المبني علي الطراز الأندلسي بعد وفاته احتفاءً كبيراً سواءً من

^١ الأرقام التي اعتمدها في هذا السرد مرجعها الى كتاب اقطاب التصوف الثلاثة لأبي لم أجد أرقاماً موحدة لعمر الشيخ مثلاً حين توفي والده رحمه الله تعالى ، ولا الى فترة مكثه في دمشق ، كما لم تتفق جميع المصادر التي بحثت في حياة الشيخ عبد الرحيم رحمه الله ، على فترة بقاءه في البيت الحرام والمدينة المنورة .. ورأيت الأقرب للصحة ما جاء في الكتاب أعلاه .

^٢ الوافي في الوفيات ١/٢٦٢٢

^٣ مدينة سبتة في المغرب ، في أقصى شمال غرب إفريقيا

المواطنين ، أو من حكام مصر التي تقع بها قنا ، وعلى مدار التاريخ .

حياته :

نشأ الشيخ في أسرة كريمة النسب فوالده (الذي يرأس حلقة علم يدرّس فيها تلاميذه في مدينة ترغاي)^١ ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين رضى الله عنه ، أما أمه السيدة الشريفة سكينه بنت أحمد بن حمزة الحراني ، فهي من حمزة الذين كانوا نقباء الشام وشيوخه ، وكانوا ذوى علم ودين .

ومنذ بداياته ، كان توجه والديه ان تكون صلة ابنهم بالمعرفة وثيقة ، وان يأخذ العلم صغيراً ، فكان أن حفظ القرآن الكريم وهو لم يتعدى بعُد الثامنة من عمره وبإشراف أبوه ومتابعته .

تروي كتب السير إن عبدالرحيم القنائي ابتلي باليتم ، حيث توفي والده الذي كان يرتبط به ارتباطاً عاطفياً و يجبه حبا عميقا وهو في سن الثامنة عشرة من عمره ، ويرى فيه المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، وبما انعكس سلباً على صحته ووضعته النفسي لذلك فقد تأثرت صحته وساءت حالته النفسية بسبب فقدة لوالده ، فمرض مرضا شديدا ، حتى أصبح شفاؤه ميؤوساً منه ، مما جعل والدته تفكر في إرساله إلى أخواله في دمشق .

وفعلاً انتقل الشيخ الى الشام مبتعداً عما يذكره بفقد أبيه ... وليواصل رحلة العلم بين أخواله وينهل من علم فقهاء الشام وشيوخها .

ارتحل عبد الرحيم القنائي إلى دمشق ، حيث التقى هناك بأخواله الذين أكرموا وفادته ، واحتفوا به .

وبدأت صحة الشيخ تتحسن واراد الله سبحانه له ان يتشافى ويذهب عنه البأس ويعود الشيخ عبد الرحيم لمواصلة طلب العلم ويبدأ بالتردد على حلقات الدرس وكان أخواله يخلقون له الجو الملائم لطلب العلم والتقدم في تحصيله ، ويسهلون

^١ انظر اقطاب التصوف ص ٨٩

له مهمة الاتصال بكبار العلماء والفقهاء هناك ، حيث أمضى في دمشق سنتين ، نهل فيها من علوم المشاركة بعد ان تفقه في علوم المغاربة . ويعود الحنين ليلعب في قلب الشيخ ، حنيناً الى أمه ، وحنيناً الى مراع الصبا وديار الأهل ، فيشد رحاله ويعود الى دياره ميمماً نحو المغرب والى ترغاي من جديد .

وكان قد بلغ العشرين من عمره .

في ربوع المغرب ... من جديد :

ويقرر الشيخ العودة إلى بلدة ترغاي .

وفي ترغاي وجد مكان أبيه شاغراً ، وحلقة التدريس ما زالت تبحث عن الذي يسد فراغ الشيخ الراحل ويوصل العلم للتلاميذ . . . حيث لم يقدم أحد على شغله فمكانة الشيخ كبيرة وصعب ان تُسدُّ او ان تُملأ .

ويجلس الشيخ مكان أبيه ، ويجلس التلاميذ الى ابن شيخهم ، الشاب الذي جمع علوم أهل المغرب والمشرق ، وطلب العلم فيهما .

وتتسع حلقة الطلاب ويزداد عدد التلاميذ حتى امتلأ المسجد بالوافدين من طلبة العلم .

ويبدو ان العالم الشاب تمكّن علمه وشرحه من القلوب .

ويذيع خبر الشاب ويعلمو صيته حتى يتجاوز ترغاي ليعمّ سبتا وما حولها .

ويستمر الشيخ الشاب خمس سنين في الوعظ والإرشاد والفقّه وأصوله ، وأراد الله لأمه ان تتوفى ليكتمل يُتم الشيخ بوالديه .

وكانت أخبار المشرق ، ومحاولات الغزو الصليبي لبلاد المسلمين ، تملك على الشيخ قلبه وتأخذ بتفكيره ، فكان هناك ما يشدّه الى المشرق وكان يرى وجوب تكتل كل قوى المسلمين لحماية الدول الإسلامية وان تعبأ كل القوى المادية والفكرية والمعنوية لحمايتها من التفكك والضعف والانحلال الذي أوشك

أن يصيبها.

وصارت فكرة الرحيل الى المشرق تفرض نفسها على الشيخ وتستحوذ على تفكيره وتجدها متسعاً في قلبه .

الرحيل إلى المشرق :

ويشدد بقلب الشيخ حنين ، ويشدّه شوق الى سفرٍ جديد ...

ويزمغ الشيخ السفر ويترك نفسه لقدرٍ أعده الله له وينساق لمشيئة الله تعالى راضياً .

وملأه شوق لزيارة بيت الله الحرام ، ويتخذ طريقه الى الحجاز ، وكان طريقه يمر بالقاهرة والإسكندرية كمرحلة من سفره الى بيت الله الحرام .

وفي مصر وجد في قلبه حباً للمدينة وأهلها ... وترك مصر في قلبه ذكرى عصية على النسيان ، ولا يسهل تجاوزها .

ويواصل الشيخ سفره نحو أحب ارض الله ، الى مكة حيث بيت الله الحرام ليؤدي فريضة الحج ، وينتقل الى المدينة المنورة ليعيش قرب الروضة الشريفة وقرب قبر الحبيب ﷺ ، أحب أوقاته .

ويظل يتنقل بين مكة والمدينة ينشغل بالتجارة حيناً ليكسب قوته وحيناً ليلتقي بعلماء المدينتين ، وأحياناً للعبادة في البيت المكرم والروضة المشرفة معتكفاً مختلياً متعبداً متقرباً الى مولاه .

ويظل على هذه الحال تسع سنين .

وفي موسم الحج من السنة العاشرة لمكثه في مكة والمدينة كان الشيخ موعوداً بما سيغير حياته ويغير لقبه وموطنه .

الرجوع إلى مصر :

حتى إذا كان موسم الحج العاشر ، التقى بمكة بأحد الشيوخ الأتقياء الورعين القادمين من مدينة قوص عاصمة صعيد مصر في ذلك الوقت وهو الشيخ مجد

الدين القشيري ، والشيخ مجد الدين القشيري كان حينئذ إماماً للمسجد العمري بقوص وكانت له مكانته المرموقة بين تلاميذه ومريديه ، وكان ذلك في عهد الخليفة العاضد بالله آخر خلفاء الدولة الفاطمية، ودار بين الشيخين حديث ، ثم أحاديث ، ويشاء الله تعالى لقلبيهما ان يلتقيا وتصير بينهما مودة ... وحب في الله .

ويدعو الشيخ القشيري الشيخ عبد الرحيم الى ان يصحبه الى مصر حيث الحاجة اليه أشد ، ونفعه هناك سيكون أكبر ، ويلح الشيخ القشيري على الشيخ القناوي بالطلب ، ويظل يحاوره حتى يقتنع الشيخ القناوي بالتوجه الى مصر بصحبة الشيخ القشيري بعد أداء الفريضة داعياً للحق وخادماً لدين الله وشارحاً لشريعته .

ويتوجهان الى قوص¹ حيث إقامة الشيخ القشيري ومكان عمله وسط تلاميذه.

ويمكث الشيخ القناوي في قوص ثلاث ليالٍ ثم يتوجه بعدها الى قنا بعد رؤى رآها ، لتكون قنا مركز دعوته ومحل إقامته والبلدة التي سيشتهر بنسبه اليها ..

في قنا :

وحال وصول الشيخ الى قنا يلتقي بالشيخ القرشي أحد كبار الأولياء ، وتبدأ بينهما صحبة ومحبة ، ووحدة في العمل والدعوة .

وفي قنا يعكف الشيخ عبد الرحيم على الدراسة والتدريس والتعبد ، ويعمل بالتجارة ليجد رزقه ورزق من سينفق عليهم من تلاميذه الذين سيلتفون حوله ، ورزق فقراء المسلمين الذين سيمدّهم مما أفاض الله عليه من رزق .

ثم صدر أمر من والي مصر بتعيين الشيخ عبد الرحيم شيخاً لقنا ، وأصبح لقبه من ذلك اليوم القنائي .

¹ احدى مدن صعيد مصر

وتزوج الشيخ من ابنة الشيخ القشيري ، وبعد وفاتها تزوج بثلاثة أخريات ،
وأُنجب له العديد من الأبناء ما بين ولد وبنت .

وهم :

مُحَمَّد كمال الدين ، جمال الدين ، شهاب الدين ، الحسن ، علاء الدين ،
الكمال علم الدين محمود ، شمس الدين ، افرازة ، عزيزة ، رحيمة ، مباركة ،
زكية ..^١

وكان رحمه الله يقضي وقته ما بين العمل بالتجارة والعبادة والجلوس الى تلاميذه في
حلقة علمٍ وتدرّيس وتوحيد في المكان الذي به مزاره ومسجده في قنا ، وكذلك
كان يجتمع هناك بالوافدين عليه وبالعلماء الزائرين وبمن يحضر ليستمع لوعظه
وليأخذ منه العلم .

واستمر رحمه الله في العمل والعبادة وتخريج الرجال حتى وفاته بعد صلاة الفجر من
يوم الجمعة ١٩ صفر ٩٥٢ هـ ١١٩٦ م ، عن عمر يناهز الثانية والسبعين سنة
هجريّة .

مدرسته في التصوف :

قال عنه الشيخ الشعراي في طبقاته :

هو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين، وعظماء العارفين صاحب الكرامات
الخارقة، والأنفاس الصادقة له المحل الأرفع من مراتب القرب، والمنهل العذب من
مناهل الوصل، وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة، والحقيقة، وآتاه
مفتاحاً من علم السر المصون، وكنزاً من معرفة الكتاب، والحكمة، وكان إذا سمع
المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله يقول هو : شهدنا بما شاهدنا، وويل لمن
كذب على الله تعالى^٢

^١ اقطاب التصوف ص ٩٢

^٢ الطبقات الكبرى ٢٢٦ - ٢٢٧

كان قدس الله سره قد أخذ طريق التصوف من الأستاذ سيدي أبي يعزى المغربي المدفون بالمغرب، وكان شيخه قدس الله سره من أجلاء المشايخ ، وقد ذكره غير واحد .

وكان سيدي عبد الرحيم من أكابر أصحابه، وكانت إقامته بالصعيد رحمة لأهله، اغترفوا من بحر علمه وفضله، وانتفعوا ببركاته، وأشرقت أنوار قلوبهم لما دخلوا في خلواته .

وقد تخرّج على يديه جماعة من أعيان الصالحين بصالح أنفاسه، وله مقالات في التوحيد منقولة عنه، ورسائل في علوم القوم تُلقيت عنه .

وكان قدس الله سره من الزهاد المذكورين ، والعُباد المشهورين ، مذهبه مذهب إمام دار الهجرة، وكتابه «المدونة»، وله كرامات لا تحصر .

وما ذهب اليه الشيخ القناوي في مدرسته لا يختلف عما نادى به علماء التصوف وشيوخه من حيث اعتبار الكتاب والسنة أساس العبادة والمنهج الموصل الى الله تعالى .

لكن .. تبقى له خصوصيته في السبيل والألويات والتركيز على بعض انواع العبادة .

كان يقول : ان الدين الاسلامي دين علم وعمل وأخلاق ، ومن ترك واحدة فقد ضلَّ الطريق^١

أما العلم في نظر الشيخ القناوي فهو :

العلم : مصدره احاسيس مرتبطة بين العقل والإرادة ينتج منها الإنتاج الفكري سواء كان جديداً من بيانه وابوابه . أو مرتلا خزينة اسرار مجلس الإنتاج الفكري (الذاكرة) .

^١ اقطاب التصوف ص ٩٣

والعلم علم الواقع ، والعلم الطبيعي .

فالأول حسن ظاهري والثاني تحوطة المعرفة وهو ما يتبصره الإنسان وينظر به
ظاهر الاشياء واسبابها الخفية.

والأخير .. العلم الطبيعي . ز يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين وهو الذي يجز صاحبه
الى البحث والتنقيب^١

ويحتل العلم عند الشيخ القناوي أهمية مضافة في العقيدة الدينية تستمد أهميتها
ومركزيتها من قوله تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٢

لقد أفاض الشيخ في شرح نظريته هذه في كتاباته إذ كان يهتم رضى الله عنه
دائماً بالحديث عن العلم ، إيماناً منه بأن العلم دعوة سماوية ومتممة للعمل .
وعن العمل :

كان يأمر أتباعه بأن لا يحضر مجلسه من لم تكن له حرفة يعمل بها .
وليس على الانسان ان يعمل لسد الرمق ، بل يجب ان يبذل قصارى جهده
وكل طاقته ، لينال الخير لنفسه ولمن حوله ولكل من خلقه الله .

كان رضى اله عنه كثيراً ما يبدأ عظاته بقول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾^٣

وكان يقول مفسراً هذه الآية في بعض جلساته :

(ان هذه الآية تحلّى بها رجل صوفي قلباً وقالباً فأصبح بها في مقام الخوف ..
وانها الطريق الموصل الى رضاء الرحمن عليه وما يرضى به الرسول)^١

^١ اقطاب التصوف ص ٩٣ - ٩٤

^٢ آل عمران / ١٨

^٣ التوبة / ١٠٥

(ومن راح الى غير عمل بعلم وأخلاق فهو تحت طائلة قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾^٢

وقال السيد عبد الرحيم مرة :

ان النبي ﷺ تصوّف قبل الرسالة بغار حراء فانقطع عن الدنيا الا ما يقيم صلبه ، ولم يمنعه شيء من العمل قبل الرسالة .

وبعد الرسالة عمل ﷺ أكثر ليقوم العدل والمساواة ولينشر الرسالة بين الناس .

ولما تلقى الرسالة أقر الله العلم والعمل بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^٣

ومن الموضوعات التي استأثرت باهتمام السيد عبد الرحيم ﷺ :

التفرقة بين الروح والنفس حيث ان الروح اعلى في الجوهر من النفس لاتصالها بخالقها فهو وحده يعلم ماهيتها وجعلها سراً عنده لاتصالها بالذات القدسية "نفخنا فيه من روحنا "

اما النفس فهي الحالة في الجسد تستمد كيان حياتها من وجود الروح بينها وبين الجسد .

والحبل الموصل بين الروح والنفس هو هذا الشهيق والزفير .. فإذا ما صعدت الروح بطل التنفس وانسدت الطرق الموصلة للتيار الهوائي وانقطع هذا السبيل فيموت الجسد معها .

والنفس هي التي تسيطر على كافة الأعضاء وتعمل بواسطتها ادراكاً وحساً ومعنى وقولاً وحركة ، مع الاتصال بالروح .

والروح باقية برجعها الى بارئها والنفس تذوب مع الجسد ، كما يعلمنا الله

^١ أقطاب التصوف ص ٩٥

^٢ الإسراء / ٨٤

^٣ العنكبوت / ٦٩

تعالى :

﴿ وَزَهَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾^١

والروح مؤمنة ولا تطلب الا الخير .

اما النفس فهي مبعث الأهواء والشهوات والنزعات والوساوس ، وهي اما تتبع الروح فيضاء لها الطريق ، او تبقى على ذاتها فتقع في المهالك ، وفي هذا يقول الله

تعالى :

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^٢

وقد قسم مراتب النفس إلى الآتي:

النفس المرضية هي التي في درجة الاتصال بالروح مستديمة

النفس المرضية هي في مقام الاستنارة

النفس اللوامة هي التي في مقام الإصلاح

النفس الإمارة بالسوء هي في مقام الظلم والظلمات^٣ أما الأخلاق فهي عند

الشيخ القناوي أساس التصوف ومحوره فهو يرى ان :

التصوف ليس ركن من اركان الإسلام ولكنه ركن من أركان الأخلاق .

من أقواله :

أورد الشيخ الشعراي رحمه الله في طبقاته بعض أقوال الشيخ القناوي رحمه الله تعالى ،

منها :

(من كلامه رحمه الله أدركت فهم جميع صفات الله تعالى إلا صفة السمع ، وكان

يقول :

المتكلمون كلهم يدندنون حول عرش الحق لا يصلون إليه، وكان يقول :

^١ التوبة / ٥٥

^٢ يوسف / ٥٣

^٣ أقطاب التصوف ص ٩٦ - ٩٧

قطع العلائق بقطع بحر الفقد، وظهور مقام العبد بعدم الالتفات إلى السوى ،
وثقة القلب بترتيب القدر السابق ،

وكان عليه السلام يقول :

التجريد نسيان الزمنين حكماً، والذهول عن الكونين حالاً، وغض البصر عن
الآين، وقتاً حتى تنقلب الأكوان باطناً لظاهر ومتحركاً لساكن فيسكن القلب
بتمكين القدر على قطع الحكم، والابتهاج بمنفسحات الموارد، وانسراح الصدور
بصور الأكوان مع ثبوت المقام بعد التلوين، ورسوخ التمكين فتكون السماء له
رداء، والأرض له بساطاً .

وكان عليه السلام يقول : الهيبة في القلب لعظمة الله تعالى هو طمس أبصار البصائر
عن مشاهدته بمن سواه حساً فلا يرى إلا بأنوار الجلال ولا يسمع إلا بسواطع
الجمال .

وكان يقول :

الرضا سكون القلب تحت مجاري الأقدار بنفي التفرقة حالاً، وعلم التوحيد جمعاً
فيشهد القدرة بالقادر والأمر بالأمر وذلك يلزمه في كل حال من الأحوال .

وكان عليه السلام يقول: التمكن هو شهود العلم كشفاً، ورجوع الأحوال إليه قهراً،
والتصرف بالقادح حكماً، وكمال الأمر شرعاً،

وكان يقول في الجوع صفاء الأسرار في استغراق الأذكار،

وكان يقول :

الشوق هو استغراق في مبادئ الذكر طرباً ثم الغيبة في توسط الذكر شكراً ثم
الحضور في أواخر الذكر صحواً فهو بين استغراق بهمة، وغيبة بزعة، وحضور
بنعشة فنلت الوقت للمشتاق استغراق وثلثه غيبة، وثلثه حضور،

وكان عليه السلام يقول :

الحياة أن يحيا القلب بنور الكشف فيدرك سر الحق الذي برزت به الأكوان في

اختلاف أطوارها .

وحكي أنه نزل يوماً حلقة الشيخ شبح من الجو لا يدري الحاضرون ما هو فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشبح إلى السماء فسألوه عنه فقال هذا ملك، وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع، وكان الشيخ إذا شاوره إنسان في شيء يقول: أمهلني حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام فيمهله ساعة ثم يقول له: افعل أو لا تفعل على حسب ما يقول جبريل ، قلت: ومراده بجبريل صاحب فعلته هو من الملائكة لا جبريل الأنبياء عليهم السلام ، والله أعلم،

وكان إذا قال لعامي يا فلان تكلم على العلماء فيتكلم عليهم في معاني الآيات ، والأحاديث حتى لو كان هناك عشره آلاف محبرة لكنت عنه ثم يقول له: اسكت فلا يجد ذلك العامي معه كلمة ، واحدة من تلك العلوم ﷺ .

وكان بعض العارفين ﷺ يقول :

لو كنت حاضراً عند وفاة الشيخ عبد الرحيم ما مكنتهم من دفنه بل كنت أتركه فوق ظهر الأرض فكل من نظر إليه نطق بالحكمة)^١

^١ الطبقات الكبرى ٢٢٦ - ٢٢٧

عبد السلام بن مشيش أو عبد السلام بن بشيش

(اللهم إني أسألك اعوجاج الخلق عليّ حتى لا يكون ملجئي إلا إليك)

الشيخ عبد السلام بن مشيش

كان شوقه الى الله تعالى ، لا يوصف ، فهو كالنار في قلبه ، وربما أكثر ، مَلَكَ حب الله عليه قلبه ، ومَلَكَهُ بِكَلْبَتِهِ ، فراح يبحث عن طريقة للوصول اليه سبحانه بعد ان اختفت كل المرئيات من حوله ، فلم يعد يبصر إلا الله ، ولا يحس بشوق إلا لله ، فكأنه اصبح أسير شوقه ... وحبه ، هو الذي يُوَجِّهه خطاه ... كان يمشي بغير هدف .. فخطاه كانت تقوده ، وحبه لله يُوجِّهه ، وكل ما كان يحس به ان شوقه لله يتعاضم وان حبه يزداد .

ويعضي شيخنا الشاذلي الى بغداد ، بل يدفعه حبه لله الى بغداد ، أليست بغداد حاضرة الدنيا وعاصمة الإسلام ، وهناك سيلتقي بالسيد الغوث ، أليس الغوث ﷺ هو من يستطيع ان يقوده الى اللقاء او القرب ، أو يساعده في الوصول الى حضرة الله .

وفي بغداد يتنقل الشيخ بين التكايا والمدارس ، يزور حلقات الذكر ومجالس العلم ، ومع ضوع البخور بين الأزقة كان الشعور بمأله بأنه يتنشق عطر الكيلاني ورائحة الجنيد ، وبلحظات حُبِّلَ اليه انه يسمع تسبيح الشري وأناشيد الحلاج .

ويعضي بين الأزقة والمساجد ... وحين التقى بتلميذ الرفاعي الشيخ ابو الفتح الواسطي أحسَّ بالسكينة وشعر بأن روحه هدأت بلقاء الشيخ الواسطي ... وحين همس الشيخ بأذنه أن السيد الغوث الذي تبحث عنه موجود حيث أتيت .. انه يا ولدي في بلدك ...

ويعود الشاذلي الى بلده ، كان يمشي ويُحْكِمُ خطاه ، كان يسير على هدى فهو يستحث الوصول الى (غمارة) حيث الغوث (أو القطب) حسب ما أنبأه الرجل الصالح ببغداد .

وفي غمارة سمع ذات يوم ان شيخاً اسمه عبد السلام يحتلي في أحد الكهوف بأعلى الجبل يسكن فيه ويتعبد ... ويطير الشاذلي اليه .. وحين استأذنه بالدخول عليه قال له الشيخ (اذهب فاغتسل) ، وكان جوار الكهف نَبْعٌ للوضوء وللإستحمام ، فاغتسل الفتى ثم عاد الى الشيخ يستأذنه بالدخول عليه ، فقال له الشيخ (اذهب فاغتسل) ، ويعود الفتى الى النبع ويغتسل ، ثم يعود الى الشيخ يستأذنه ، فيقول له الشيخ (اذهب فاغتسل) ، وكلام القوم فيه تلميح وتلويح ، وأقْلَهُ التصريح ، ويعود الفتى الى نفسه ، فالشيخ لم يكن مراده ان يستحم بماء النبع ، ويلقي الله في قلب الشاب نوراً يُدْرِكُ به مقصد الشيخ ، فأبو الحسن يومها شاب به طموح للعلم ، وقد تزوّدَ منه بالكثير ، وكان به شوق للعبادة فكان يقوم ليله ويصوم نهاره ، فكان فرحاً بعلمه ، مسروراً بعبادته كان في نفسه : عزة بالعلم واعتداد بالعبادة ...

وحين ادرك ابو الحسن ذلك تاب وأتاب ، واغتسل من عزته بعلمه ومن اعتداده بعبادته ، وتجرد من فخره واعتزازه ، وصعد الى الشيخ بفقره واحتياجه صعد بعد ان تطهّر قلبه كما تطهّر جسده ، صعد الى شيخه كورقة بيضاء يُسَطِّرُ فيها الشيخ ما شاء الله له أن يُسَطِّرَ .

ويصعد الفتى ويتفاجأ بالشيخ نازل اليه يلبس مرقعة ويعتمر قلنسوة من خوص ، وحين التقاه قال له : مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، ويذكر نسب الفتى إلى ان يوصله الى رسول الله ﷺ ، ويقول له : يا علي طلعت الينا فقيراً من علمك وعملك ، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة .

فتأخذ الدهشة الفتى وهو ينظر الى شيخ سيقود تلميذه لاحقاً الى درجة القطبية (الغوثية) ويشعر بأن قلبه تعلّق بالشيخ عبد السلام بن مشيش رحمته الله .
وابن مشيش رجل تفقّه في الدين وحصل من العلوم ما حصل ثم توجه الى الله ولم يتطّلع الى الناس وبالغ بإخفاء نفسه عنهم ، فكان سرّه مع الله في كل أوقاته فتوارى عن الأعين وتباعد عن الظهور وهجر الخلق وذاب في شهود جلال الحق .

ويذكره الشاذلي بنفسه هو ومكانته السامية ودرجته الرفيعة، ومعرفته وعلمه بما يختلج في صدور الناس، وفيضه وفيضانه ورغبته بأن ينعزل عن الناس وعن فتنهم بقوله :

(كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد: هل أزم البراري والقفار للتعرف للطاعة والأدكار أو ارجع إلى المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار؟ فوصف لي وليُّ هنالك، وكان برأس جبل فصعدت إليه، فما وصلت إليه ليلاً ، فقلت في نفسي لا أدخل عليه في هذا الوقت، فسمعتة يقول من داخل المغارة: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك ، فسخرت لهم خلقك ، فرضوا منك بذلك ، اللهم وإني أسألك إعراضهم عني ، وأعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك، قال فالتفت إلى نفسي وقلت: يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت إليه فإذا هو استاذي (ابن مشيش) .

فقلت له : يا سيدي كيف حالك ؟

فقال: أشكوا إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار .

فقلت : يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا ؟

فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتها عن الله .

قلت: يا سيدي سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك، فتبسم ثم قال: يا بني ، أيما خير لك ان تقول: سخر لي قلوب خلقك او ان تقول : يا رب كن لي ، أترى إذا كان لك أيفوتك شيء ؟^١

كان عليه السلام محباً لله مشتاقاً اليه على الدوام فحُبب اليه الاكتفاء به سبحانه محباً للخلو ، مشوقاً ان يكون في حضرة الجلال والجمال ، فاستعذب الخلو في كهوف الجبال .

النسب والنشأة :

شيخ مشايخ الصوفية، وإمام أئمة الطريقة الصوفية الشاذلية، والقطب الشهيد، والكنز المظمور، والغوث الأشهر وغيرها، تعددت ألقابه، لجلالة قدره، وعلو همته .

هو من العلماء العارفين، والزهاد الورعين، وكبار المتصوفة المتحققين.

فالرجل على الرغم من المكانة الرفيعة التي يحتلها في مصاف الصوفيين الكبار إلا انه لم يوف كل حقه في التعريف به ودراسة آثاره .

هو أبو محمد سيدي عبد السلام بن مشيش ، سليل المولى إدريس الأول فاتح المغرب، وبالتالي فنسبه ينتهي إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يمتد نسب شيخنا ابن مشيش عليه السلام الى الدوحة العلوية الهاشمية .

فهو عبد السلام بن سليمان بن أبي بكر بن علي بن بو حرمة بن عيسى بن سلام العروس بن أحمد مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن

^١ انظر لطائف المنن لابن عطاء الإسكندري ص ١٥٩ - ١٦٠

أبي طالب الهاشمي القرشي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم^١

ولد عبد السلام ابن مشيش بين سنتي ٥٥٩ و ٥٦٣ هـ - على اختلاف بين المؤرخين - ، ببني عروس قرب العرائش^٢ بمسافة ٧١ كلم ثم انتقل للعيش بجبل العلم قرب مدينة العرائش .

وقد ظهرت عليه بوادر الصلاح والتقوى منذ صباه، قال عنه أحد مؤرخيه :
(هو الذي أنواره منذ كان في المههد صبيا، ثم طوى في السياحة في صباه الأرض طيا...،

حفظ القرآن بالروايات السبع وهو ابن الثانية عشرة، وقضى في سياحته أكثر من خمسة عشرة سنة، درس وتعلم على يد كبار العلماء والشيخوخ، من بينهم: الولي الصالح سيدي سليم شيخه في القرآن، والفقير العلامة سيدي أحمد الملقب بأقطران، شيخه في الدراسة العلمية، ثم شيخه في التربية والسلوك العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن الحسن الشريف العطار المدني، الشهير بالزيات، الذي أخذ عنه الطريقة، وشرب من يده عوالم الحقيقة)^٣

الشيخ السائح :

(كان علاوةً على علو همته وحاله عالماً فاضلاً جليل القدر، متحمساً للدين عاملاً على نشر فضائله .

وهو رجل من آل البيت فيه ما فيهم من صفات : الاتجاه الى الله ، الزهد ،

^١ المطرب ص ٩٢

^٢ العرائش هي مدينة مغربية وعاصمة الإقليم الذي يحمل نفس اسمها. تقع في جهة طنجة تطوان الحسيمة، على بعد حوالي ٨٥ كم من طنجة و ١٠٥ كم من تطوان شمال غرب بلاد المغرب .

^٣ المطرب ص ٩٢ - ٩٣

الشجاعة ، الأريحية ، ويتصل نسبه بسيدنا الحسن (عليه السلام) ^١ أَلْفَ العبادة والنُّسك من صغره، ويقول سيدي الإمام أبو الحسن الشاذلي: إنه سلك الطريق إلى الله منذ أن كان عمره سبع سنين وبعد أن سار في العبادة أشواطاً وبلغ مبلغ الفتيان ظهر له من الكشف أمثال الجبال، وهو مازال بعد في بواكير شبابه، ثم نزع إلى السياحة وأقام في السياحة ست عشرة سنة كاملة .. والسياسة أصلها الذهاب على وجه الأرض ، والمقصود أن الشيخ عبد السلام سار على سنة أسلافه ، فسافر متعبداً، وسافر متعلماً ، قال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^٢ وقد قيل في معنى ”السائحون” هم الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم، وقيل: هم الجائلون بأفكارهم فيما خلق الله تعالى من العبر والعلامات الدالة على توحيده تعالى وتعظيمه، وقيل غير ذلك .

شيخه :

ومما وقع له أثناء سياحته أنه بات ليلة في مغارة، وبينما هو يتعبد اذ رأى شيخاً يدخل عليه المغارة، فقال له: من أنت ؟ فقال الشيخ : أنا شيخك منذ كنت ابن سبع سنين. وكل ما كان يصلك من النازلات فهو مني، وهو كذا وكذا فحدثه بجميع ما جرى له من الأمور . وشيخه الذي حدث عنه هو سيدي عبد الرحمن بن الحسين المدني الشريف المدعو بالزيّات، سُكناه بحارة الزيّاتين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ولم يذكر له صاحب لطائف المنن سوى هذا الشيخ ^٣

^١ رحلة المنى والمنة ص ١٩٠

^٢ سورة التوبة ١١٢

^٣ القطب الشهيد ص ٢٢ - ٢٣

ويقول ابن عطاء الله الاسكندري :

إن طريقة الشاذلي تنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ عبد السلام ينتسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب^١

حياته ﷺ :

كان شيخنا عبد السلام بن مشيش عالما فاضلا، ومتصوفا عارفا، وعابدا من الصادقين، فكان يصعد إلى الجبل، قصد التعبد والخلوة، ورغم زهده، وطول سياحته، لم يغفل الجانب الأسري ولا العلمي من حياته، فأعطى لكل ذي حق حقه، دون الخروج عن جادة الشريعة.

(قُسمت حياته إلى ثلاث مراحل حسب بعض المؤرخين: سخر المرحلة الأولى منها للحياة العلمية، فنهل من علوم النقل وعلوم القوم ما نهل، وفي المرحلة الثانية جعل اشتغاله بتربية أولاده الأربعة تربية صوفية، دون أن يغفل جانب الجهاد منه، فكان راعيا، وخادما لأهله، مستعدا ومتحمسا للشهادة من أجل دينه ووطنه.

وأما في المرحلة الثالثة فقد كانت مسك الحتام، حيث فناها في الخلوة والعبادة والزهد)^٢

حتى اشتهر بذلك، فكان ﷺ، (في العلم في الغاية، وفي الزهد في النهاية، جمع الله له الشرفين الطيبي والديني، وأحرز الفضل المحقق اليقيني، حيث كان متمسكا بالكتاب والسنة، عاملا بهما، ملتزما لهما)^٣

فهذين العاملين بالنسبة لمولاي عبد السلام بن مشيش، كانا هما الموصولين لمقام

^١ لطائف المنن لابن عطاء الإسكندري ص ١٦٠

^٢ القطب الرباني، ص: ١٦-١٧

^٣ قطب المغرب ص ٢٧

الصديقين، في عبادة المؤمنين لربهم، حيث فصل ذلك في قوله : (عبادة الصديقين عشرون: كلوا، واشربوا، والبسوا، وانكحوا، واسكنوا، وضعوا كل شيء حيث أمركم الله، ولا تسرفوا، واعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واشكروه فإنها نصف العقل، والنصف الثاني: أداء الفريضة، اجتناب المحارم... والتفقه في دين الله... وكل ورع لا يصحبه العلم والنور فلا تعد له أجراً)^١

لقد عمت شهرة مولاي عبد السلام بن مشيش المشرق والمغرب، في حياته كما في مماته، حتى أن ضريحه كان ولا يزال من أعظم مزارات المغرب المشهورة عبر العصور والأجيال ، فلم تزل الوفود تأتي إليه من سائر الآفاق، من عارفين و صوفية وعلماء وفقهاء، وعمامة الناس لزيارته و التبرك به، والبعض لإحياء ذكره، حيث أصبح مقامه في المغرب كمقام الشافعي بمصر، كيف لا، (وهو أستاذ الأقطاب الثلاثة: سيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي أحمد البدوي، وسيدي أبي الحسن الشاذلي)^٢ وهذا الأخير الذي لم يكن سيدي عبد السلام بن مشيش أستاذا له في التربية والسلوك والعلوم فقط، بل أيضا في التوجيه، ورسم معالم الطريق ، والصمود على مواصلة السير فيه .

بعض أقوال العلماء في الشيخ :

هو الذي قال عنه العلامة الشيخ إدريس الفضيلى : (...هو البدر الواضح... ، المشتهر في الدنيا قدره ، الطالع في فلك المعاني بدره ، وقال عنه الشيخ ابن عجيبة: ...وأما علو قدره ، وجلالة منصبه، فذلك أمر شهير ، وقد تغلغل في علوم القوم التي مدارها التخلق بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام)^٣

^١ القطب الشهيد ص ١١٥-١٢٩

^٢ طبقات الشاذلية الكبرى ص ٦٠

^٣ القطب الرباني، ص : ١٤-٢٥

ظل الشيخ عبد السلام بن مشيش في المرحلة الأخيرة من عمره، منزويا في الجبال، متواريا عن الأنظار، ككنز مخفي، أحب التفرد بعبادة ربه، والغوص في فضاء أنسه، فلم يخالط الناس إلا لنشر العلم وفضائله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن شاءت قدرة الله تعالى أن يُعرف ويشتهر هذا القطب الجليل في مماته أكثر مما كان عليه في حياته، ويصبح بذلك علما شامخا من أعلام التصوف بالمغرب، وتداول صلواته المشيشية في ربوع العالم الإسلامي، ويرجع الفضل في ذلك بعد الله سبحانه وتعالى، لتلميذه الشاذلي، الذي حمل رداء شيخه مولاي عبد السلام بن مشيش، فكان ظاهر وباطن ذلك الرداء الكتاب والسنة، اللذين سلكهما أبي الحسن الشاذلي في تصوفه.

آثاره :

ولقد خلف مولاي عبد السلام بن مشيش، من أسرار المعاني والمعارف الربانية، التي فتح الله بها عليه، ما أبقاها قطبا منفردا في زمانه، وشيخا جليلا في حبه وفائه، ذو كرامات عجيبة، ووصايا جليلة، فمن أكبر تلك الكرامات المعنوية: تلميذه الشيخ أبو الحسن الشاذلي، الذي بصحبته ووصاياه له، أصبح من بعده مؤسس، وشيخ الطريقة الشاذلية، المنتشرة في العالم الإسلامي، والتي اتبعتها العديد من المريدين، منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا .

لقد أثار الله سبحانه وتعالى بصيرة شيخنا عبد السلام، واختصه بأسرار ربانية وعلوم لدنية بوأته منزلة رفيعة ، فكان ولا يزال قطبا صوفيا استثنائيا، تنتفع الأجيال على مر الأزمان بسيرته العطرة ووصاياه النفيسة وكراماته العجيبة، فيكفي محبي التصوف أن يطلعوا على واسطة عقده الصوفي المتمثلة في الصلاة المعروفة “بالصلاة المشيشية” ، وهي نص بلوري يشع نورا وروحانية شفيفة، فهي جوهرة طريقه الفريدة، وأكبر بصمة تركها خالدة بعد مماته، وهي عبارة عن (نص فريد من بين التصليات التي سجلها أدب التصوف منذ أواخر القرن

السادس المهجري حتى الآن...، في عباراته المنتقاة، ومعانيه الراقية، تناسب فيه العبارات في رقة وعضوبة، محملة بدفق الإيمان وصفاء المحبة، التي ما إن تخالطها الروح وتستعذبها المسامع، حتى تخلق بصاحبها في أجواء من السمو، وملكوت الجمال...، لأنه صادر عن عالم عارف، وبلغ أريب...¹

الصلاة المشيشية :

يقول مولاي عبد السلام :

اللهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْهُ انشَقَّتْ الأسرارُ، وانفَلَقَتِ الأنوارُ، وفيهِ ارتَقَتِ الحقائقُ، وتنزَّلَتْ علُوْمُ آدَمَ فأعجزَ الخلائقُ، وله تضاءَلَتِ الفُهومُ فلمْ يُدركْهُ منَّا سابقٌ ولا لاحقٌ، فرياضُ الملكوتِ بزهرِ جماله موقنةٌ، وحياضُ الجبروتِ بفيضِ أنواره مُتدققةٌ، ولا شيءٌ إلا وهوَ به منوطٌ، إذ لولا الواسطةُ لذهبَ كما قيلَ الموسوطُ، صلاةٌ تليقُ بكِ مِنْكَ إليه كما هو أهلهُ، اللهمَّ إنَّه سرُّك الجامعُ الدالُّ عليكِ، وحجابُك الأعظمُ القائمُ لكِ بينَ يديكَ، اللهمَّ الحفني بنسبهِ، وحقِّقني بحسبهِ وعزِّقني إيَّاهُ معرفةً أسلمَ بها من مواردِ الجهلِ، وأكرِّعُ بها من مواردِ الفضلِ. واحملني على سبيله إلى حَضْرَتِكَ حَمَلًا محفوفًا بنُصْرَتِكَ، واقذفْ بي على الباطلِ فأدمعهُ، وُرِّجْ بي في بحارِ الأحديَّةِ، وانشُلني من أحوالِ التَّوْحِيدِ، وأغرِّقني في عينِ بحرِ الوحدَةِ، حتى لا أرى ولا أسمعَ ولا أُجدَ ولا أُحسَّ إلا بها، واجعلِ الحجابَ الأعظمَ حياةً رُوحِي، وروحه سرِّ حقيقتي، وحقيقتهُ جامعَ عوالمي، بتحقيقِ الحقِّ الأوَّلِ، يا أوَّلُ يا آخِرُ يا ظاهرُ يا باطنُ، اسمعِ ندائي بما سمعتَ به نداءَ عبدِكَ زكريا، وانصُرني بكِ لكِ، وأيِّدني بكِ لكِ، واجمعِ بيني وبينك وحلِّ بيني وبينَ غيرِكَ، اللهُ، اللهُ، اللهُ ((إنَّ الذي فرضَ عليكِ القرآنَ لرادُّكَ إلى معادٍ))، ((ربِّنا آتينا من لدنك رحمةً وهبَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)) (ثلاثا) .

¹ القطب الرباني ص : ٣٧

وقد عكف الدارسون قديما وحديثا على شرح “الصلاة المشيشية” مما يعكس قيمتها الفنية والدينية .

لقد اشتهرت الصلاة المشيشية بجمال معناها، وجلال مبناها، حيث عكف كثير من العلماء على شرحها وإيضاحها، ولعل أقدم من تناولها بالشرح ” العلامة مُحَمَّد بن أحمد بن داود التونسي المعروف بابن زغدان (ت ٨٨١هـ) وتوالت شروحها على يد علماء أجلاء من المغرب والمشرق، أمثال العلامة العارف أبي مُحَمَّد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت ٩٦٣هـ)، والعلامة عبد الرحمن بن ملا حسن الكردي (ت ١١٩٥م) وغيرهم كثير.

وفضلاً عنها ترك لنا قطب الجبل مجموعة من الوصايا التي ما زالت خالدة إلى يومنا هذا ترسم معالم الطريق لكل المريدين وتضيء عتمات ليل السالكين ؛ لقد ترك سيدي عبد السلام بن مشيش لتلميذه ووارث سره، إرثاً ثميناً تجلّى في وصايا نفيسة ، حيث شكلت مهد الطريقة الشاذلية ، وشعلتها الأولى ، يقول على لسان تلميذه : (يا علي، الله الله، والناس الناس..، عليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عندك)^١

وقال له أيضا : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفي لنفسك إلا من تزداد به يقينا وقليل ما هم^٢

وقال : أفضل الأعمال أربعة، بعد أربعة، المحبة لله، والرضا بقضاء الله، والزهد في الدنيا، والتوكل على الله، هذه أربعة، وأما الأربعة الأخرى، فالقيام بفرائض الله، والاجتناب لمحارم الله، والصبر عما لا يعني، والورع من كل شيء يلهي^٣

^١ قطب المغرب ص : ٣٣

^٢ المطرب ص : ٩٩

^٣ القطب الرباني ص ٢٤-٢٥

وعن الطهارة الروحية قال لأبي الحسن : إلزم الطهارة من الشكوك ، كلما أحدثت تطهرت، من دنس الدنيا وكلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أوكدت،...

وقال لأحد الرجال ناصحاً : ”...الفرائض مشهورة، والمعاصي معلومة، فكن للفرائض حافظاً، وللمعاصي رافضاً، واحفظ قلبك من حب الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه، وإيثار الشهوات، واقنع بذلك بما قسم الله لك، إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكراً، وإذا خرج مخرج السخط فكن عنه صابراً^١ وعن الصحبة قال : ... واصحب من إذا ذكر، ذكر الله، فإنه يغني به إذا شُهد، وينوب عنه إذا فُقد، ذكُره نور القلوب، ومشاهدته مفتاح الغيوب .

استشهاده ومكان دفنه :

كانت دعوة الشيخ قائمة على مجاهدة النفس والجهاد في سبيل الحق، ونشر دعوة الإسلام والقضاء على دعوات الكفر والضلال ومحاربة الشعوذة ومخالفة تعاليم كتاب الله وحديث رسوله ﷺ، وقام بواجبه خير قيام فرمى بنفسه في خضم المعركة، مستميتاً لإيهاب السيوف ولا يخشى الملاقاة على حد وصف الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، وذلك عندما علم بقيام فتنة بن أبي الطواجن، وادعائه النبوة وتبعه جهات الناس في القبائل الغمارية بشمال المغرب منهم من تبعه، مخدوعاً، ومنهم طمعا، والبعض الآخر رهبة فعاث في الأرض فساداً قتلاً وسفكاً مستحلاً ما حرم، فتصدى له الشيخ بن مشيش، وحمل عليه وعلى أتباعه بالقول والعمل، ولم يسكت مع الترغيب، ولا مع التهيب، ولكن ذلك كلفه حياته ﷺ، فكادوا له ودبروا المؤامرات لقتله، ليتخلصوا منه ومن مقاومته لكفرهم وضلالهم، وهكذا ترصدته فرقة من أتباع بن أبي الطواجن، تتكون من عشرة أفراد كلفت بقتله، فاعترضت سبيله عند ما كان في طريقه إلى

^١ القطب الرباني ص : ٢٥

مصلاه بقمة الجبل لصلاة الفجر، بعد أن توضأ بالعين المسماة بعين البركة، فقتل رحمه الله بقرب هذه العين حيث وجد مضرجا في دمائه، وهناك غسل وكفن ودفن في أعلى الجبل، حيث يوجد مدفنه الآن. وتولى شيخه الصالح سيدي أحمد قطران غسله وتكفينه والصلاة عليه. واختلف في تاريخ مقتله، ولكن المتفق عليه أن هذه الجريمة الشنعاء وقعت بين سنتي ٦٢٢ و ٦٢٦، وقيل إنه استشهد بينما كان يصلي على صخرة يسميها سكان المنطقة بـ "الزطمة مولاي عبد السلام" وعلامتها مازالت واضحة لحد اليوم، وهي تقع فوق عين البركة على الطريق إلى الضريح المبارك.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراي: قال الشيخ أبو العباس المرسي: ومات الشيخ عبد السلام بن مشيش رحمته الله مقتولاً. قتله ابن أبي الطواجن، ببلاد المغرب ..^١

^١ الطبقات الكبرى (٦/٢)

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي

(١٦٤٠ م / ١١٥٠ هـ - ١٧٣١ م / ١١٤٣ هـ)

كان رقيق القلب ، ككل شاعر ، تتزاحم في قلبه الكلمات فيصوغها شعراً
تتمازج فيه الرؤى التي تزور خياله ، فتنساب حروفه كاللحن يحكي مواجيدته ،
واشواقه ... كان غزير الشوق ، كثير الوجد ، يبحث ، كباقي رجال التصوف
عن لحظة قُرب ، او وصال ، او رؤيا تُبَشِّرُهُ بالقبول ، و بالرضا ...
وكما أتعب الوجد قلبه ، أتعب القلب جسده الذي كان يجري خلف حُلْمٍ
بالتشبيث وبالترقّي في منازل القرب ومعراج الروح .

كالبَحَّار كان يتنقل بين مرفئ الحب ، زاده وجدّ وشوق ، ووسيلته السياحة
والترحال والحلوة ، فكان روحه لم تعتد السكنى بأرض إلا وأزمنت سفيراً لأرضٍ
جديدة أو زمان غير الذي يعيشه ، وحتى خلوته كانت سفيراً وترحال ، فكان
قلبه يسافر في عوالم جديدة لها اشراقات وصفاء بطعم جديد ، وكذلك جسده
كان يرحل ، يرحل بعيداً عن الشهوات وعن دنيا الناس ، فكانت سياحته
خلوة ، وخلوته سياحة ، وفي كل ذلك ، لم تكن الروح لتأنس بالسكون ،
ويظل الجسم يلهث خلفها .

وكذا حال المتصوف ، عشقٌ وسفر ...

الاسم والتعريف :

عبد الغني النابلسي هو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل
الكِتَابِي الحموي الأصل المقدسي الحنفي الشهير بابن النابلسي .
شاعر وأديب من سوريا وأحد المتصوفين الكبار في عصره، يعدُّ واحداً من أشهر
الشعراء الصوفيين في العالم الإسلامي الذين عاشوا في القرن السابع عشر،
وبالإضافة إلى كونه شاعراً فهو عالمٌ دينٍ وفقهٍ وعالمٌ أدبٍ ورحالةٌ له الكثير من
التصنيفات والمؤلفات، كانت رحلاته كثيرة في بلدان العالم الإسلامي .

نسبه :

يؤكد الشيخ عبد الغني النابلسي بأن نسبه يرتفع إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وقد حاول سبطه مُحَمَّد كمال الدين الغزي التحقق من ذلك بالرجوع إلى خط التراجم المتوفرة لديه .

كما ان قد حُرر هذا النسب في كتاب جليل محفوظ عند الشيخ راتب النابلسي ، والمحرر في عام ١٢٤٦هـ .

وأصل أسرته من حماة، وجدته الثاني عشر برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ولد بحماة سنة ٥٩٦هـ، ثم انتقل إلى دمشق ليتلقى العلوم، وفي عام ٦٧٥هـ قصد بيت المقدس لزيارته، فمات بعد وصوله بأيام، فبقيت أسرته في بيت المقدس، ودرس أولاده فيه ، وتعلموا في مساجدها، وعلى مشايخها اخذوا العلوم، ثم تولوا بعد ذلك إلى خطابة المسجد الأقصى وغيره.

وأول من انتقل إلى دمشق منهم جد النابلسي الرابع إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم برهان الدين.

فأسرته عُرفت بالعلم والقضاء والخطابه ، بدءًا من موفق الدين ابن جماعة إلى عبد الغني النابلسي وهذه من أسباب نبوغه المبكر.

تميّز أجداده في دمشق ، واشتهروا بالعلم والصلاح إبان العهد العثماني وخصوصاً في عهد والي دمشق درويش باشا الذي بنى الجامع الذي يحمل اسمه حتى اليوم ، حيث عيّن إسماعيل بن أحمد النابلسي (٩٩٣هـ/١٥٨٥م) مدرساً وناظراً على وقف هذا الجامع . كذلك كان جد الشيخ عبد الغني بن إسماعيل مدرساً في نفس الجامع وناظراً على وقفه (١٠٣٢هـ) وقد ورث والده إسماعيل بن عبد الغني (١٠٦٢هـ/١٦٥٢م) نفس المهام . وهو أول من انتقل من الممضى الشافعي إلى الممضى الحنفي بعد ان زار استنبول مراراً وحضر فيها دروس شيخ الإسلام يحيى بن زكريا (١٠٥٣ هـ) ، وظل يترقى في الوظائف حتى وصل إلى

درجة (مدرس الصحن) .

مولده ونشأته :

ولد الشاعر والمتصوف الشيخ النابلسي يوم الأحد في دمشق ٤ ذي الحجة عام ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م حيث كان والده في القاهرة للتجارة، وتطلعنا الكتب أن الشيخ عبد الغني كان يتفوق على إخوته بالنبوغ والذكاء المبكر، مما مهد لاهتمام والده به، حيث كان والده أول من قرأ على يديه القرآن الكريم فأتّم حفظه وهو في سن الخامسة ، وعندما بلغ التاسعة كان يحضر في دمشق عند المولوية مع والده مع كثير من العلماء والمفتين في العديد من المذاهب مثل الحنفي والشافعي وغير ذلك مثل شيخ الإسلام عبد الرحمن العمادي ، ولم يبلغ العاشرة من عمره إلا بعد أن حفظ كثيراً من المنظومات والمقدمات مثل ألفية ابن مالك في النحو والشاطبية في قراءات القرآن والرحمانية في الفرائض والكنز في الفقه والجزرية في التجويد وغيرها، وفي الفترة نفسها كان يتابع دروس الحديث تحت القبة في الجامع الأموي عند الشيخ نجم الدين الغزي، وفي تلك الأثناء حصل على أول إجازة عامة في علوم الحديث، واستمر في حضور دروس والده في التفسير والفقه ، وحين بلغ سن الثانية عشر من عمره توفي والده ، فكتب أول أشعاره في رثاء والده ومعلمه الأول ، ثم تابع تحصيله العلمي تحت إشراف والدته.

واستمر في تحصيل العلم حتى بلغ العشرين من عمره حيث مارس التدريس في الجامع الأموي في دمشق بالقرب من منزله الواقع في العنبريين وتصنيف الكتب. وشيخنا الجليل الذي عاش وسط اسرة تحب العلم وتُعنى بتحصيله وتحمل في ثناياها أشكال الورع في السر والعلن قد ورث حب العلم وتقديسه، وورث ذكاء ونبوغ مبكر، وسط هذا الجو الإيماني والعلمي ، والذي أدمن منذ صغره قراءة كتب المتصوفة، كابن عربي وابن سبعي والعفيف التلمساني، فعادت عليه بركة

أنفاسهم مما مهد لظهور شخصية العارف بالله عبد الغني النابلسي، والذي سئلَ فيما بعد بـ "الأستاذ الأعظم".

شيوخه في علم الظاهر :

ويواصل شيخنا رحلته في تلقي العلوم الفقهية والشريعة والأدبية ، ويتلمذ على أكثر من شيخ ، وكان من أبرز أساتذته :

- في علوم اللغة العربية : الشيخ محمود الكردي المتوفى (١٠٤٩هـ) والشيخ مُجَّد المحاسني المتوفى (١٠٧٢هـ) وإبراهيم الفتال المتوفى (١٠٩٨هـ)
- في علوم الفقه وأصوله: أحمد القلعي الحنفي (١٠٦٧) وملا حسين بن اسكندر الرومي
- وفي علوم الحديث: عبد الباقي الحنبلي المتوفى (١٠٧١هـ)، ونجم الدين الغزي المتوفى (١٠٦١هـ)، ومُجَّد بن كمال ابن حمزة المتوفى (١٠٨٥هـ)
- وفي علم الفرائض والحساب: كمال الدين مُجَّد بن يحيى الشهير بالفرضي (١٠٨٨هـ) .

حياته :

عندما بلغ شيخنا الخامسة والعشرين غادر دمشق إلى أدرنة وقد كانت آنذاك مقر الخلافة العثمانية، وعندما زار إسطنبول استطاع الحصول على وظيفة قاض في حي الميدان في دمشق، وبعد عودته عمل في القضاء لفترة قصيرة ثم ترك القضاء ليتفرَّغ للتدريس والتأليف والكتابة ... فقد ألف حتى عام ١٠٩٠ هجرية الموافق لعام ١٦٨١م نحو خمسين كتابًا ما بين رسالة صغيرة أو شرح طويل أو كتاب متكامل .

عصره :

كان العصر الذي ولد فيه الشيخ عبد الغني، عصر فوضى اجتماعية وانحطاط أخلاقي وسياسي ، وكان العالم العربي في القرن العاشر الهجري الذي يخضع

للسيطرة العثمانية يعيش حالة من التردّي الاجتماعي والأخلاقي ، وكانت الأمم الإسلامية مستغرقة في إتباع الشهوات والأهواء حيث ماتت الفضيلة بين الناس ، وساد الجهل ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مصدر وسبب استبداد وفوضى ، هذا قبل بداية العهد الثاني والجديد للدولة العثمانية ، فكان عصرُ شيخنا عصر المستبدّين ، فانصرف العلماء في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والهند إلى التدريس ، والإفادة ، والباحثون والمفكرون إلى التأليف والتحقيق ، والمشايخ والصوفية الربانيون اتجهوا إلى إصلاح النفوس وتركيبه القلوب .

هذا وقد غلب على أهل العلم في هذا العصر ذوق الشعر والأدب ، ليكون وسيلة راقية للوصول بها إلى قلوب الحائرين والتائهين .

وظائفه:

رغم تنوع ووزارة علوم الشيخ عبد الغني ، ولكن لم يشغل إلا منصبين:

- الأول : وظيفة القضاء في محكمة الميدان عام ١٠٧٥هـ ولم يلبث أن تركها .
- والثاني : انتخبه أهل دمشق في عام ١١٣٥هـ مفتياً لدمشق ، ما لبث أن جاء المرسوم السلطاني من إستنبول بذلك . ولكنه لم يلبث أن ترك الوظيفة ، ليتفرغ للخلوة التي ستمهد له الطريق للوصول الى الصفاء الروحي ورحلته في التركيبة والسلوك .

خلوته :

ويستمر الشيخ في مسعاه الى الحقيقة بعد ان عرف ان التصوف أكمل الطرق والمناهج الموصلة الى رضا الله سبحانه ومحبه .
ويحتلي للعبادة والتأمل والتفكر ، ويشغل بالذكر والتلاوة ، ويعتزل في بيته سبع سنوات لا يخرج إلا لضرورة ، إلا أنه لم ينقطع عن التأليف واستقبال طلابه للتدريس ، وفي ذات الوقت ما كان ينقطع عن ذكر الله في السر والعلن .

وكان دأبه في صغره على قراءة سير الصالحين والمتصوفين جعله مهياً لهذا الدور والتوجه الصوفي؛ والخلوة سنة نبوية شريفة ومنهج صوفي للتركيب والصفاء .

وبعد سنين سبع يخرج الشيخ من خلوته .

يخرج وعليه هيبة ووقار العارفين بالله، ومن يوم خروجه ذاع صيته في العالم الإسلامي ، وبدأت عليه واردات الكرم الرباني .

وقد تلقى الشيخ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أحمد البلخي الذي زار دمشق سنة ١٠٨٧هـ. كما وتلقى الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق الكيلاني عام ١٠٧٥هـ .

دروسه :

تفرغ بعد ذلك للعلم باحثاً ومصنفاً وشاعراً وأديباً ومعلماً، وكانت دروسه على نوعين :

دروس عامة ، ودروس خاصة ، دروس العامة بعد الفجر وضحوه النهار وبعد العصر، وكان يلقي دروسه في : الجامع الأموي ، المدرسة السلمية ، أما الدروس الخاصة فهي في منزله .

وكانت دروسه ومحاضراته تشمل العلوم كلها من مبادئها إلى التخصص بدءاً بعلم الحديث ثم التفسير ، والفقه ، والتصوف .

وقد حرص الشيخ عبد الغني النابلسي على تفقيه أهل الصالحية بعلوم المذهب الحنفي والشافعي ، بعد أن كان المذهب الحنبلي هو السائد عند أهالي الصالحية منذ إنشاء جامع الحنابلة والمدرسة العمرية الحنبلية بصالحية الشام . وذلك بعد أن انتقل من بيته بجوار الأموي إلى بيته في الصالحية .

وفي الصالحية لم يتوقف عن إلقاء الدروس في تسهيل تفسير القرآن للبيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) تأليف الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، إضافة إلى تدريس وشرح

الفتوحات المكية لابن العربي .

مؤلفات الشيخ عبد الغني النابلسي :

كان النابلسي رحمه الله تعالى كثير التصنيف والكتابة، حيث تجاوزت عدد مؤلفاته ٣٠٠ بين رسالة وكتاب وديوان شعر وكتب في أدب الرحلات، وكتب في العديد من المواضيع كالتصوف والحديث والتفسير والفقه وتفسير الأحلام والفلاحة، كما دافع عن سماع الموسيقى ورقصة المولوية وطرق الصوفية والتصوف، وحصلت كتبه على شعبية كبيرة في جميع أنحاء العالم، ومن أهم مؤلفاته:

- الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية
- تعطير الأنام في تعبير المنام
- ذخائر الموارث في الدلالة على مواضع الأحاديث
- علم الفلاحة
- نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار
- إيضاح الدلالات في سماع الآلات
- ذيل نفحة الريحانة
- حلة الذهب الإبريز في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز
- الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز
- قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان
- جواهر النصوص جزآن في شرح فصوص الحكم لابن عربي
- شرح أنوار التنزيل للبيضاوي
- كفاية المستفيد في علم التجويد
- الاقتصاد في النطق بالضاد في التجويد
- مناجاة الحكيم ومناغاة القديم

- مقتضى الشهادتين.
 - نور الأفتدة في شرح المرشدة.
 - إيضاح المقصود من وحدة الوجود.
 - ديوان الدواوين وهو مجموعة شعره.
 - فضائل الشهور والأيام.
 - أسرار الشريعة.
 - الوجود الحق والخطاب الصدق.
 - ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث.
 - إيضاح الدلالات في سماع الآلات.
 - رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة.
 - كتاب رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام
 - وغير ذلك من الكتب والرسائل ...
- ان المتتبع لكتابات الشيخ النابلسي يصل لحقيقة انه يسبق عصره بأفكاره المنفتحة على الآخر وكتاباته الإصلاحية .
- لقد أثمر اعتزاله الناس في خلوته لمدة سبع سنين في بيته بعد أن بلغ الأربعين من العمر إلى انضاج رؤيته المعرفية وتحديد منهجيته المبسطة لفهم الأشياء من حوله واختيار الوسطية في فتاويه وآرائه بعيداً عن التشدد والتعصب .
- كما يظهر وبوضوح الجهد الهائل الذي بذله في «مجاهدة النفس» وخدمة العلم كي يرقى إلى مراتب رؤية وكتابات كبار الصوفية.
- كما كان للشيخ أسلوبه الواضح والأصيل في الكتابة لتوصيل آرائه إلى الناس، فقد ابتعد عن أسلوب السجع السائد في «عصور الانحطاط» واستخدم طريقة في الكتابة تقرّب تجربته الصوفية وآراءه إلى مثقف عصره بشكل ناجح جداً، وهذا هو سبب اشتهاه مؤلفاته ، ونلمس ذلك في مؤلفات عديدة مثل «كتاب

الفتح الرباني والفيض الرحماني» الذي ألفه سنة ١٠٨٥هـ. يعرض النابلسي في هذا الكتاب بأسلوب يشبه كثيراً أسلوب كتابات اليوم ، الأخلاق الصوفية الضرورية لكل مسلم، وهو من كتبه الأصيلة والمميزة . ويظل كتابه «الوجود الحق» من أهم مؤلفاته، بل واحداً من أهم ما كتب في فهم ما يسمى وحدة الوجود كلامياً وفلسفياً في الفكر الصوفي . ويعرض مذهبي فلسفي متماسكاً فكرياً وبأسلوب علمي متوازن . كما لا نستطيع إغفال أثر تدوينه لرحلاته الأربع التي وصف فيها بلاد الشام ومصر والحجاز والتي نشرت الآن كلها . ولا دواوينه الشعرية العديدة التي وصف فيها تجاربه الصوفية كما وصف الطبيعة والأماكن التي كان يزورها في دمشق ونواحيها.

رحلاته :

مثل كبار المتصوفين كان للشيخ رحلات وسياحات جاب بها البلدان والمدن . وقد بلغت رحلاته خمس رحلات ، أربع منها في حوالي اثني عشر عاماً ، وقد كان هدفه من هذه الرحلات زيارة الأولياء الصالحين ، ليرضي الجانب الصوفي في نفسه ، وهدفه الثاني من رحلاته الاجتماع بأهل الصلاح والدين ليرضي الجانب الديني في نفسه ، فيشرح ويناقش ويعلم ويتعلم . وقد سجل الشيخ مجريات رحلاته ومشاهداته تفاصيلها في عدة كتب مما حفظها وحفظ أحداثها .

الرحلة الأولى:

قام بها إلى دار الخلافة في الأستانة سنة ١٠٧٥ ، وهي الرحلة الوحيدة التي لم يسجل عنها ملاحظاته وانطباعاته وخط سيره.

الرحلة الثانية:

قام بها إلى لبنان سنة ١١٠٠هـ وكانت وجهته فيها سهل البقاع وجبل لبنان،

وسماها (حَلَّة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز) .

هناك أيضا الرحلة الثالثة الى بيت المقدس :

فكانت رحلته إلى فلسطين ، وقام بها سنة ١١٠١ .

وقصد فيها زيارة بيت المقدس وبلد الخليل ، وقد وصف رحلته في كتاب سَمَّاه

(الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) .

الرحلة الرابعة:

قام بها سنة ١١٠٥ . طاف فيها على بعض مدن الشام ومصر والحجاز، وهي

رحلته الكبرى، وصف أخبارها في كتاب بعنوان (الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد

الشام ومصر والحجاز) .

نحو طرابلس :

قام النابلسي أيضا برحلة خامسة إلى طرابلس سنة ١١١٢، سَمَّاه (الحلة

النابلسية في الرحلة الطرابلسية) .

لقد ترك النابلسي تراثاً كبيراً في أدب الرحلات أو السياحات الصوفية ، ونهل

منه كثيرون وحاولوا أن ينسجوا على منواله ولكن لم يصل أي منهم إلى ما وصل

إليه الشيخ النابلسي، الذي كان بالإضافة إلى مشاهداته، يغني نصوصه

بالمصادر الجغرافية والبلدانية الشهيرة ، ويحاول أن يناقش معاني الأسماء

وتحقيقها، وتعد رحلاته مرآة لعصره، فهي تبين بأمانة متناهية الأوضاع التي

كانت سائدة في الأماكن التي كان يزورها، وهي مرحلة حساسة مثلت بدايات

انهيار السلطة المركزية العثمانية في بلاد الشام .

وفاته رحمه الله تعالى :

وبعد أن استقرَّ به الحال في مدينة دمشق ، بقي في حي الصالحية إلى أن توفي

فيه عن عمر يناهز ٨٩ عامًا وذلك في عام ١٧٣١م الموافق لعام ١١٤٣

للهجرة ، ودفنَ رحمه الله تعالى في القبة التي كان قد بناها في منزله، وقد أغلقت

مدينة دمشق بالكامل يوم وفاته وتجمع الناس في حيّ الصالحية من أجل تشييع وحضور جنازته، وقد أقيم فوق قبره في منزله جامعٌ وذلك في بداية القرن الثالث عشر الهجري .

بعض من شعر الشيخ النابلسي :

يقول الشيخ من قصيدة له :

وجه تعدد في المرائي	وبه تحير كل رائبي
والكائنات بأمره	موج على صفحات ماء
إن العوالم كلها	بظهورها و الاختفاء
في سرعة وتقلب	مثل الكتابة في الهواء
شمس وكل الخلق في	أنوارها مثل الهباء

ومن شعره :

تجلى وجه محبوبي	وهذا كل مطلوبي
فيا نار العدا ذوي	بعيد عنك مشروبي
جمال الأهيف الزاهي	وحسن الأغيد الباهي
به صبري هو الواهي	وموتي فيه مرغوبي
رأينا نوره أشرق	فكنا برقه الأبرق
ولا نجد ولا أبرق	سوى الإبريق والكوب
علينا الخمر قد دارت	بها ألبابنا حارت
وأطيار الهوى طارت	بترتيب وأسلوب
مليح الكون وأفانا	وزاد الحسن إحسانا
وحيأً يوسف الآنا	فقرت عين يعقوب

صلاته على النبي ﷺ :

ربما من أجل ما ترك الشيخ النابلسي صلته على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ والتي قال فيها :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاتِكَ الْقَدِيمَةَ الْأَزَلِيَّةَ الدَّائِمَةَ الْبَاقِيَةَ الْأَبَدِيَّةَ. الَّتِي صَلَّيْتَهَا فِي حَضْرَةِ عَلِمِكَ الْقَدِيمِ. الَّذِي أَنْزَلْتَهُ بِمَلَائِكَتِكَ فِي حَضْرَةِ كَلَامِكَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. فَقُلْتَ بِاللِّسَانِ الْمُحَمَّدِيِّ الرَّحِيمِ. إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ وَخَاطَبْتَنَا بِهَا مَعَ السَّلَامِ تَتَمِيمًا لِلْإِكْرَامِ لَنَا وَالْإِنْعَامِ. فَقُلْتَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. فَقُلْتُ امْتِثَالًا لِأَمْرِكَ. وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَكَ مِنْ أَجْرِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. حَتَّى نَجِدَهَا وَقَايَةً لَنَا مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ. وَمُوصِلَةً لَأَوْلَانَا وَآخِرِنَا مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى دَارِ النِّعَمِ وَرُؤْيَا وَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا عَظِيمُ.

الشيخ عبد الفتاح القاضي

(١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢)^١

الإمام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الفتاح بن سيد أحمد بن مُحمَّد القاضي ،
الحسني أباً الحسيني أمماً ، الشافعي مذهباً ، المحمدي تربية ، الشاذلي طريقة ،
الشلبنجي داراً ومزاراً .

ولد ﷺ في (شبلنجة)^٢ من أبوين شريفين يتصل نسبهما بالدوحة العلوية
الهاشمية .

(وبرغم الوثائق الظاهرية التي تؤكد انتسابه الى الدوحة النبوية المباركة ، كان
شديد الشغف الى ما يحقق له النسب الشريف عن طريق كسفي لا مجال
للسك فيه .

فمنَّ الله تعالى عليه بذلك ، اذ سمع في منامه من مصدر علوي ذلكم النداء :
أنت شريف أباً وأمماً .

فاستراح فؤاده ، واطمأن خاطره وحمد الله تعالى على هذه المنة العظيمة)^٣
وبعد سنوات ست من ميلاده ، انتقل والده الى رحمة الله ، فنشأ يتيم الأب
برعاية أمه الهاشمية .

وقد أحسنت أمه في تربيته وأخوته ، تربية فاضلة ، معتمدة على ما ترك لها
أبوها من إرث ، وما ترك زوجها .

وحين دخل الشيخ عبد الفتاح الى الكتّاب ليحفظ القرآن الكريم ، اشتهر بين
أترابه بسرعة حفظه وحدة ذكائه .

وبعد ان حفظ القرآن الكريم اختاره معلمه ليكون مساعداً له في تعليم القرآن

^١ قضية التصوف ص ٣٧٠

^٢ إحدى قرى مركز بنها التابع لمحافظة القليوبية بجمهورية مصر العربية

^٣ قضية التصوف ص ٣٧٠

وإحكام القراءة لأولاد قريته .

وظل يعلم أولاد القرية قراءة القران وتجويده .

وما بانت عليه سيماء الشباب حتى جذبته يد العناية الإلهية فاختلى بيته ولزم الذكر والعبادة ، واشتهر بين أهله ومعارفه بسداد الرأي والحكمة والعدالة ، فكسب احترام الكبار قبل الذين هم بسنّه ... وصار يحضر مجالس حلّ الخلافات والنزاعات وصار يجالس الشيوخ والذين يكبرونه بالعمر .

وكان يبدأ يومه مبكراً ، فكان يستيقظ قبل صلاة الفجر ليذكر الله ويسبحه ، ويصلي الفجر ثم يغدو الى المكتب لتعليم القران ، ثم يقضي فترة ما بعد الظهر في القراءة ، وكان شغوفاً لمعرفة طرق الصالحين وسيرهم .

(وذات يوم حضر الى منزله احد الشيوخ من العلماء المسنين ، فقدم اليه مخطوطاً به صيغ متعددة في الصلاة على النبي ﷺ واوصاه بقراءته وجعله ورداً يومياً ، وحين سأله عن مصدر هذه المخطوطة قال بأنها منقولة عن الشيخ الأشموني رحمه الله عالم الأزهر المشهور ، وأن لها فضل عظيم وسر عجيب وانها مقربة من حضرة رسول الله ﷺ .

فعلم الشيخ انها منة من الله تعالى ، فأكمل نسخها في بضعة أيام ، ثم جعلها ورده ، فكانت مفتاح خير عظيم .

فكان اذا حزبه أمر ، فزع الى الصلاة ، ثم قراءة هذا الورد المبارك ، فيجد اليسر والفرج من الله تعالى .

وكان يقرأها في اليوم مرات .

وحين سُئل عن ذلك قال :

انما أقرأها لنفسى مرة ، وأجبر تقصير أولادي بالمرات الباقية .

وحسبك دليلاً على عظم فضلها ، وكبير نفعها وخيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكها بيده الشريفة وقال للشيخ مناماً :

إني أحبها ، إني أحبها)^١

وهذه الصلاة هي للشيخ عبد الله بن مُجَّد الهاروشي المغربي الفاسي منشأ وداراً وهو مدفون في تونس وقبره مبارك .

وننقل هنا أزهاراً موفقة من هذه الصلوات المباركة ونرجوه سبحانه أن يمنَّ علينا ومَن قرأها بالرضوان :

((اللهم انا قد عجزنا من حيث احاطة عقولنا ، وغاية افهامنا ، ومنتهى ارادتنا ، وسوابق هممنا ، أن نصلى عليه من حيث هو ، وكيف نقدر على ذلك وقد جعلت كلامك خلقه ، وأسماءك مظهره ، ومنشأ كونك منه ، وأنت ملجؤه وركنه ، وملؤك الأعلى عصابته ونصرته .

فصل اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمصنوعاتك ، وتحقق أسمائك بإرادتك ، منه ابتدأت المعلومات ، واليه جعلت غاية الغايات ، وبه اقيمت الحجج على المخلوقات ، فهو امينك ، خازن علمك ، حامل لواء حمدك ، معدن سرك ، مظهر عرك ، نقطة دائرة ملكك ، ومحيطه ومركبه وبسيطه .

اللهم انا نسالك ان تحشرنا في زمرة ، وان تجعلنا من اهل سنته ، ولا تخالف بنا يا مولانا عن ملتة ، ولا عن طريقتة ، انك سميع الدعاء ، مجيب لمن دعا او القى السمع وهو شهيد .

اللهم كما مننت علينا بالصلاة عليه ، فامن علينا بفهم الكتاب الذي انزل اليه ، لأنه شفاء للمؤمنين ورحمة للعالمين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

اللهم صلِّ على سيدنا مُجَّد الذي أشرقت بنوره الظلم . اللهم صل على سيدنا مُجَّد المبعوث رحمة لكل الأمم . اللهم صل على سيدنا مُجَّد المختار للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم . اللهم صل على سيدنا مُجَّد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم .

^١ قضية التصوف ص ٢٧١ - ٣٧٣

اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الموصوف بأفضل الأخلاق و الشيم ، المخصوص
بجوامع الكلم و خواص الحكم ، الذى لا تنتهك فى مجالسه الحرم ، و إن مشى
تظله الغمامة حيث يم ، من انشق له القمر و كلمه الحجر و أقر برسالته و
صمم .

اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الذى اثني عليه رب العزة نسا فى سالف القدم
اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الذى صلى عليه ربنا فى محكم كتابه وأمر أن يصلى
عليه ويسلم صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته ما
أهملت الضيم وما انجرت على المذنبين أذيال الكرم وسلم تسليماً كثيراً وشرف
وكرم ، والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل على اشرف موجود ، وفضل مولود ، واکرم مخصوص ومحمود ، سيد
سادات برياتك ، ومن له التفضيل على جملة مخلوقاتك ، صلاة تناسب مقامه
وانصاره .

اللهم صل عليه ، وعلى جملة رسلك وانبيائك ، وزمر ملائكتك واصفيائك ،
صلاة تعم بركاتها المطيعين من اهل ارضك وسمائك .

اللهم انى اعوذ بعلمك من جهلي ، وبغناك من فقري ، وبعزك من ذلي ،
وبحولك وقوتك من عجزى وضعفى ، واعوذ بك ان ارد الى اردل العمر .

اللهم انى اعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك
منك ، لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك .

اللهم انى اعوذ بك ، من منكرات الاخلاق والاعمال ، والاهواء والادواء
والآراء .

اللهم يامن بيده خزائن السموات والارض ، عافنا من محن الزمان وعوارض
الفتن ، فانا ضعفاء عن حملنا ، وان كنا اهلا لها ، فعافيتك اوسع لنا يا واسع يا
عليم يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه . اللهم احسن

عاقبتنا في الامور كلها ، واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .
اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امرى ، واصلح لي دنياي التي فيها
معاشي ، واصلح لي اخرتي التي اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لي في كل
خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر .
اللهم اجعل خير عمرى اخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير ايامى يوم القاك فيه .
اللهم لا تجعل عيشي كدا ، ولا تجعل دعائي ردا ، ولا تجعلني لغيرك عبدا ، ولا
تجعل في قلبي لسواك ودا ، انى لا أقول لك ضدا ولا شريكا ولا ندا .
اللهم ارزقني نفسا قانعة بعطائك ، موقنة بلقائك ، شاكرة لنعماتك ، محبة
لأوليائك ، مبغضة لأعدائك .
اللهم وسع على رزقي في دنياي ، ولا تحجبني بها عن اخراي ، واجعل مقامي
عندك دائما بين يديك ، وبك ناظرا اليك ، وارنى وجهك الكريم ، ووارني عن
الرؤية وعن كل شيء دونك ، وارفع البين بيني وبينك ، يامن هو الاول والاخر
، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم .
اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد كما أمرتنا ان نصلي عليه .
اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد كما هو أهله .
اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد كما تحب وترضى له
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّد ، سيد الاولين والاخرين ، قائد
الغر المحجلين ، السيد الكامل الفاتح ، الخاتم الحبيب الشفيع الرؤوف الرحيم ،
الصادق الامين ، السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره ، عدد من مضى
من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة لا غاية لها ولا
منتهى ، ولا امد ولا انقضاء ، صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك ، وعلى اله
وصحبه وازواجه وذريته واصهاره وانصاره وسلم تسليما مثل ذلك واجر يا مولانا
خفى لطفك في امورنا كلها وأمور المسلمين .

اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله ، صلاة اهل السموات والارضين عليه ،
واجر يا مولانا لطفك الخفي في امرى ، وارنى سر جميل صنعك فيما أوّمله منك
يا رب العالمين .

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، أعهد
إليك في هذه الدنيا أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن
مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك، اللهم فصل على مُحَمَّد وآله، ولا تكلني
إلى نفسي طرفة عين أبداً، ولا إلى أحد من خلقك فإنك إن وكلتني إليها
تباعدي من الخير، وتقربني من الشر، أي رب لا أثق إلا برحمتك فصل على مُحَمَّد
وآله الطيبين، واجعل لي عندك عهداً تؤديه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد
اللهم لك الحمد بما أنت أهله .

فصل على مُحَمَّد بما أنت أهله .

وافعل بنا ما أنت أهله .

فإنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

اللهم أنى أسالك بحقه عليك الذي اثبتته ، وبقسمك بعمره الذي شرفته به
وفضلته ، وبمكانه منك الذي خصصته واصطفيته به ، أن تجازيه عنا أفضل ما
جزيت به نبيا عن أمته ، وتؤتيه من الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة فوق امنيته
، وتعظم عن يمين العرش نوره بما نوّرت به من قلوب عبيدك ، وان تضاعف في
حظيرة القدس حبه ، بما قاسى من الشدائد في الدعاء إلى توحيدك وان تجدد
عليه من شرائف صلواتك ولطائف بركاتك وعوارف تسليمك وكراماتك ما
تزيده به في عرصات القيامة اكراما وتعلية به في عليين مستقرا ومقاما .

اللهم واطلق لساني بإبلاغ الصلاة عليه والتسليم ، واملأ جناني من حبه وتوفيه
حقه العظيم ، واستعمل أركانى بأوامره ونواهيه ، في النهار الوضح والليل البهيم
، وارزقني من ذلك ما يبؤنى جنات النعيم ويشعرنى رحماك وفضلك العميم ،

ويقربني إليك زلفى في ظل عرشك الكريم ، ويحلني دار المقامة من فضلك ،
ويزحزحني عن نار الجحيم ، وتعطيني شفاعته يوم العرض ، وتوردني مع زميرته
على الحوض ، وتؤمنني يوم الفزع الأكبر ، يوم تبذل الأرض غير الأرض ،
وارفعني معه في الرفيق الأعلى ، واجمعني معه في الفردوس وجنة المأوى ، واقسم
لي أوفر حظ من كأسه الأوفى ، وعيشه الهني الأصفى ، واجعلني ممن شفئ
غليله بزيارة قبره وتشفى ، واناخ ركابه بعرضات حزبك وحزبه قبل أن يتوفى .
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ما أكرمك على الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ما خاب من توسل بك على الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كل من دونك محب وأنت حبيب الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأملاك تستغيث بك عند الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأنبياء والرسل ممدون من مددك الذي
خصصت به من الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأولياء أنت الذي واليتهم في عالم الغيب
والشهادة ، حتى تولاهم الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من سلك على محجتك وقام بحجتك أيده
الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله المخذول من أعرض عن الإقتداء بك ، أي
والله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أطاعك فقد أطاع الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من عصاك فقد عصى الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أتى لبابك متوسلا بك قبله الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من حط رحل ذنوبه في عتباتك ، غفر له
الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من دخل حرمك خائفاً ، أمنه الله .
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من لاذ بجنبك ، وعلق بأذيال جاهك ،
أعزه الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أم لك وأملك ، لم يجب من فضلك ،
لا والله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أملنا شفاعتك وجوارك عند الله .
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . تَوَسَّلْنَا بِكَ فِي الْقَبُولِ عَسَى وَلَعَلَّ نَكُونُ
بِمَنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِكَ نَرْجُو بُلُوعَ الْأَمَلِ وَلَا نَخَافُ الْعَكْسَ
حَاشَا وَاللَّهِ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُحِبُّوكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَأَقْفُونَ بِبَابِكَ يَا أَكْرَمَ
خَلْقِ اللَّهِ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَصَدْنَاكَ وَقَدْ فَارَقْنَا سِوَاكَ يَا وَسِيلَتَنَا إِلَى اللَّهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ جِئْنَاكَ بِشَوْقِ الْمَحَبَةِ ضَيْوفاً نَرْجُو الْقَرَى
فاجعل قرانا ما يليق بكرمك من إحسان ربك يا عزيز القدر عند الله .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَرَبُ يَحْمُونَ التَّنْزِيلَ وَيُجِيرُونَ الدَّخِيلَ وَأَنْتَ
سَيِّدُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ نَزَّلْنَا بِحَيْثُكَ وَأَسْتَجِرْنَا بِجَنَابِكَ وَأَقْسَمْنَا
بِحَيَاتِكَ عَلَى اللَّهِ أَنْتَ الْغِيَاثُ وَأَنْتَ الْمَلَأْدُ فَأَعِزَّنَا بِجَاهِكَ الْوَجِيهِ الَّذِي لَا يَرُدُّهُ
اللَّهُ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مَا دَامَتْ دِيْمُومِيَّةُ اللَّهِ صَلَاةً وَسَلَامًا تَرْضَاهُمَا وَتَرْضَى بِهِمَا
عَنَّا يَا سَيِّدَنَا يَا مَوْلَانَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ .
اللَّهُمَّ وَاَرْضَ عَن أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِ التَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِجَاهِ هَذَا السَّيِّدِ الْكَامِلِ ،
الَّذِي مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ اخْتَرْتَهُ وَاصْطَفَيْتَهُ ،
وَبِجْمِيعِ الْمَكَارِمِ خَصَصْتَهُ وَاجْتَبَيْتَهُ .

أَنْ تَمِيْتِنَا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ .

وَأَنْ تَسْعِدَنَا بِهِ وَبِلِقَائِكَ .

يَا رَحِيمَ . يَا رَحْمَنَ . يَا سَلَامَ .

وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ مَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَيْنَا فِي جَمْعِ هَذِهِ الْمَوَاهِبِ

الَّتِي وَهَبَهَا لَنَا ، ثَلَجًا فِي قُلُوبِنَا ، وَمَحْوًا لِدُنُوبِنَا ،

وَنُورًا فِي يَقِينِنَا ، وَقُوَّةً فِي إِيمَانِنَا وَتَزْكِيَةً لِأَعْمَالِنَا ، وَذَخْرًا لِأَخْرَجْتَنَا .

وَارْحَمْنَا بِهَا وَالِدِينَا وَإِخْوَانِنَا وَأَشْيَاخِنَا وَكُلَّ مَنْ انْتَمَى إِلَيْنَا .

وَانْفَعِ اللَّهُمَّ بِهَا كُلَّ مَنْ طَالَعَهَا ، وَاقْتَبَسَ مِنْهَا نُورًا يَزْكِيهِ وَخَيْرًا يَنْمِيهِ ،

وَلَا تَتَّخِذْنَا بِدُنُوبِنَا وَسُوءِ أَعْمَالِنَا ،

وَعَامِلِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِكَ ، وَنَسْأَلُكَ لَا نَسْأَلُكَ غَيْرَكَ ، بِحَقِّكَ وَحَقِّ نَبِيِّكَ ،

أَنْ تَمِيْتِنَا عَلَى دِينِهِ وَمِلَّتِهِ ،

وَأَنْ تَحْشُرْنَا فِي زَمْرَتِهِ ، وَتَحْتَ لُؤَائِهِ وَعِنَايَتِهِ ،

وَأَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبِنَا ، وَأَنْ تَسْتُرَ بِمَنْكَ عِيُوبِنَا ،

وَأَنْ تَطَهِّرَ مِنْ صَدَأِ الْغَفْلَةِ قُلُوبِنَا ،

وامح اللهم زلنا وخطايانا وأن تتجاوز عنا وعن سيئاتنا،
وأن تمون علينا سكرات الموت وما بعده من فتنة القبر والحشر،
وأن تطيبنا للموت ، وأن تجعل فيه راحتنا ،
وقنا اللهم من الأهوال العظيمة التي لا يسعنا حملها ولا ضعفنا، إلا ما كان من
عفوك وجودك ورحمتك، فأنت الجواد الكريم الغفور الرحيم.
الصلاة والسلام التامان الأكملان على سيدنا ومولانا مُحَمَّد ، الذي انعقدت له
العزة في الأزل ، وانسحب فضلها إلى مالا يزال وعلى آله وأصحابه وأزواجه
وذريته .

سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد
ما خلق في الأرض. وسبحان الله عدد ما بين ذلك.
وسبحان الله عدد ما هو خالق.
والحمد لله عدد ما خلق في السماء.
والحمد لله عدد ما خلق في الأرض .
والحمد لله عدد ما بين ذلك.
والحمد لله عدد ما هو خالق.
ولا إله إلا الله عدد ما خلق في السماء.
ولا إله إلا الله عدد ما خلق في الأرض.
ولا إله إلا الله عدد ما بين ذلك. ولا إله إلا الله عدد ما هو خالق.
والله أكبر عدد ما خلق في السماء.
والله أكبر عدد ما خلق في الأرض.
والله أكبر عدد ما بين ذلك. والله أكبر عدد ما هو خالق.
ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق في السماء.
ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق في الأرض.

ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما بين ذلك.
 ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما هو خالق.
 اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه.
 وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف به.
 وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك.
 وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك.
 وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت به
 في بياض النهار وسواد الليل، في ملاء وخلاء وسر وعلائية يا حلیم .
 (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني
 وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت
 أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك
 على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه
 لا يغفر الذنوب إلا أنت) - (ثلاث مرات).
 أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم
 لا تأخذه سنة ولا نوم وأتوب إليه .
 "اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي".
 "اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي".
 "اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي".
 (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)
 وصلي الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم^١
 وكان الشيخ رحمته الله يهيم بهذه الصلاة حباً .

^١ قضية التصوف ٣٧٣ - ٣٨١

وبعد أن جاوز عمره المبارك الثلاثين ، أحسَّ برغبة مُلحةً بنسخ القرآن بيده أجزاء .

فسارع مستجيباً لهذه الرغبة الطيبة ، فاعتكف لهذا العمل الجليل ليل نهار ، فأتمَّ كتابة المصحف بخط النسخ الواضح مع وضع علامات الوقف والشكل والرموز التي بالمصحف ، وزخرفة أوائل السور والأجزاء ، وتجليد كل جزء من الأجزاء .

وكان طويلة فترة عمله بنسخ المصحف الكريم قليل النوم والطعام ، وكان يشعر ﷺ بروحانية وهمة عالية أثناء عمله في نسخ المصحف .

العزلة :

وبعد ان أتمَّ ﷺ كتابة المصحف الشريف ، وجد في نفسه ميلاً للعزلة والابتعاد عن الناس والتفرغ للعبادة والذكر والصلاة على النبي ﷺ والاشتغال بالقران الكريم .

ثم خطر في قلبه وهو في عزلته : كيف أسلك طريق القوم بلا شيخ ؟

فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وقال له :

خير الأمور أوساطها الروح المحمدي يتولاك .

فاستيقظ مسروراً مستبشراً مطمئناً ، وازدادت همته ¹

خلواته :

ثم أمر ﷺ بالخلوة من الأيام التسع من ذي الحجة لفضلها العظيم .

وكانت هذه أولى خلواته .

ثم أمر بخلوة أربعين يوماً .

وكان في الخلوة متفرغاً للعبادة والذكر ، وكان قليل الطعام في خلوته .

يقول ﷺ بشأن طعامه في خلوته :

¹ انظر قضية التصوف ص ٣٨٣

(كنت افطر على خمس زبيبات أو سبع ، وعند السحور قد أكتفي بلقمتين أو ثلاث ، ومع ذلك لا أحس بفتور ولا ضعف)^١
وكان وهو في خلوته لا يخرج إلا للصلاة الجمعة ، ثم يعود مباشرة الى خلوته .
ثم جاءه الأمر بخلوة أمدها تسعون يوماً وقد حددوا له بدايتها وانتهاءها .
وكانت في أشد أيام الصيف حرارة .
وكان في خلوته يصوم نهاره ويقوم ليله ويفطر على خبز الشعير وقد يكون إدامه
الملح فقط او شيء لا يخرج من روح .
ثم اختتم خلواته بالخلوة الصمدانية في شهر رجب ولها شروط غير شروط
الخلوات السابقة ، ومن بعضها التخلّق بأخلاق الله تعالى ما استطاع الى ذلك
سبيلاً .

واستمرت هذه الخلوات ثلاث سنين .
ثم بعدها أتاه الأمر النبوي الشريف بالتوجه الى فضيلة الشيخ عبد الوهاب بن
فضيلة مولانا الكبير الشيخ حسنين الحصافي الشاذلي ، رضي الله عنهما ،
ليأخذ منه الخلافة .
وكان آخر أعماله المسجد اشترى أرضه ومواد بناءه وخطط مكان البناء ، إلا
ان البناء اكتمل بعد وفاته رحمه الله تعالى .
وقد يكون أهم أعماله عمله الخالد في تربية المريدين الذين تتلمذوا عليه ،
وبالأخص خليفته الشيخ عبد الجليل قاسم ، وابنه الاستاذ سليمان القاضي .
وكانت طريقته وأوراده هي الطريقة والأوراد الشاذلية المباركة .
وكما كانت له عليه السلام الهامات في تفسير آيات من القرآن الكريم

^١ قضية التصوف ص ٣٨٤

الشيخ عبد القادر الخطيب

١٣١٣هـ / ١٨٩٥م - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

اسمه ونسبه :

هو الشيخ العلامة أبو محي الدين الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبدالرزاق بن صفر أغا رئيس عشيرة الصوالح القيسية.

ولادته :

ولد في محلة الفضل وهي من الأحياء القديمة ببغداد سنة ١٣١٣هـ. الموافق سنة ١٨٩٥م.

لقبه :

لقب بالخطيب لأنه تولى الخطابة في جامع الإمام أبي حنيفة مدة طويلة.

نشأته :

نشأ في وسط عائلة تحب العلم وتعرف قدره .

فقد كان والده رحمه الله تعالى معلماً في المدرسة الحميدية ، فتعلم على يديه القرآن الكريم ثم أكمل دراسته الابتدائية ودخل دار المعلمين وتخرج منها وعين معلماً في مدرسة الفرقان.

طلبه للعلم :

شغف رحمه الله بطلب العلم ولا سيما علم القراءات وقد طوف البلدان الإسلامية لطلب هذا العلم حتى حصل على الإجازات العلمية وأصبح إمام هذه الصنعة في بغداد من غير منازع .

وكان أول طلبه لعلم القراءات من الموصل .

وفي الموصل ، ولشغفه بالقران الكريم وبقراءته درس على علمائها القراءه

والتجويد ، وأجيز بالقراءات من الشيخ مُجَّد أفندي الرضواني وأجيز من الشيخ

أحمد عبد الوهاب الجوادى، وفي سنة ١٩١٩م عاد إلى بغداد .
كما لازم علماء العراق بمختلف الفنون فدرس على يد العلامة الشيخ أحمد
الجوادى فأجازه في علم الحديث .

ودرس على يد الشيخ عبدالوهاب النائب والعلامة السيد محيى الوترى والعلامة
الشيخ قاسم القيسي والشيخ أمجد الزهاوي، والعلامة الشيخ سليمان الكركوكلي
والعلامة الشيخ عبدالرحمن القرداغي وغيرهم كثير حتى قوي عوده وأصبح من
فحول العلماء واليه انتهت مشيخة علم القراءات في العراق .

ومما يحكى عن الشيخ عبدالقادر رحمه الله تعالى أنه قال :
ذهبت إلى مصر لقراءة القراءات السبع وبعد أن أكملت القراءات السبع
ومنحت الإجازة بها طلبت أن أقرأ الثلاث بعد السبع حتى أحصل على الإجازة
في القراءات العشر . فبحثت في مصر على شيخ ادرس عليه العشر فلم أجد
ونصحتي شيخى بالذهاب إلى الشام لأنه يوجد فيها شيخ يقرأ بالعشر فطلبت
من الشيخ الكتابة له في قبولي وكم المدة التي أبقى فيها في الشام فأجابنا الشيخ
بالقبول وأعلمنا بأن المدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة فإذا كان الطالب ذكياً
يستغرق ٦ أشهر، وإذا كان بين بين يستغرق سنة كاملة فوافقت على ذلك
وكانت أيام حج فخرجت من مصر إلى الديار المقدسة وحججت ودعوت الله
سبحانه وتعالى وقلت يا رب أرجو أن لا ترجعني إلى أهلي إلا وعندى الإجازة
بالقراءات العشر، فاستجاب الله لي وأصبحت التهم العلم التهاماً، وقال الشيخ
كم تتوقعون المدة التي قضيتها في الشام وحصولي على الإجازة فاختلفت الآراء
فمنهم من قال ٦ أشهر ومنهم من قال أكثر ومنهم من قال أقل، فقال الشيخ:
لقد منحت الإجازة في القراءات الثلاث بعد السبع بأربع جلسات جلستها مع
الشيخ ثم رجعت إلى أهلي وعندى الإجازة بالقراءات العشر وقال الشيخ لقد
أصبحت بعد الدعاء عند الملتمزم في الكعبة المشرفة التهم العلم التهاماً .

صفاته :

كان رحمه الله بهي الوجه جميل الحلقة مهايا وقوراً نظيف الملبس أنيق المظهر شديد الحياء بعيداً عن الحكام لا يتزلف إلى أحد منهم ، عفيفاً وله صوت رخيم مؤثر في سامعيه عند الخطابة والتلاوة.

وكان خطبته يؤديها على نعمة الماهوري جرياً على عادة علماء بغداد.

الوظائف التي شغلها :

تولى رحمه الله تعالى عدة وظائف .

عين مدرساً للقراءات والتجويد في كلية الشريعة بالأعظمية ، وعين خطيباً في الإمام أبي حنيفة سنة ١٩٢٩م وبعد ذلك عين إماماً فيه وبقي خطيباً في جامع الإمام أبي حنيفة أربعين سنة .

وفاته :

قبر الشيخ عبد القادر الخطيب في مقبرة الخيزران في الأعظمية .

توفي من بعد صلاة العشاء ليلة ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٨٩هـ/ ٨ أيلول ١٩٦٩م، وعند عودته من حلقة من حلقات الذكر التي أقامها في تكية البندنيجي في بغداد .

وأعلن نبأ وفاته في الإذاعة العراقية ومآذن المساجد، وقد شيع صباح يوم الثلاثاء من داره في الأعظمية، إلى الحضرة القادرية وصلى عليه صلاة الجنازة فيها، ثم نقل إلى جامع الإمام الأعظم بعد صلاة العصر في موكب مهيب حافل لم تشهد له بغداد مثيلاً وأغلقت الأسواق وزحفت الجموع بالأعلام والدفوف لتحمل نعشه إلى الأعظمية، حيث صُلي عليه مرة أخرى صلاة الجنازة، ودفن في مقبرة الخيزران، وقد أبتنه العلماء والطلاب ومنهم الشيخ مُجَّد محروس المدرس.

وقد رثاه الشيخ الدكتور رشيد العبيدي بقصيدة باكية جاء فيها :

أعلاك ربك لا قصر ولا عمد
ولا أدخرت سوى التقوى ليوم غد
ولا سألت مكانا عند ممتلك
شيخ الشيوخ وما عيني بغالية
ولا الفؤاد بغالٍ إن ألمَّ به
إني أرى القوم إن قاموا وإن قعدوا
سبعون عاما بعبد القادر اتصلت
والراكضون وراء المغريات هوت
فأهناً إلى جنب النعمان تصاحبه

ولا حطام ولا جاه ولا ولد
زادا وقد غص بالجمل الغفير غد
كما يسائل منهوم ومثرد
إذا بكتك فأدمى جفنها الرمد
سقم لفقدك أو أودى به الكمد
كالذاهلين وفي سهو إذا سجدوا
تقوى وذكرى وإرشادا لمن وردوا
أم بأحلامهم فاستنبذوا وردوا
في الخلد قصرا بناه الواحد الأحد

الشيخ عبد القادر الجيلاني

درستُ العلم حتى صرت قطباً ونلت السعد من مولى الموالي
كسائي خلعة بطراز عزم وتوَجني بتيجان الكمال

كأن الخير مكتوب له ، أو كأنه مكتوب للخير .

يتيم الأب ، مكفول من جده لأمه ، يغادرهما بعد ان يغادر سن الصبا بقليل ويرتحل في دنيا المجهول يبحث عن علم يوصله الى رضا الله او يقين يكسب به راحة البال او طمأنينة القلب ، زاده حبّه لله وذاك النداء المجهول بداخله يدفعه للعلی ، فيرتقي سنام المجد ويخلد ذكره ليقترن باسم اول مدرسة للتصوف ترسم الأمان في مجتمع مضطرب ... حتى يرتحل اليه أهل الجاه ينشدون عند اليتيم حافي القدمين ما تطمئن به قلوبهم وتسكن به أرواحهم .

جاء بغداد وهو يكابد مرارة الحرمان وضائقة العيش ، يقول ﷺ :

(كنت أقتات الخرنوب من الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر و الشط ، وبلغت الضائقة من غلاء نزل ببغداد ان بقيت أياماً لم أكل طعاماً بل كنت أتتبع المنبذات أطعمها يوماً من شدة الجوع لعلني أجد ورق الخس او البقل ، او غير ذلك ، فأتقوت به ، فما ذهبت الى موضع الا وغيري قد سبقني اليه ، وان وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياً ، فرجعت امشي وسط البلد لا أدرك منبوزاً الا وقد سُبِقْتُ اليه حتى وصلت الى مسجد بسوق الرياحين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت اليه ، ووقعت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت ، اذ دخل شاب معه رغيف خبز صاف وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة ان افتح فمي من شدة الجوع حتى انكرت ذلك على نفسي فقلت : ما هذا ، وما ههنا الا الله او ما قضاه عليّ من الموت ، اذ التفت اليّ الشاب فرآني ، فقال بسم

الله يا اخي ، فأبيت ، فأقسم علي فبادرت نفسي ، فخالفتها ، فأقسم أيضاً فأجبتة ، وأكلت متقاصراً ، فأخذ يسألني ما شغلك ؟ ومن اين انت ؟ وبم تُعرف ؟ فقلت : انا متفقّه من جيلان فقال : وانا من جيلان . فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر ؟

فقلت انا هو ، فاضطرب وتغير وجهه وقال : والله لقد وصلت الى بغداد ومعني بقية نفقة فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفذت نفقتي ولي ثلاثة ايام لا اجد ثمن قوتي الا مما كان معي وقد أُحلت لي الميتة فأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء ، فكل طيباً فإنما هو مالك وانا ضيفك الآن بعد ان كنت ضيفي . فقلت له وما ذاك ؟ فقال : أملك وجهت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للاضطراب فانا معتذر اليك .

فسكّته وخيبت نفسه ودفعت اليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب يرسم النفقة فقبله وانصرف) ^١

النسب الشريف :

هو سلطان الأولياء السيد الباز الأشهب الشيخ محي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى الجيلي الحنبلي بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن مُحَمَّد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما . ^٢

يمتد نسبه ﷺ من جهة أبيه بنسب نبوة طاهر عن طريق الإمام الحسن السبط بنت فاطمة الزهراء الزكية بضعة رسول الله ﷺ .

أما نسبه من جهة أمه فينتهي كذلك الى هذا النسب الطاهر عن طريق الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما .

^١ ذيل طبقات الحنابلة ٢٩١/١

^٢ مرآة الجنان ٣٤٧/٣

فأمه (ام الخير أمة الجبار فاطمة بنت ابي عبد الله الصومعي بن ابي جمال بن السيد مُجَّد بن ابي كمال بن السيد عيسى بن ابي علاء الدين بن السيد مُجَّد بن السيد علي العريض بن الامام جعفر الصادق بن الامام مُجَّد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام)^١

القباه عليه السلام :

وهو إمام صوفي وفقه حنبلي، لقبه أتباعه بـ (باز الله الأشهب) و(تاج العارفين) و(محيي الدين) و(قطب بغداد).
وإليه تنتسب الطريقة القادرية .
يقول قدس الله سره عن نسبه :

انا الجيلي محي الدين اسمي و أعلامي على رأس الجبال
وعبد القادر المشهور اسمي وجددي صاحب العين الكمال
نبي هاشمي مكّي حجازي هو جددي به نلت الموالي^٢

فهو الحسيني نسباً والحسيني أمماً والحنبلي مذهباً والشافعي والحنبلي افتناءً .

الولادة :

ولادته عليه السلام سنة (٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م) ووفاته سنة (٥٦١ هـ - ١١٦٥ م)
وهناك خلاف في محل ولادته، حيث توجد روايات متعددة أهمها القول بولادته في جيلان في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين، والقول الآخر أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن التي تبعد حوالي ٤٠ كيلو متر جنوب بغداد، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده العائلة الكيلانية ببغداد ، (وهذا ما ذهب إليه أحد احفاده حيث أورد : ولد الإمام

^١ فتوح الغيب ص ١٨٢

^٢ الشيخ عبد القادر رؤية تاريخية ص ٩

عبد القادر في بلدة الجليل وهي قرية عراقية تابعة لمدينة المدائن قرب بغداد ، والنسبة اليها جيلي ، اما جيلاني وكيلاي فهي نسبة متأخرة والأصح الجيلي رغم اشتهار غيرها في حقب متأخرة^١

كان عبد القادر الجيلاني قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته، ولتتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة ٤٨٨ هـ الموافق ١٠٩٥ م وعمره ثمانية عشر عاماً في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله.

وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج ، في أقصى الشرق من جانب الرصافة ، وتسمى الآن محلة باب الشيخ.

نشأته :

سئل الامام الجيلاني عن مولده فقال :

لا أعلمه حقيقة ، لكنني قدمتُ بغداد في السنة التي توفي فيها التميمي ، وعمري اذ ذاك ثمان عشرة سنة . فلما كان ابو مُحَمَّد رزق الله التميمي المشار اليه في عبارة الإمام قد توفي سنة ٤٨٨ هجرية^٢ ، فإن مولد الجيلاني يكون سنة ٤٧٠ هجرية .

وهذا التاريخ هو الذي اعتمده الكثير من كتّاب السير الذين كتبوا عن الشيخ كالشطونفي وغيره .

وقد نهل الشيخ منذ سنين عمره الأولى من نبع ايمانٍ صافٍ ...
كان يتيم الأب الا ان الله عوضه من فضله وكرمه ، فهو في كنف جده لأمه الشيخ ابي عبد الله الصومعي الزاهد الصوفي كبير زهاد منطقته والذي كان

^١ الشيخ عبد القادر رؤية تاريخية ص ٩

^٢ عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب ص ٣٤ عن بحجة الأسرار

معروفاً بورعه وتقواه ، كثير النوافل ظاهر الخشوع مجاب الدعوة ، فكان يسمع من جده أدعية وأوراداً صوفية منذ بدأ يفقه ما يسمع ، كان له موعد مع النور ، فنما حب التصوف في قلب الشيخ منذ سنين عمره الأولى .

وحين كان يريد ان ينام كانت أمه وهي الفاضلة سليمة البيت العلوي الشريف تترنم بقصائد مدح النبي ﷺ فكان ينام على اسم رسول الله ومدحه ، فكأنه رضع حب النبي مع حليب أمه .

فانتقل ﷺ من حب الله الى حب الله ، يحكى ان عمته كانت من اهل الورع والتقوى فأضافت رافد حب الله الى قلبه ليسبح بالنور من كل اتجاهاته . كثيراً ما كان يستيقظ في الليل على صوت عمته تهمس بآيات من القرآن في

مناجاة رقيقة كأنه بوح محبة في محراب قدسي ، لم يكن ليستغرب فلطالما استيقظ قبلها على صوت أمه تقرأ القرآن مع خيوط الفجر الأولى في صلاتها .

مع تلك المعاني الروحية والنفحات القدسية كان يكبر الصبي الذي ينتظره شأن ، حيث سيكون مدرسة تزرع في قلوب الرجال حب الله ومعاني الإيمان والجهاد.

وحين جاوز سنوات الصبا وبعد ان دار على علماء ومشايخ بلدته شعر بحاجة الى العلم فما حصله من المعرفة لا يسد ما بقلبه من ظمأ الى التعرف على الطريق الى الله .

كان يشعر بالغبرة ففي قلبه حنين الى شيء لا يعرفه ، وروحه تتوق الى حب كبير ، لا يعرف حدوده ، ولا يعرف منتهاه ، لكنه يعرف بدايته ، انه توق الى مصير أعدّه الله له فهو موعود بتغيير مصائر الرجال ، وجرهم الى دنيا النور والقاء بذور الحب في قلوب غافلة ...

وصار كل يوم يزيد شوقه للسفر ... السفر الى بغداد ، مدينة العلم ومدارس

العلماء ، وراح شوقه يرسم لطرقات بغداد ومآذنها ومحاريب الصلاة فيها أشكالاً بألوان قدسية .

وحين تتلمس أمه شوقه الى السفر تأذن له بالسفر وتودعه وداع مفارق وتقول :
يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك لله عز وجل ... فهذا وجه لا أراه الى يوم
القيامة . فيتزوّد بتعاليم أمه ووصاياها ويحتضن شوقه الى الله ويتوجه الى بغداد .

في الطريق الى بغداد :

الكثير من المصادر انه في طريقه الى بغداد والقافلة تشق طريقها في مسلك
جبلي ، اذ هاجمتهم عصابة من قطاع الطرق سلبت القافلة كل ما يملك
المسافرون فيها من مال او تجارة او متاع .

وحين مرّ أحد اللصوص بالشيخ وكان عمره حينها ثمانية عشر عاماً ، نظر اليه
اللص والى متاعه البسيط وثيابه البسيطة ، وعندما لم يجد عنده ما يسرق انصرف
عنه وهو يقول هل عندك من شيء يا فتى ؟ فيجيب الشيخ نعم عندي اربعون
ديناراً ، ينظر اللص اليه شزراً وبمضي عنه .

ويثرّ به لص ثاني فيسأله ذات السؤال وهو يتجاوزوه ، فيجيب نعم عندي اربعون
ديناراً ، وحين يفتشه اللص ولا يجد معه شيئاً ، يسأله اللص أين الدنانير ؟
فيقول له الشيخ انها مخاظة في ثيابي ، ويخرجها الشيخ ، وفي ذهول تام وحيرة
يصطحب اللص الفتى الى رئيس اللصوص ويخبره بما جرى ، ينظر كبير
اللصوص الى الفتى بوجل ودهشة ويسأله بتعجب : ما حملك على ان تخبرنا
وكنت بمنأى عن السرقة ؟ فيقول من سيصبح لاحقاً قطب وقته وشيخ رجاله :
أوصتني أمي بالصدق ، وعاهدتها ان أكون صادقاً في كل حال .

ويريد الله لهذا الكلام ان يفعل بقلب اللص فعله ، ويشاء الله للران على قلبه ان
يذوب أمام هذا الجبل من الشموخ ، فيقول وكأنه يهمس لنفسه : عاهدت
امك ففتني ، وانا لطالما عاهدت ربي فعصيت ... انت لا تخرج عن عهدك

لأملك وأنا لا أرمي عهودي مع الله ، كأن وقوفه امام الشيخ رفعه الى دنيا من نور او من صفاء ، وتتغير الأولويات في قلبه في لحظة ، فيهتف : يشهد الله اني تبت اليه ، ويأمر اللصوص بأن يردوا ما سرقوا الى القافلة .

كان حال الشيخ في وقوفه أمام رأس اللصوص كحال النبي موسى عليه السلام وهو يقف امام العبد الصالح ، كان يعلم انه من الصالحين وأن لا شُبْهة في أفعاله ، وفوق ذلك فالله سبحانه هو الذي بعثه ليلتقيه ، لكن... حين رأى ما ظنّه خروج عن الشريعة ، أو هكذا حَسِبَهُ ، صرخ بكل جوارحه هذا خروج عن الشريعة ، لم يرى من يقف أمامه ، ولم يرى ما يدور حوله ، رأى فقط خروج عن أمر الله ...

وهكذا كان حال الشيخ ، لم يرى أمام من يقف ، ولا فكر فيما يدور حوله ، رأى أمراً يطابق الشرع أو يخالفه ، فأنحاز الى ما يرضي الله ولم يُحَسِّ بما سواه ، انهم رجال لا يعرفون كيف يعصون الله ، او انهم مُعَدِّون ليتطابقوا مع الشريعة في كل أحوالهم .

وتمضي القافلة ...

وفي صباح جميل من عام ٤٨٨ للهجرة يدخل الشيخ الى بغداد ، ليبدأ فيها رحلة جهاد ومسيرة الى مجد سُبُكتب بحروف من ذهب يقرأه الرجال لما بعد الف سنة و أكثر .

الوضع في بغداد :

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي عمت أنحاء الدولة العباسية .

عاش الشيخ الجيلاني في العصر السلجوقي ضمن الخلافة العباسية ما بين :

(٤٧ هـ - ٥٦١ هـ) فشهد عصر الخلفاء :

المستظهر بأمر الله (٤٧٨ هـ - ٥١٢ هـ) والمسترشد (٥١٢ هـ - ٥٣٠ هـ) والراشد (٥٣٠ هـ - ٥٣٢ هـ) والمقتفي لأمر الله (٥٣٢ هـ - ٥٥٥ هـ) والمستنجد بالله (٥٥٥ هـ - ٥٦٦ هـ)

ومن هنا فقد شهد الشيخ عصر الاضطرابات السياسية والفكرية ، حيث شاع الاضطهاد وقمع الحريات ، وكان الخليفة موظفاً يتلقى اوامره من السلطان السلجوقي .

اما علاقة الخلفاء بالشعب فكانت واهية تقوم على التجويع ونهب الخيرات وبتث الرعب بين الناس ، فأمعنوا بالظلم والتشريد في وقت اعتنوا فيه بقصورهم والحرص على حياة البذخ والاسراف لهم ولحواشيهم . ولم تكن الحدود آمنة فالصليبيون يهاجمون ثغور الشام ، وقبلها تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقا كثيرا من المسلمين ونهبوا أموالاً كثيرة .

وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فيستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "مُجَّد بن ملكشاه" .

ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالا، وكلما انتصر احدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة.

وكانت فرقة الباطنية قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين وقادتهم فجهز السلطان السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى إيران فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين .

وكان "صدقة بن يزيد" من أمراء بني يزيد من قبيلة بني أسد قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه .

وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين.

الأحوال الاجتماعية :

تدهورت الحياة الاجتماعية في القرن السادس الهجري بسبب الفساد السياسي الذي استنزف القدرات الاجتماعية والمادية والمعنوية ، ومما ساعد على انتشار الفتن وكثرتها الأزمات الاقتصادية وانتشار الأوبئة وضعف الدولة وشيوع الفساد ، وهذه العوامل كلها ساهمت في تدمير البنى الاجتماعية المادية والمعنوية التي كانت من مقومات القوة والنماء ، فخربت المدن وانقطعت الطرق وانتشرت السرقة، ولم تسلم منها حتى قوافل الحجاج ، حيث يغار عليها نهاراً ، لذلك ساءت العلاقات الاجتماعية المختلفة .

وفي سنة ٥٨١ هـ وقعت فتنة بين التركمان والأكراد بديار الجزيرة والموصل، قتل فيها خلق كثير، ونهبت الأموال ودامت سنين عديدة، حيث انقطعت فيها الطرق بين بلاد كثيرة ، من الشام إلى أذربيجان.

وفي مطلع القرن السابع الهجري، تواصلت الفتن في البلاد ، سواء بين الأقاليم او بين ابناء الإقليم والمدينة الواحدة .

أما الأزمات الاقتصادية فكانت أكثر من ان تحصى ، مما أدى إلى الغلاء الشديد في عموم البلاد الإسلامية ، ولم يسلم منها بلد او مدينة ، وحصلت المجاعات في أحيان كثيرة ،

فعمت هذه الأزمات البلاد الإسلامية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، مثل

تلك التي وقعت سنة ٥٤٣ هـ، وهي سنة ولادة الرازي ، حيث عم الغلاء جميع البلاد .

ومثل تلك التي حلت في سنة ٥٧٤ هـ حيث اشتد الغلاء وعم البلاد ودام إلى السنة التالية .

وقد دفعت هذه المجاعات الناس إلى أكل الدواب المحرمة والمكروهة .

أحوال البيئة والطبيعة :

وانتشرت الكوارث الطبيعية التي شهدها هذا القرن الزلازل والجفاف والفيضانات طوال هذا القرن .

وكذلك كارثة الجفاف التي أضرت بالناس وأضافت همماً لهمومهم .

مما جر إلى قلة الغلة والمحاصيل ثم إلى الغلاء وإلى ارتحال الناس عن الديار وإلى موت الحيوانات التي هي من المصادر الأساسية لمعاش الإنسان .

الخلافات الفكرية :

كان الصراع الفكري على أشده في هذا القرن بين الفرق الكلامية وبينها وبين المذاهب الفقهية .

وما وقع في هذا القرن إنما هو استمرار للاختلاف القديم في مسائل السياسة والعقائد، واصبح الخلاف الفكري الذي ينبغي له ان يوقد الفكر ويشحذه ويكون باباً للبحث عن الحقيقة ، أصبح طريقاً للتشتت وضياع الحقيقة والصراع بين الفرق المختلفة .

ونشأ علم الكلام وساد .

واشتد الخلاف في الأصول في مسائل كبرى : أولاً: الصفات والتوحيد، ثانياً: القضاء والقدر، ثالثاً: الوعد والوعيد، ورابعاً: النبوة والإمامة .

ونمت سلطة الفرق والمذاهب في ضم وتجنيد الناس في صفوفها.

وكثر العلماء المناصرين لهذا الفريق او ذاك وكان الجدال يتوجه لنصرة الفرقة

والمذهب وليس للبحث عن الحقيقة .
وظهرت حركة الزهد بين الناس وكانت تشكل بحثاً فردياً عن الخلاص يفتقد لروح الجماعة .
صاروا يندفعون إلى البحث عن الخلاص الفردي لا الجماعي، اندفاعاً جعل الحياة الاجتماعية مشلولة، وفتحوا بذلك باباً على مصراعيه أمام اليهود والنصارى، الذين تغلغلوا في وظائف الدولة، وشؤون الحياة المختلفة، وهذا ما ساهم في انتشار الأهواء والبدع.
لكل هذا فقدت دولة الخلافة هيبتها وتفككت سلطة الدولة المركزية وساد التناحر ومحاولات استقطاب مراكز القوة .
في هذا الجو المشحون دخل الشيخ قدس سره الى بغداد الذي جاء ليطلب العلم النافع الذي يزكي النفس ويقود الى رضوان الله .
لكن ... ما حوّلته سيفرض عليه لاحقاً ان يبحث سبيل خلاص لعموم الناس وليس لنفسه فحسب .

فقدته انه جاء في زمن يحتاج المسلمون فيه الى قائد مُجَدِّدٍ يحمل عن الناس همومهم واورعهم ... شيخ داعية مفكر ومرير لجيل يعيش انواع الصراع والفتن.

البداية في بغداد :

ويدخل الشيخ الى بغداد في نفس السنة التي خرج فيها الشيخ حجة الإسلام ابو حامد الغزالي منها تاركاً التدريس ماضياً الى العزلة والاعتكاف ، وكان بغداد موعودة اذا غادرها قمر أضاء فيها قمر .

وقد كابد الشيخ الجيلاني مصاعب الحياة في سبيل طلب العلم الشرعي الذي سيؤهله فيما بعد للانضمام لصفوف عظام الدعاة المدافعين عن دين الله وشريعته والمُتَّبِعِينَ لمذهب أهل السنة والجماعة... والواضع فيما بعد أسس

للتصوف ومنهجاً في تربية رجال الدعوة لله والسائرين الى مرضاته .
ويعاني من الجوع والحرمات والمرض ما لا يوصف وكأن الدنيا ارادت له ان ينثني
عن طلب العلم والاكتفاء بما حصله ، لكن قَدَرَ الشيخ ان يمضي الى المجد حتى
يصير قمراً يضيء للسالكين .

((قال الحافظ محب الدين ابن النجار في تاريخه :

كتب اليّ عبد الله بن أبي الحسن الجُبَّائي ونقلته من خطه ، حكى لنا الشيخ
عبد القادر قال :

كنت اشتغل بالفقه على المشايخ ، وأخرج الى الصحراء فلا آوي في بغداد ،
واجلس في الخراب بالليل والنهار ، وكنت ألبس جبة صوف ، وعلى رأسي
خريقة ، وأمشي وانا حافٍ في الشوك ، وما هالني شيء الا سلكته .

وقال لي :

طالبتني نفسي يوماً بشهوة ، فكنت أضاجرها ، أدخل من درب وأخرج الى
درب ، أطلب الصحراء .

فبينما انا أمشي اذ رأيت رقعة ملقاة في الطريق فأخذتها ، فقرأتها ، فاذا مكتوب
فيها: ما للأقوياء والشهوات ؟ انما خلقت الشهوات للضعفاء من عبادي ليقبوا
بها على طاعتي .

فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي .

قال : وقال لي : كنت أقتات بخرنوب الشوك ، وقمامة البقل ، وورق الخس من
جانب النهر والشط .

وكتب اليّ عبد الله الجبائي ونقلته من خطه : قال لي الشيخ عبد القادر الجيلي:
كنت يوماً جالساً على مكان في الصحراء أكرر الفقه ، وأنا في مشقة من الفقر
، فقال لي قائل لم أر شخصه : اقترض ما تستعين به على الفقه (او قال :
على طلب العلم) فقلت : كيف أقترض وانا فقير وليس لي شيء أقضيه ؟

فقال : اقترض وعلينا الوفاء .

فجئت الى رجل يبيع البقل فقلت له : تُعاملني على شرط اذا سهَّل الله لي شيئاً أعطيك ؟ وإن متُّ تجعلني في حلِّ ؟ تعطيني كل يوم رغيفاً وبنصف رغيف رشاد^١ .

قال : فبكى وقال : يا سيدي انا بـحُكمك ، أي شيء اردت فخذ مني . فكنت آخذ منه كل يوم رغيفاً وبنصف رغيف رشاداً ، فأقمت على ذلك مدة فضاقت صدري يوماً ، كيف لا أقدر على شيء أعطيه ؟ فأظن انه قال : فقيل لي : أمض الى الموضع الفلاني فأيش رأيت على الدكَّة ، فخذ ، وادفعه الى البقال^٢ او قال : فاقض به دينك .

فلما جئت الى ذلك الموضع رأيت على دكَّة قطعـة ذهب كبيرة ، فأخذتها واعطيتها للبقلي))^٣

وتضيق الحياة بالشيخ ويضيق صدره مما يجد ومما يعانیه فيقرر ان يعتزل الناس ويحتلي بنفسه يعبد الله ويذكره ... لكن .. قدره ان يعاني ، فمن رحم المعاناة يخرج الرجال ، ومن رحم العوز والحاجة يخرج الكرم والقدرة على العطاء والإيثار كان له قَدَرٌ فقدره ان ييقى بين الناس ليصنع بإذن الله رجالاً يحبون الله ويدعون اليه .

((قال لي الشيخ : وقع في نفسي ان اخرج من بغداد ، لكثرة الفتن التي بها ، فأخذت مصحفـي وعلقته على كتفي ومشيت الى باب الحلبة لأخرج منه الى الصحراء ، فقال لي قائل : الى أين تمشي ؟ ودفعني دفعة خررت منها (أظنه قال على ظهري) وقال : ارجع فإن للناس فيك منفعة .

^١ في سير اعلام النبلاء ٤٤٥/٢٠ (تعطيني كل يوم رغيفاً ورشاداً

^٢ والبقال لغة عامية معناها يتاع الأطعمة والمأكولات

^٣ انظر الروض الزاهر ص ٢٣ - ٢٦

قال فقلت : أيش عليّ من الخلق ؟ انا اريد سلامة ديني .

قال : ارجع ولك سلامة دينك .

ولم ار شخص القائل ، ثم بعد ذلك طرقتني احوال أشكلت عليّ فكنت اتمنى

على الله ان يسهل عليّ من يكشفها لي .

فلما كان من الغد اجتزت بالظفرية^١ ففتح رجل باب داره فقال : أيش سألت

الله البارحة ؟

ونسيت الذي سألت الله بالليل ، قال : فسكّث ولم ادري ما اقول له .

فاغتاظ مني ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة حتى طار الغبار من جوانب

الباب في وجهي دفعة عظيمة ، فلما مشيت قليلاً ذكرت الذي سألت الله

تعالى ، ووقع في قلبي انه من الصالحين (او قال من الأولياء) فرجعت اطلب

الباب فلم أعرفه ، فضاقت صدري ، وكان الرجل الشيخ حماد الدباس^٢ ثم عرفته

بعد ذلك ، وصحبته وكشف لي جميع ما كان يشكل عليّ))^٣

شيوخه في بغداد :

في علم الحديث أخذ الشيخ العلم عن :

((ابو غالب مُجَّد بن الحسن بن احمد بن الحسن الكرخي الباقلائي^٤ ، وابي احمد

بن المظفر ابن سوسن التمار^٥ ، وابي القاسم علي بن احمد بن مُجَّد بن بيان

الرزاز^١ ، وابي مُجَّد جعفر بن احمد بن السراج^٢ ، وابي سعد مُجَّد بن عبد الكريم

^١ محلة كبيرة بشرقي بغداد

^٢ هو الشيخ القدم علم السالكين ابو عبد الله حماد بن مسلم بن الدباس الرحبي توفي سنة

٥٢٥ هجرية

^٣ الروض الزاهر ص ٢٧ - ٢٨

^٤ توفي سنة ٥٠٠ هجرية كما في سير اعلام النبلاء ٢٣٥/١٩

^٥ توفي سنة ٥٠٣ هجرية كما في سير اعلام النبلاء ٢٤١/١٩

الكريم بن حُشيش^٢ ، والحافظ ابي الغنائم مُجَّد بن علي بن ميمون التَّرسي^٤ ،
وايي طالب عبد القادر بن ابي بكر مُجَّد بن عبد القادر بن مُجَّد بن يوسف^٥ ،
وابن عمه ابي طاهر عبد الرحمن بن احمد^٦ ، وايب غالب احمد^٧ ، ويحيى^٨ ،
اولاد ابي علي البناء^٩ ، والاستاذ ابي الحسن محب بن عبد الله الحبشي المعروف
بالدوامي ، وايب عثمان اسماعيل بن مُجَّد بن احمد بن مَلَّة الاصبهاني^{١٠} ، وايب
البركات هبة الله بن المبارك السقطي^{١١} وايب الحسين عبد الحق بن عبد الخالق
بن يوسف^{١٢} ، وايب العز مُجَّد بن المختار الهاشمي^١

^١ توفي سنة ٥١٠ هجرية كما في سير اعلام النبلاء ٢٥٧/١٩

^٢ صاحب كتاب مصارع العشاق ولد سنة ٤١٧ هـ وتوفي سنة ٥٠٠ هجرية كما في سير
اعلام النبلاء ٢٢٨/١٩

^٣ توفي سنة ٥٠٢ هجرية كما في سير اعلام النبلاء ٢٤٠/١٠

^٤ الملقب بأبي لجودة قراءته ، ولد سنة ٤٢٤ هجرية وتوفي سنة ٥١٠ هجرية كما في سير
اعلام النبلاء ٢٤٧/١٩

^٥ البغدادي اليوسفي المتوفي سنة ٥١٦ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٣٨٦/١٩

^٦ البغدادي اليوسفي ولد سنة ٤٣٥ وتوفي سنة ٥١١ هـ كما في سير اعلام النبلاء
٢٩٧/١٩

^٧ توفي سنة ٥٢٧ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٦٠٣/١٩

^٨ توفي سنة ٥٣١ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٦/٢٠

^٩ هو الامام المحدث الفقيه الواعظ المقرئ ابو علي الحسن بن احمد بن عبد الله بن البناء
البغدادي الحنبلي صاحب التصانيف .

ولد سنة ٣٩٦ هـ وتوفي سنة ٤٧١ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٣٨٠/١٨

^{١٠} توفي سنة ٥٠٦ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٣٨١/١٩

^{١١} هو الشيخ المحدث مفيد بغداد ابو البركات هبة الله بن المبارك المتوفي سنة ٥٠٩ هـ كما
في سير اعلام النبلاء ٢٨٢/١٩

^{١٢} البغدادي اليوسفي المتوفي سنة ٥٥٧ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٥٥٢/٢٠

وابي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن مُجَدِّ الاصبهاني الحافظ ^٢ ، وابي البركات
طلحة بن احمد بن الحسين بن سليمان العاقولي الفقيه ^٣)) ^٤

وأخذ الفقه عن :

((أ- القاضي ابي سعيد المبارك بن علي المُخَرَّمِي ^٥ ، شيخ الحنابلة تفقه
بالقاضي ابي يعلى وبنى مدرسة باب الأزج درّس بها بعده تلميذه الإمام عبد
القادر الجيلاني بعد ان طورها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد .

ب- ابو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي : الامام العلامة البحر
شيخ الحنابلة صاحب التصانيف المولود سنة ٤٣١ هـ وكان يتوقد ذكاءً وكان
بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير ^٦

ج- حماد بن مسلم الدباس : كان الإمام عبد القادر الجيلاني من تلامذته .
وقد أثنى ابن تيمية على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال : فأمر الامام عبد
القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ اهل الاستقامة عليهم السلام ، بأنه لا
يريد السالك مراداً قط وانه لا يريد مع ارادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله
فيه فيكون هو مراد الحق ^٧

د- ابو مُجَدِّ جعفر بن احمد البغدادي السراج : الامام البارع المحدث المسند بقية
المشايخ ، كتب بخطه الكثير وصنّف الكتب ، كان صدوقاً الف في فنون

^١ العباسي البغدادي المتوفي سنة ٥٠٨ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٣٨٣/١٩

^٢ توفي سنة ٥١١ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٣٩٥/١٩

^٣ المتوفي سنة ٥١٢ هـ كما في الذيل على طبقات الحنابلة ٣١٠/١

^٤ الروض الزاهر ص ٣٠ - ٣٢

^٥ المتوفي سنة ٥١٣ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٤٢٨/١٩

^٦ سير اعلام النبلاء ٤٢٨/١٩

^٧ فتاوي ابن تيمية ٤٥٥/١٠

شتى^١.

هـ- ابو عبد الله يحيى بن الإمام ابو علي الحسن بن احمد بن البناء البغدادي الحنبلي : كان الحافظ عبد الله بن عيسى الأندلسي يثني عليه ويمدحه ويطريه ويصفه بالعلم والفضل وحسن الأخلاق وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته ، توفي سنة ٥٣١ هجرية^٢

و- الامام ابو حامد الغزالي حيث التقيا ببغداد لفترة وجيزة وهذا ما يفسر تطابق منهجهما في كتابي احياء علوم الدين والغنية))^٣
يلاحظ من ذكر هؤلاء الشيوخ أن الإمام عبد القادر الجيلاني قد أخذ فقه الحنابلة عن أكثر من شيخ مما جعله على قدر كبير من العلم والإحاطة بفروع المذهب واجتهادات أئمتته ومصنفاتهم في ذلك.

وأخذ الأدب عن :

ابي زكريا يحيى التبريزي^٤ ثم لازم الشيخ ابا عبد الله حماد بن مسلم الدباس الزاهد الزاهد وسلك على يده ، وأخذ عن الشيخ ابي يعقوب يوسف بن ايوب بن يوسف بن الحسين الهمداني الزاهد^٥ ، لما قدم بغداد .

قال في (مرآة الزمان) : وكان الشيخ عبد القادر قد لبس خرقة المشايخ عن ابي سعد المخرمي ، ولبس المخرمي من ابي الحسن علي ابن محمد القرشي ، ولبس القرشي من ابي الفرج الطرسوسي ، ولبس الطرسوسي من ابي الفضل عبد

^١ توفي سنة ٥٠٠ هجرية

^٢ سير اعلام النبلاء ٦/٢٠

^٣ الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية ص ١١ - ١٢

^٤ امام اللغة ابو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي

توفي سنة (٥٠٢ هـ) كما في سير اعلام النبلاء ٢٦٩/١٩

^٥ توفي سنة ٥٣٥ هـ كما في سير اعلام النبلاء ٦٦/٢٠

الواحد التميمي ، ولبس التميمي من والده عبد العزيز ، ولبس عبد العزيز من ابي بكر الشبلي ، ولبس ابي بكر الشبلي من ابي القاسم الجنيد ، ولبس الجنيد من خاله سَرِي السَّقْطِي ، ولبس السَّقْطِي من معروف الكرخي ، ولبس معروف من داود الطائي ، ولبس الطائي من حبيب العجمي ، ولبس حبيب العجمي من الحسن البصري ، ولبس الحسن البصري من علي ابن ابي طالب رضي الله عَنْهُمْ اجمعين))^١

ويشاء الله لذلك الفتى الفقير الذي كان يكابد الجوع والفقر ان يكبر بتوفيق الله وبما فتح الله عليه به من العلم فيصير شيخاً يسعى اليه طلبة العلم لينهلوا من معرفته وتكون له مدرسة يعلم بها تلاميذه فنون الشريعة ويعلمهم علوم تركية الأنفس والإحسان .

بداية الظهور :

بدأ نجم الشيخ الجيلاني يبرز ونوره يشع بعد ان اتاه الأمر بتولي مدرسة شيخه ابو سعيد المخرومي وارتقاءه المنبر ليخطب في الناس .

وكان بداية ارتقاءه المنبر قبيل صلاة الظهر من يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة ٥٢١ هجرية وكان الشيخ قد بلغ الخمسين من عمره^٢ وانتظم مجلس الامام ، كان الذين يحضرون في البداية أشخاصاً ، ثم أصبحوا مجاميع بالعشرات ثم مئات ، حتى ضاقت بهم المدرسة ، واضطر الشيخ لتوسعة المدرسة لتتسع للوافدين ، وكان الناس يتبرعون للمدرسة كل بما يستطيعه ، الغني بالمال والفقير يسهم بجهده وهكذا بدأت المدرسة تتوسع وتكبر .

كان الشيخ يمضي اكثر وقته في تعليم الناس الذين كانوا يحضرون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم ، يقول ابن الشيخ الجيلاني عبد الوهاب :

^١ الروض الزاهر ص ٣٣ - ٣٤

^٢ بحجة الأسرار ص ٩٠

(كان والدي رحمه الله يتكلم في الاسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم . ومدة كلامه على الناس اربعون سنة اولها ٥٢١ هجرية وآخرها ٥٦١ هجرية ، وكان يكتب ما يقوله في مجلسه اربعمائة محبرة)^١

وكان رضي الله عنه يتكلم في ثلاثة عشر علماً ، والناس كانوا يقرءون عليه في مدرسته درساً من التفسير ودرساً من الحديث ودرساً من المذهب ودرساً من الخلاف ، وكانوا يقرءون عليه طربي النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو ، وكان رضي الله عنه يُقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر .

وظل الامام طوال اربعين عاماً يدعو الى الله ، وكان الرجال يقصدونه لما بان لهم من علامات الولاية عند الشيخ وارتفاع علمه بين الأعلام ، وظل الامام يترقى في مراتب الولاية حتى كان يوماً على منبر الرباط يعلن رياسته على سائر الاولياء حين يقول :

قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ لِلَّهِ

ويطأطي جميع الأولياء رؤوسهم ويذعنون تصديقاً واعترافاً .

ولم يقل بمثل هذا احدٌ بتاريخ التصوف قبل ذلك ولا بعده ، والشيخ قالها ليعرف عن نفسه وهو الذي حين سُئل عن الذي اوصله لما هو عليه قال :
الصدق .

وهذه العبارة ابتدأ بها صاحب كتاب بهجة الاسرار كتابه ليتحدث عن قطبية الامام قدس الله سره .

ومرة قال الإمام بلسان القطبية :

^١ بهجة الاسرار ص ٩٥

انا سيفي مشهور ، وقوسي موتور ، ونبالي مفوّقة ، وسهامي صائبة ، ورمحي مصوّب ، وفرسي مسرح ، انا نار الله الموقدة ، انا سلاب الأحوال انا بحر بلا ساحل ، انا دليل الوقت ، انا المتكلم في غيري انا المحفوظ ، انا الملحوظ ، انا المحظوظ ، يا صوّام ، يا قوّام ، اقبلوا الى امر من أمر الله ، انا أمر من أمر الله ، يا بنيات الطريق ، يا رجال ، يا ابطال ، يا اطفال ، هلموا وخذوا من البحر الذي لا ساحل له ^١

وظل الامام يدعو الى الله ، وكان اول ما ينصح به الناس : التوبة ، وان الجميع يحتاجون ان يتوبوا الى الله ، ومهما ارتقى السالك فسيظل يحتاج ان يتوب ويرجع الى الله .

وفي قول متصل بالإمام (اراد الله عز وجل مني منفعة الخلق ، فإنه اسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى وتاب أكثر من مائة الف .. وهذا خير كثير) ^٢

بداية الطريقة القادرية :

يُعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني من أول وأشهر من نظّم الصوفيّة في جماعاتٍ مُنهجة تسير وفق طريقة منضبطة، تضبط سلوك المريدين مع شيخه وسلوك الشيخ مع تلميذه وسلوك الاثنين مع الناس والبيئة المحيطة بهم، ويتجلى ذلك في وصيته لابنه عبد الرزاق حيث قال: (أوصيك بتقوى الله، وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، وأعلم يا ولدي - وفقنا الله وإياك والمسلمين - أن طريقنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان) ^٣

^١ بهجة الأسرار ص ٢١

^٢ بهجة الأسرار ص ٩٦

^٣ بهجة الأسرار ص ١١٨

وقد أصّل الجيلاي لطريقته تأصيلاً يقوم على الكتاب والسنة ولا يجيد فيه عن فهم سلف الأمة، حيث يقول في وصيته: (أدخل الظلمة بالمصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن خطر خاطر أو جدّ الهامّ فاعرضه على الكتاب والسنة؛ فإن وجدت فيهما تحريم ذلك مثل أن تلهم الزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك وأهجره ولا تقبله ولا تعمل به واقطع بأنه من الشيطان اللعين)^١

مفهوم التصوف عند الشيخ الجيلاي :

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة^٢

هذا التمسك بالشرع الذي عُرف به الشيخ طول حياته ، وصدقه الذي بان في حادثة سطو اللصوص على القافلة في مجيئه لبغداد ، وزهده الذي يفوق الوصف ويفوق الاحتمال ... هي مرتكزات الشيخ في تصوّره وتصويره للتصوف فالصدق في كل الأحوال وحتى في المواقف التي يقود فيها الصدق الى الهلكة هو منهج اهل الصدق .

يقول الشيخ الجيلاي في حديثه عن التصوف : (التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخُلُق مع الخُلُق)^٣

وحين سُئل عليه السلام عن الصوفي قال :

(الصوفي من جعل ضالته مُراد الحق منه ، ورفض الدنيا وراءه ، فخدمته ورزقته أقسامه ، وحصل له في الدنيا قبل الآخرة مرامه ، فعليه من ربه سلامه)^١

^١ فتوح الغيب ص ٦٤

^٢ قلائد الجواهر: ص ٢٣

^٣ زاد المعاد ٧١/١

وتتحدد نظرة الامام الى التصوف فهو قبل كل شيء في عبادة الله تعالى والتحقق بصدق العبودية وهي بالضرورة تتأتى من التمسك بالشرع وتطبيق الأوامر والنواهي .

ثم بعد ذلك يأتي الزهد (ورفض الدنيا ورائه) ، والمعنيان متصلان ، فمن توجه الى الله بكليته لم يبق للدنيا مكان بقلبه ، فالأصل عبادة الله وتفريغ القلب مما سواه سبحانه .

وتأتي بعد ذلك علامة القبول وعلامة صحة التوجه (وحصل له في الدنيا قبل الآخرة مرامه) فمن شعور بالرضا وبالصفاء والطمأنينة والسلام في الدنيا ، والتي ستورث رضا الله في الآخرة .

ويفرق الشيخ رحمه الله بين المتصوف والصوفي :

فالمُتصوف الذي يتكلف ان يكون صوفياً وان يتوصل بجهده ان يكون صوفياً ، فمن تَقَمَّص حال القوم وتكلف ان يكون منهم يكون متصوّف كما يقال لمن لبس القميص تَقَمَّص ومن لبس الدراعة تَدَرَّع ، كما يقال لمن دخل في الزهد متزهّد ، فاذا انتهى في زهده وبلغ وفنى عن الأشياء سمي زاهداً ، ثم تأتيه الأشياء وهو لا يريدّها ولا يبغضها بل يتمثل أمر الله فيها وينتظر فعل الله فيها ، فيقال لهذا متصوف وصوفي اذا اتصف بهذا المعنى فهو في الأصل صوفي على وزن فوعّل ، مأخوذة من المصافاة يعني عبداً صافاه الحق سبحانه وتعالى ، وهذه المعاني أو الصفات إذا تحققت في العبد بلغ مرحلة الاصطفاء كما يرى الشيخ الجيلاني، فالصوفي عنده (من صفاء النفس أو العبد الذي أصبح صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها سالكاً لحמיד مذهبه ملازماً للحقائق غير ساكن إلى أحد من الخلائق)^٢

^١ بهجة الاسرار ص ١٢٣

^٢ الغنية ص ٥٥١ - ٥٥٢

ولذلك وضع معنى اصطلاحياً للصوفي بقوله: (الصوفيّ من صفا باطنه وظاهره
بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والصوفي الصادق في تصوفه
يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل، وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق وتعفير
الوجوه وجمع الأكتاف ولقلقة اللسان وحكايات الصالحين وتحريك الأصابع
بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل والزهد في الدنيا
وإخراج الخلق من القلب وتجردّه عمّا سوى مولاه عز وجل)^١

كان عليه السلام دائماً على شرح حقيقة التصوف لطلابه وتلامذته فالفهم الصحيح
ينتج عنه سلوك صحيح ، لذا قرر الجيلاني على تلاميذه جملة من الآداب
والواجبات التي تنقي النفس وتسمو بها إلى مراتب الصفاء الروحي والنفسي .

كان عليه السلام يدعو الى التمسك بالكتاب والسنة والتزامهما كمنهج عملي في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق مع الله وإخلاص العمل له ومجاهدة
النفس في سبيل مرضاته وصحبة الصالحين ، لأن في صحبتهم حفظاً للنفس من
التقصير في الطاعة، وترك أصحاب القيل والقال والابتعاد عن مجالسهم،
والتحلّي والاتّصاف باليقين والكرم، فبهما تسمو النفس فلا تحشى قلة بعد
عطاء وبذل، وتهذيب النفس عن طريق الجوع والحرمات فلا تُلبّي بكل ما تطلبه .

كما كان يأمر تلامذته بالابتعاد عن مجالس الشهرة كي لا يصل العُجبُ إلى
النفس فيدخلها الهوى وحب الظهور، وأن يتضرع الفرد منهم دائماً إلى الله بأن
يستره ويعينه على ترك الذنوب والمعاصي وأن يرزقه التوفيق والصلاح، ويأمرهم
بالإيثار وهو أن يؤثر المرید أقرانه على نفسه فلا يتقدمهم في مجلس شيخ ولا في
بيت عالم وأن يكرمهم قدر المستطاع، وعلى المرید أن يتعلم كظم الغيظ
والمسارعة في الصفح والعفو، وتناسي إساءات الناس إليه ثم التحبب إليهم، كما
أن من أدب العلم ملازمة الشيوخ ونيل الرضا والتودد إليهم...

^١ الفتح الرباني، مجلس ٢٥ ، ص ٩٠

كما على كل منهم أن يعامل الناس على قاعدة الحب في الله والبغض فيه، يقول الشيخ الجيلاني موضحاً ذلك: (إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبعوضة، فأبشر بموافقتك لله عز وجل ولرسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه، فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بمهوك ظالمًا له ببغضك إياه وعاصيًا لله عز وجل ولرسوله مخالفًا لهما فُتّب إلى الله عز وجل)^١

هذا هو موقف الشيخ عبد القادر الجيلاني من التصوف ومفهومه ومقاصده، تصوف يسمو بالعبد إلى أعلى درجات العبودية لله موقنًا حقّ اليقين أنه لا معبود بحق سوى الله، ومترجمًا هذا بسلوكه مع نفسه ومع الناس ومع البيئة المحيطة به زاهدًا بمتاع الدنيا، وليس الزهد الذي يغيب صاحبه عن هموم أمته والنظر في أحوالها فهذا الصوفي الزاهد يبقى واحدًا من أفراد الأمة يصيبه ما يصيب المسلمين، ولا يظن نفسه بمنأى عمّا ينزل فيها من بلاء.

عند مراجعة كتابه الغنية لطالبي طريق الحق والذي ذكر فيه ثلاثة علوم، فابتدأ بالفقه في باب العبادات ثم العقائد والفرق الإسلامية، ثم الأخلاق والآداب الإسلامية والمواعظ الحسنة (التصوف).

عد بعض الباحثين، كتاب الغنية من مختصرات كتاب أحياء علوم الدين للغزالي كونه كتب على نفس المنهجية والنفوس ولكن الجيلاني توسع فيه بشكل كبير ووضع فيه جل خبرته العلمية مما جعله مرجعًا مقبولًا عند العلماء والناس. سبب تسمية الكتاب بالغنية هو القناعة التي وصل لها الجيلاني بأن العلم والفقه الحقيقي هو الذي ينعكس على سلوك الإنسان نتيجة يقينه بأن الآخرة خيرٌ من الأولى، وهو بذلك يذم ما يسمى علومًا دينية وتبني على الإغراق في التفاصيل

^١ فتوح الغيب، ص ٥٠

الفقهية وترتيب المناظرات والفوز بها، وقد قسم الكتاب إلى أربع أجزاء بعد مقدمة عن العلم والتفريق بين أنواعه.

ربع العبادات كالصلاة والزكاة والحج موضحاً لبعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بأثر العبادات هذه على قلب الإنسان .

ربع العادات كالزواج والعمل لاكتساب الرزق .

ربع المهلكات كالغرور والتكبر وحب الدنيا والجاه والإفراط شهوتي الطعام والجنس وجعلهما باباً واحداً .

ربع المنجيات بدأه بالتوبة وأن حقيقتها معرفة الله ثم الخجل منه فالندم والاعتذار ، ثم تكلم عن الصبر والخوف من الله وعبادة التفكير .

معظم ما كتبه الجليلاني في الغنية يبدأ عادة بشرح واستدلال بآية من القرآن الكريم ثم بحديث ثم بأخبار الصحابة ثم بأخبار الصالحين. إن الجدل والنقاش والرد على استدلالات أصحاب الفرق يعد أبرز معالم منهج الإمام الجليلاني في الغنية. فقد اشتهر بمناظراته لأصحاب الملل والمذاهب المختلفة مثل المعتزلة، والمرجئة، والخوارج، والشيعية، والكرامية، والفلاسفة، وغيرهم، والمتتبع للكتاب يجد كثيراً من رده على أصحاب هذه المذاهب. فقد كان مجادلاً ماهراً حيث كان يثير الأسئلة ويسرد أدلة الخصم بكل دقة وأمانة، ثم يرد عليها وينقضها بأسلوب يتمثل بالعلمية والمنهجية والموضوعية.

وضع الشيخ قواعد وأسس قويمية ومبادئ سديدة لطريقته الجليلية في كتابه (الغنية) فقال:

ولأهل المجاهدة وأولي العزم واهل المجاهدة عشر خصال جربوها لأنفسهم فاذا اقاموها واحكموها بإذن الله تعالى وصلوا الى المنازل الشريفة :

اولها : ان لا يخلف بالله عز وجل صادقاً ولا كاذباً عامداً ولا ساهياً .

ثانيها : ان يجتنب الكذب هازلاً وجاداً .

ثالثها : ان يحذر ان يَعدَّ أحداً شيئاً فيُخلِفُه وهو يقدر عليه الا من عذرٍ بيِّن او يقطع المدة البتة .

رابعها : يجتنب ان يلعن شيئاً من الخلق او يؤذي ذرة فما فوقها لأنها من أخلاق الأبرار الصادقين .

خامسها : يجتنب ان يدعوا على أحدٍ من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بفعاله . ويحتمل ذلك لله تبارك وتعالى .

سادسها : ان لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرِكٍ ولا بكفرٍ ولا نفاق ، فإنه أقرب للرحمة وأعلى للدرجة .

سابعها : يجتنب النظر او الهمم بشيء من المعاصي ظاهراً او باطناً ، ويكف عنها جوارحه .

ثامنها : يجتنب ان يجعل على أحد من الخلق مئونته سواء كانت صغيرة ، او كبيرة ، بل يرفع مئونته عن الخلق أجمعين . وفي ذلك قوة له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون الخلق عنده بمنزلة واحدة في الحق سواء .

تاسعها : ان يقطع طمعه من الخلق ، فلا يطمع في نفسه بشيء مما في أيديهم ، فذلك العز الأكبر والغنى الخالص والمملك العظيم واليقين الصادق والتوكل الصافي .

عاشرها : التواضع ، فذلك يشيد مجد درجته ويعلي مكانته ويستكمل العز والرفعة عند الله وعند الخلق .

أقوال العلماء في الشيخ الجليلاني رحمته الله :

كان شيخه أبو سعد المخرمي رحمه الله تعالى قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأرج ففوضت إلى عبد القادر .

فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت فضاقت مدرسته بالناس فكان يجلس عند سور بغداد مستنئداً إلى الرباط ويتوب

عنده في المجلس خلق كثير فعمرت المدرسة ووسعت وتعصب في ذلك العوام وأقام في مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي^١

وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وكانت فتواه تُعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه^٢

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن أحمد البندنجي رحمه الله تعالى: حضرت أنا والشيخ جمال الدين بن الجوزي رحمه الله تعالى مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه فقرأ القارئ آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجهًا، فقلت للشيخ جمال الدين: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، ثم ذكر وجهًا آخر، فقلت له: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجهًا وأنا أقول له: أتعلم هذا الوجه؟ وهو يقول: نعم، ثم الشيخ ذكر فيها وجهًا آخر، فقلت له: أتعلم هذا؟ قال: لا، حتى ذكر فيها كمال الأربعين وجهًا يعزو كل وجه إلى قائله، والشيخ جمال الدين يقول: لا أعرف هذا الوجه، واشتد عجبه من سعة علم سيدنا الشيخ رضي الله عنه^٣

يقول أبو الفتح الهروي رضي الله عنه: خدمت الشيخ عبد القادر رضي الله عنه أربعين سنة فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء^٤ وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه

^١ المنتظم لابن الجوزي: ١٧٣/١٨

^٢ انظر الطبقات الكبرى للشعراني: ١/١٠٨ - ١٠٩

^٣ قلائد الجواهر: ص ٣٨

^٤ الطبقات الكبرى للشعراني: ١/١١٠

بالعبادة والمجاهدة^١

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمس مائة فإذا بالشيخ عبد القادر مما انتهت إليه الرئاسة بها علمًا وعُلاً وحالًا واستفتاءً، كان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر وسعة الصدر، وكان مليء العين وجمع الله فيه أوصافًا جميلة وأحوالًا عزيزة ما رأيت بعده مثله^٢

ويقول الشيخ السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: الشيخ عبد القادر الجيلاني ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اغترف،

لا ثاني له في عصرنا هذا.^٣

وقال السمعاني رحمه الله تعالى: كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة.^٤

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الإشبيلي رحمه الله تعالى: في كتاب المشيخة البغدادية: عبد القادر الجيلاني فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد وشيخ جماعتهم، وله القبول التام عند الفقهاء والفقراء والعوام، وهو أحد أركان الإسلام، وانتفع به الخاص والعام، وكان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، دائم الذكر، كثير الفكر، رقيق القلب، دائم البشر، كريم النفس، سخي اليد، غزير

^١ قلائد الجواهر: ص ٢٣

^٢ بهجة الأسرار: ص ١٢٥ - ١٢٦

^٣ بهجة الأسرار ص ٣٦

^٤ سير أعلام النبلاء: ١٨٠/١٥

العلم، شريف الأخلاق، طيب الأعراق، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد^١
وقال عنه الذهبي : (الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام
وعلم الأولياء ومحبي الدين)^٢

قال الإمام النووي : ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء
أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر
الجيلاني، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة
العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان
مشايخ العراق وتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة،
وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قوله
والمصير إلى حكمه، وأُهرع إليه أهل السلوك - التصوف - من كل فج عميق.
وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم
البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظماً لأهل
العلم مُكرماً لأرباب الدين والسنة، مبعضاً لأهل البدع والأهواء محباً لمريدي الحق
مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف
شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس
على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمنه مثله^٣

قال الإمام العز بن عبد السلام : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا
الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر.^٤

قال الذهبي : الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ

^١ قلائد الجواهر: ص ٧-٨

^٢ سير أعلام النبلاء ٤٣٩/٢٠

^٣ قلائد الجواهر ص ١٣٧ نقلاً عن بستان العرافين، تأليف: النووي

^٤ سير أعلام النبلاء ٤٤٣/ ٢٠

الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو مُجَدِّ، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد.^١

قال ابن قدامة المقدسي: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علما وعملا وحالا واستفتاء، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت احداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه^٢

قال ابن رجب الحنبلي: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محيي الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانحذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم^٣

قال الحافظ ابن كثير: الشيخ عبد القادر الجيلي، كان فيه تزهّد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات^٤

قال الإمام الياضي: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو مُجَدِّ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بحلي العلوم الشرعية وتحمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام

^١ سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩

^٢ قلائد الجواهر ص ٦

^٣ الطبقات لابن رجب الحنبلي

^٤ البداية والنهاية: ابن كثير

بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء^١

قال الإمام الشعراي : طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً^٢

قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه، ومن يبلغ مبلغه، ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اغترف، لا ثاني له في وقتنا هذا^٣

قال الشيخ بقا بن بطو : كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلى ربة كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً^٤

قال عنه محيي الدين ابن عربي: وبلغني أن عبد القادر الجيلي كان عدلاً قطب وقته^٥

وفاة الإمام :

و شاء الله للباذ ان يطير في رحلته الأخيرة ، وأراد الله لعبده ان ينتقل الى مستقر رحمته بعد واحد وتسعين عاماً ظلّ يجاهد فيها نفسه والدنيا والشيطان حاملاً هموم من يعرفه من حوله ومن لا يعرفه ، فقلبه قد وسع الجميع .

^١ قلائد الجواهر ص ١٣٦

^٢ الطبقات الكبرى ١/١٢٩

^٣ قلائد الجواهر ص ٦٦

^٤ الطبقات الكبرى ١/١٢٧

^٥ الفتوحات المكية ٥ / ١٢٣

وينظر حوله ويرمي بآخر درره ليزيح السُّنُّر عما كان عليه من حال لا يعلمه الا
ربه الذي اختصه برحمة وفضل وذكّر سيمتد امتداد العشق الإلهي في الأرض ،
فمن يحبُّ الله يحب كلَّ من أحبَّ الله .

بعد ان مرض أياماً اجتمع حوله أبنائه ومحبوه ، يقول وكأنه يقرر حقيقة حاله :
(أنا لبُّ بلا قشر ...)

بيني وبينكم وبين الخلق

بُعْدُ ما بين السماء والأرض

فلا تقيسوني على أحد

ولا تقيسوا أحدٍ عليّ

وحين سأله ولده عبد العزيز عن مرضه ، قال :

لا يسألني أحدٌ عن شيء

انا اتقلب في علم الله عز وجل

ان مرضي لا يعلمه أحد ، ولا يعقله انس ولا جن ولا مَلَك

ما ينقضي عِلْمُ الله بِحُكْمِ الله

الحكم يتغير والعلم لا يتغير

يمحو ما يشاء ويثبت

وعنده أم الكتاب^١

وكانت عتمة ليلة السبت عاشر ربيع الآخر من عام ٥٦١ هجرية موعداً فراق
الشيخ المرابي ومريديه واحبابه .

^١ عبد القادر الجيلاني الباز الأشهب ص ١١٠

وما يجمل ان نختم به ، قصيدة رقيقة للسيد الغوث باز الله الأشهب يحكي بها
عن جميل فضل الله عليه ، وما خصّه به من جميل عطاءه وعظيم مننه وكرمه
سبحانه ، يقول الشيخ :

مَا فِي الصَّبَابَةِ مِنْهَا مُسْتَعْدَبُ

إِلَّا وَبِي فِيهِ الْأَلْدُ الْأَطِيبُ

أَوْ فِي الْوِصَالِ مَكَانَهُ مَخْصُوصَةٌ

إِلَّا وَ مَنَزَلِي أَعَزُّ وَ أَقْرَبُ

وَهَبْتُ لِي الْأَيَّامَ رَوْنَقَ صَفْوِهَا

فَحَلَّتْ مَنَاهِلُهَا وَطَابَ الْمَشْرَبُ

وَ عَدَوْتُ مَخْطُوبًا لِكُلِّ كَرِيمَةٍ

لَا يَهْتَدِي فِيهَا اللَّيْبُ فَيَخْطُبُ

أَنَا مِنْ رِجَالٍ لَا يَخَافُ جَلِيسَتَهُمْ

رَيْبَ الزَّمَانِ وَلَا يَرَى مَا يَرْهَبُ

أَنَا بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ أَمَلًا دَوَّحَهَا

طَرِبًا وَبِي الْعَلِيَاءُ بَاؤُ أَشْهَبُ

أَضَحْتُ جُيُوشَ الْحُبِّ تَحْتَ مَشِيئَتِي

طَوْعًا وَمَهْمَا رُمْتُهُ لَا يَعْزُبُ

مَا زِلْتُ أَرْتَعُ فِي مَيَادِينِ الرِّضَا

حَتَّى بَلَغْتُ مَكَانَهُ لَا تُوهَبُ

أَضْحَى الزَّمَانُ كَحَلَّةٍ مَرْقُومَةٍ

نَزَّهُو وَنَحْنُ هَا الطَّرَازُ الْمَذْهَبُ

أَقْلَتُ شُمُوسَ الْأَوَّلِينَ وَشَمْسَنَا

أَبْدَأُ عَلَى فَلَكَ الْعُلَى لَا تَعْرُبُ

الشيخ عبد الكريم مُجَّد المدرس

الشيخ عبدالكريم المدرس

١٩٠٥م - ٢٠٠٥م

مفتي العراق في وقته وشيخ علمائه ، ورئيس رابطة العلماء العراقيين .
من أعلام العراق ، فقيه ، ومحدث ، ومفسر ، وأصولي ، ومتكلم ولغوي ،
وأديب ، وهو كردي الأصل .

اسمه :

هو العلامة الشيخ عبدالكريم بن مُجَّد بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن مُجَّد
من عشيرة القاضي الساكنين حالياً في مركز ناحية سيد صادق في قضاء حلبجة
بالسليمانية.

لقبه :

للشيخ عبدالكريم المدرس ألقاب كثيرة اشتهر بها إلا أن اللقب الذي اشتهر به
بين الناس واستعمله بنفسه كثيراً هو (المدرّس) نسبة إلى تدرّسه العلوم الشرعية
وذلك لحبه الشديد للدرس والتدريس كما نسب إلى بيارة^١ وسمي بـ (عبدالكريم
بيارة) وذلك لكثرة بقاءه فيها، وكان مشهوراً بهذا اللقب بين علماء العراق .

ولادته:

ذكر رحمه الله تعالى أنه ولد في شهر ربيع الأول في موسم الربيع سنة ١٣٢٣هـ
الموافق سنة ١٩٠٥م.

^١ ناحية بيارة تابعة لقضاء حلبجة ، في محافظة السليمانية في كردستان العراق ، وتقع على
بعد ٦ كم شمال شرق حلبجة ، وعلى ارتفاع ٣٧٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر

نشأته :

نشأ المدرس رحمه الله تعالى في عائلة دينية متصوفة، كان والده (مُجَّد) من المحسوبين والمنسوبين للشيخ علاء الدين النقشبندي ، إلا أن والده توفي مبكراً فكفله أعمامه وأقاربه وترى في حضن أمه، ثم توفيت سنة ١٣٣٤هـ فأصبح يتيم الأبوين ومع ذلك لم يثنه اليتيم عن إكمال مسيرته العلمية .

طلبه للعلم :

كان أول عهده بالدرس عندما أخذه والده إلى مدرسة القرية لتعلم الحروف وقراءة القرآن الكريم ثم تنقل في المدارس المجاورة لقريته، وقرأ الكتب المنهجية عند جم غفير من العلماء إلى أن استقر به المطاف في مدرسة (خانقاه دورود) بإدارة حضرة الشيخ علاء الدين بن الشيخ عمر ضياء الدين بن الشيخ عثمان سراج الدين، ودرس النحو والمنطق وآداب البحث والفقہ والفلك .

وكان من اساتذته كذلك العالم الملا محمود بالك .

أقام في خانقاه حضرة مولانا خالد حيث درس على يد العلامة الشيخ عمر القره داغي علوم البرهان والتشريح والحساب والحكمة والاسطرلاب والبلاغة والفقہ .

حصل على الإجازة من العلمية من العلامة الشيخ عمر القره داغي وذلك في محفل كبير حضره كبار العلماء سنة ١٣٤٤ هـ .

اشتغاله بالتدريس :

استلم التدريس في بيارة للأعوام ١٣٤٧هـ - ١٣٧١هـ حيث حَرَّج في هذه الفترة ما يقارب خمسة وأربعين طالباً.

في سنة ١٣٧٣ هـ تعين مدرسا في مسجد الحاج حان في محلة ملكندي، وبعدها انتقل إلى كركوك حيث بقي في تكية جميل الطالبان.

انتقل إلى بغداد في سنة ١٣٧٩ هـ حيث عمل إماماً في الجامع الأحدي ثم

تعين مدرسا في جامع حضرة الشيخ علي .

اجتمع عليه كثير من الطلاب ينهلون من علومه من بلاد كثيرة من مملكة ماليزيا شرقا إلى مملكة المغرب غربا من جاوة وماليزيا وبنغلادش والباكستان والافغان وتركيا ومصر والمغرب والجزائر ومن العراق عربيها وأكرادها .

وكانت تزوره البعثات العلمية من الجامعات الإسلامية مثل الجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامعة القرويين وجامعة دار الندوة الهندية وغيرها استمر في التدريس حتى بعد تقاعده في سنة ١٣٩٣ هـ .

كلّفه السادة النقباء الشرفاء أولاد سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني بالبقاء في الحضرة القادرية لإفتاء المسلمين في الأحكام الشرعية واستمر في إلقاء الدروس على الطلاب .

حيث كان متفرغاً للإفتاء والتدريس طيلة أيام الأسبوع من بعد صلاة الفجر الى ما بعد صلاة العشاء بساعات ، فكانت غرفته في الطابق الأول من مسجد سيدنا عبد القادر الكيلاني ممتلئة على مدار الساعة ، يأمها المحبون ، وطلاب العلم ، وتلاميذ الشيخ ، وعامة الناس الذين يبحثون عن فتوى أو جواب لمسألة في الدين .

وكان ﷺ لا يذهب الى بيته إلا بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، ثم يعود ليؤدي صلاة الصبح يوم السبت في جماعة بمسجد سيدنا الكيلاني ، ويجلس بعد الصلاة للتدريس .

فكان وقته مقسّم بين التدريس والإفتاء والعبادة ، ما عدى ساعات قليلة من كل اسبوع يتفرغ فيها لرؤية عائلته .

كان ﷺ بعد ان كلّفه السادة الكرام من العائلة الكيلانية وشرفوه بتكليف البقاء في الحضرة الكيلانية للتدريس و الإفتاء للمسلمين في الأحكام الشرعية، نزيل الشيخ عبدالقادر الكيلاني إلى وفاته وتحولت حجرتة في الحضرة الكيلانية

إلى ما يشبه المضيف حيث كان يقصده فيها علماء الدين وسائر محبيه ومعارفه من مختلف المحافظات العراقية، فمنهم الزائر، ومنهم السائل ومنهم الحائر، فيصغي لاستفساراتهم الشرعية لإصدار الفتاوى وذلك لكونه مرجعاً فقهياً معتمداً ومتولي منصب الإفتاء بإجماع العلماء .

هكذا نشأ المدرس، فقد كان رحمه الله فقيهاً ورعاً، واستاذاً بارزاً، وعالمماً جليلاً، احترمه العراقيون جميعاً عربهم وكردهم وبالأخص كانت له مكانة رفيعة لدى البغداديين حيث قضى عمره في تحصيل العلوم الشرعية وإبلاغها، مؤدياً ما على عاتقه من واجب العلم .

شيوخه :

تتلمذ الشيخ المدرس على يد علماء مشهورين في مسيرته العلمية ومن هؤلاء:

الملا عبد الواحد بن الملا عبدالصمد المشهور بالهيجي .

الملا عارف بن الملا عبدالصمد الهيجي

الملا مُجَّد سعيد العبيدي

الشيخ عمر الشهير بابن القرداغي

وغيرهم كثير .

تلامذته:

إن إحصاء جميع الطلاب الذين أخذوا العلم عن المدرس أمر صعب، إذ أن الذين تتلمذوا على يده وأخذوا منه العلم وأكملوا الدراسة على يده كثيرون وينتمون إلى مختلف البقاع وسندكر بعضاً منهم:

الشيخ عبدالقادر عباس الفضلي

الشيخ الدكتور صلاح الدين السنكاوي

الشيخ حمزة الفلوجي .

الشيخ هشام الألوسي

الشيخ نائير العاني

الشيخ الدكتور محمد علي القرداغي .

حياته :

كان زاهداً عرف عنه رحمه الله ، بأنه أبيضٌ عفيفٌ لم يتنازل أو يداهن حاكماً ولم يقبل عطية أو هدية من حاكم ، أو مسؤول ... ولم يسعى الى لقاء أي مسؤول ولأبي سبب ، ويوم اجتمع به علماء ورجال الدين ورَجَّوه أن يقابل رئيس الجمهورية في الثمانينات من القرن الماضي نيابة عنهم ليقنعه بإعادة فتح المدارس الدينية التي أُغلقت بسبب الضائقة المالية التي يعيشها العراق بسبب الحصار ، اعتذر ، وقال بأن حالته الصحية لا تسمح له بلقاء المسؤولين وان أي عالم دين غيره ممكن ان يمثل جميع العلماء ويحضر لقاءات كهذه .

كان ﷺ زاهداً بسيطاً يميل الى العيش بين الفقراء ويعامل الذين يحضرون مجلسه بشكل متساوي ، رغم ان فيهم الوزراء والمسؤولين ، وفيهم عامة الناس من الفقراء البسطاء .

كان زهده نادرٌ في الدنيا ، فقد كان متجرداً يؤثر الآخرة على الأولى ، بعيداً عن كل مواطن الظهور، متواضعاً خرج من هذه الدار الفانية وليس عنده دارٌ يملكها، ولا دابة، بل ترك وراءه مكتبة كبيرة اوقفها للمكتبة القادرية وكفناً اشتراه في اثناء حجه .

ويوم اهدته الحكومة السابقة سيارة حديثة ومالاً إعانة له وتوسعة وداراً لسكناه وأهله ، فرد المبعوث وقال له :

عبد الكريم غير محتاج فأرجو ان تعطوها لذي حاجة ، وكانت تأتيه الاموال فيفرقها على طلبة العلم المحتاجين .

ثناء العلماء عليه:

مما قاله المعاصرون في حق الشيخ عبدالكريم المدرس:

قال الدكتور مصطفى الزلمي :

العلامة الشيخ عبدالكريم المدرس عالم جليل لا مثيل له في عصره بالنسبة لعلوم الآلة ، كان كريما وسخيا اتجه من يعرفه ومن لا يعرفه ، وكان ملتزما بالإسلام التزاما موضوعيا علميا بعيدا عن الخرافات والجدل.

قال الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي^١ :

كان الشيخ المدرس علماً من أعلام التدريس، بجرأً واسعاً في الفتوى فقيهاً ممن تفتخر الأمة بأمثاله وتخرج على يده الكثير من العلماء .

قال الشيخ الدكتور هاشم جميل :

كان الشيخ عبدالكريم المدرس عالماً فاضلاً متمكناً في أغلب العلوم وبالأخص الفقه الشافعي.

وكتب عنه المرحوم عبدالمجيد فهمي حسن مؤلف كتاب تاريخ مشاهير الالوية العراقية (لواء السليمانية) سنة ١٩٤٦ :

((فضيلة الملا عبد الكريم بن مُجَّد، رجل من افاضل رجال العلم وفقهه، اشتغل بتدريس هذه العلوم وهو لم يزل دائباً على توجيه تلامذته التوجيه العلمي الصحيح وقد الف عدة كتب ورسائل في هذا الشأن، وهو وقور يمشي وجلال العلم والتكشف يحف به لا يرى من دنياه الا ان يؤدي واجبه تجاه الرسالة الاسلامية لذلك لم يتزلف لحاكم ولم تهمة أمور السياسة))..

مؤلفاته وآثاره العلمية:

كان رحمه الله غزيراً في التأليف والكتابة وكتب باللغة العربية والكردية والفارسية وتتجاوز أعماله ٦٠ كتاباً وسنذكر على وجه السرعة بعضها :

^١ عالم عراقي كبير من محافظة الأنبار في العراق ، وهو الذي تولى الإفتاء في العراق بعد وفاة الشيخ عبد الكريم

مؤلفاته باللغة العربية

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن في ٧ مجلدات طبع في سنة ١٩٨٩م
جواهر الفتاوى أو خير الزاد في الإرشاد في ٣ مجلدات طبع في سنة ١٩٧١م
إرشاد الناسك إلى المناسك طبع في سنة ١٩٨٣م
الوسيلة شرح الفضيلة في مجلدين طبع في سنة ١٩٧٢م
علماءونا في خدمة العلم والدين في تراجم علماء الكورد طبع في سنة ١٩٨٣م
رسالة في بيان صلاة التراويح وعدد ركعاتها، طبعت سنة ١٩٩٠م.
إرشاد الأنام إلى أركان الإسلام .
إسناد الأعلام.
إعلام بالغيب وإلهام بلا ريب.
الأنوار القدسية في الأحوال الشخصية.
الفرائد الجديدة.
القصيدة الوردية في سيرة خير البرية.
الوردة العنبرية في سيرة خير البرية.
الوسيلة في شرح الفضيلة.
جواهر الكلام في عقايد أهل الإسلام.
خلاصة جواهر الكلام.
رسائل الرحمة في المنطق والحكمة.
رسائل العرفان.
صفوة الآلي.
علماءونا في خدمة العلم والدين.
نور الإسلام.
نور الإيمان.

مؤلفاته باللغة الكردية

- باخچه‌ی گۆل ان / حدیقة الورود.
بارانی پرهمهت / مطر الرحمة.
بههارو گۆل زار / الربیع والریاض.
بنه مأل‌ه‌ی زانیاران / أسرُ العُلماء.
بهارستان مولانا جامی / عالم ربیع مولانا جامی.
ته‌صریفی زنجانی / تصریف الزنجانی.
ته‌فسیری نامی / تفسیر نامی.
په‌ناو سكال‌ا / مديح و تضرع.
حه‌ج نامه / رسالة الحج.
خول‌اصه‌ی ته‌فسیری نامی / مختصر تفسیر نامی.
دانشمندان كرد - در خدمت علم و دین / علماؤنا في خدمة العلم والدين.
دوو رسته‌ی مرواری / حلقتان من اللؤلؤ.
دیوانی فه‌قی قادری هه‌ماوه‌ند / دیوان فقی قادر الهماوندي.
دیوانی مه‌حوی / دیوان محوي.
دیوانی مه‌وله‌وی / دیوان مولوي.
دیوانی نالی / دیوان نالی الشهرزوری.
پروژگاری ژیانم / أيام حياتي.
پروژگای به‌هه‌شت / طريق الجنة.
پریگای پئی‌غه‌مبه‌ر / سبيل الرسول.
سه‌رچاوه‌ی نایین / منبع الدين.
س‌وسه‌نی ک‌وسار / س‌وسنة الجبال.
شه‌ریعه‌تی ئیسلام - به‌رکی ١،٢،٣،٤ / الشريعة الإسلامية / أربعة أجزاء.

شه مامهى بؤندار / الشمامة العطرة.
شه وچرا / سراج الليل.
شمش ئىر كارى / السيف البتار.
عه قيدهى مرضية / العقيدة المرضية.
فوائد الفوائح / فوائد الفوائح.
كهراماتى حضرة ضياء الدين "قدس سره" / كرامات حضرة عمر ضياء الدين
"قدس سره".
له په ناى پئى غه مبهى / فى ظلال الرسول.
ليم وى مه زهدار / الليمونة الذيدة.
مه ولود نامهو ميعراج نامه / رسالة المولد النبوي ورسالة المعراج.
نوسراوه كانى كاك احمدى شيخ / مكتوبات كاك احمد الشيخ.
مناجات (پارانوهه كان) / المناجاة.
نامهى به اختيار / رسالة السعيد.
نامهى پيروز / الرسالة المقدسة.
نامهى هوشيار / رسالة النبيه.
نامهى بؤدار / الرسالة العطرة.
نوورى ئيسلام / نور الإسلام.
نوورى قورئان / نور القرآن.
هؤنراوه له په ناى پئى غه مبهى و ياوه رانيدا / منظومة شعرية فى مدح الرسول
والأصحاب.
وهفات نامه / رسالة الوفاة.
وهنه وه شهى نازدار / البنفسجة المدللة.
ووتارى ئاينى / الخطب الدينية.

يادى مهردان/ دوو به رك / ذكريات الرجال/ مجلدان.
ئه ساسى سه عادهت (بناغهى به خته وهرى) / أساس السعادة.
ئيمان وئيسلام / الإيمان والإسلام.

مؤلفاته باللغة الفارسية

رسالة شمشير كاري في رد من أنكر التقليد والاجتهاد.
وكل من يتأمل نتاجاته ويمعن النظر فيها يلاحظ وبلا عناء طول باعه وعلو
كعبه في هذه اللغات ومعرفته العميقة لأساليبها البيانية وكلها تدل على سعة
اطلاعه على مفردات اللغة وقواعدها وتمكنه منها فاللغة طوع بنانه يضع منها ما
شاء ويصوغ منها ما يوحى اليه فكره الواسع وخياله العميق .

نشاطاته العلمية :

حصر الشيخ رحمه الله جهده في التدريس والتأليف وقد ذكرنا سابقا أماكن
المساجد التي تولى فيها الإمامة والخطابة والتدريس ولكن هذا لم يمنعه من أن
يشارك في بعض الجمعيات والمجامع العلمية وهي :

رئيس رابطة علماء العراق من ١٩٧٤م إلى ٢٠٠٣م
كان عضوا عاملا في الجمع العلمي العراقي من سنة ١٩٧٩م إلى ١٩٩٦م ومن
بعدها عضو شرف .

كان عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضوا مؤازرا في مجمع اللغة
الأردني ١٩٨٠م

قتال الغزاة :

رأى الشيخ عبد الكريم عليه السلام في منامه رؤيا ، فسرها هو وبعض الصالحين الذين
يحضرون مجلسه بأن العراق سيتم احتلاله وغزوه .
وحيث وقع الاحتلال عارض الشيخ المدرس الغزو الأميركي على العراق عام
٢٠٠٣.

وقد أثار موقفه المشهود عند دخول قوات الاحتلال الأميركي إلى العراق، فقد أثار نقمة واشنطن وبغداد في ذلك الوقت بسبب فتواه القاضية بضرورة قتال الغزاة وطرد المحتلين.

وإثر ذلك، فرضت سلطات الاحتلال الأميركي والحكومة العراقية طوقاً أمنياً حول مدرسته كونه أصدر أول فتوى له في ١٤ أبريل/ نيسان عام ٢٠٠٣، أي بعد أيام من احتلال العراق بإعلان الجهاد الموحد وإجازته للنساء الخروج للقتال في مواضع محددة.

وبسبب موقفه من الاحتلال الأميركي، تعرض الشيخ المدرس إلى محاولات اغتيال آتمة، لكن تلامذته وأحبابه وأهالي منطقة باب الشيخ في بغداد كانوا سداً منيعاً أمام هذه المحاولات وأفشلوها.

تعرض بعدها إلى مضايقات عدة، حيث اعتقلوا الشيخ عبد القادر الفضلي، تلميذه وخليفته بالإفتاء، ومثله في المناسبات والاحتفالات، كما اعتقلوا طبيبه الخاص الدكتور خالد وهو تلميذه أيضاً وتركوه بدون رعاية صحية ما أدى إلى تدهور حالته.

وخلال حملة تسفير المواطنين العرب الموجودين في العراق بعد الاحتلال، اعتقلوا أيضاً أحد تلامذته ومن نذر نفسه لخدمته، الحاج صلاح المصري ، والذي جاء من مصر الى العراق إثر رؤيا في المنام ، وتفرد في العراق لخدمة الشيخ عبد الكريم والسلوك على يديه.

وقد تأثر الشيخ بذلك وحاول عبثاً السعي لإطلاق سراحه لكنه فشل، وكان ذلك أحد أسباب انتكاسة حالة المدرس الصحية.

وفاته :

توفي الشيخ رحمه الله تعالى صباح يوم الثلاثاء ٢٥ رجب ١٤٢٦ هـ المصادف ٢٩-٨-٢٠٠٥م ودفن بالمقبرة الكيلانية وحضر مراسيم تشييعه جم كثير من

العلماء وأهالي بغداد الكرام وكان يوم وفاته يوماً حزيناً للعلم وأهله في العراق
عاماً وفي كردستان خاصة .
واقامت له في بغداد وأربيل والسليمانية مجالس عزاء .

عبد الكريم بن هوازن

أبو القاسم القشيري

٩٨٦ م / ٣٧٥ هـ - ١٠٧٤ م / ٤٦٥ هـ

الإمام الزاهد ، القدوة ، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة ، الصوفي ، المفسر ، قشيري الأب ، سلمي الأم .

اسمه :

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري ، الخراساني ، النيسابوري ، الشافعي ، إمام الصوفية الجامع بين الشريعة والحقيقة ، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف ، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر ، لقب بـ (زين الإسلام) .
(صحب أبا علي الدقاق ، وغيره .

و أصله من (أستوي) ، من العرب الذين قدموا خراسان)^١

توفي أبوه وهو صغير ، وقرأ الأدب في صباه .

مولده ونشأته :

ولد القشيري بقرية تدعى "إستو" من قرى "نيسابور" في ربيع الأول من سنة ٣٧٦ هـ .

توفي أبوه وهو طفل صغير وبقي في كنف أمه إلى أن تعلم الأدب ، والعربية ، ثم رحل بعد ذلك من "إستوا" إلى نيسابور قاصداً تعلم ما يكفيه من طرق الحساب لحماية أهل قريته من ظلم عمال الخراج .

فكانت هذه الرحلة هي الأساس في تغيير حياته وتوجيهه الى ما صار عليه وعُرف به من تصوّف وعلم .

^١ طبقات الأولياء ص ٢٥٧

رحلته في طلب العلم :

كانت رحلته لتعلم الحساب ولغة الأرقام .

وفي أثناء تعلمه الحساب ، شاء الله سبحانه ان يحضر القشيري حلقة الإمام الصوفي الشهير بأبي علي الدقاق (توفي ٤٠٦ هـ) والذي كان لسان عصره في التصوف، وعلوم الشريعة .

وأراد الله للفتى الباحث في علم الحساب ان تقع تلك المحاضرة في قلبه وتملك عليه روحه والتي ستغير لاحقاً كل حياته .

ويستأذن الفتى الشيخ الدقاق بأن يحضر محاضراته وأن يكون من بين تلاميذه . ويرى الشيخ الدقاق في الفتى الصغير ما يجعله يوافق أن يكون من تلاميذه ويحضر في حلقاته بشرط أن يقرأ في الشريعة ، ويتقن علومها .

وربما هذا ما يفسر دعوة القشيري في مشروعه الإصلاحية إلى الملازمة بين علوم الشريعة والتصوف .

وقد قبل هذا الشرط وعكف على دراسة الفقه عند أئمة .

ولما انتهى منه حضر عند الإمام أبي بكر بن فورك (توفي ٤٠٦ هـ) ليتعلم الأصول. فبرع في الفقه والأصول معاً ، وصار من أحسن تلامذته ضبطاً ، وسلوكاً .

وبعد وفاة أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني (توفي ٤١٨ هـ) ، وكان يسمع جميع دروسه .

وبعد أيام ، قال له الأستاذ :

هذا العلم لا يحصل بالسماع .

فأعاد عليه ما سمعه منه في الأيام السابقة .

فقال له : لست تحتاج إلى دروسي بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي ، وتنظر في

طريقتي وإن أشكل عليك شيء طالعني به .

فجعل ذلك وجمع بين طريقتيه وطريقة ابن فورك .
ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني .
وبذلك صار القشيري بارعا في الفقه ، والأصول مما دفع بالجويني إمام الحرمين
أن يصاحبه ، ويحج معه رفقة أبي بكر البيهقي .
ولم يقتصر القشيري في تحصيل العلوم على الفقه والأصول ، بل كان متحققاً في
علم الكلام ومفسراً ، متفنناً نحوياً ولغوياً ، أديبا كاتباً شاعراً ، شجاعاً بطلاً ،
له في الفروسية واستعمال السلاح الآثار الجميلة .
و هكذا حقق الإمام القشيري ما طلبه منه أستاذه (الدقاق) في تحصيل علوم
الشريعة .

كل ذلك وهو يحضر حلقات أستاذه "الدقاق" في التصوف والمباحث النفسانية
إلى أن رأى فيه الشيخ الدقاق قبساً من النبوغ ، والعطاء فزوجه كريمته .
ويوم مات أبو علي الدقاق ، مات وهو في غاية الاطمئنان على منهجه و
محاضرات التصوف فهي بين يدي تلميذه الذي أجمع أهل عصره على أنه سيد
زمانه ، وقدوة وقته ، وبركة المسلمين في ذلك العصر .
وعندما نال القشيري هذه الشهادة أصبح أستاذ خراسان بدون منازع .

(وهو ﷺ سمع الحديث من :

أبي الحسين أحمد بن مُجَدِّد الخفاف ؛ صاحب أبي العباس الثقفي ، ومن أبي نعيم
عبد الملك بن الحسن الإسفراييني ، وأبي الحسن العلوي ، وعبد الرحمن بن
إبراهيم المزكي ، وعبد الله بن يوسف ، وأبي بكر بن فورك ، وأبي نعيم أحمد بن
مُجَدِّد ، وأبي بكر بن عبدوس ، والسلمي ، وابن باكويه ، وعدة .

حدّث عنه :

أولاده عبد الله ، وعبد الواحد ، وأبو نصر عبد الرحيم ، وعبد المنعم ، وزاهر
الشحامي ، وأخوه وجيه ، ومُجَدِّد بن الفضل الفراوي ، وعبد الوهاب بن شاه ،

وعبد الجبار بن مُجَّد الخواري ، وعبد الرحمن بن عبد الله البحيري ، وحفيده أبو
الأسعد هبة الرحمن ، وآخرون)^١

رحلته الى بغداد :

(ومن جملة أحوال أبي القاسم ما خُصَّ به من المحنة في الدين ، وظهور
التعصب بين الفريقين في عشر سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة خمس وخمسين ،
وميل بعض الولاة إلى الأهواء ، وسعي بعض الرؤساء إليه بالتخليط ، حتى أدى
ذلك إلى رفع المجالس وتفرق شمل الأصحاب ، وكان هو المقصود من بينهم
حسداً ، حتى اضطر إلى مفارقة الوطن ، وارتحل إلى بغداد ، فورد على القائم
بأمر الله ، ولقي قبولاً ، وعقد له المجلس في مجالسه المختصة به ، وكان ذلك
بمحضر ومرأى منه ، وخرج الأمر بإعزازه وإكرامه ، فعاد إلى نيسابور ، وكان
يختلف منها إلى طوس بأهله ، حتى طلع صبح الدولة ألبارسلانية فبقي عشر
سنين محترماً مطاعاً معظماً)^٢

وفي بغداد كان للشيخ مجلس وعظ وشرح حضفي باهتمام الكثير من طلاب
العلم ومن العلماء .

فعقد له مجلس الوعظ ببغداد، وروى في أول مجلس له الحديث المشهور:

السفر قطعة من العذاب . . . الحديث

فقام شخص وقال : لم سمى عذابا ؟

فقال : لأنه سبب فرقة الأحباب .

فاضطرب الناس وتواجدوا ، وما أمكنه أن يتم المجلس ، فنزل .^٣

^١ سير اعلام النبلاء ١٨ / ٢٧٨ - ٢٧٩

^٢ سير اعلام النبلاء ٢٠ / ١٠٩

^٣ طبقات الأولياء ص ٢٥٨

فتوى الإمام القشيري في الإمام الأشعري :

حدث في زمن الإمام القشيري فتنة عظيمة حيكت ضد الأشاعرة فكثر سبهم وسب الإمام أبي الحسن الأشعري، فاستُفتي الإمام عن عقيدة الأشعري فكتب كتاباً جاء فيه :

(اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع، وكان على المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيئاً مسلولاً . ومَنْ طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبّه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة. بذلنا خطوطنا طائعين بذلك في هذا الدرج في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وأربعمائة. والأمر على هذه الجملة المذكورة في هذا الذكر. وكتبه عبد الكريم بن هوازن القشيري وكتبه تحت الخبازي)^١

مؤلفاته :

لقد كان الإمام العالم الصوفي الشيخ أبو القاسم القشيري أحد الصوفية الصادقين المتحققين ، فألف كتابه الذي سماه «الرسالة القشيرية»، وهي رسالة أراد فيها المؤلف تبيان حقيقة الصوفية ، وحقيقة التصوف ، وأن عقيدتهم هي عقيدة توحيد الله وتنزيهه عن مشابهة الخلق وكل ما فيه تنقيص في حقه تعالى . والرسالة تحوي شرح للمفردات والمصطلحات التي يستعملها شيوخ التصوف في كتاباتهم وشروحهم .

إضافة لاستعراض حياة رجال التصوف ومدى انطباق منهجهم في التصوف مع احكام الشريعة .

عُرف عن الشيخ أبي القاسم القشيري كثرة تصانيفه ولا سيما بعد وفاة شيخه

^١ طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٧٤

أبي علي الدقاق، فأخذ في التصنيف وصنّف التفسير الكبير الذي سماه «التيسير في علم التفسير»، و«التحبير في التذكير» و«آداب الصوفية»، و«لطائف الإشارات» وكتاب «المناجاة»، وكتاب «نحو القلوب الكبير»، و«أحكام السماع»، و«كتاب الأربعين في الحديث»، ومؤلفات كثيرة أخرى .

أقوال العلماء فيه :

قال : وذكره أبو الحسن الباخري في كتاب " دمية القصر " وقال : لو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب .

وقال عنه الشيخ الذهبي :

الإمام الزاهد ، القدوة ، الأستاذ أبو القاسم القشيري .

كان عديم النظر في السلوك والتذكير ، لطيف العبارة ، طيب الأخلاق ، غواصا على المعاني ، صنف كتاب " نحو القلوب " ، وكتاب " لطائف الإشارات " وكتاب " الجواهر " ، وكتاب " أحكام السماع " ، وكتاب " عيون الأجوبة في فنون الأصول " ، وكتاب " المناجاة " ، وكتاب المنتهى في نكت أولى النهي " ^١

(قال أبو سعد السمعي : لم ير الأستاذ أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته ، جمع بين الشريعة والحقيقة ، أصله من ناحية أستواء ، وهو قشيري الأب ، سلمى الأم .

وقال أبو بكر الخطيب كتبنا عنه ، وكان ثقة ، وكان حسن الوعظ ، مليح الإشارة ، يعرف الأصول على مذهب الأشعري ، والفروع على مذهب الشافعي .

قال أبو الحسن الباخري ولأبي القاسم " فضل النطق المستطاب " ماهر في التكلم على مذهب أبي الحسن الأشعري ، خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد

^١ سير اعلام النبلاء ١٨ / ٢٣٠

البشري ، كلماته للمستفدين فرائد وعتبات منبره للعارفين وسائد ، وله نظم تتوج به رعوس معاليه إذا ختمت به أذنان أماليه .

قال القاضي ابن خلكان :

كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة . صنف " التفسير الكبير " وهو من أجود التفاسير ، وصنف " الرسالة " في رجال الطريقة ، وحج مع الإمام أبي مُحمَّد الجويني ، والحافظ أبي بكر البيهقي .^١

وذكره التاج السبكي في طبقاته فقال في مقدمة ترجمته :

(الأستاذ أبو القاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام، الإمام مطلقاً وصاحب الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقاً، والبسالة التي أصبح بها نجم سعادتته مشرقاً، والأصالة التي تجاوز بها فوق الفرقد ورقاً، أحد أئمة المسلمين علماً وعملاً وأركان الملة فعلاً ومقولاً، إمام الأئمة ومجلى ظلمات الضلال المدلّمة، أحد مَنْ يقتدى به في السنة ويتوضح بكلامه طرق النار وطرق الجنة، شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة الجامع بين أشتات العلوم)

وأثنى عليه عبد الغافر بن إسماعيل قائلاً :

(الإمام مطلقاً، الفقيه المتكلم الأصولي المفسر الأديب النحوي الكاتب الشاعر لسان عصره وسيد وقته، وسر الله بين خلقه، شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة، ومقصود سالكي الطريقة وشعار الحقيقة وعين السعادة وحقيقة الملاحظة، لم ير مثل نفسه ولا رأى الرائون مثله في كماله وبراعته، جمع بين علم الشريعة والحقيقة وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة)

وذكره أبو الحسن علي البخارزي في «دمية القصر» وبالغ في الثناء عليه فقال:)

^١ سير اعلام النبلاء ٢٧٧/١٨ - ٢٧٨

الإمام زين الإسلام أبو القاسم جامع لأنواع المحاسن، ينقاد إليه صعابها، ذلل
المراسن فلو قُرع الصخر بسوط تحذيره لذاب... وله «فصل الخطاب في فضل
النطق المستطاب»، ما هو في التكلم على مذهب الأشعري، كلمته للمستفيدين
فوائد، وعتبات منبره للعارفين وسائد، وله شعر يتوج به رؤوس معاليه إذا حُتِمَتْ
به أذنان أماليه)

ومن إنشاداته :

إلا حي بالدمع أطلالها وعرج لتعرف أحوالها
وهل نسيتنا بحمي عهدنا وهل مثل ما نالني نالها
وهل يرجى لزمان النوى ذهاب يقصر أذيالها
سقى الله أيامنا بالحمى وأيام سعدي، وأطلالها

وأنشد :

سقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهكم وثغر الهوى في روضة الأنس ضاحك
أقمنا زماناً ، والعيون قريرة وأصبحت يوماً ، والجفون سوافك
وكان كثيراً ما ينشد:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا وشهدت حين نكرر التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدثاً وعلمت أن من الحديث دموعاً^١

وفاته :

قال عبد العافر :

تُوِّجِي الأَسْتَاذَ أَبُو القَاسِمِ صَبِيحَةَ يَوْمِ الأَحَدِ السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ ربيعِ الآخرِ ،
سَنَةِ حَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ

وقال المؤيد في " تاريخه " أهدي للشيخ أبي القاسم فرس ، فركبه نحو من عشرين
سنة ، فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً ، ومات بعد أسبوع .^١

^١ طبقات الأولياء ص ٢٥٩ - ٢٦٠

عبد الله بن المبارك

١١٨ هـ - ١٨١ هـ

إمام، وعالم، وفقهه، ومحدث، وأحد أعلام القرن الثاني الهجري. هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، ويكنى بأبي عبد الرحمن المروزي، مولى بني حنظلة، ويُعد من تابعي التابعين، وشيخ الإسلام، وعالم زمانه، شهد له الكثير من العلماء بسعة علمه، ومنزلته العالية، وإلمامه بأنواع العلوم والمعارف المختلفة، الأمر الذي جعل طلاب العلم يفتنون إليه من كل مكان لينهلوا من علمه، حتى عُددَ آنذاك واحداً من أعظم ثلاثة أئمة في خراسان، وهم "ابن المبارك، والنضر بن شميل، ويحيى بن يحيى"، وهو إلى جانب ذلك كان يُعرف بالتقوى، والورع، والزهد، والتواضع، والكرم، وغيرها من الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة، وقد أطلقت عليه بعض كتب التراجم لقب "الشاهنشاه" أي ملك الملوك، نظراً لمكانته المرموقة، وتعظيمًا وتقديرًا لعلمه تروي كتب التاريخ ان أباه كان صالحاً من الزهاد ، وقد رويت عنه حادثة :
(يحكى عن مبارك ابي عبد الله انه كان يعمل في بستان لمولاه
واقام فيه زمانا ، ثم إن مولاه صاحب البستان جاءه يوماً وقال له :
- اريد زماناً حلواً ، فمضى إلى بعض الشجر واحضر منها زماناً فكسره فوجده
حامضاً ، فحرد عليه وقال :
اطلب الحلو فتحضر لي الحامض ؟ هات حلوا .
فمضى وقطع من شجرة اخرى فلما كسره وجده ايضا حامضاً ، فاشتد حرده
عليه ، وفعل ذلك مرة ثالثة فذاقه فوجده ايضا حامضاً ،
فقال له بعد ذلك:

انت ما تعرف الحلو من الحامض ؟

^١ سير اعلام النبلاء ١٨ / ٢٧٩

- فقال : لا
- فقال : وكيف ذلك ؟
- فقال : لأني ما أكلت منه شيئاً حتى اعرفه .
- فقال : ولم لم تأكل ؟
- قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه .
- فعجب من ذلك صاحب البستان ، وكشف عن ذلك فوجده حقاً ، فعظم في عينه ، وزاد قدره عنده ، وكانت له بنت خطبت كثيراً ؛ فقال له :
- يا مبارك ، من ترى تُزوّج هذه البنت ؟
- فقال : اهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال ، وهذه الأمة للدين
- فأعجبه عقله ، وذهب فأخبر به امها وقال لها :
- ما ارى لهذه البنت زوجاً غير مبارك .
- فتزوجها فجاءت بعبد الله بن المبارك ، فتمت عليه بركة ابيه وانته الله نباتا صالحا ورباه على عينه.^١
- وكان عبد الله أشبه الناس بأبيه ورعاً وتقياً .
- فعن مُحَمَّد بن عبد العزيز بن ابي رزمة قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول :
- نظر ابو حنيفة إلى ابي فقال :
- " ادّت امه إليك الامانة "
- وذلك لأنه كان أشبه الناس بعبد الله^٢

المولد :

ولد عبد الله بن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة بمرو ، والمروزي نسبة الى

^١ عبد الله بين المبارك ص ٤٣ - ٤٤

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٣

مرو ... ومرو أشهر مدن خراسان .

وبها تعلّم العلوم الإسلامية .

حياته :

وابن المبارك واحد من اولئك العصاميين العظام الذين رفعهم علمهم وتقواهم وعملهم النافع المفيد ، فكانت نسبته إلى العلم والشرف والجهاد إن انتسب الناس إلى الاباء والاجداد .

فهو من الموالي الذين لم يكن لهم اعمدة من النسب ، ولكن كان لهم من شرف العلم والعمل ما اغناهم عن الانتساب إلى أشرف القبائل .

وليّ رفعه علمه وعمله وتقواه ، وأعزه الله بعزه ، فصار عزيزاً مذكوراً بين الناس بعد موته بألف سنة وأكثر .

قال أشعث بن شعبة المصيبي :

قدم الخليفة هارون الرشيد الرّقة^١ ، فأنجفل^١ الناس خلف ابن المبارك ، وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة .

فأشرفت أم ولدٍ للأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان قدم .

قالت : هذا - والله - المُلْك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان^٢

كان من الموالي ، لكنه سعى الى الله ، وكل من يقترب من الله يعلو ، ويسمو ، ويصبيه من القرب خيرٌ كثير ، بل يصيبه كل الخير .

قال العباس بن مصعب :

^١ ركض الناس صوب ابن المبارك بقوة

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ٣٨٨

حدثني بعض أصحابنا قال سمعت أبا وهب يقول : مرَّ ابن المبارك برجل أعمى ، فقال له : أسألك أن تدعو لي أن يرد الله عليَّ بصري .

فدعا الله فردَّ عليه بصره وأنا أنظر^١
والله يستجيب لأحبابه ، وهو الكريم .

وكان للموالي مكانة في العلم حتى كاد ان يكون وقفاً عليهم في ذلك العصر الذي عاش فيه ابن المبارك .

لقد حفظ القرآن وتعلم العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها ، وتثقف في الفقه والحديث ، واستمر يطلب العلم بمرور الى ان بلغ الثالثة والعشرين من عمره ، وأخذ من العلوم أساساً قوياً ، وربما كان له في هذه السن المبكرة شيء من الشهرة ، فقد كان ذا حفظة قوية لا يكاد ينسى شيئاً مما يسمع .

وقد اورد الخطيب البغدادي قصة عن صديق لابن المبارك تشيد انه كان آية في الحفظ واستمساك الذاكرة ، قال :

(كنا غلمانا في الكتاب فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب، فخطب خطبة طويلة ، فلما فرغ قال لي ابن المبارك : قد حفظتها.

فسمعه رجل من القوم فقال : هاتما .

فأعادها عليه ابن المبارك حرفاً حرفاً .

وقد حفظها.

ويوم هدده أبوه بأن يحرق كتبه .

فكانت إجابة ابن المبارك إن كتبه في صدره : إنه يحفظها)^٢

كان رضي الله عنه مُيسَّرٌ للخير ، ولم يكن يتكلف في الحفظ ، بل ما كان يفيد يرسخ في عقله وقلبه .

^١ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٥

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٥

(يقول مُجَّد ابن الخضر قال أبي : قلت لعبد الله بن المبارك :

هل تحفظ الحديث ؟

قال : فتغير لونه وقال : ما تحفظت حديثاً قط ، إنما آخذ الكتاب فأنظر فيه ،
فما أشتهيهِ تعلق بقلبي)^١

البداية :

مما جاء في الفوائد البهية^٢ (أن ابا حنيفة نظر إليه يوماً وسأله عن بدء اموره ،
فقال : كنت جالسا مع إخواني في البستان فأكلنا وشربنا إلى الليل ، وكنت
مولعاً بضرب العود والطنبور ، ونمت سحراً فرأيت في منامي طائراً فوق رأسي
على شجرة يقول :

" ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق "

قلت : بلى ، فانتبهت وكسرت عودي وخرقت ما كان عندي ، فكان أول
زهدي .

ويؤيد ذلك ان ابن المبارك تأخر خروجه إلى طلب العلم حتى أصبحت سنة
ثلاثاً وعشرين سنة ؛ وذلك أنه اول ما خرج سنة إحدى واربعين ومائة .

أدبه في تحصيل العلم :

يحدثنا احمد بن سنان فيقول :

(بلغني ان ابن المبارك أتى حماد بن زيد^٣ في أول الأمر ، قال فنظر اليه فأعجبه
نحوه ، فقال له : من أين انت ؟

قال : من اهل خراسان .

^١ الإمام الرباني الزاهد ص ٢٣

^٢ للإمام اللكنوي ص ١٠٣

^٣ حماد بن زيد ابن درهم ، العلامة ، الحافظ الثبت ، محدث وقته أبو إسماعيل الأزدي ،
مولى آل جرير بن حازم البصري ، الأزرق الضرير ، أحد الأعلام ، أصله من سجستان

قال : من أي خراسان ؟ قال : من مرو .
 قال : تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك ؟
 قال : نعم . قال : ما فعل ؟ قال : هو الذي تخاطب .
 قال : فسلم عليه ورحب به ، وحسن الذي بينهم .
 وتمضي الأيام ، ويلتقي من جديد بحماد .
 وعن ذلك يقول إسماعيل بن علي بن إسماعيل : بلغني عن ابن المبارك انه حضر
 عند حماد بن زيد مسلماً عليه فقال اصحاب الحديث لحماد بن زيد :
 يا أبا إسماعيل ، تسأل ابا عبد الرحمان ان يحدثنا ؟
 فقال : يا أبا عبد الرحمان تحدثهم ، فإنهم قد سألوني .
 قال : سبحان الله يا أبا إسماعيل ، أحدثت وانت حاضر ؟
 فقال : أقسمت لتفعلن (أو نحو ذلك) .
 ومن طريف الأمر ان ابن المبارك استجاب ، فقال : خذوا .
 ولم يحدثهم إلا عن حماد بن زيد _ يعني يأتي بالحديث الذي في سنده حماد بن
 زيد)^١

الزاهد السائح :

كان عليه السلام طموحاً ، ولا يتأتى لمن هناك بمثل همته وبمثل طموحه إلا ان يضرب
 في الأرض ، طالباً ما ينقصه من علم او تقوى او مال .
 وكان لابد لرحلته ان تبدأ من بغداد حاضرة الدنيا ومقصد طلاب الدين او
 الدنيا .

(وقد خرج عبد الله الى العراق اول ما خرج سنة احدى واربعين ومائة)^٢
 كانت رحلة لطلب العلم وسماع الحديث ولللقاء كبار العلماء والعارفين .

^١ الإمام الرباني الزاهد ص ٢٢ - ٢٣

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٨

كان كثير السفر وبهمة عالية فكانت غايته كبيرة وما يطلبه كبي ، حتى قال عنه
الشيخ الذهبي :

السقار ، صاحب الرحلات الشاسعة ... فإنه من صباه ما فتر عن السفر^١
رحل الى جميع الامصار التي كان يحج اليها شدة العلم من اقصى الافاق ، فمن
اليمن في اقصى الجنوب الى الشام في اقصى الشمال الى ما بين هذين القطرين
من الحجاز والبصرة والكوفة ومصر^٢

وفيه يقول عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت ابي يقول : كان ابن المبارك ربع
الدنيا بالرحلة في طلب الحديث ، لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة
ولا البصرة ولا الكوفة^٣

و يقول ابو اسامة : ما رأيت رجلا اطلب للعلم في الآفاق من ابن المبارك^٤
وما كان للرحلة ان تتم دون ان تمر بمكة ، حيث البيت الحرام ومهبط الوحي
ومجمع العلماء ، ويشرب من ماء زمزم وينوي بالشرب من ماء زمزم أمراً يرجو
الله ان يحققه .

يقول سويد بن سعيد :

رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى منه شربة ، ثم استقبل الكعبة ،
ثم قال : اللهم ان ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر بن عن جابر عن
النبي ﷺ انه قال : ماء زمزم لما شرب له .
وهذا أشربه لعطش يوم القيامة^٥

^١ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٣

^٢ تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٨٦

^٣ عبد الله بن المبارك ص ٥٦

^٤ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٤

^٥ الإمام الرباني الزاهد ص ٢٤

وفي هذه السياحة يلتقي ابن المبارك بخيرة العلماء ، فيملكون عليه قلبه ،
وتطيب له صُحبتهم .

لقد افتتن بالفضيل بن عياض ، وافتتن بسفيان الثوري ، وافتتن بالإمام مالك ،
وافتتن بأبي حنيفة ، عليه السلام .

ابن المبارك والعلم :

يقول عنه ابن حبان :

(عبد الله بن المبارك مولى بني حنظلة من أهل مرو أبو عبد الرحمن كان مولده
سنة ثمانين عشرة ومائة وكان أحد الائمة فقها وورعا وعلما وفضلا وشجاعة
ونجدة ممن رحل وجمع وصنف وحدث وحفظ وذاكر ولزم الورع الخفي والصلابة
في الدين والعبادة الدائمة مع حسن العشرة واستعمال الادب إلى أن مات
منصرفا من طرسوس في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة وقبره بجيت
مدينة على الفرات مشهور بزار)^١

يقول صاحب وفيات الأعيان :

(أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، مولى بني حنظلة ، كان
بين العلم والزهد ، تفقه على سفيان الثوري ، ومالك ابن أنس رضي الله عنهما
، وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة ، شديد التورع ، وكذلك
كان أبوه)^٢

فكان عليه السلام جامعاً بين العلم والزهد .

(بقول عنه المؤرخون :

طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة في ابواب العلم ، وكان ثقة

^١ مشاهير علماء الأمصار ص ٢٢٧ برقم ١٥٦٤

^٢ الإمام الرباني الزاهد ص ٢٤

مأموناً حجة كثير الحديث .

ويقول عنه الذهبي :

دَوَّن العلم في أبواب الفقه وفي الغزو والزهد والرقائق وغير ذلك
وإذا كان ابن المبارك قد اشتهر بالحديث ويقول فيه أبو اسامة^١ :
كان ابن المبارك في الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس
فإنه مع ذلك اشتغل بتفسير القرآن ، ويذكر صاحب الفهرست ان له تفسيراً
للقرآن .

ولقد اشتغل بالتأريخ ، ويذكر ابن النديم أيضاً ان له كتاباً في الفتاوى .
واشتغل ابن المبارك بالفقه ، وألف فيه كتاب : السنن في الفقه^٢)
ويقول ابن سعد في طبقاته : طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتباً
كثيرة في العلم وصنوفه ، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم ، وقدم العراق
والحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن ، وسمع علماً كثيراً^٣
ورغم ان ابن المبارك قد تفقه على سفیان الثوري ، فإن سفیان وهو استاذه
يتمنى ان لو أُتيح له ان يكون كابن المبارك سنة واحدة ، او ثلاثة أيام .
وهذا تقدير كريم من الأستاذ لتلميذه .

ورغم انه تفقه على الإمام مالك وروى عنه الموطأ ، فإنه تفقه بأبي حنيفة
النعمان .

(يقول صاحب النجوم الزاهرة :

وأكثر الترحال في طلب العلم ، وروى عن جماعة كثيرة ، وروى عنه خلائق ،

^١ حماد بن أسامة بن زيد ، الكوفي الحافظ الثبت ، وكان من أئمة العلم .: سير اعلام

النبلاء ٩ / ٢٧٧

^٢ الإمام الرباني الزاهد ص ٢٥ - ٢٦

^٣ كتاب الزهد ص ٣٠

وتفقه بأبي حنيفة ^١

يقول عنه الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة بأنه كان وحيد زمانه ، وهو في ذلك يقول :

لم يكن في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه ، رحل الى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة ، وكان من رواة العلم ، وكان أهل ذلك ، كتب عن الصغار والكبار ، كتب عن عبد الرحمن بن مهدي وكتب عن الفزاري ، وجمع أمراً عظيماً ^٢

وقد رويت عنه الغرائب والعجائب في هذا الموضوع ، فقد رحل مرة من بلده مرو الى بلاد الري لسمع كلمة للحسن البصري :

(روى الخطيب البغدادي بسنده الى هارون بن المغيرة عن اسماعيل ابن مسلم عن الحسن قال :

لا تشتري مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد .

قال هارون : قدم علي ابن المبارك فجاء إلي وهو على الرحل فسألني عن هذا الحديث ، فحدثته ، فقال :

ما وضعت رحلي من مرو الا لهذا الحديث) ^٣

فهو يسافر من بلده مرو الى هارون بن المغيرة في بلاد الري ، والمسافة بينهما تقارب الالف كيلو مترا او تزيد يضرب آباط الابل ويقطع الفيافي والقفار في الليالي والهواجر ، لسمع هذه الكلمة الواحدة .

ومثل هذا الحرص لا يتأتى إلا لعالم قد وهب نفسه لعلمه ، وحرص على دقة ما يسمع وما ينقل .

^١ الإمام الرباني الزاهد ص ٢٦

^٢ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٤

^٣ عبد الله بن المبارك ص ٥٧

لقد انطلق في رحلات طويلة وقطع صحارى وقفار وعانى الكثير وتردد بين العلماء .

وقد اندفع في جميع هذه الرحلات يكتب عن كل عالم فذ وعن كل شيخ ثقة ، حتى بلغ عدد من حمل عنه من الشيوخ اربعة الاف ، فقد روى العباس بن مصعب في تاريخه ، عن ابراهيم بن اسحاق ، عن ابن المبارك ، قال : حملت عن اربعة الاف شيخ ، فرويت عن الف منهم .

ثم قال العباس بن مصعب : وقع لي من شيوخه ثمانمائة ^١

كان ﷺ ينشد العلم حيث رآه ويأخذه حيث وجدته ، لا يمنعه من ذلك ما نع ، كتب عن من هو فوقه ، وكتب عن من هو مثله ، وكتب حتى عن من هو أقل منه . وقد روي انه مات ابن له فعزاه مجوسي فقال : ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد اسبوع .

فقال ابن المبارك : اكتبوا هذه .

(وقد بلغ به ولعه بكتابة العلم مبلغا جعل الناس يعجبون منه ، فقد قيل له مرة كم تكتب ؟ فقال : لعل الكلمة التي انتقع بها لم اكتبها .

وعابه قوم على كثرة طلبه للحديث فقالوا له : الى متى تسمع ؟

فقال : الى الممات) ^٢

ولعل سبب هذا الاهتمام الشديد بالكتابة انه كان جل اعتماده عليها ، ومعظم فائدته منها ،

(فقد حدث السندي بن ابي هارون قال :

كنت اختلف مع ابن المبارك الى المشايخ فرمما قلت له : يا ابا عبد الرحمن ممن نستفيد ؟

^١ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٥

^٢ عبد الله بن المبارك ص ٥٧

فيقول : من كتبنا ^١

كان منهوماً لا يشبع من كتابة الحديث وطلبه حتى ان اساتذته ليعجبون منه ،
فهو يخدمهم ويكرمهم ويلاطفهم ثم يستفيد من علمهم وحديثهم ،
ومن طريف ذلك ما روى عيسى بن يونس - احد اساتذته - قال :
كنا بأرض الروم انا وابن المبارك ، وربما استحيت من خدمة ابن المبارك لي ،
يأخذ بركابي ، فاذا نزلنا قدم لنا الخبيص ^٢ ، فيلقمني ويقعد فيسألني عن الحديث
ويكتب ، فأقول : يا شيخ - من صنعه وبره بي - لله أبوك أما آن لك أن تشبع
؟ فيقول : ومن يشبع من هذا الشأن ^٣

الخلوة :

(كان كثير الانقطاع ، محباً للخلوة) هكذا كان وصفه في وفيات الأعيان .
كان انقطاعه ، لطلب العلم ، وخلوته في طلب العلم .
(عن شقيق البلخي انه قال : قيل لابن المبارك إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا
؟ قال : أذهب مع الصحابة والتابعين .
قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعين ؟
قال : أذهب أنظر في علمي فأدرك علمهم وأعمالهم فما أصنع معكم . أنتم
تغتابون الناس .

ومن تقديريهم له في الجانب العلمي ما رواه يحيى بن آدم قال :
كنت اذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك ، أيست منه
كان طلبه العلم لله وحده وابتغاء مرضاته ، ولم يطلبه ليجاري به العلماء ، ولا
ليماري به السفهاء ، ولا ليشار اليه بالبنان ، ولا ليكسب به الدرهم والدينار ،

^١ حلية الأولياء ٨ / ١٥٦

^٢ طعام يصنع من التمر والسمن

^٣ عبد الله ابن المبارك ص ٥٩ - ٦٠

فقد كان كما يقول الخطيب البغدادي : من الربانيين في العلم^١ ، فهو لا يطلبه إلا لوجه الله ولا يأخذه إلا ممن يحدث لله ايضا.. وكان عليه السلام يقول :

من شرط العالم ألا تخطر محبة الدنيا على باله .

وهو رغم ترحاله الكثير وتنقله بين المدن يجالس العلماء ويسمع منهم ، رغم كل ذلك فما كان يكتفي بكثرة الاسفار ، والكتابة عن الشيوخ ، بل كان يطيل الجلوس في بيته يشتغل بكتب الحديث ، ولا يشعر بالضيق والوحشة لأنه كان يحس أنه جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، فعن نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، ف قيل له : ألا تستوحش ؟

فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟^٢

وروي أنه قيل له : انك تكثر الجلوس وحدك ؟

فغضب وقال : انا وحدي ؟ انا مع الانبياء والاولياء والحكماء والنبي واصحابه ، ثم انشد هذه الايات :

ولي جلساء ما أملّ حديثهم

ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

إذا ما اجتمعنا كان حسن حديثهم

معينا على دفع الهموم مؤيدا

يفيدونني من علمهم علم ما مضى

وعقلا وتأديبا ورايا مسددا

بلا رقة اخشى ولا سوء عشرة

^١ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٤

ولا اتقي منهم لسانا ولا يدا

فإن قلت : أحياء فُلتست بكاذب

وإن قلت : أموات فُلتست مفندا^١

تلاميذ عبدالله بن المبارك :

حدث عنه :

معمر بن راشد، وسفيان الثوري، وأبو إسحاق الفزاري، وطائفة من شيوخه،
ويقبة بن الوليد، وابن وهب، وابن مهدي، وطائفة من أقرانه، وأبو داود،
وعبدالرزاق بن همام، وابن مَعِين، وحبان بن موسى، وأبو بكر بن أبي شيبة،
ويحيى بن آدم، وعَبْدَان بن عثمان، وأبو أسامة، ومسلم بن إبراهيم، والحسن بن
الربيع، وأحمد بن منيع، وعلي بن حُجْر، والحسن بن عيسى، والحسن بن عرفة،
ويعقوب الدَّورقي، وأمم يتعذر إحصاؤهم^٢

نظرة على حياة ابن المبارك :

كان ﷺ عالم عمل بما علم حتى لا يكون علمه حجة عليه يوم القيامة ؛ يوم لا
ينفع إلا قلب سليم وعمل متقبل .

وقد كان ﷺ يرى ان الزيادة في العلم ينبغي أن تتبعها زيادة في العمل، وإلا فلا
فائدة في العلم ، وقد كان يلتزم هذا في نفسه لح وبنه
الناس إليه بسلوكه وبكلامه .

إن ابن المبارك قد جمع كل خصلة محمودة ، حتى أصبحت سيرته نسيماً تستروح
به القلوب ، وتنشرح له الصدور، وتلذذ به النفوس ، حتى قال فيه إسماعيل بن
عياش :

ما على وجه الارض مثل عبد الله بن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من

^١ عبد الله بن المبارك ص ٦٢

^٢ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٨٠

خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله ابن المبارك^١
فكان الفضائل كلها اجتمعت في رجل ، وكل الفضائل مستمدة من كتاب الله
تعالى وسنة نبيه الكريم وسيرته .

وقد جعل ابن المبارك كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم وسيرته قدوته ، ووضعها
أمامه طيلة حياته ، فكانت الميزان الذي يلجأ اليه في كل أمر يمر به ، صغيراً
كان أم كبير .

فاجتمعت فيه لذلك خصال الخير وأنواع المحامد ؛ حتى ليتقرب الناس بحبه إلى
الله تعالى ، بل حتى يتقرب العلماء والصلحاء بحبه إلى الله تعالى ... وذلك
لعبادته وتقواه وصلاحه واجتهاده في العبادة والعمل والجهاد في سبيل الله .
كان عالماً يعمل بعلمه متمسكاً بالكتاب والسنة .
كان عالماً عارفاً زاهداً .

زاهداً غني ، كان تاجراً زاهداً فهو قد نفذ الى جوهر الزهد ولبته ومعناه ، بعد ان
اجتاز قشوره .

ويوم يسأله الفضيل عن اجتماع الغنى والزهد عنده ، يجيب بجواب العارفين
الصادقين العاملين بما علموا .

(حدثني علي بن الفضيل بن عياض قال : سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك :
أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغه ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى
البلد الحرام ، كيف ذا ؟
فقال ابن المبارك :

يا أبا علي ، إنما أفعل ذا لأصون به وجهي ، وأكرم به عرضي ، وأستعين به
على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به .

فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذاك^١

^١ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٧

وكان عليه السلام يقول :

لا يخرج العبد عن الزهد إمساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس^٢
كان غنياً زاهداً ، او زاهداً غني ... لم يُشغله كسب المال عن الله ، بل كَسَبَ
حلالاً ، وأنفقه فيما يرضي الله ويقربه اليه .

زاهد لكنه غني ، وله أموال وفيرة وتجارة واسعة لكنه زاهد ، وقد كان له رأس
مال نحو أربعمائة ألف يتجر به في البلدان ، وكان يربو كسبه في كل سنة على
مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم ، وربما أنفق من رأس ماله^٣
وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها ، وفيها من أنواع المأكول من اللحم
والدجاج والحلوى وغير ذلك .

ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد^٤
وقد صحبه قوم من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص^٥ وهو الدهر
صائم^٦

كان زهده زهد اختيار لا زهد اضطرار .

وزهد الغنى لا زهد الفاقة والحرمان ، ولرب غني واسع الغنى كعثمان والزبير وابن
عوف كان أزهد في الدنيا من كثيرين ممن يلبسون مرقعات الصوف ، ويكتفون
بالخبز والملح ، وينامون على التراب ، وقلوبهم متعلقة بالدنيا ، وأنظارهم شرهة
إلى ما في أيدي الاغنياء .

^١ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٠

^٢ طبقات الشعراي ١ / ٦٠

^٣ البداية والنهاية ١٠ / ١٧٧

^٤ البداية والنهاية ١٠ / ١٧٨

^٥ طعام من التمر والسمن

^٦ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٧

وكان ﷺ كريماً يؤثر على نفسه ، وكأنه كان يتاجر ويربح ليُطعم غيره وهو صائم ، كان غنياً يتاجر بأمواله مع الله ، يتقرب بما ينفق ، ويستعمل أمواله يسد بها حاجة إخوانه فيُطعم جائع ويكسو عارٍ ، ويتقرب بما يكسب من الله ، فكان غناه خيراً لمن حوله من الفقراء .

جمع هذا المال من عمله وكسب يمينه .

جمعه لا ليخلفه إرثاً لمن بعده ، ولا ليركمه في الصناديق ، ولا ليبذره في الحصول على الاثاث والتحف النفيسة . لقد كان ابن المبارك اعقل من ذلك ، فما كان له -وهو الورع العاقل الزاهد التقى الذي باع ديناه باخرته ، وآثر ما يبقى على ما يفنى- ان يعود فيجمع المال ليكون عليه وزرا ، وان لا يسارع إلى إنفاقه في سبيل الله وسائر وجوه الخير ، فقد جعل غناه طاعة لله ، وباع الله نفسه فجاهد في سبيل الله ، وماله فأنفقه في طرق البر ، ثم استبشر بهذا البيع موقناً ان الصفقة رابحة وان الآخرة خير لمن اتقى .

كان يخصص مائة الف درهم في كل سنة ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم ، وهذا كل ما يربحه من تجارته ، بل كان كثيراً ما ينفق من راس ماله ايضاً ، بل لقد كانت غايته من التجارة والكسب ان ينفق على الفقراء والعلماء والزهاد والعباد، ولأجل هذا كان يعمل ويسافر ويتاجر ، وقد قال يوماً للفضيل بن عياض :

لولا انت واصحابك ما تجرت^١

كانت الصدقة غايته من التجارة ، وكان يُنمي ماله ليكون طريقاً الى مرضاة الله ، فكان يقضي به حوائج المسلمين .

كان يجب ان يتصدق ، وينصح بالصدقة .

فعن علي بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك وقد سأله رجل فقال :

^١ عبد الله بن المبارك ص ٢٠٥

يا أبا عبد الرحمن ، قرحة خرجت من ركبتي منذ سبع سنين ، وقد عاجلتها
بأنواع العلاج ، وسألت الاطباء فلم أنتفع به ؟
قال : اذهب فانظر موضعا يحتاج الناس الماء فاحفر هناك بئرا ، فإني ارجو ان
تنبع هناك عين ، ويمسك عنك الدم .

ففعل الرجل فبراً . رواه البيهقي ^١

كانت الصدقة عنده فعلاً موجهاً له غايته وأسبابه ، واماكنه الأحسن والأفضل
فكان يختار على عِلْمٍ مكان انفاقه .

ولقد عوتب فيما يفرق من المال في البلدان ولا يفعل مثل ذلك في أهل بلده ،
فقال : إني اعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، طلبوا الحديث فأحسنوا
الطلب للحديث ، بحاجة الناس إليهم احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع علمهم ،
وإن أعناهم بثوا العلم لامة مُحَمَّد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة افضل من بث العلم ^٢
كان كثير إنفاقه ، حتى كان يزيد على مائة ألف كل عام .

وكان كثيراً إطعامه ، فكان يُطعم أجود ما عنده وهو صائم في الحرِّ الشديد .
وكان إذا انتهى طعاما لا يأكله إلا مع ضيف ، ويقول : بلغنا أن طعام
الضيف لا حساب عليه ^٣

قال الحسن :

وصحبت ابن المبارك من خراسان الى بغداد فما رأيته اكل وحده ^٤
وكان يشتري التمر ويأتي به إلى الايتام والمساكين ويقول لهم :
من يأكل من تمرى فله درهم على كل ثمرة ، ثم يعد توى كل واحد منهم فيعطيه

^١ الترغيب والترهيب ٢ / ٧٤

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٠

^٣ طبقات الشعراي ١ / ٥٩

^٤ صفة الصفوة ص ١١٠

لكل نواة درهما ، وكان يقول : لقمة في بطن جائع ارجح في ميزاني من عمارة المسجد لو عمرته وحدي^١
كان ﷺ يتاجر ليربح ، ويربح لينفق في سبيل الله ما ربحه .
وقد أوردت كتب التاريخ حكايات عن جوده وكرمه ترقى لمستوى الأساطير منها :

انه خرج مرة من بغداد يريد المصيصة للجهاد والغزو في سبيل الله (وهي ثغر من ثغور الروم) فصحبه جماعة من الصوفية الذين تطوعوا للجهاد ، فقال لهم : انتم لكم انفس تحتشمون ان يُنفق عليكم .
ثم قال لغلامه : يا غلام هات الطست .
فألقى على الطست منديلا غطاه به ثم قال : يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه .

فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم والرجل يلقي عشرين ، فأنفق عليهم إلى المصيصة ، فلما بلغ المصيصة .

قال هذه بلاد نغير فنقسم ما بقي ، فجعل يعطي الرجل عشرين ديناراً ، فيقول : يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهما ، فيقول : وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته ؟^٢

وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد ، فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك .

وسار أصحابه أمامه وتحلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا بنت قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته وأسرعت به إلى الدار .

^١ عبد الله بن المبارك ص ٢٠٧

^٢ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٧

فجاء فسألها عن امرها وأخذها الميتة ، فقالت : انا وأنجي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الازار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال فظلم واخذ ماله وقتل .

فأمر ابن المبارك برد الاحمال وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال : عدّ منها عشرين دينارا تكفينا إلى مرو وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ثم رجع^١ وسأله مرة سائل فأعطاه درهما ، فقال له بعض أصحابه : ان هؤلاء يأكلون الشواء والفالودج وقد كان يكفيه قطعة . فقال : والله ما طننت أنه يأكل إلا البقل والخبز ، فأما إذا كان يأكل الفالودج والشواء فإنه لا يكفيه درهم .

ثم أمر بعض غلماناه فقال : رده وادفع إليه عشرة دراهم^٢ وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فسأله ان يقضي ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد الكتاب على الوكيل سأله :

كم الدين الذي سألت عبد الله بن المبارك ان يقضيه عنك ؟ قال : سبعمائة درهم .

فنظر . في الكتاب فاذا قد امر له بسبعة آلاف درهم ، فكتب إلى عبد الله : إن هذا الرجل سألك ان تقضي عنه سبعمائة درهم وكتبت له سبعة آلاف درهم وقد فنيت الغلات ؟

فكتب عبد الله بن المبارك : إن كانت الغلات قد فنيت فان العمر قد فني ؛ فأجر له ما سبق به قلمي^٣

^١ البداية والنهاية ١٠ / ١٧٨

^٢ البداية والنهاية ١٠ / ١٧٨

^٣ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٩

وكان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس - ثغر من ثغور الروم - وكان ينزل بالرقّة في خان فكان شاب يختلف إليه ويقوم بجوائجه ويسمع منه الحديث .

فقدم عبد الله الرقة مرة فلم يرد ذلك الشاب ، وكان مستعجلاً فخرج في النفير ، فلما قفل من غزوته ورجع الى الرقة سأل عن الشاب ، فقالوا : إنه محبوس لدين ركبه .

فقال عبد الله : وكم مبلغ دينه ؟ فقالوا : عشرة الاف درهم . فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم ، وحلفه أن لا يخبر احدا ما دام عبد الله حيا . وقال : إذا اصبحت فأخرج الرجل من الحبس ، وادلج عبد الله . فأخرج الفتى من الحبس وقيل له : عبد الله بن المبارك كان ههنا ، وكان يذكرك وقد خرج ، فخرج الفتى في اثره فلحقه على مرحلتين او ثلاث من الرقة .

فقال : يا فتى اين كنت لم ارك في الخان ؟

قال : نعم يا ابا عبد الرحمن كنت محبوسا بدين .

قال : فكيف كان سبب خلاصك ؟ قال :

جاء رجل فقضى ديني ولم اعلم به حتى اخرجت من الحبس .

فقال له عبد الله : يا فتى ، احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك .

فلم يخبر ذلك الرجل أحدا إلا بعد موت عبد الله¹

وهذه بعض من كثير أوردته كتب التاريخ والسير والتراجم عن الولي الزاهد العابد ابن المبارك طويل اليد كثير العطاء عليه السلام .

تواضعه :

(كانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين

¹ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٩

ذراعاً، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلاً له مروءة وقدر بمرؤ إلا رأيته في داره ، يجتمعون في كل يوم خلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه .

فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد ، فقلت له :

يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرؤ ؟

فقال: إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه ، وأحببت ما ها هنا للذي أراك تكرهه لي ، فكنت بمرؤ لا يكون أمر إلا أتوني فيه ولا مسألة إلا قالوا :

اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا في عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي : ما العيش إلا هكذا.

يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

قال : وبيننا هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك، انتهى إلى حديث وفيه :

قال عبد الله وبه نأخذ . فقال : من كتب هذا من قولي ؟

قلت : الكاتب الذي كتبه .

فلم يزل يحكه بيده حتى درس . ثم قال : ومن أنا حتى يكتب قولي ؟

قال الحسن وكنا على باب سفیان بن عيينة يوماً وأصحاب الحديث وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يحدثه .

فقال رجل : أعياني أن أرى رجلاً يسوي بين الناس في علمه.

فقال له آخر : هذا عبد الله بن المبارك .

قال : نعم هات غيره ، أتعرف غيره ؟

فلما قدمت الكوفة ذكرت لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان ولم أعلمه أنهم

سموه .

فقال أفلا قالوا الفضيل ابن عياض ؟^١

وزوج النضر بن مُجَّد ولده ودعى بن المبارك.

فلما جاء قام ابن المبارك ليعخدم الناس فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى
جلس .

وعن الحسين بن الحسن المروزي قال: قال عبد الله بن المبارك: كن محباً للحمول
كراهية الشهرة ولا تظهر من نفسك أنك تحب الحمل فترفع نفسك فإن
دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء
والمدحة .

وحين سأله عبد الله بن خبيق : ما التواضع ؟ قال : التكبر على الأغنياء .

ابن المبارك .. المقاتل المجاهد :

(يقول ابو عبد الله : ذهبت لأسمع منه فلم ادركه ، وكان قد قدم فخرج الى

الثغر فلم أسمع منه ، ولم أره)^٢

كان الشيخ مجاهداً ، حُبِّبَ اليه الخروج للقتال في سبيل الله او مرابطاً في ثغر
يجرس أرض المسلمين .

وكانت له بطولات في الميدان ، كبطولته في التغلب على هوى النفس والتحرر
من حب الدنيا وشهواتها .

فقد كان عليه السلام فارساً شجاعاً ، ومقاتلاً قوياً ، عزيزته كعزيمة من يجب لقاء الله
تعالى ويبحث عن الشهادة .

كان الامام المجاهد عبد الله بن المبارك عليه السلام ، العالم العامل ، و المؤمن القوي ،
فقد كان مع علمه الغزير ، وزهده العجيب ، وورعه وتقواه ، كان مع ذلك من

^١ صفة الصفوة ٤ / ١٣٤ - ١٣٥ برقم ٦٩٥

^٢ الإمام الرباني الزاهد ص ٦١

أكبر المجاهدين ، كان من أرباب السيف كما كان من أرباب القلم والقرطاس ،
كان إماما في ساحة الجهاد كما كان إماما في محراب المسجد .
وله عليه السلام في ميادين القتال صولات ما زالت تحفل بها كتب التاريخ ، ترويها كما
تروي علمه في الحديث والفتوى والحجّم .

(كان ابن المبارك رضي الله عنه وعن أمثاله ، وقد قال فيه ابن كثير :
وكان كثير الغزو والحج .

وقال عنه الذهبي في تذكرته : فخر المجاهدين .

وفي العبر : كان راسا في الشجاعة ... وكان يحج سنة ويغزو مرابطا في سبيل
الله في الثغور سنة .

فمرة يرباط في طرسوس واخرى في المصميصة وفي غير ذلك من الثغور
الاسلامية ، حتى ادركته الوفاة وهو منصرف من بعض الثغور حيث كان يغزو
ويجاهد في سبيل الله ، ويعلم الناس كيف تكون البطولة والشجاعة . وكان وهو
في الثغور للرباط والجهاد لا ينسى ان يعلم الناس العم والحديث ؛ فكان إذا
وصل الى الثغر اجتمع المجاهدون حوله يتعلمون منه العلم، ويكتبون عنه
الحديث كما يتعلمون منه الشجاعة)^١

وكان يستعمل كل الوسائل للحث على الجهاد في سبيل الله .

وكان الشعر من وسائل الدعوة للجهاد .

ففي ابياته التي بعثها من الثغر مع محمد بن إبراهيم إلى صديقه الفضيل بن عياض
والتي يقول فيها:

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا لعلمت انك بالعبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

^١ عبد الله بن المبارك ص ٢١٧

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنايك والغبار الاطيب
ولما قرا الفضيل هذه الايات بكى وذرفت عيناه بالدموع ، وقال :
صدق ابو عبد الرحمن ونصح .

وروي انه قال لمن جاءه بالرسالة :

اكتب هذا الحديث جزاء لحمل الكتاب ؛ وقال :

حدثني المنصور بن المعتمر ، عن ابي صالح ، عن ابي هريرة ، ان رجلاً قال
لرسول الله ﷺ :

دلني على عمل ائال به ثواب المجاهد في سبيل الله ،

فقال النبي ﷺ :

هل تستطيع ان تصوم ولا تظفر ، وتصلي ولا تفتقر ؟

فقال : يا رسول الله إني اضعف عن ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام : فو
الذي نفسي بيده ، لو طوّقت ذلك لما بلغت فضل المجاهد في سبيل الله ، اما
علمت ان فرس المجاهد ليستن في طوله ، فيكتب لصاحبه بذلك الحسنات .

قال عبدة بن سليمان المروزي :

عبدة بن سليمان قال: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم
فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج
إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله؛ ثم دعا إلى البراز فخرج إليه
رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله؛ فازدحم عليه الناس وكنت فيمن ازدحم عليه
فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن
المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا.^١

وعن عبيد الله بن سنان قال :

كنت مع ابن المبارك ومع المعتمر ابن سليمان بطر سوس فصاح الناس : النفير

^١ تاريخ مدينة دمشق ٣٥ / ٤٤٨ / وصفة الصفوة ٤ / ١٣٦ / برقم ٦٩٥

، فلما اصطف الناس خرج عالج رومي يطلب البراز ، فخرج إليه مسلم ، فقتله الرومي ثم .. و ثم .. حتى قتل ستة من المسلمين ، ثم لم يخرج إليه احد ، فلما رأى ابن المبارك ذلك اوصى إلي وقال : إن قتلت فافعل كذا وكذا .

ثم خرج من الصف فقتله وقتل ستة من الكافرين ثم امتنعوا عنه ، فغاب ، ثم نظرته فإذا هو بالمكان الذي كان فيه .

وكان يحضر القتال ويبلي بلاء حسنا فإذا كان وقت القسمة غاب ، فقيل له في ذلك ، فقال : يعرفني الذي اقاتل له ^١

ورغم انه ﷺ قضى شطر حياته يطلب العلم وينشره ، ويبحث في الحديث النبوي ويوصله ، إلا انه كان يأسف على الأيام التي قضاها بعيداً عن الجهاد في سبيل الله ، حتى وان كانت أيام عبادة وذكر وتبتل .

حدث عبدة بن سليمان قال :

كنا مع ابن المبارك في ارض الروم ، فبينما نحن نسير ذات ليلة والسماء - يعني المطر - من فوقنا ، والبله من تحتنا ، قال ابن المبارك : يا ابا مُحَمَّد ، افنينا ايامنا في الايلاء والظهار عن مثل هذه الليالي .

فلما أصبحنا نزلنا على عين ما ، فجعل الناس يتبادرون ويسقون دوابهم ، فقدم ابن المبارك دابته ، فضرب رجل من اهل الثغر وجه دابة ابن المبارك و قدم دابته ، فقال : يا ابا مُحَمَّد المنافسة في مثل هذا الموضع ليس في الموضع الذي إذا رأونا قالوا : وسعوا لأبي عبد الرحمن ارتفع يا ابا عبد الرحمن ^٢ .

هنا المنافسة حيث الظمأ والجوع ، وحيث التعب والنصب ، وحيث الناس لا يعرفون من هو ابن المبارك ليكرموه ويقدموه ويوسعوا له الطريق .

^١ عبد الله بن المبارك ص ٢٢٠

^٢ عبد الله بن المبارك ص ٢٢١

هكذا كان ابن المبارك المجاهد البطل ، يجاهد ويجالد ولا يريد أن يعرف ويشتهر ويرابط على الثغور ويحضر المعارك والغزوات ، ويخرج لبراز كبر الفرسان ، ويعفُ عند المغنم، ويسير في حالك الظلمات في ظل الامطار ، ويدافع الناس ليسقي دابته ؛ وهو مع ذلك إمام عصره ووحيد وقته ، وذلك لأنه كان يعلم -من جملة ما يعلم من العلم الرباني أنه لا يستوي المجاهدون والقاعدون ولو كانوا جميعا من المؤمنين ، وان الله فضل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، وكان يعلم أيضاً أن المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وإن كان في كل خير .

أقوال العلماء فيه :

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ عن ابن المبارك :

(والله اني لأحبه ، وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى ، والعبادة ، والإخلاص ، والجهد ، وسعة العلم ، والإتقان ، والمواساة ، والفتوة ، والصفات الحميدة)^١

عن شعيب بن حرب قال : ما لقي ابن المبارك رجلاً، إلا وابن المبارك أفضل منه .

وقيل لابن مهدي مرة :

أيهما أفضل عندك ، ابن المبارك أو سفيان الثوري ؟

فقال : ابن المبارك .

فقيل : الناس يخالفونك .

قال الناس لم يجربوا ما رأيت من ابن المبارك^٢

وقدم ابن مهدي بغداد في بيع دار له ، فاجتمع اليه اصحاب الحديث .

فقالوا له : جالست سفيان الثوري وسمعت منه ، وسمعت من عبد الله بن المبارك

^١ الإمام الرباني الزاهد ص ٥

^٢ تاريخ مدينة دمشق ١٨ / ٢٨٨

فأيهما أرجح ؟

قال : ما تقولون ؟ لو ان سفيان جهد جهده على ان يكون يوماً مثل عبد الله ، لم يقدر^١

وقال المعتمر بن سليمان : ما رأيتُ مثل عبدالله بن المبارك؛ نُصيب عنده الشيء ، الذي لا يُصاب عند أحد .

وعن عبدالوهاب بن الحكم ، قال : لما مات ابن المبارك ، بلغني أنّ هارون؛ أمير المؤمنين ، قال : مات سيّد العلماء .

وقال عبدالرحمن بن زيد الجهضمي : قال الأوزاعي :

رأيت ابن المبارك ؟ قلت : لا ، قال : لو رأيتُهُ لقرّرت عينك^٢

عن عبيد بن جناد ، قال : قال عطاء بن مسلم :

يا عبيد ، رأيت عبدالله بن المبارك ؟

قلت : نعم ، قال : ما رأيتُ مثله ، ولا يُرى مثله .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : ما رأت عينا ، أنصح لهذه الأمة ؛ من عبدالله بن المبارك^٣

وقال يحيى بن معين -وذكر عنده ابن المبارك- فقال :

سيّد من سادات المسلمين .

وعن أحمد بن عبدة ، قال :

كان فضيل ، وسفيان ، ومشيخة جلوساً في المسجد الحرام ، فطلع ابن المبارك من الثنية ، فقال سفيان :

هذا رجل أهل المشرق ،

^١ تاريخ مدينة دمشق ١٨ / ٢٨٨

^٢ كتاب الزهد ص ٣٨

^٣ تاريخ مدينة دمشق ١٨ / ٢٨٨

فقال الفضيل : هذا رجلٌ أهل المشرق , وأهل المغرب , وما بينهما ^١
وعن شفيع بن إسحاق, قال: "قلت لسعيد بن منصور: ما لك لم تكتب
حديث شعبة, وسفيان؟ فقال: إني لقيتُ ابن المبارك, فلمَّا رأيته هان عليَّ
الناسُ".

وقال عليُّ بن المديني: "انتهى العلمُ إلى رجلين: إلى عبد الله بن المبارك, ومن
بعده يحيى بن معين".

وقال خارجةٌ لإخوانه: "من شاء منكم أن ينظرَ إلى رجلٍ؛ كأنَّه من الصَّحابة؛
فلينظر إلى عبد الله بن المبارك".

وقال عبدُ الله بن الحسن:

إذا سار عبدُ الله بن مرو ليلةً فقد سارَ منها نوؤها وجمالها

إذا ذُكر الأُحبارُ في كل بلدة فهم أنجمٌ فيها وأنت هلالها

وقال إبراهيم بن موسى: كنتُ عند يحيى بن معين, فجاءه رجلٌ, فقال:

يا أبا زكريا , من كان أثبتَ في معمر؛ عبدُ الرزاق , أو عبدُ الله بن المبارك ؟

وكان متَّكئاً فاستوى جالساً , فقال :

كان ابن المبارك خيراً من عبد الرزاق, ومن أهل بيته ^٢

وقال شعيب بن حرب : قال سفيان :

إني لأشتهي من عمري كلِّه ؛ أن أكون سنةً واحدة ؛ مثلَ عبدِ الله بن المبارك ,

فما أقدرُ أن أكونَ ولا ثلاثة أيام ^٣

وقال ابن عيينة :

نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم فضلاً ، إلا بصحبتهم

^١ كتاب الزهد ص ٣٩

^٢ كتاب الزهد ص ٣٩

^٣ تاريخ مدينة دمشق ١٨ / ٢٨٩

النبي ﷺ وغزاهم معه^١

وقال أسود بن سالم: كان ابن المبارك إماماً يُقتدى به ، كان من أثبت الناس في السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك ، فأنتمه على الإسلام .
(قال عنه النسائي : لا تعلم في عصر ابن المبارك أجلُّ ولا أعلى منه ، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه .

وقال عنه صاحب كتاب الحلية :

ومنهم السخي الجواد ، الممهد للمعاد ، والمتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد ، جاد فساد وروجع فزاد ، ما له مشارك ، وفعله مبارك ، وقوله مبارك ، شاهنشاه عبد الله رضي الله تعالى عنه .
وقد كان ابن المبارك صديقاً للإمام مالك .

يقول يحيى بن يحيى الأندلسي :

كنا في مجلس مالك فاستؤذن لابن المبارك ، فأذن ، فرأينا مالكاً تزحج له في مجلسه ، ثم أقعده بلصقه ولم أره تزحج لأحد في مجلسه غيره ، فكان القارئ يقرأ على مالك فرمما مر بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا ؟
فكان عبد الله يجيبه بالخفاء .

ثم قام فخرج ، فأعجب مالك بأدبه ، ثم قال لنا :

هذا ابن المبارك فقيه خراسان .

وقال الجليلي في الإرشاد :

ابن المبارك الإمام المتفق عليه ، له من الكرامات ما لا يحصى ،
يقال انه من الأبدال)^٢

^١ صفة الصفوة ص ١١٣

^٢ العالم الرباني الزاهد ص ١٨ - ١٩

وفاة عبدالله بن المبارك :

في ساعة السحر بعد عشر مضين من شهر رمضان ، كان شيخنا عبد الله بن المبارك يحس بالموت يدبُّ في جسده .

كان عليه السلام عائداً من الجهاد والغزو دفاعاً عن دين الله ، وكان غريباً يموت بأرض غريبة ، كانت وفاته كما انتهت في حياته ، فهو يحب التواضع ، وتواضعه يغلب عليه ولم يكن يحب الشهرة .

قال لنصر موله : اجعل راسي على التراب .

فبكى نصر ، فقال له : ما يبكيك ؟

قال : ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيراً غريباً .

قال : اسكت فإني سألت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء .

عن الحسن بن الربيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير يقول له : يا أبا عبد الرحمن ، قل لا إله إلا الله .

فقال له : يا نصير قد ترى شدة الكلام علي فإذا سمعتني قلتها فلا تردّها علي حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاماً .

فكأنه كان يريد ان تكون الشهادة بوحداية الله تعالى آخر كلامه .

ثم قال له : لقيت ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان .

ذلك الغني الواسع الغنى ، والرجل العظيم المنزلة ، والامام المجمع على جلالته ؛ يصل به زهده إلى ان يطلب من ربه ان يميتة فقيراً غريباً ، وهكذا كان ؛ فمات فقيراً من المال ولكن غنياً بالثواب .

وكان آخر أعماله ، خير الأعمال ، فهو عائد من الجهاد في سبيل الله تعالى .

وفي خير الشهور ، شهر رمضان المبارك ، وفي ساعة خيرٍ هي ساعة السحر .

كان عليه السلام على التراب ، يقاسي سكرات الموت وموله نصر بألمٍ يراقبه ثم فتح

عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك ، وقال :
 لمثل هذا فليعمل العاملون ^١ ، ويسلم الروح الى بارئها .
 وتنتهي رحلة حياة حافلة بالعلم والتقوى ، والزهد والورع ، والبذل والجهاد .
 وهذا سفيان بن عيينة يُعنى اليه ابن المبارك فيقول : رحمه الله لقد كان فقيها ،
 عالما ، عابدا ، زاهدا ، سخيا ، شجاعا ، شاعرا ^٢
 وهذا الفضيل بن عياض ينعى إليه ابن المبارك فيقول : رحمه الله ، اما إنه ما
 خلف بعده مثله ^٣
 ويقول سلام بن أبي مطيع : ما خلف ابن المبارك بالمشرق مثله ^٤
 ويقول ابو إسحاق الفزاري : إني لأمقت نفسي على ما ارى بها من قلة
 الاكثراث لموت ابن المبارك ^٥
 وعن أبي الوزير قال : قدمت على سفيان بن عيينة ، فقالوا له :
 هذا وصي عبد الله . فقال : رحم الله عبد الله ما خلف بخراسان مثله ،
 فقالوا : لا يرضون . قال : ما يقولون ؟
 قالوا : يقولون ؟ ولا بالعراق ،
 قال : ما أخلق ما اخلق ما اخلق - ثلاثا - ^٦
 وحدث أبو عصمة قال : شهت سفيان بن عيينة وفضيل بن عياض ، فقال
 سفيان لفضيل :

^١ احياء علوم الدين ٤ / ٤٨١

^٢ عبد الله بن المبارك ص ٢٨٤

^٣ حلية الأولياء ٨ / ١٦٤

^٤ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٤

^٥ حلية الأولياء ٨ / ١٦٤

^٦ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٢

يا ابا علي أي رجل ذهب ؟ - يعني ابن المبارك - فقال له فضيل : يا أبا مُجَّد
وبقي بعد ابن المبارك من يُستحيا منه ؟^١

وينتقل الحزن إلى امير المؤمنين هارون الرشيد ، فقد ورد عليه كتاب صاحب
الحيرة من هيت :

انه مات رجل بهذا الموضع غريب ، فاجتمع الناس على جنازته ، فسألت عنه
فقالوا : عبد الله بن المبارك الخراساني .

فقال الرشيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فضل - للفضل بن الربيع وزيره -
اأذن للناس من يعزينا في عبد الله بن المبارك ، فأظهر الفضل تعجبا منه ، فقال
له الرشيد : ويحك إن عبد الله هو الذي يقول:

الله يدفع بالسلطان معضلةً عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم يأمن لنا سُبُلٌ وكان أضعفنا تهباً لأقوانا

من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور
العامّة ولا يعرف حقنا ؟^٢

وروي انه لما بلغه خبر موت ابن المبارك قال : مات سيد العلماء^٣

ثم جلس للعزاء وأمر الأعيان ان يعزوه في ابن المبارك^٤

وعن مُجَّد بن فضيل بن عياض قال: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت :

أي الأعمال وجدت أفضل ؟

قال : الأمر الذي كنت فيه .

قلت: الرباط والجهاد ؟

^١ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٣

^٢ حلية الأولياء ٨ / ١٦٤

^٣ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٣

^٤ عبد الله ابن المبارك ص ٢٨٥

قال: نعم

قلت: فأبي شيء صنع بك ربك؟

قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة وكلمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من

الخور العين^١

^١ صفة الصفوة ٤ / ١٣٤ برقم ٦٩٥

الفيلسوف الفرنسي المسلم رينيه جينو Rene Guenon

(بالفرنسية : René Guénon)

الشيخ عبد الواحد يحيى

١٥ نوفمبر ١٨٨٦ - ٧ يناير ١٩٥١

قلوب عاشقة ... ظمئا للحب الرباني ... كأنها سمعت النداء ، نداء الحب فهامت ، تبحث عن السكينة ، سكينة الروح ، فما ارتوت إلا بعد أن رشفت من أشرف كأس ، وذقت أسمى شراب ، وسلكت أشرف الطرق الى الله ... طريق الإسلام ، وما عرفت السكينة إلا بعد ان تزكّيت ، وسمت في درب المقربين ، وهامت سكرى بنداء (يحبهم ويحبونه) .

ومن عمق الغرب المسيحي ، ومن عوالم الضياع ، أراد الله له أن يسير مع الذين اهتدوا ، بعد أن تعرّض للنور وشمله اللطف ، وجذبته يد العناية الى مستقرّ الرحمة .

ومن فرنسا ... الى دنيا الإسلام .

التعريف بالشيخ :

كاتب ومفكر وفيلسوف فرنسي .

اعتنق الإسلام وصار من كبار علماء التصوف وشيوخه في القرن العشرين ، واشتغل بنشر الفكر الصوفي والتعريف به عبر كتاباته وعبر المحاضرات التي كان يلقيها في بلدان الغرب .

المولد والنشأة :

ولد «جينو» في بلدة «بلوا» الفرنسية، التي تقع على نهر (الوار) ، على بعد ١٧٢ كم من (باريس) ، في الخامس عشر من نوفمبر سنة ١٨٨٦م ، من أسرة فرنسية كاثوليكية ، وكان والده مهندسًا ذا شأن .

نشأ «جينو» هادئًا وديعًا، وكانت تظهر عليه منذ الطفولة ملامح الذكاء الحاد،

إلا أن ظروفه الصحية حالت دون التحاقه بالمدرسة ، فتولت عمته (دورو) تعليمه القراءة والكتابة في منزلها على ضفاف نهر (اللوار) حتى الثانية عشرة من عمره ...

وبعد ان نال شهادة البكلوريا ، وبعد أن نال جوائز عدة كانت تُمنح للمتفوقين من أمثاله ... وفي عام ١٩٠٤ م ، سافر الى باريس ليلتحق بكلية (رولان كلودج) ليدرس الفلسفة ..

وأمضى الشيخ سنتين من عمره في الدراسة الجامعية ، في باريس ، المفعمة بالكثير من المدارس الفكرية المختلفة ، كان فيها الماسونية ، وكان فيها المدارس التي تنتسب الى الهند ، او الى التبت ، او الى الصين ... كان فيها الروحانيون ، على اختلاف الوانهم ومشاربهم ونزعاتهم ، وفيها حتى الذين يعالجون السحر ، والتنجيم ، والتصرف بالعناصر ، وتحضير الأرواح .

اضافة الى الوضع الفكري الخاص السائد في باريس آنذاك .

فمع بدايات القرن العشرين، كانت البداية التائهة في متاهات فرويد السيكلوجية ، ووجودية سارتر ، ومادية ماركس ، وهي كذلك الفترة التي تسمى في تاريخ الفلسفة (مرحلة انتهاء الفلسفات الكبرى) وهي المرحلة التي بدأت مع ديكارت ، وكان العالم على موعد مع مرحلة جديدة بدأها الفيلسوف الإنجليزي جورج مور، بدعوته إلى تفكيك الإرث الفكري الذي تراكم على مر عصور .

لقد كانت فترة التراكم الفكري او تعدد الطروحات الفكرية المختلفة .

فكان لا بد من القراءة بكل الاتجاهات وفي كل الأفكار ، لتحديد الطريق والهوية .

والظاهر أن دراسته في ذلك الوقت قد حددت معالم الخط الذي سيصبح طريقه في البحث المتواصل عن الحقيقة ، فلم يكتف بالدراسة الجامعية وراح ينهل من

العلم في (باريس) الزاخرة بالمعلمين والمرشدين من الشرق والغرب ..
كان دائم البحث عن شيء كبير ، ربما لم يعرف في البداية عن الذي يبحث
عنه ، لكنه كان يشعر بأن كل الذي درسه ، وبحث فيه ، لم يروي ظمأه في
البحث عن الحقيقة ، أو ، لم يسد الفراغ الذي في قلبه ، فكان دائم البحث ،
دائم القلق .

الباحث عن الحقيقة :

راح جينو ينهل من العلم في باريس الزاخرة بالمعلمين والمرشدين من الشرق
والغرب ، فقد فتحت له باريس أبواباً أخرى .
وما ان وصل الى العشرين من عمره حتى وضحت أساسيات تكوينه الروحي ،
وبدأ رحلته في البحث والتنقيب بين المنظمات والمذاهب الدينية ؛ إذ لم يعد
رجال اللاهوت الكنسي قادرين على تقديم إجابات مقنعة لأسئلته ؛ فقرر
الابتعاد ومحاولة البحث بنفسه عن اليقين المطلق في غياهب المجهول، وراح
يدرس أهم المذاهب الدينية والفلسفات الروحية قبل أن يستقر به المطاف في
رحاب الإسلام ليصبح واحداً من أهم متصوفي العصر الحديث .
وفي غمرة البحث العلمي ترك (جينو) التعليم الجامعي وأخذ ينهل المعرفة من
منابع مختلفة أخرى .

لقد انتسب (جينو) الى المذاهب الفكرية المتعددة المنتشرة في باريس ، واتصل
بها عن قُرب ، وعرف ما تهدف اليه ، بل ربما أسهم في نشاطها في كثير من
الأحيان ، ومنحته هذه المدارس والجمعيات درجاتها الكهنوتية السامية .
كان يبحث عن الحقيقة ومتعطشاً لبلوغها .

فكانت صلته بهذه المدارس سبباً مباشراً في انفصاله عن أغلبها ... فقد أدرك
الطيب منها والخبيث .

لقد أدرك ان هذه المدارس لا توصله الى الحقيقة التي ينشدها ولا تجيب عن

الأسئلة التي تطرح نفسها في قلبه وبشدّة .

الاقتراب من الإسلام :

فكان انفصاله عن هذه المدارس ، وظلّ في يبحث عن الحقيقة .
((وبعد ان تحلّص (جينو) من هذه النزعات وانفصل عنها ، أنشأ سنة ١٩٠٩م مجلة أسماها (المعرفة) .

وهذه المجلة اتسمت بالطابع التي كانت تسير عليه مجلة اخرى سبقتها كانت تسمى (الطريق) وهي ذات طابع صوفي))^١
ومجلة الطريق مجلة يشرف عليها ويسهم في إصدارها عالم فرنسي اسمه (شميرينو) والذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم عبد الحق ، واستمر بإصدار مجلة الطريق من سنة ١٩٠٤ وحتى سنة ١٩٠٧ ، ثم ، ولأسباب عدة توقفت عن الصدور .
وفي هذه الأثناء تعرف جينو بعد الحق .

وساعد عبد الحق جينو في تحرير مجلة المعرفة .
وكانت المجلة تنشر بحوثاً عن الإسلام ، وعن الديانة البوذية ، وعن الديانات الهندية ، وفي الوقت نفسه تنشر نقداً لكل ما تراه غير مستقيماً ومنحرف عن الحقيقة في المدارس الروحانية .

واستمرت هذه المجلة بالصدور حتى عام ١٩١٢ ، وفي هذه الفترة ، وبعد ان تعرّف جينو على الإسلام عن قُرب ، اعتنق الدين الإسلامي ، وأصبح اسمه الشيخ عبد الواحد يحيى .

وكان (جينو) الذي قرأ وأخذ العلم وتحرى المعرفة وكان يصارع ذاته وفكره باحثاً عن الحقيقة الوحيدة والمطلقة ، الحقيقة التي تجعله يشعر بالهداية .

كان يدور في الفلسفات والمذاهب وفي أفكار المدارس الروحانية ، يستعرض رمزية الديانات الآسيوية وتسامحها وكان يدرس كل الرموز الروحانية فيها وفي

^١ قضية التصوف ص ٢٩١

غيرها ...

كان ينشد الحقيقة في بحثه ، فلم يترك ديانة أو مذهب أو نحلة سماوية إلا تتبعها وعرف مسارها وسبر غورها ، وعرف الحقيقة والزيف فيها .
وحين قرأ في التصوف الإسلامي ، أو حين التقى بالفكر الصوفي وجد ان كل المعارف والعلوم التي قرأها تتضاءل أمام رموز الصوفي ورموز التصوف والذي يتخذ الحب والتسامح منهجا ، وشعر بالراحة تملأ قلبه فكأن رحلة البحث قد توقفت ، وان الأسئلة الحيرى التي تشغل قلبه ، قد وجد لها الأجوبة ، وأنه قد اهتدى ، وشعر بالراحة حين أحس بأنه اهتدى .

الطريق الى التصوف :

ان المتتبع لكتابات الشيخ عبد الواحد ومحاضراته التي ألقاها في فرنسا وغيرها ، تشير بوضوح الى الصلة القوية بين الشيخ عبد الواحد والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ... كان تأثير الشيخ الأكبر واضحاً في فكر الشيخ عبد الواحد والرابطة الروحية بينهما جليّة وواضحة .

البداية .. كانت عبر اللقاء مع الشيخ عبد الهادي الذي فتح الطريق الى الإسلام أمام (جينو) .

وعبد الهادي هذا من أصل لتواني فنلندي ، ولد ونشأ مسيحياً ، ثم شاء الله ان يعتنق الإسلام ويتعلم العربية ، ثم توجه لكتابة مقالات عبر المجلة التي يعمل فيها عن التصوف فكان يطبع الرسائل الصوفية الإسلامية من مؤلفات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، ويترجم بعض النصوص .

وكان الشيخ عبد الهادي وثيق الصلة بشيخ مصري اسمه الشيخ عليش الكبير الذي كان من شيوخ الطريقة الشاذلية ، ومن كبار المذهب المالكي ، والذي كان بدوره متأثراً بالشيخ الأكبر قدس الله سره .

ويوم تحقق اللقاء بين الشيخ علوش والذي كان زعيماً اسلامياً سواء في ما يتعلق

بالجانب الفقهي او الجانب الصوفي الروحي ، و(جينو) من خلال الشيخ عبد الهادي ، وجد (جينو) في نفسه اطمئناناً وراحة حين وجد أجوبة لأسئلة طالما رسمت في قلبه قلقاً وحيرة ، ووجد نفسه تنساق الى الإسلام ، ثم ، يُمسك بيد شيخه الشيخ عليش الذي قاده في دنيا من الصفاء والراحة ويسلك به في عالم التصوف ليتعرف على الطريقة الشاذلية ، فتبهره المثل العليا للسنن التي أقامها ابو الحسن الشاذلي ، ويبهره السمو الروحي للشيخ عليش .

ويلتقي بالشيخ الأكبر الشيخ محي الدين بن عربي ، لقاء أرواح ، فيحس بروحه هدوءاً واطمئناناً وسعادة طالما بحث عنها ، وفي دنيا التصوف وجد الشيخ عبد الواحد يحيى نفسه وروحه .

واعترافاً بفضل شيخه ، يهدي الشيخ عبد الواحد يحيى أحد كتبه الى الشيخ عليش الكبير بهذه العبارة التي تحمل من الدلالة ما تحمل :

(الى الذكرى المقدسة ، ذكرى الشيخ عبد الرحمن عليش الكبير ، المالكي المغربي ، الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب .

من مصر القاهرة ١٣٢٩ - ١٣٤٧ هـ)^١

وحمل الشيخ عبد الواحد راية الجهاد فاستمر يبني ما أسسته (الأكبرية) تلك الجماعة التي تنهج نهج الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي .

وكان الشيخ عليش هو الذي يقود خطى الشيخ عبد الواحد في درب التصوف واذا كان الشيخ عليش مالكيّاً محافظاً ، فإن تصوفه لا يخرج عن التعاليم الإسلامية ، واذا كان الأمر كذلك بالنسبة له ، فإنه كذلك ايضاً بالنسبة لتلميذه عبد الواحد .

(ان إعلان (جينو) لإسلامه وتسميته باسم (عبد الواحد يحيى) كان في سنة ١٩١٢ وهي السنة التي تزوج فيها فتاة فرنسية من إقليمه .

^١ قضية التصوف ص ٢٩٣

وفي هذه السنة توقفت مجلة المعرفة عن الصدور ، فأخذ الشيخ عبد الواحد يكتب في مختلف المجالات ، أخذ يكتب عن انحراف الماسونية ، فأثار سخط الماسونيين ، وأخذ يكتب عن انحراف البروتستانتية ، فأثار سخط البروتستانتين ، وانتقد الروحانية المزيفة أئى وجدت فغضب منه الذين ينتسبون الى الروحانية الحديثة .

وفي سبتمبر سنة ١٩١٧ عين استاذاً للفلسفة في الجزائر ، ف قضى فيها عاماً ، ثم عاد بعده الى فرنسا ، وعين في مدرسة بلدته ولكنه استقال بعد عام قضاه في التدريس ليتفرغ لأبحاثه .

وكان من ثمة هذا التفرغ ان نشر سنة ١٩٢١ كتابين هما :

١- مدخل لدراسة العقائد الهندية .

٢- التيوزفية : تاريخ دين مزيف .

وتوالى نشر كتبه^١

الرحيل الى مصر :

شاء الله تعالى ان ينتقل الشيخ عبد الواحد الى مصر ليعايش الإسلام والمسلمين عن قُرب ... فيعرض عليه بيت من بيوت النشر في باريس ان يسافر الى مصر ليتصل بالثقافة الصوفية ، فينقل نصوصاً منها ويترجم بعضها .

ويقبل الشيخ عبد الواحد هذا العرض ويسافر الى مصر .

وفي ٢٠ شباط عام ١٩٣٠ كان الشيخ عبد الواحد ينتقل بين مسجد الحسين

عليه السلام وبين الأزهر ، كان الشيخ في مصر ، وفي القاهرة تحديداً .

انتقل الشيخ الى مصر وحيداً فوالدته وزوجته قد توفاهما الله ، ولم يكن له من يصحبه في رحلته .

كان المفروض ان يقضي في القاهرة بضعة أشهرٍ ، ثم عدل بيت النشر عن

^١ قضية التصوف ص ٢٩٧

مشروعه ، فاستمر الشيخ عبد الواحد يحيى في القاهرة يعيش في حي الأزهر ، متواضعاً مستخفياً لا يتصل بالأوربيين ولا ينغمس بالحياة العامة ، كان يشغل كل وقته في العبادة وبدراساته .

ووجد الشيخ كثيراً من المشاق في معيشتة منفرداً فتزوج في سنة ١٩٣٤ كريمة الشيخ محمد إبراهيم ، فيعيش بهدوء وطمأنينة ساعدته على الدراسة والتأليف .
وينتقل ليعيش في حي الدقي ، ويرزقه الله بفتاتين : خديجة ولىلى ، وبولد أسماه أحمد ، وبعد وفاته بأربعة أشهر أنجبت زوجته ولداً أسمته عبد الواحد .

(لقد حاول الشيخ عبد الواحد بمجرد وصوله الى القاهرة ان ينشر الثقافة الصوفية ، فساهم مادياً وأديباً في اخراج مجلة المعرفة ذات الطابع الصوفي ، التي استمرت في الصدور لثلاثة سنين ثم توقفت .

ومكث الشيخ في القاهرة يؤلف الكتب ، ويكتب المقالات ويرسل الخطابات الى جميع انحاء العالم ، كان حركة دائمة ، حركة فكرية وروحانية ترسل بسئالها الى كل من يطلب الهداية والإرشاد)^١

جهوده العملية :

- في عام ١٩٠٩م أصدر تقريرين علميين في مجلة «سلوك»، ومناظرة في مجلة «أكاسيا»، ورسالة توضيحية في مجلة «فرنسا المسيحية اللا ماسونية»، وكان يوقع أعماله باسم «أبي الهول».

- ومع نهاية عام ١٩٠٩م بعد تعيين «رينيه جينو» أسقفًا غنوصيًا بكنيسة الإسكندرية الغنوصية أسس مجلة «الغنوص»، وأصدر مجموعة من الأبحاث في هذه المجلة ، وكان حكمه على هذه الكنيسة انتقاداً قوياً ، على اعتبار أن المذاهب الروحية الحديثة ليست إلا مادية جديدة في مستوى آخر ، وهما الوحيد أن تطبق على الروح منهاج العلم الوضعي.

^١ انظر قضية التصوف ص ٢٩٩

في سبتمبر سنة ١٩١٧م عُين الشيخ «رينيه» أستاذاً للفلسفة في الجزائر ؛ ففضى فيها عامًا عاد بعده إلى فرنسا، وعُين في مدرسة بلده، ولكنه استقال بعد عام قضاه في التدريس ليتفرغ لأبحاثه.

وفي سنة ١٩٢٥م فتحت له مجلة «قناع إيزيس» صدرها فأخذ يكتب فيها، وانتهى به الأمر في سنة ١٩٢٩م أن أصبح أهم محرر بها؛ ذلك أنه رفض ما عرضته عليه المجلة من رئاسة التحرير.

ومن بين من التفوا حوله في تحرير المجلة: العالم الأستاذ: «شون»، الذي ألف كتبًا بالفرنسية من بينها كتاب: «عين القلب»، وقد اعتنق هذا العالم الإسلام أيضًا، وهو يدين -برغم أصالته وعبقريته- إلى «جينو» بكثير من اتجاهاته. وتوالى بعد ذلك نشر كتبه وتوالى مقالاته في مختلف الجرائد ...

دروس ومحاضرات:

في عام ١٩٢٥م ألقى الشيخ عبد الواحد يحيى محاضرة من أهم المحاضرات في جامعة السوربون تحت عنوان: «الميتافيزيقا الشرقية» وضح فيها الفرق بين الشرق والغرب في المجال الغيبي، موضحًا فيها أن الميتافيزيقا واحدة، لا شرقية ولا غربية، مثلها مثل الحقيقة الخالصة، إلا أنه يختلف مفهومها أو يختلف تناولها في كل من الشرق والغرب، واختياره لعبارة (شرقية) يعني به دراسة المجال الغيبي في الشرق بعامة؛ فالحضارات الشرقية مستمرة بنفس تواصلها، وهي ما زالت تعد الممثل المختص الذي يمكن اللجوء إليه للتزود بالمعلومات الحقة؛ وذلك لأن الحضارات الغربية تفتقد هذه الأصول الممتدة.

لماذا الإسلام :

وعن سبب اسلامه يقول :

أسلمت لأنني أيقنت أن مُجَدِّدًا ﷺ أتى بالحق ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما

فعلت لأسلم ٠٠ بلا شك إن كان عاقلاً من الأغراض والأمراض .
ويحكى لنا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود سبب إسلام «رينيه جينو»،
فيقول :

(كان سبب إسلامه بسيطاً ومنطقياً في آنٍ واحدٍ، لقد أراد أن يعتصم بنصٍ
مقدسٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد بعد دراسته العميقة
سوى القرآن؛ فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل؛ لأن الله
تكفل بحفظه، فاعتصم به وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب
الفرقان)^١

نظرته للتصوف :

(ربما كانت العقيدة الإسلامية، من بين العقائد الموروثة، هي العقيدة التي يظهر
فيها بوضوح التفرقة بين جزئين متكاملين هما؛ الظاهر، والباطن، أعني
“الشرعية” وهي الباب الذي يدخل فيه الجميع، و”الحقيقة”، ولا يصل إليها
إلا المصطفون الأخيار، وهذه التفرقة ليست تحكيمية، وإنما تفرضها طبيعة
الأشياء، مع أن الباطن لا يعني فقط الحقيقة، وإنما يعني كذلك السبل الموصلة
إليها، أعني الطرق التي تعود بالإنسان من الشرعية إلى الحقيقة، والطريقة والحقيقة
مجتمعتان يطلق عليهما “التصوف”، والتصوف ليس مذهباً لأنه الحقيقة
المطلقة، والطرق ليست مدارس مختلفة، لأنها طرق، أي سبل موصلة جميعها إلى
الحقيقة المطلقة، والتصوف ليس شيئاً أضيف إلى الإسلام، وإنما هو جزء
جوهرى من الإسلام)^٢

وفي رحاب التصوف كان الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي هو الدليل للشيخ
عبد الواحد ، فقد ارتبط به بصلة قلبية كبيرة .

^١ قضية التصوف ص ٣٠٣

^٢ المفكر والفيلسوف الفرنسي الشيخ عبد الواحد يحيى (رينيه جينو)

والحب عند المتصوفين رابطة تتجاوز الزمن والوقت ، فقد ترتبط قلبياً بشيخ توفي قبل مئات السنين فترتبط معه بمحبة عظيمة في الله ، وقد تأخذ عنه او تأخذ منه .

انها صلاة القلوب ، وصلاة الأرواح التي تتعدى الحدود والحواسر .
إنّ الصلّة بين الشيخ الأكبر، سيدنا (محيي الدين بن عربي) ، وبين الشيخ (عبد الواحد) بادية ظاهرة، ولقد اعتنق (جينو) الإسلام بواسطة شيخ ينتسب إلى روحانيّة الشيخ الأكبر؛ وهو الشيخ عليش الكبير، وهو الشخص الذي أهدى إليه (جينو) أحد كتبه في هذه العبارة :
(إلى الذكرى المقدّسة، ذكرى الشيخ عبد الرحمن عليش الكبير، المالكي، المغربي، الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب .
مصر - القاهرة ١٣٢٩ - ١٣٤٧ هـ) .

وهذا الشيخ المصري يهمنّا من ناحية أخرى؛ لأنّه فضلاً عن صفته الصوفيّة السامية، كان له صفة أخرى، فلقد كتب الشيخ عبد الواحد في أحد خطاباته يقول:

(كان الشيخ عليش شيخ فرع من الطريقة الشاذليّة، وكان في الوقت نفسه شيخ المذهب المالكي بالأزهر) .

والشاذليّة طريقة أسّسها في القرن السابع الهجري الشيخ (أبو الحسن الشاذلي) ، وهو صورة من أروع الصور الروحانيّة في الإسلام.

كان الشيخ الذي ينتسب إليه الشيخ عبد الواحد إذأً ، يجمع بين صفتين ، هما :

الحقيقة والشريعة ؛ كان شيخ طريقة ، وشيخ مذهب ، وهذا له أهميّة بالنسبة لتلميذه ، فيما يتعلق بتقديرنا لأرائه من الناحية الإسلاميّة .

ومما ينبغي ملاحظته في عناية، أنّ هذا الشيخ هو الذي يدين له الشيخ عبد

الواحد بالفكرة الأولى لكتابه (رمزية الصلب) ، وهكذا كان هذا الشيخ يفتح السبل أمام الشيخ عبد الواحد ، ويهديه الطريق، وحمل الشيخ عبد الواحد راية الجهاد من بعده، فاستمر يبني على ما أسسته (الأكبرية) ؛ تلك الجماعة التي تنتهج نهج الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي .

والواقع هو أنّ الذي وجّه الشيخ عبد الواحد هذه الوجهة هو الشيخ عليش، والشيخ عليش إنّما كان مرآة تعكس صورة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، وهو أسمى مظهر للتصوف الإسلامي والعقيدة الإسلامية، وإذا كان الشيخ عليش مالكيّاً محافظاً، فإنّ تصوفه لا يخرج عن التعاليم الإسلامية. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة له، فإنّه كذلك أيضاً بالنسبة لتلميذه الشيخ عبد الواحد (جبنو)

قال عن التصوف:

ألقي الشيخ عبد الواحد محاضرة في جامعة السوربون لتوضيح معنى التصوف، ولوصف مجال التصوف، قال فيها :

إنّ التصوف يعني معرفة المبادئ الكونية، وإن كان هذا التعريف لا يُعطي إلا فكرة مبهمّة أو عامة إلى حد ما، وإنّ هذا المجال يمتد إلى أبعد بكثير مما يتصوره بعض الغربيين، فعندما حاول أرسطو تعريف مجال ما وراء الطبيعة على أنه معرفة الإنسان كإنسان شبيهه بعلم الكائنات، أي أنه أخذ الجزئية على أنّها تعني الكل .. أما بالنسبة لمجال ما وراء الطبيعة أو التصوف في الشرق، فإن الكائن الصافي ليس أول المبادئ ولا أكثرها علمية أو كونية ؛ لأنه يعد بمثابة تحديد ، في حين المقصود هو التوصل إلى ما هو أبعد من الكائن المحدد ، وذلك هو الأهم في الموضوع؛ لذلك عند استخدام عبارة ما وراء الطبيعة يجب دائماً أن نحفظ جزءاً في التعريف لما لا يمكن تعريفه كالفرق بين كلمة النهائي بمعنى المنتهى، أيا كانت عظّمته وكبره، وكلمة اللانهائي، فكل هذه الأشكال سواء أكانت كلمات أم

رموز لا تمثل إلا دعامة أو نقطة ارتكاز للارتقاء إلى إمكانات مفاهيم تتخطاها بكثير، والأمر لا يتعين بعمل مجردات معينة، وإنما بالتوصل إلى معرفة مباشرة من الحقيقة كما هي.

فالعلم هو المعرفة العقلانية الاستدلالية غير المباشرة، إنه معرفة عن طريق الانعكاس، أما مجال ما وراء الطبيعة أو التصوف فهو المعرفة فوق العقلانية، الحدسية والمباشرة، وهذا الحدس الفكري الصافي الذي بدونه لا يوجد تصوف حقيقي، لا يجب أن نخلط بينه وبين الإلهام بالمعنى الذي يتحدث به بعض الفلاسفة المعاصرين؛ لأن ذلك الإلهام الذي يتحدثون عنه هو على العكس دون العقلانية، فهناك حدس فكري وحدس فعلي، أحدهما يتخطى المنطق والآخر من دونه، وهذا الأخير لا يمكنه إدراك إلا العالم المتغير أي الطبيعة، أو بمعنى أدق جزء ضئيل منها، أما مجال الحدس الفكري فعلى العكس من ذلك فهو مجال المبادئ الخالدة التي لا تتزحزح، إنه مجال ما وراء الطبيعة أو مجال التصوف.

من أقواله :

- إن أيديولوجية العالم الحديث تتسم بثلاث نقاط: قلب التدرج الهرمي في كافة الميادين، والتقليل من أهمية المجال الفكري، والمبالغة في المجال المادي والعاطفي.
- إن التشتت والسطحية، أو كل ما يتعلق بالظاهر، تؤديان إلى هدم النزعة الفكرية .

وإن العصر الحديث قد فقد معنى كل ما هو مقدس، فالحضارة التي لا تعترف بأي مبدأ أعلى، والتي تقوم على إنكار المبادئ هي حضارة مجردة من أية وسيلة تفاهم من الحضارات التراثية ؛ لأن كل ما يقوم بدور في الوجود الإنساني قد تم تجريده تدريجياً من أي طابع مقدس أو تراثي. وبذلك تحول نفس ذلك الوجود إلى مجرد وجود دنيوي، وتدنى إلى تفاهة الحياة العادية مثلما نراها اليوم.

- إن العقلية الحديثة مصطنعة، فمجمّل ما يكوّن الحضارة الحديثة أيًا كانت وجهة نظره يبدو مصطنعًا ومزيّفًا. فما يبدو جليًا وأساسيًا هو كل ما يؤدي إلى تحريف العقلية الذي نراه.

- إن التبشير يتلخص في فرض المعتقدات بأية وسيلة على الآخرين. والأوروبيون يريدون إجبار الجميع على الاهتمام باهتماماتهم هم ، وأن يضعوها في أول درجة لاهتماماتهم الاقتصادية ، وتبني نفس نظامهم السياسي، وذلك أنهم يحاولون دائمًا أن يبدوا واثقين من أنفسهم ومما يقولون، وإخفاء الصعاب التي يعانون منها ، وأن لا ينطقوا بأي شيء بصورة مشكوك فيها. فتلك هي أسهل وسيلة لأن نأخذ مآخذ الجد، وأن يحصلوا هم بذلك على مزيد من السلطة.

- إن العالم الحديث له معتقد باطل عن الحياة، حيث إنه يحصر نفسه بداخلها وبداخل المفاهيم المتعلقة بها مباشرة، ويجهل كل شيء عن المبادئ المتعالية الثابتة، بينما تمثل الحياة والحركة نوع من التسلط لدى المعاصرين، الذين يعطونهما الأولوية على المجال الميتافيزيقي، كما يتصف الحداثيون بأنهم يأخذون الجزء الضئيل على أنه الكل، الأمر الذي يكشف عن أفق فكري محدود.

- ومن أهم النقاط التي أشار إليها في أبحاثه عن الحضارة ، يقول الشيخ عبد الواحد يحيى :

إن ما يتصوره الحداثيون من أن تطور الإنسانية والحضارة يتم بصورة مستمرة وفي خط واحد هي سفسطة ، لأن الإنسانية تتطور في حضارات متعددة مستقلة عن بعضها؛ بل ومختلفة ؛ وذلك لأن بعضها ينمو ويتطور بينما الآخر ينتهي أو يضمحل.

وإن ما يميّز الحضارة الغربية هو اهتمامها بالأشياء العارضة ولا تهتم إلا بها، وذلك كالاقتصاد والعلوم والسياسة ، بينما يمكن الحصول على نتائج أكثر في

مجال معين بفضل قانون التركيز، إلا أن ذلك لا يتأتى إلا بتوجيه من مذهب فكري صافٍ، وهم لا يهتمون بقيمة أو بنوعية المعارف التي يحصلونها، فكل ما يعينهم هو الكم، وهذا يعني التشتت في تفاصيل لا نهائية، ومثل هذه العلوم التحليلية لا ترتبط بشيء، ومن الناحية الفكرية فهي لا تؤدي إلى أي شيء. وإن العقلية الحديثة تحصر نفسها في نطاق متزايد الضيق، وتخلط كل شيء في ذلك الحيز الضيق، بحيث يكون الانطباع العام الناجم هو الاختلال والفوضى. وفي الخواء العام والنظريات المتعددة والفرضيات التي تتلاطم وتتصارع وتتناقض وتهدم بعضها البعض، تظل الحقيقة بعيدة المنال بالنسبة للإنسان. والحضارة الحديثة تفتقر إلى المبادئ الراسخة؛ لذلك هي متغيرة.

مكانته :

«رينيه جينو» من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ، يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالي وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلاطون، صاحب الأفلاطونية الحديثة وأمثاله.

وإذا كان الشخص لا يُقدَّر التقدير الذي يستحقه إلا بعد وفاته - كما هو السائد - فقد كان من حسن حظ «رينيه جينو» أنه قُدر في أثناء حياته، وقُدر بعد وفاته، أما في أثناء حياته فكان أول تقدير له أن حرّمت الكنيسة قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تحشى خطرهم، وقد وضعت بذلك بجوار عباقرة الفكر الذين اتخذت تجاههم نفس المسلك، ولكنها رأت في «رينيه جينو» خطرًا يكبر كل خطر سابق؛ فحرمت حتى الحديث عنه. وإذا كان هذا تقديرًا سلبيًا له قيمته، فهناك التقدير الإيجابي الذي لا يقل في أهميته عن التقدير السلبي؛ فهناك هؤلاء الذين استجابوا لدعوة «رينيه جينو»؛ فأنشأوا جمعيات في جميع العواصم الكبرى في العالم، وعلى الخصوص في سويسرا وفي فرنسا، والمكونون لهذه الجمعيات، احتذوا حذو «رينيه جينو»؛ فاتخذوا

الإسلام دينًا، والطهارة والإخلاص وطاعة الله شعارًا وديدًا، ويكونون وسط هذه المادية السابغة وهذه الشهوات المتغلبة واحات جميلة، يلجأ إليها كل من أراد الطهر والطمأنينة.

ومن التقدير الإيجابي أيضًا: أن كتبه -برغم تحريم الكنيسة لقراءتها- قد انتشرت في جميع أرجاء العالم، وطُبعت المرة بعد الأخرى، وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة، ما عدا العربية للأسف الشديد.

كل هذا التقدير كان في حياته ، أما بعد مماته فقد زاد هذا التقدير، فلقد كتبت عنه جميع صحف العالم، ومنها بعض الصحف المصرية العربية التي كتبت عنه باستفاضة.

وكتب عنه جبرئيل بقطر ، وهو من الصحفيين القلائل الذين نجحوا في لقاءه رغم العزلة التي فرضها الشيخ حوله ، قائلاً :

إنه يعيش منذ زمن بعيد، وكأنه إنسان لا ينتمي إلى كوكبنا .. وكان الشيخ يعيش فعلاً في الأجواء اللامادية للفكر ؛ لأن الجسد وكل ما هو مادي لم يكن يجذب انتباهه. ويضيف الصحفي كاتبًا: كان يبدو وكأنه إنسان قادم من أعماق إحدى تلك الكاتدرائيات القوطية السحيقة .. أشبه ما يكون بتلك الرؤيا المتجسدة.

كما كتبت عنه الصحف الأجنبية أيضًا كمجلة «إيجيت نوفل»، التي أخذت تكتب عنه عدة أسابيع، ثم أخذت تكتب عنه كل عام في ذكرى وفاته. وخصصت له مجلة «فرنسا- آسيا» عددًا ضخماً، كتب فيه كبار الكُتَّاب الشرقيين والغربيين، وافتتحته بتقدير شاعر فرنسا الأكبر «أندريه جيد» لـ «رينيه جينو» وقوله في صراحة لا لبس فيها: إن آراء «رينيه جينو» لا تنقض.

كما خصصت مجلة «إيتودترا ديسيونيل» -وهي المجلة التي تعتبر في الغرب كله

لسان التصوف الصحيح- عددًا ضخماً من أعدادها، كتب فيه أيضاً كبار الكتاب الشرقيين والغربيين.

ثم خصص له الكاتب الصحفي الشهير «بول سيران» كتاباً ضخماً، تحدث فيه عن حياته وعن آرائه ووضعه - كما وضعه الآخرون الذين كتبوا عنه- في المكان اللائق به بجوار الإمام الغزالي أو الحكيم أفلاطون.

مؤلفاته:

ترك الشيخ عبد الواحد يحيى العديد من المؤلفات، التي ضمت بين صفحاتها دفاعاً عن الإسلام وصورته لدى الغرب، في مواجهة الصورة التي كان يروجها المستشرقون حول كون الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه لا يثمر الروحانية العميقة، وبيان أن الحضارة الإسلامية تتسم بالقوة الذاتية، التي تجعلها تؤثر في أقاليم غير التي نشأت فيها، وجاءت إسهاماته في الرد على هذه الاتهامات من خلال كتبه التي من أهمها:

- «خطأ الاتجاه الروحاني» تحضير الأرواح.
- «الشرق والغرب»: رد فيه إلى الشرق اعتباره، مبيناً أصلته في الحضارة، وسموه في التفكير، وإنسانيته التي لا تقاس بما مادية الغرب وفساده.
- «علم الباطن لدانتي».
- «الإنسان ومستقبله وفقاً للفيديانتا».
- «أزمة العالم المعاصر»: بَيَّنَّ فيه الانحراف الهائل الذي تسير فيه أوروبا الآن، والضلال المبين الذي أعمى الغرب عن سواء السبيل.
- «ملك العالم».
- «القديس برنارد».
- «رمزية الصليب».
- «مدخل لدراسة العقائد الهندية».

- «التيوزوفية: تاريخ دين مزيف».
- «السلطة الروحية والسلطة الزمنية».
- «أحوال الوجود المتعددة».
- «عروض نقدية».
- «سيادة الكم وعلامات الزمان».
- «الميتافيزيقا الشرقية».
- «الثالوث الأعظم».
- «مبادئ الحساب التفاضلي».
- «لمحات عن الباطنية المسيحية».
- «البدائيات» دراسة في الماسونية الحرة وجماعات الأخوة (جزءان).
- «الصور التراثية والدورات الكونية».
- «لمحات عن الصوفية الإسلامية والطاوية».
- «لمحات في التصوف المسيحي».
- «التلفيق الروحي وتحقيقه»

وفاته :

كان اسمه في شهادة الميلاد (المعمودية) Guénon René –Jean : وهي مؤرخة في ١٥ تشرين الثاني من عام ١٨٨٦ للميلاد في مدينة Blois من اقليم Loire الفرنسي .
 واسمه في شهادة الوفاة (عبد الواحد يحيى) وهي مؤرخة في ٨ كانون الثاني من عام ١٩٥١ في مدينة القاهرة .
 هكذا كان قدره ان يولد مسيحياً كاثوليكياً ، وان يموت مسلماً ، ان بولد في فرنسا وان يموت ويدفن في مصر .

الظاهر ان الشيخ اختار هذا الاسم مخاطباً به الإنسان والفكر الإنساني وخاصة الغربي قائلاً :

ليست هناك من فكرة أرقى وأسمى من معنى توحيد الله ونفي الشريك عنه وفي المقابل لن يصمد ولن يجي أي فكر تنصل وتنكر لهذا الأصل ، فقد كان رحمه الله تعالى يجب ان ينادى بهذا الاسم .

لقد وصف الكاتب المشهور اندريه روسو – حيث كان في القاهرة اذ ذاك جنازة الشيخ عبد الواحد فكتب في جريدة الفيجارو الفرنسية يقول :
(شيعت جنازته في اليوم التالي لوفاته ، وسار في الجنازة وزوجه واطفاله الثلاث ، واخترقت الجنازة البلدة الى ان وصلت الى مسجد سيدنا الحسين حيث صلى عليه ، ثم سارت الجنازة الى مقبرة الدراسة .

لقد كانت جنازة متواضعة مكونة من الأسرة ومن بعض الأصدقاء ، ولم يكن فيها أي من شيوخ الأزهر ، ودفن الشيخ عبد الواحد في مقبرة اسرة الشيخ محمد عبد الرحيم .

وكان آخر ما قاله لزوجته : كوني مطمئنة ، لن أترك أبداً ، حقيقة انك لا ترينني ، لكني سأكون هنا وسأراك .

ويضيف روسو :

والآن حينما لا يلتزم احد اطفالها الهدوء كانت تقول له :

كيف تجرؤ على ذلك مع ان والدك ينظر اليك ؟

فيلتزم الطفل السكون في حضرة والده اللا مرئي .

وفي ٩ يناير وصلت برقية الى باريس تعلن : وفاة رينيه جينو الفيلسوف الفرنسي المستشرق .

وما ان وصلت هذه البرقية حتى اخذت الصحف والمجلات تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها :

(حكيم كان يعيش في ظل الاهرامات) ، (فيلسوف القاهرة) ، (أكبر الروحانيين في العصر الحديث) .
ووصفوه (بالبوصلة المعصومة) ، (وبالدرع الحصين)
ثم خصصت له (إيتودترا ديسيونيل) عدداً ضخماً كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا ، أروع المقالات .
وكذلك خصصت له مجلة (فرنسا - آسيا) عدداً ضخماً كتب فيه الكثير من الكتاب الفرنسيين ، ، ولكن جينو كان عالمياً ، لذلك اوسعت المجلتان صدرهما لكتاب المان وانجليز وغيرهم من غربيين وشرقيين .
فكتبوا مقالات مستفيضة تناولت آثاره بالتحليل والتقدير .
واخيراً خصّه الكاتب الفرنسي الشهير بول سران بكتاب خاص تناول فيه نواحيه المتعددة مُبدياً اعجابه العظيم وتقديره السامي)^١

^١ انظر قضية التصوف ص ٣٠٠ - ٣٠١

عبد الوهاب بن أحمد الشعرائي

(٨٩٨ هـ - ٩٧٣ هـ)

(إنَّ من مَنَّنَ اللهُ عليَّ أنْ ألهمني مجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي)

الشيخ الشعرائي

لطالما تمنى ان يبیت بين كتبه ، فقد كان شديد التعلق بالعلم ، كثير الحب للقراءة ، يجد نفسه حين يقلّب كتاباً أو حين يأخذ قلمه ليحرر نصّاً او يضيف هامشاً او تعليقاً على كتاب .

يتفقد كتبه كل صباح ، يمرر يده عليها ، يتحسّسها ، كأبٍ يداعب طفله ، فالكاتب أولاده ، وربما أكثر ، أو ربما أقلُّ ، لا يدري فكل الذي يعرفه ان كتبه أغلى ما في الوجود وأحب الى قلبه مما سواها .

وحين كان يجلس في مجالس العلم يشرح نصّاً او يبيّن حكماً ، كان يشعر بنفسه تتسامى وتنطلق في دنيا واسعة ، دنيا كل ما فيها جميل ، كان كالمملك ، وطلابه الحاشية ... وكم تمنى ان تطول ساعات درسه فينقل لتلاميذه خلاصة رحلته في عوالم المعرفة فيفيدهم بمعنى جديد لتفسير ، او يفتح لهم زاوية جديدة تغير فهماً قديماً ...

كان العلم والتعلم والتعليم ... كل حياته .

ويوم التقى بشيخه الأمي ، والذي فتح عينيه على عالم من المعارف غير التي قرأها في كتبه ، انبهر أمام العلم الجديد ، وأحسّ بوقع العلم الجديد جميلاً في قلبه ، إنها علومٌ علويّة لا تتسع لها الكتب ، مفتاحها صفاء الروح وتركية النفس ، ووعاءها القلب ، أحسّ بلحظة انه كموسى النبي عليه السلام وهو يتبع الخضر صاحب العلم اللدنيّ ، فسعى خلف شيخه يلثم جواهر المعرفة ولآلئ الحكمة .. كان فرحاً ...

ويوم أمره شيخه ان يترك جميع علومه السابقة ، وان يبيع كل كتبه ، شعر بأنّ

قلبه يكاد ينخلع من صدره ، وأنَّ عمره يُذبح أمامه ، فكتبه وعلومه ، هي قلبه وعمره ، انْها أبناءه ، وليس سهلاً ان يتخلى المرء عن قلبه وعمره وأبناءه .

التعريف بالشيخ :

قال عنه ابن العماد الحنبلي نقلاً عن الحافظ المناوي في طبقاته: (هو شيخنا الإمام العالم ، العابد ، الزاهد ، الفقيه ، المحدِّث ، الأصولي ، الصوفي ، المرابي ، المُسَلِّك)

والشيخ شريف النسب ، يمتد نسبه الى الدوحة العلوية الهاشمية ، فجده الأعلى مُحَمَّد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

يقول الشيخ رحمته وهو يذكر نسبه الشريف :

(أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء الملوك فإني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن زوفا بن الشيخ موسى ، المكنى في بلاد البهنسا ¹ بأبي العمران ، جدي السادس ابن السلطان أحمد ابن السلطان سعيد ابن السلطان فاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زوفا ابن السلطان ريان ابن السلطان مُحَمَّد بن موسى ابن السيد مُحَمَّد ابن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب رحمته .

وكان جدي السابع الذي هو السلطان أحمد سلطاناً بمدينة تلمسان ² في عصر

¹ البهنسا هي إحدى قرى محافظة المنيا بجنوب مصر ، وهذه القرية لها تاريخ عريق قبل الإسلام وبعده فلقد زارها السيد المسيح والسيدة مريم والسيد يوسف النجار عليهم السلام ولقد جاء البهنسا مجموعة من الصحابة والتابعين بل ومن أصحاب بدر أثناء الفتح الإسلامي لمصر في عهد عمر بن الخطاب واستشهدوا ودفنوا في أرضها ونذكر بعض منهم على طريق المثال لا الحصر مثل عبد الرحمن بن أبي بكر وضرار بن الأزور وخولة بنت الأزور وعفان بن عثمان بن عفان وأبو ذر الغفاري وكثير من أهل الفضل شرفت البهنسا بقدمهم إليها.

² مدينة تقع في شمال غرب الجزائر ، وهي ثاني أهم مدينة في الجهة الغربية بعد وهران .

الشيخ أبي مدين المغربي ، ولما اجتمع به جدي موسى قال له الشيخ أبو مدين : لمن تنتسب ؟ قال: والدي السلطان أحمد ، فقال له : إنما عنت نسبك من جهة الشرف ، فقال: أنتسب إلى السيد مُجَّد ابن الحنفية ، فقال له : مُلْكُ وشرف وفقر (أي تصوف) لا يجتمعن ، فقال : يا سيدي ، قد خلعت ما عدا الفقر ، فربَّاه ، فلما كمل في الطريق أمره بالسفر إلى صعيد مصر، وقال له : اسكن بناحية «هو»^١ فإن بها قبرك، فكان الأمر كما قال^٢

المولد والنشأة :

والشيخ كما تبين من بيت علوي ، هاجر أهله الى المغرب الأقصى كما هاجر بقية أهلهم بعد ان تعرضوا للسجن وللقتل إبان الحكم الأموي والعباسي . وفي المغرب عرف الناس فَضْلَ أهل البيت العلوي فأحاطوهم بالعبادة والاحترام والتقدير ، حتى آلت اليهم الرياسة والحكم .

ولم تحرف شهوة الملك والسلطنة أجداد شيخنا ، ففيهم بذرة الإيمان والتوجه الى الله تعالى وفيهم روح الزهد ، فهذا جده موسى ابن السلطان أحمد يؤثر طريق الله على الملك ومجده ، فيتلمذ على ابو مدين الصوفي ، ويترك الملك ويترك المغرب مهاجراً إلى مصر تلبية لأمر شيخه .

وفي صعيد مصر ، وفي بلدة (هو) يؤسس الشيخ موسى ابو العمران زاوية ستصبح مركزاً من مراكز التصوف في مصر، ومدرسة يترى بها رجال الدعوة الصوفية .

(واستمرت أسرة الشعرايين بالصعيد تحمل لواء العلم والولاية حتى مطلع القرن التاسع الهجري، فهاجر عميدها أحمد إلى ساقية أبي شعرة بالمنوفية، وأسس بها زاوية للعلم والعبادة، والتف الناس حوله ينهلون من معارفه وفتوحاته ؛ فقد

^١ إحدى مدن صعيد مصر شرق نهر النيل

^٢ المنن / ١ / ٣٢

عُرف بالتفوق في العلوم الصوفية رغم أميته، كما اشتهر بالولاية والنفحات، وانتقل إلى جوار ربه عام ٨٢٨ هـ .

وحمل اللواء بعده حفيده أحمد الذي أوتي حظاً من العلم المعروف في الأزهر في عهده، وحظوظاً من العلوم الربانية التي اختص بها المتصوفة.

ثم تآذن ربك لهذا البيت الكريم؛ بيت الملك والدين، بأن عهد كماله وتمامه قد حان، فوهبه في ليلة مباركة الطفل العملاق عبد الوهاب الشعراي^١

ولد الشعراي على أصح الروايات وأشهرها في ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨ هـ ، وكان مولده في بلدة (قلقشندة)^٢ وهي قرية جده لأمه ثم انتقل بعد أربعين يوماً من مولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة من قرى المنوفية ، وإليها نسبته ، فلقّب بالشعراي، وعُرف بهذا اللقب واشتهر به، وإن كان هو قد سُمّي نفسه في بعض مؤلفاته بالشعراوي .

وفي أيامه انتقلت الديار المصرية من السلاطين المماليك إلى الدولة العثمانية . نشأ يتيم الأبوين ؛ إذ مات أبوه وهو طفل صغير ، ومع ذلك ظهرت عليه علامة النجابة ومخايل النبوغ ، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين ، وواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها، ثم حفظ متون الكتب، كأبي شجاع في فقه الشافعية، و الأجرومية في النحو، وعمره لم يتعدَّ السابعة أو الثامنة ، وقد درسهما على يد أخيه الشيخ عبد القادر الذي كفله بعد وفاة أبيه الذي دُفن في زاويته بساقية أبي شعرة .

وبعد وفاة أبيه بسنين ثلاث سينتقل الى القاهرة ، صبيّاً يتيم الأب والأم ، لكنه في عين الرعاية الإلهية .

^١ التصوف الإسلامي والشيخ الشعراي ص ٢٠ - ٢١

^٢ مدينة تقع إلى الجنوب من مدينة (طوخ) بمحافظة القليوبية في منطقة الدلتا المصرية

في القاهرة :

وينتقل الشعراني الى القاهرة ، صبياً يتيم الأبوين فقيراً ما له سوى الله يحقّه بعناية ورحمة ولطف .

ومن رحمة ربه وعنايته به انه كان عابداً متبتلاً مستغرقاً في صلواته وأذكاره استغراقاً لا يعرف في مثل سنه ، فكان يقوم الليل وهو في الثامنة من عمره . وكان شديد الإقبال على العلم والقراءة حتى انه كان يجالس العلماء ولما يبلغ العاشرة من عمره .

ويهيئ له الله من يرعاه ويسد له حاجته ، يقول شيخنا رحمته الله عليه : (وكان مجيء إلى القاهرة افتتاح سنة عشرة وتسعمائة، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، فأقمت في جامع سيدي «أبو العباس الغمري»، وحنن الله عليّ شيخ الجامع وأولاده، فمكثت بينهم كأني واحد منهم؛ آكل ما يأكلون، وألبس ما يلبسون، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها على الأشياخ) ^١

ثم يقول : (ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي، معتقداً عند الناس، يعرضون عليّ كثيراً من الذهب والفضة والثياب، فتارة أردّها، وتارة أطرحتها في صحن الجامع فيلتقطها المجاورون) ^٢

(ثم لما جئت إلى مصر حفظت كتاب المنهاج للنووي، ثم ألفية ابن مالك، ثم التوضيح لابن هشام، ثم جمع الجوامع، ثم ألفية العراقي، ثم تلخيص المفتاح، ثم الشاطبية، ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات، وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ، ثم ارتفعت الهمة إلى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة ؛ لكونه أجمع كتاب في مذهب الشافعي ، وأشار عليّ شيوخه ألا أدخل طريق التصوف إلا بعد شرح محفوظي

^١ انظر شذرات الذهب : ٣ / ٨

^٢ المنن ص ٥٦

على الأشياخ ، فإذا فهمتها وتبحرت فيها؛ فعليك بطريق القوم ،
ثم يقول: وقرأت محفوظاتي على شيوخي وهم نحو خمسين شيخاً ، فقرأت على
الشيخ أمين الدين شرح المنهاج للجلال المحلي، وكنت أطلع على درسي هذا
القوت للأذري، والقطعة والتكملة للإسنوي والزرکشي، والقطعة للسبكي،
والعمدة لابن الملقن ، وشرح ابن قاضي شهبه، وشرح الروض للشيخ زكريا
الأنصاري، وأكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين، وألصق به
أوراقاً (حتى ربما تصير الحواشي أكثر من الكتاب) ثم أقرأها كلها عليه .
وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين، وحاشية الشيخ كمال
الدين، وشرح العراقي للجلال الحافظ السخاوي)^١
وقد توسع اصحاب التراجم في ذكر اساتذته وشيوخه ، سنوردهم مع ذكر
الكتب التي درسها عليهم :
(١ - الشيخ أمين الدين : إمام جامع الغمري ، قرأ عليه ما لا يحصى من
الكتب منها الكتب الستة .
٢ -برهان الدين القلقشندي : درس عليه قطعة من شرح المنهاج في الفقه
الشافعي ، وأجاز له .
٣ -زكريا الأنصاري : درس عليه شرحه على الروض إلى باب الجهاد ،
وشرحه للرسالة ، ومختصره لأداب القضاء ، وشرح التحرير .
٤ -زين الدين المحلي : قرأ عليه شرح المحلي على جمع الجوامع في أصول
الفقه وحاشيته ، وشرح العقائد للفتا ازي وحاشية ابن أبي شريف عليه
وشرح المقاصد للفتازاني ، وشرح الفصول لأبي طاهر القزويني
٥ -شرف الدين الدمياطي : درس عليه قطعة من المنهاج في الفقه الشافعي .
٦ -الصافي : درس عليه قطعة من المنهاج في الفقه الشافعي .

^١ الفتح المبين ص ٤

- ٧- عيسى الأحنائي : درس عليه قطعة من المنهاج في الفقه الشافعي .
- ٨- شمس الدين الحنبلي : درس عليه قطعة من تفسير البغوي .
- ٩- شهاب الدين الرملي : درس عليه الروضة إلى أثناء الخيار والأعفاف في الفقه الشافعي .
- ١٠- شهاب الدين القسطلاني : درس عليه كل المواهب وغالب شرحه للبخاري (إرشاد الساري)
- ١١- العجلي : درس عليه قطعة من المنهاج للمحلي في الفقه الشافعي .
- ١٢- ملا علي العجمي : درس عليه بباب القرفة قطعة من المطول للتفتازاني في البلاغة ، والعضد في الوضع ، وقطعة من تفسير البيضاوي .
- ١٣- نور الدين ابن ناصر : درس عليه قطعة من شرح المنهاج للمحلي إلى (أثناء الحج) .
- ١٤- نور الدين الأشموني : درس عليه قطعة من شرحه على المنهاج الذي نظمه وشرح نظمه لجمع الجوامع .
- ١٥- نور الدين الجارحي : درس عليه في جامع الغمري في مصر شرح ألفية العراقي في الحديث ، وشرح الشاطبية في القراءات .
- ١٦- نور الدين السنهوري الضرير : الإمام في جامع الأزهر ، درس عليه شرح نظمه للأجرومية ، وشرح شذور الذهب لابن هشام ، وشرح الألفية للمكودي في النحو .
- اضافة لذلك فقد أخذ الشعراي عن الشيخ جلال الدين السيوطي والشيخ شمس الدين السمانودي وعبد الحق السباطي وناصر الدين اللقاني وشمس الدين الدواخلي)^١

^١ انظر : الكواكب السائرة : ١٧٦/٣-١٧٧ ، وشذرات الذهب : ٣٧٢/ ٨ .

تلامذته :

لم تشر المصادر التي إلى واحد من تلامذة الشعراني ، ويبدو لنا أنهم كثر ؛ لتنوع العلوم التي تَمَرَس بها ، فقد ذكر لنا ابن العماد انه كان إمام عصره ذوقاً وعلماً ، وأنه أسس زاوية غدت من أكبر منارات العلوم وملجأ للعلماء وطالبي العلم (يسمع فيها دوي كدويّ النحل ليلاً ونهاراً ، وأنه كان يوزع وقته ما بين تصنيف وتأليف وإفادة)^١

علومه ومؤلفاته :

ترك الشعراني تراثاً علمياً كبيراً ، فقد أَلَف في كل أفق من آفاق المعرفة العلمية ، فكتب في التفسير والحديث والفقه والتصوّف والنحو والطب والكيمياء وغيرها من ألوان العلوم والمعارف حتى ناهزت مؤلفاته ستين مؤلفاً ، صرّحت بذلك كتب التراجم مع تفاوت في الذكر ، وقد تم تصنيف هذه المؤلفات على وفق الترتيب الهجائي ومنها المخطوط والمطبوع :

- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية (مخطوط) .
- الأخلاق الزكية والعلوم الدنية (مخطوط).
- الأخلاق المتبوية المفاضة من الحضرة المحمدية (ط) .
- أدب القضاة (مخطوط).
- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين (مخطوط) .
- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء (مخطوط).
- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (مطبوع) . " تصوّف " .
- البحر المورود في المواثيق والعهود (مطبوع).
- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير (مطبوع) " حديث " انتخبها من الجامع الصغير والجامع الكبير وزوائد الصغير للسيوطي ، أضاف إليه

^١ انظر : شذارت الذهب : ٨ / ٣٧٢

- كتاب السخاوي المسم ب(المقاصد الحسنة) .
- البروق والخواطف (مخطوط) .
- بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق (مخطوط)
- تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء (مخطوط).
- تنبيه المغترين في آداب الدين (مطبوع) .
- تنبيه المفتريين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر (مطبوع) "تصوف" .
- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم (مخطوط).
- الجواهر والدرر (مخطوط).
- الجواهر والدرر الكبرى (مطبوع) " نقله عن شيخه علي الخواص " .
- الجواهر والدرر الوسطى (مطبوع) .
- حقوق أخوة الإسلام (مخطوط) " مواعظ " .
- درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص (مطبوع) " تصوف " .
- الدرر المنتورة في بيان زبد العلوم المشهورة (مطبوع) .
- الدرر واللمع في الصدق والورع (مخطوط).
- ذيل لواقع الأنوار (مخطوط) " جزء صغير " .
- ردع الفقرا عن دعوة الولاية الكبرى (مخطوط).
- رسالة في بيان جماعة سما أنفسهم بالصوفية وادّعوا الولاية كذباً (مطبوع) " تصوف " .
- السراج المنير في غرائب أحاديث البشير النذير (مخطوط).
- سر المسير والتزود ليوم المصير (مخطوط).
- السرّ المرقوم فيما اختصّ به أهل الله من العلوم (مخطوط).

- شرح جمع الجوامع للسبكي في الفروع أو في أصول الفقه (مخطوط).
- طبقات الشعراني الكبرى (مطبوع) . يعرف أيضاً ب(لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار) ، لخص فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يقتدي بهم في طريق الله إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر .
- الطراز الأبهج على خطبة المنهج (مخطوط).
- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد (مخطوط).
- علامات الخذلان على من لم يعمل بالقرآن (مخطوط).
- الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين (مطبوع).
- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب (مخطوط).
- فرائد القلائد في علم العقائد (مخطوط).
- القواعد الكشفية الموضحات لمعاني الصفات الإلهية (مخطوط) "في الصفات الإلهية " .
- القول المبين في بيان آداب الطالبين (مخطوط)
- القول المبين في الرد على الشيخ محيي الدين (مخطوط).
- الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر (مطبوع) " تلخيص للواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية " .
- كشف الحجاب والران على وجه أسئلة الجان (مطبوع) .
- كشف الغمة عن جميع الأئمة (مطبوع) " في الحديث " .
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق (مطبوع) ، ويعرف بالمنن الكبرى أيضاً .
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية أو مشارق الأنوار في بيان العهود المحمدية (مطبوع) .
- لواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية (مخطوط) " اختصار

- لكتاب الفتوحات المكية لابن العربي " .
- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر (مخطوط) .
 - مختصر الألفية لابن مالك في النحو (مخطوط) .
 - مختصر تذكرة الإمام أبي عبد الله القرطبي (مطبوع) " مواظظ " .
 - مختصر تذكرة الإمام السويدي (مطبوع) " رسالة في الطب " .
 - مختصر المدونة في الفروع المالكية (مخطوط) .
 - مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين (مطبوع) .
 - مقتحم الأكباز في مواد الاجتهاد (مخطوط) .
 - المقدمة النحوية في علم العربية (مخطوط)
 - المنح السنوية على الوصية المتبولية (مطبوع) تصوّف " شرح وصية العارف بالله المتبولي .
 - منح المنة في التلبس بالسنة (مطبوع) " فقه شافعي
 - منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق (مخطوط) .
 - المنهج المبين في أخلاق العارفين (مخطوط) .
 - المنهج المبين في بيان أدلة الأئمة المجتهدين (مخطوط) .
 - الميزان الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية (مطبوع) " فقه شافعي " .
 - النور الفارق بين المرید الصادق وغير الصادق (مخطوط) .
 - هادي الحائرین إلى رسوم أخلاق العارفين (مخطوط) .
 - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (مطبوع) " تصوف
- هكذا أنقن الشيخ علوم الشريعة وآلاتها حتى يقول انه صار يحفظها كالقران ، يحفظ ويكتب الحواشي والتعليقات على الكتب حتى يزيد حجم ملاحظاته أحياناً على حجم الكتاب نفسه ، كل ذلك حتى يدخل الى طريق التصوف

وهو يقف على أرض صلبة من فهم الشريعة ومعرفة أصولها .
وبعد ان درس ما درس وعَلِمَ ما عَلِمَ سينتقل الى الجانب الثاني من الشريعة
سينتقل الى دراسة حقائقها والتحقق بتلك الحقائق ذوقاً وشهوداً .
الإمام الشعراي والتصوف :

((يقول شيخ المتصوفة القشيري في ترجمة أبي علي الثقفي: «لو أن رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس كلهم، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة، من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه ويريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يحل الاقتداء به في تصحيح المعاملات.»
ويقول الشعراي: «... ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم لما احتاج مثل الغزالي وعز الدين بن عبد السلام إلى شيخ ، مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما الطريق: مَنْ قال إن ثم طريقاً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله كذباً، فلما دخلا الطريق كانا يقولان: قد ضيَّعنا عمرنا بالبطالة والحجاب »
والمتصوفة جميعاً قد أجمعوا على أن السالك لطريق الله لا بد له من شيخ مرشد، ليكشف له الصحيح من الزائف في الإلهامات والواردات، وليعلمه الأدب وطرائق التحلي به، وليفصل له في خواطر قلبه، وليعصمه من الزلل، وليداوي أمراضه النفسية، من الكبر والرياء وحب الدنيا والحسد والغل والنفاق وأمثالها))^١
فالتصوف إلهامات تبدأ بعد نهايات أهل الفكر والدرس، وقوامه معانٍ واستنباطات، وفهم في أسرار القرآن، فلا بد لرائده من مصباح وهادٍ، والشيخ هو المصباح الهادي.

والتصوف آداب وتزكية نفوس، وتطهير أخلاق، ومجاهدات، وتصحيح معاملات، والشيخ هنا يثبت ويرشد ويلهم ويفصل الآيات ويبين مزالق الطريق وأفاته ومواطن الخطر فيه .

^١ انظر التصوف الإسلامي ص ٣١

قال القشيري: (من لم يكن له أستاذ لم يفلح أبداً، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان)^١

وقال الغزالي: (يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض! وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه، قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير، فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها، فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، فمعتصم المريد شيخه، فليتمسك به)^٢

والشعراني وعى كل ذلك وعرفه وألمَّ به لذلك كان وجود الشيخ المرشد في حياته ضرورة ملحة تقتضيها رغبته بالوصول الى تركية النفس والدخول في دائرة القرب والرضوان .

يقول الشيخ الشعراني معبراً عن اهمية وضرورة الشيخ المرشد : (وكانت صور مجاهداتي لنفسي من غير شيخ أنني كنت أطلع كتب القوم كـ "رسالة القشيري"، و"عوارف المعارف" و"القوت" لأبي طالب المكي و"الإحياء" للغزالي، ونحو ذلك، وأعمل بما ينقدح لي من طريق الفهم، ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك فأترك الأمر الأول وأعمل بالثاني... وهكذا، فكنت كالذي يدخل درباً لا يدري هل ينفذ أم لا ؟ فإن رآه نافذاً خرج منه، وإلا رجع، ولو أنه اجتمع بمن يُعرِّفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بيّن له أمره وأراحه من التعب، فهذا مثال من لا شيخ له. فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد، ومن سلك من غير شيخ تاه، وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده، لأن

^١ الرسالة القشيرية ٢/٣٥٥

^٢ إحياء علوم الدين، الغزالي ٣/٥٦

مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة)^١
وقال أيضاً : (ولو أن طريق القوم يوصلُ إليها بالفهم من غير شيخ يسير
بالمطالب فيها لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن
عبد السلام أحدَ أدبهما عن شيخ مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق
القوم: كل من قال: إن تمَّ طريقاً للعلم غير ما بأيدينا فقد افتري على الله عز
وجل. فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان: قد ضيعنا عمرنا في البطالة
والحجاب. وأثبتنا طريق القوم ومدحها)^٢

ويظل الشعراني يتقلب ، فهو العالم المشهود له بغزارة العلم والمعرفة والذي يعرف
في الفقه والتفسير والحديث وباقي فنون الشريعة الشيء الكثير ، فهل يعبد ربّه
تعالى بما عرفه من العبادات التي يتقن شرحها لطلابه ، ام يبحث عن شيخ يدلّه
على الطريق ، وكلا الدربين يغريه بالمسير فيه ، وتتقاذفه الأفكار وتتشابه امامه
الدروب ... (حتى إذا أسلمه الجهد إلى سنة من النوم؛ إذ بطيف تتألاً
أجنحته، ويفوح طيبه وعطره، يهمس له في منامه بالإشارة والبشارة.
وإذا بالبشارة والإشارة تتحولان إلى كلام حلو جميل لازم قلب الشعراني طوال
حياته.

«إن أردت حياة قلبك الحياة التي لا موت بعدها؛ فاخرج عن الركون إلى الخلق،
ومت عن هواك وإرادتك، فهناك يحييك الله عز وجل حياة لا موت بعدها،
ويغنيك غنى لا فقر بعده، ويعطيك عطاء لا منع بعده، ويريحك راحة لا تعب
بعدها، ويعلمك علماً لا جهل بعده، ويطهرك طهارة لا تدنيس بعدها، ويرفع
قدرك في قلوب عباده فلا تحقر بعدها...»

قد ذهبت أيام المحن وجاءت أيام المنن ...»

^١ لطائف المنن والأخلاق ١ / ٤٨ - ٤٩

^٢ لطائف المنن والأخلاق ١ / ٢٥

واستيقظ الشعراي عامر القلب بالأماي، فانطلق إلى شيوخ الطريق وهم بعض أصدقائه وبعض شيوخه ولنترك الشعراي يُحدِّثنا بحديثه القلبي عن انتقاله من مقامات العلم والزهد إلى مقامات الفتح والصفاء.

«... ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق، التمس لديهم المفاتيح والأبواب، فلم يكن لي وديعة عند أحد منهم سوى ثلاثة: علي المرصفي، ومُجَدِّد السنوي، وعلي الخواص عليه السلام.

فسلكت على يد الأولين شيئاً يسيراً، وكان فطامي على يد علي الخواص، أعني الفطام اليسير المعهود بين القوم، وإلا فالحق أنه لا فطام حتى يموت الإنسان. ومنهم عرفت يقيناً أنه لا بد من شيخ في الطريق كما قال موسى للخضر: هَلْ أَتَيْعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا.

وقد اعترف الإمام أحمد بن حنبل لأبي حمزة البغدادي بالفضل عليه كما اعترف الإمام ابن سريح لأبي القاسم الجنيد.

وكان الغزالي يقول بعد اجتماعه بشيخه : ضيعنا عمرنا بالبطالة، وهو حجة الإسلام، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام وهو من هو يقول: ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

ولما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي: اجعل أعمالك كلها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى، ولا تتخذها وسائل فتموت ولا تصل إلى مقصودك، ففرَّبوا عليَّ الطريق (...)^١

الشعراي وشيخه الخواص :

ويطرق الشعراي الباب بصدق ، وينتظر بصر ، وأهل الصدق والصبر يُفتح لهم ، كان امتحانه عليه السلام شديداً وصعباً ، كان عليه وهو العالم العارف بفنون الشريعة ان يتَّبَع رجلاً أُمياً ، ففعل ، إقتحم العقبة ، وتجاوز شهوة الرياسة والأنا في قلبه

^١ التصوف الإسلامي ص ٣٣ - ٣٤

، وسيرمي بعلمه وسيحرق كتبه وسيمضي خلف رجل أمي ، كان الشعراي قوياً صادق العزم ، فأعانه الله على نفسه والدنيا والهوى .

وسنسير مع الشعراي وهو يعرفنا بشيخه فيقول عنه في بداية كتابه الجواهر والدرر : ما تلقيته من شيخي وقدمتي الى الله تعالى الشيخ الكامل الراسخ في المحقق صاحب الكشوفات الربانية والمعارف اللدنية سيدي علي الخواص . وتتضح صورة الشيخ الخواص أكثر حين يمضي شيخنا الشعراي بوصفه في كتاب آخر فيقول :

(ومنهم شيخي، وأستاذي سيدي علي الخواص البرلسي رضي الله تعالى عنه ورحمه ، كان ﷺ أمياً لا يكتب، ولا يقرأ، وكان ﷺ يتكلم على معاني القرآن العظيم، والسنة المشرفة كلاماً نفيساً تحير فيه العلماء، وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو، والإثبات فكان إذا قال قولاً لا بد أن يقع على الصفة التي قال، وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعة التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيقول: طلق مثلاً أو شارك أو فارق أو اصبر أو سافر أو لا تسافر فيتحير الشخص، ويقول من أعلم هذا بأمرى، وكان له طب غريب يداوي به أهل الاستسقاء، والجذام، والفالج، والأمراض المزمنة فكل شيء أشار باستعماله يكون الشفاء فيه. وسمعت سيدي محمد بن عنان ﷺ يقول: الشيخ علي البرلسي أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر، وقرأها وسمعته يقول: مرة أخرى لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص ﷺ، وكان ﷺ يعرف أصحاب النبوة في سائر أقطار الأرض، ويعرف من تولى منهم ساعة، ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتي هذا)^١ ويسلمُ الشيخ الشعراي زمام القيادة الى شيخه ويتبعه بحسن التسليم وحسن

^١ لوائح الانوار في طبقات الاخبار ٢ / ١٣٠

الظن ، والصادقون لا يضيّعهم الله ، ولا تتشابه عليهم الطُّرُقُ ،
فيتدرّج مع شيخه في دنيا الأنوار متجهاً الى الله تعالى ، وهو سبحانه المطلوب
في كل هذا ...

(وكانت مجاهداتي على يدي سيدي علي الخواص كثيرة متنوعة، منها أنه أمرني
أول اجتماعي عليه ببيع جميع كتبي والتصدق بثمانها على الفقراء، ففعلتُ
وكانت كتبها نفيسة مما يساوي عادة ثمنًا كثيرًا فبِعْتُها وتصدقتُ بثمانها، فصار
عندي التفتات إليها لكثرة تعبي فيها وكتابة الحواشي والتعليقات عليها، حتى
صرت كأنني سُلبت العلم، فقال لي: اعمل على قطع التفتاتك إليها بكثرة ذكر
الله عز وجل فإنهم قالوا: ملتفت لا يصل، فعملتُ على قطع الالتفات إليها
مدة حتى خلصت بحمد الله من ذلك.

ثم أمرني بالعزلة عن الناس مدة حتى صفا وقتي، وكنت أهرب من الناس وأرى
نفسي خيراً منهم، فقال لي: اعمل على قطع أنك خير منهم، فجاهدت نفسي
حتى صرت أرى أردلهم خيراً مني.

ثم أمرني بالاختلاط بهم، والصبر على أذاهم، وعدم مقابلتهم بالمثل، فعملت
على ذلك حتى قطعته، فرأيت نفسي حينئذ أنني صرتُ أفضل مقامًا منهم،
فقال لي: اعمل على قطع ذلك أيضًا، فعملت حتى قطعته.

ثم أمرني بالاشتغال بذكر الله سرًّا وعلانية والانقطاع بالكلية إليه، وكل خاطر
خطر لي مما سوى الله عز وجل صرفته عن خاطري فورًا، فمكثت على ذلك
عدة أشهر.

ثم أمرني بترك أكل الشهوات مطلقًا فتركتها، واكتفيت بما يسد الرمق ويمسك
الحياة، حتى صرت أكاد أصعد بالهمة في الهواء، وصارت العلوم الثقيلة تزاحم
العلوم الوهبية، ثم أمرني بالتوجه إلى الله تبارك وتعالى في أن يُطلعني على أدلتها
الشرعية، فلما اطلعت عليها وصار لوح قلبي ممسوحًا من العلوم الثقيلة

لاندراجها تحت الأدلة، ترادفت عليّ حينئذ العلوم الوهبية^١ وبعد الامتحان تجيء لذّة الفوز ونشوة النصر ، وبعد المجاهدة ، وبعد الشدّة يجلو قطافُ الثمر ، فتطمئن القلوب لصِحّة المنهج وتَسَعُدُ الأرواح ... (ولقد غطس الشعراني كما يقول في بحر شيخه خمس مرات ومن حق المرید أن یغترف من بحر المعرفة الخاص بشيخه فلَمَّا همَّ بالسادسة استحال البحر حجرًا. وقد وجد الشعراني في كل مرة غاص فيها صيدًا ثمينًا، صيدًا هو خزانة من خزائن العلم اللدني.

ففي المرة الأولى وجد خزانة على بابها قفل، ففتحها بقول: «لا إله إلا الله»، فوجد فيها عجبًا، وجد العلوم التي برزت من اللوح المحفوظ إلى هذا العالم على اختلاف طبقاته، من الصديقية الكبرى إلى آخر درجات الولاية. وتلك الخزانة تشتمل على علوم لا تحصى ولا تدرك إلا بتعريف من الله عز وجل ووجد الشعراني علوم تلك الخزانة مرتبة منسقة، وعلى كل علم اسمه. ولقد أخرج الشعراني كما يقول جميع تلك العلوم من الخزانة، وجعلها من جملة ذخائره ومعارفه، وأضافها إلى ما عنده.

فلما غطس في المرة الثانية وجد خزانة أخرى على بابها قفلان، ففتحها باسم «الله»، فوجد فيها جملة من آيات القرآن العظيم من أول سورة الحاقة إلى آخر القرآن، ووجد تفسير كل آية من تلك الآيات مكتوبًا، وهو علم لا تدركه العقول، ولا يستفاد من كتب.

وأخرج الشعراني أيضًا علوم تلك الخزانة وأضافها إلى معارفه وذخائره، وضمها إلى ثروته وكنوزه.

وهكذا يمضي الشعراني مصورًا لنا بحار شيخه ومعارفه اللدنية، شارحًا للخزن المملوءة بالكنوز التي عثر عليها في تلك البحار، وكيفية فتحها، وما فيها من

^١ البواقيت والجواهر ص ٦ - ٧

علوم استحوذ عليها واستفاد بها، وهو تصوير برعت فيه الأقلام الصوفية، ومرن عليه الذوق الصوفي.

والمراد بالخرن وأقفاها وما كتب عليها وطرائق فتحها هو - فيما نعتقد - الرمز إلى أسرار الذكر، وأسرار أسماء الله الحسنى، وفتوحات تلاوتها.

والذكر هو سر التصوف وروحه، كما أنه عندهم بداية الإلهام ونهايته، وليس بصوفي من غفل قلبه لحظة عن ذكر الله، أو التفكير في آياته.

وعلى هذا النهج تصوف الشعراي، فكان تصوفه بداية خلوده، وكان تصوفه فتحاً ربانياً كما يقولون لعصره والعصور المتعاقبة.

فلقد ربى الشعراي آلاًفاً من المريدين والتلاميذ المعاصرين له، وجعل منهم مدرسة إيمانية تذكّر الله، وتدعو إلى هداة، ولا تزال كتبه تربي وتمنح الهدى واليقين

لآلاف من التلاميذ والمريدين^١

مكانة الإمام الشعراي :

وينتقل الشيخ الى مدرسة أم خوند وتزول أيام الخن جميعها ، وأقبلت أيام المنن جميعها كما يقول الشعراي ... ففي مسجد الغمري عانى الشيخ من الدسائس واقتراء الحساد ، وهو الذي كان يسعى لتطهير قلبه والتفرغ لعبادته وأوراده وعلمه .

ويؤسس الشيخ زاوية يلتقي فيها طلاب علوم الظاهر وأذواق الباطن ، وتصير زاويته من أعظم منارات العلم والثقافة والتوجيه من العالم الاسلامي في وقتها .

وصارت الزاوية مثابة للعلماء والأدباء ومنيراً للدعوة والارشاد وساحة للذكر والعبادة ورواقاً يرسل الشعاع الروحي النقي .

واصبح الشعراي مركز عصره يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق ينهلون من علمه، ويغترفون من فيضه، ويلتمسون النور في هديه وكلمه..

^١ التصوف الإسلامي ص ٣٧ - ٣٨

كما غدت تلك المجالس أيضاً مهوى أفئدة الكبراء والأمراء وأصحاب الوجاهة، يلتمسون لدى صاحبها شفاعة في أمور دنياهم، أو توددًا للجماهير وزلفى لديهم؛ فقد أصبح الشعراني زعيمًا شعبيًا مرهوب الجانب .

ويوم جاءه الوزير الأعظم علي باشا ، عندما عزم الرحيل الى تركيا ليسأله :
(اننا مقربون الى الخليفة ، فهل لك حاجة عنده نرفعها اليه ؟ فيقول الشعراني
في عزة المؤمن ، وإباء الصوفي :حاجة عند الله ؟ فإننا مقربون الى حضرته^١
يقول أحد العلماء المختصين في دراسات التصوف الإسلامي :

إن الشعراني كان من الناحية العلمية والنظرية صوفيًا من الطراز الأول، وكان في الوقت نفسه كاتباً بارزاً أصيلاً في ميدان الفقه وأصوله، وكان مصلحاً يكاد الإسلام لا يعرف له نظيراً، وإن كتبه التي تجاوزت السبعين عدداً، من بينها أربعة وعشرين كتاباً تعتبر ابتكاراً محضاً أصيلاً لم يُسبق إليه أبداً ولم يعالج فكرتها أحد قبله.

ولذلك فقد جاء الشعراني مكافحاً مصلحاً ومرشداً هادياً ، حرّر التصوف من الأساطير والبدع، وجلاّه مُجدياً قرانياً. وحرّر الفقه من جموده وتزمتته، فكان الأصوليِّ الأملعيِّ الذي مزج الفقه بحرارة الإيمان فأنقذه من الجفوة والجفاف، وحبّبه إلى الناس يوم جعله لا مجرد أحكام شرعية فحسب، بل حقائق روحية مشرقة.

وحرّر علم الكلام . التوحيد . من نزوات المجسّدين، و أهواء المجادلين، و أعاده إلى نوره ورونقه الإيماني الذي عرّفه واهتدى به الصدرُ الأول والتابعون رضي الله عنهم.

وأنقذ الأمة الإسلامية من الجدل والحوار والجري وراء الأوهام والخيالات، وردّها إلى النبع الصافي في العمل الخالص لوجه الله.

^١ تنبيه المغترين ص ٨

ولم يُنْسِه جهادُه الديني زعامته الإصلاحية، فكان المصلح الاجتماعي، المدافع عن الفقير والمسكين والضعيف. ولقد ظلَّ الشعراي إلى آخر نفس له في الحياة مجاهدًا لا تلين له قناة، ولا تخفض له راية، ولا تزلزله أحداث، ولا ترهبه قوة. إنه مجاهد في سبيل الله فلا يخشى سواه، شعاره دائماً كلمته الخالدة : (لو انفضَّ الناس جميعاً من حولي واهتزت شعرة مني فقد كفرت بالله).

قال عنه المستشرق “ماكدونالد”، (إن الشعراي كان رجلاً ذواقاً نقاداً مخلصاً واسع العقل، وكان عقله من العقول النادرة الخلاقة في الفقه بعد القرون الثلاثة الأولى في الإسلام، ولقد كانوا يقولون إن الشعراي كان عالماً فقيهاً وصوفياً مشهوراً، وكان ينتمي إلى الطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي.

وقال عنه أيضاً المستشرق “كولدس”، إن الشعراي كان من الناحية العلمية والنظرية صوفياً من الطراز الأول، وكان في الوقت نفسه كاتباً بارزاً أصيلاً في ميدان الفقه وأصوله، وكان مصلحاً لا يكاد الإسلام يعرف له نظيراً، وإن في كتبه ما يعد ابتكاراً محضاً، لم يسبق إليها ولم يعالج فكرتها أحد قبله.)¹

من حِكَمِ الشعراي :

• (سمعت هاتفاً في سجودي يقول: إن أردت أن تكون من أهل الله، فلا تكن من أهل الدنيا، ولا أهل الآخرة. قلت : كيف ؟ قال: لا تحب شيئاً في الدارين إلا لأجله)

• (دعوناك اللهم بصدق الرجاء واليأس من جميع المخلوقين.. فأغننا يا ربنا إغاثة الملهوفين.. وأجبنا اللهم إجابة الموقنين.. بحق من جعلته نُقْطَةً دائرة الوجود.. ودرّة بحر الكرم والجلود.. اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.. سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون.. وسلام على المرسلين.. والحمد

¹ تنبيه المغترين ص ٩

لله رب العالمين)

- (قمت ليلة فوجدت قساوة في قلبي لم أعرف لها سببا. فقيل لي في المنام: إن أردت حياة قلبك التي لا تموت بعدها، فاخرج عن الركون إلى الخلق، وثمت عن هواك وإرادتك، فهناك يُحييك الله عز وجل حياة لا موت بعدها، ويُغنيك غنى لا فقر بعده، ويُعطيك عطاء لا منع بعده، ويُريحك راحة لا تعب بعدها، ويُعلمك علما لا جهل بعده، ويُطهرك طهارة لا نجاسة بعدها، ويرفع قدرك في قلوب عباده فلا تحقر بعدها، فقد ذهبت أيام الحن بأجمعها، وأتت أيام المنن بأجمعها، وهناك يتحرك عليك الحساد من كل مكان، فعليك بالصبر)
- (ذرة من العبادة مع الإقبال على حضرة الله خيرٌ من أمثال الجبال منها مع

(الملل)

- (من يرى له مُلْكًا مع الله لم يزل مُنْعَصَ العيش في كل ما يطلبه، ولم يبلغه، ومن لم ير له معه مُلْكًا، واعتقد أنه عبدٌ يأكل من مال سيده ، استراح وأراح)
- (إلهي أنت أسمعته الذراتِ مِن ظهر آدم خطابك.. وأنت الذي لَقَّنتهم بالصواب جوابك.. فالسعيد من عرفك هُنا بما لَقَّنته هناك.. والشقي من حُجب في هذا الوجود عن ذلك.. فارجو من لطفك الخفي.. وبرِّك الحفي.. أن تُثبتنا بالقول الثابت عند سكرة الحين.. وسؤال الملكين.. وأن تُعيننا على حفظ ميثاقك.. حتى تُلاقيك بما لاقاك به جميع أوليائك.. وأن تحفظ كتاب ميثاقنا من النقص والغص.. يا إله السموات والأرض.. يا حفيظ يا جواد)
- (وقد استخرج أخي أفضل الدين من سورة الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما، وقال : هذه علوم القرآن العظيم، ثم ردها كلها إلى البسملة، ثم إلى الباء، ثم إلى النقطة التي تحت الباء. وكان ﷺ يقول : لا يكمل الرجل عندنا في مقام المعرفة بالقرآن حتى يستخرج جميع أحكامه وجميع مذاهب المجتهدين فيها من أي حرف شاء من حروف

(الهجاء)

• (الكامل يشهد الأعمال خلقاً لله وحده، فلا يفرح بزيادتها، ولا يُعرج على

نقصانها)

• (ما واطب أحد على الدعاء للخضر إلا واجتمع به قبل موته، وهو لا

يجتمع بأحد إلا ويُعلمه ما ليس عنده، وما من ولي إلا ويجتمع به، لكن يأتي

العارف في اليقظة، والمريد في النوم، فإنه لا يطبق صُحبته في اليقظة)

• (التلقين ثمرة عامة وخاصة، فالعامة: الدخول في سلسلة القوم، فيصير كأنه

حلقة منها، فإذا تحرك في أمرٍ تحرك معه جميع السلسلة. ومن لم يتلقن فهو

كالحلقة المنفصلة، إذا تحرك في شيء يدهمه، لا يتحرك معه أحد؛ لعدم ارتباطه

بأحد. والخاصة: تلقين السلوك بعد دخول السلسلة، وصورته أن يتوجه الشيخ

ويُفرغ على المريد. مع قوله: لا إله إلا الله. جميع ما قُسم له من العلوم الشرعية،

فلا يحتاج بعده لمطالعة كتاب)

• (من لم يكن له حالٌ يحميه من تصرف الوُلاة فيه، ليس له التظاهر

بالمشيخة)

• (إلهي كيف يُرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان.. وكيف يُطلب البر من

غيرك وأنت ما غيرت عادة الامتنان.. فقيدنا اللهم على أعتاب أبوابك يا كريم

يا منان.. اللهم إنه قد عميت عين لا تراك عليها رقيباً.. وقد خسرت صفقة

عبد لم يجد من حبك نصيباً.. يا من أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته حتى أقاموا

بين يديه متملقين.. ويا من ألبس أوليائه ملابس هيبته فقاموا بعزته مُستغرقين..

أنت الذاكر لهم من قبل الذاكرين.. وأنت البادئ بالإحسان قبل توجُّه

العابدين.. نسألك اللهم أن تطلبنا برحمتك.. حتى نصل إليك بمَنَّتِكَ.. يا كريم

(يا جواد)

• (طوبى لمن تعرف بالأولياء، فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاتته من الطاعات،

وإن لم يستدرك شفيعوا عند الله فيه)

• (وطالعت من كتب المالكية : "المدونة الكبرى" ، ثم اختصرتها ؛ وهي عشر مجلدات ، وطالعت كتاب "الموطأ" ، وشرح رسالة ابن أبي زيد ، وشرح مختصر الشيخ خليل ، وكتب ابن عرفة ، وابن فرحون ، وكانت مطالعتي لـ "المدونة" بإشارة رسول الله ﷺ

• (الحديث: (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً) ، والنوافل عند أهل الطريق إشارة إلى فناء العبد في شهود نفسه عند شهود ربه عز وجل، وأما اليقين فهو من يقن الماء في الحوض إذا استقر، وذلك إشارة إلى حصول السكون، والاستقرار، والاطمئنان بزوال التردد، والشكوك، والوهم، والظنون قال الشيخ محيي الدين رحمته الله: وهذا السكون، والاستقرار، والاطمئنان إذا أضيف إلى العقل، والنفس يقال له علم اليقين، وإذا أضيف إلى الروح الروحاني يقال له عين اليقين، وإذا أضيف إلى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين، وإذا أضيف إلى السر الوجودي يقال له حقيقة حق اليقين، ولا تجتمع هذه المراتب كلها إلا في الكامل من الرجال)

• (قلت: ومن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله عز وجل شهود المماثلة، والمشاكلة، وهو حجاب عظيم، وقد حجب الله به أكثر الأولين، والآخرين كما قال تعالى حاكياً عن قوم: (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً)

• (كان الشيخ محيي الدين رحمته الله يقول: ومن أين لعامة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى في خواص عبادته من الأولياء، والعلماء، وشروق نوره في قلوبهم، ولذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه لجلالتهم عنده، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم، وآذاهم إنسان لكان قد بارز الله تعالى بالمحاربة، فأهلكه الله فكان سترهم عن الحق رحمة بالخلق، ومن ظهر من الأولياء للخلق، إنما يظهر

لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته، وأما من حيث سر ولايته فهو باطن لم
يزل)

وفاته رحمه الله تعالى :

توفي في القاهرة، في جمادى الأولى سنة ٩٧٣ هـ، ودفن بجانب زاويته بين
السورين.

وقد قام بالزاوية بعده ولده الشيخ عبد الرحمن ثم توفي سنة إحدى عشرة بعد
الألف.

عسكر بن حصين

أبو تراب النخشي

قال ابن الجلاء : صحبت ستمائة شيخ ، ما لقيت فيهم مثل أربعة :
أبي تراب ، وذو النون ، وأبي عبيد البسري ، وأبي^١
أبو تراب عسكر بن حصين النخشي ، نسبة إلى نخشب ، بلدة بما وراء النهر^٢
وهو من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري .
ولد في نواح بلخ بمدينة نَخْشَب التي عُرِّيت فيما بعد فقيلا لها نَسَف وهي بلد
الإمام النسفي المحدث وغيره من الأئمة الأعلام..
وكانت بلده كبيرة، كثيرة السكان، وافرة المياه، كثيرة الزروع والبساتين، ويبدو أنها
تقع اليوم في اوزبكستان على الطريق بين بخارى وبلخ..
من نسف هذه جاء شيخنا عسكر بن حصين الذي عُرف بأبي تراب النخشي
شيخ عصره علما وعملا وزهدا وتصوفا، وورعا وإخباتا.
روى الحديث عن بعض سابقه ، وروى عنه لاحقه ، وقد تفقه على مذهب
الإمام الشافعي وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل.
تقول كتب السير عنه : كتب العلم وتفقه وتأله وتعبد وساح وتجرد.. وتلمذ
عليه أكابر الصوفية .
وأستاده على الرازي المذبوح ، من قدماء المشايخ. سمى المذبوح لأنه غزا في
البحر، فأخذه العدو ، وأرادوا ذبحه ، فدعا بدعاء ، ثم رمى نفسه في البحر،
فجعل يمشى على الماء حتى خرج.
وقيل: ارادوا ذبحه، فكانوا كلما وضعوا الشفرة على حلقه انقلبت، فضجروا

^١ طبقات الأولياء ص ٣٥٧ والرسالة القشيرية ص ٧٤

^٢ طبقات الأولياء ص ٣٥٥

وتركوه^١

ورعه .. وزهده :

كان صارماً في زهده ، من دون تكلف ولا ادعاء ، إنما كان هذا هو طبعه
ومسلكه .

(مرّ أبو تراب يوماً مُبْزِين فقال له : تخلق رأسي لله عزَّ وجلَّ؟ فقال له:
اجلس، فجلس .

وكان أمير البلد يمر قريباً منه فقال لبعض حاشيته : أليس هذا أبا تراب ؟

فقالوا : نعم ، فقال: ما معكم من الدنانير ؟

فقال له رجل من خاصته معي كيس به ألف دينار .

فقال: إذا قام فأعطه إياها واعتذر إليه وقل له : لم يكن معنا غير هذه .

فذهب الرجل بالدنانير وقال لأبي تراب :

الأمير يقرأ عليك السلام ويبيعت إليك بهذه الألف دينار ويقول لك :

ما حضر معنا غير هذه .

فقال له أبو تراب : ادفعها إلى المزيّن .

فقال المزيّن: وما أعمل بها .

فقال أبو تراب : خذها لك. فرفض المزيّن أن يأخذها ، فقال أبو تراب لرسول

الأمير : ارجع بها إليه وقل له إن المزيّن ما رضي أن يأخذها، فخذها أنت

فاصرفها في مهماتك)^٢

وها يدل على حجم الدنيا بقلب الشيخ أبي تراب ، ونظرته إليها .

عرف ﷺ قدر الدنيا فأخرجها بالكليه من قلبه ، فلما فعل ذلك سخرها الله له

يعبر الشيخ عن هذه الحقيقة أدق تعبير فيقول : مثل الدنيا كمثل ظلك ؛ إن

^١ طبقات الأولياء ص ٣٥٥

^٢ طبقات السبكي ٣٠٩/٢ وتاريخ بغداد ١٢ / ٣١٦

طلبتّه تباعد ، وإن تركته تتابع^١

ويروي يوسف بن الحسين حكاية تصب في الاتجاه نفسه ، حيث يقول :

كنا بمكة ، فقال أبو تراب لمن حوله :

احتاج الى دراهم .

فإذا برجل قد صبّ في حجره كيس دراهم .

فجعل ابو تراب يفرّقها على من حوله .

وكان فيهم فقير يتراءى له ليعطيه ، فنذت الدراهم ، ولم يعطه .

وبقيت أنا وهو والشيخ ، فقال للشيخ : تراءيت لك غير مرة .

فقال له الشيخ ابو تراب : أنت لا تعرف المعطي.^٢

وفي هذا ما يشير إلى أن أبا تراب كان يفهم أن المال لله تعالى ، وأن البشر مجرد

وكلاء ، وأن ما يعطونه أو يمنحونه إنما هو تنفيذ لمشيئة الله حين يريد سبحانه

أن يجعلهم سبباً لرزق أحد من عباده .

وكان الزهد مرتبطاً عن أبي تراب بمجاهدة النفس ونهيها عن شهوات الدنيا

وملذاتها، حتى ولو كانت قليلة أو ضئيلة .

صحب أبو تراب حاتم الأصم والخواص وجلة المشايخ في زمنه ، ولكن أكبر من

انتفع به — كما قال — هو تقلله من الدنيا وقناعته وكفه النفس عن الشهوات ..

حتى أنه في حياته كلها لم ترفع نفسه راسها بشهوة إلا مرة دفع ثمنها مقدماً

سبعين جلدة (ما تمت علي نفسي شيئاً إلا مرة : تمت عليّ خبزاً وبيضاً وأنا

في سفر ، فعدلت عن الطريق إلى قرية فلما دخلتها وثب رجل وتعلق بي وقال :

كان هذا من اللصوص ، فبطحوني وضربوني سبعين جلدة .

فوقف علينا رجل صوفي وصاح بهم :

^١ طبقات السبكي ٢ / ٣٠٧

^٢ فرسان العشق ص ٥٤ و طبقات السبكي ٢ / ٣٠٨

ويحكم ، هذا أبو تراب الزاهد .
فأقاموني واعتذروا إلي .
وأدخلني ذلك الرجل بيته ، وقدم لي خبزاً وبيضاً .
فقلت ^١ : كل بعد سبعين جلدة) ^٢
لقد سلم أبو تراب أمره إلى ربه ، فاستغنى به عن العالمين .
ويوم سأله رجل : ألك حاجة ؟
أجابه : يوم يكون لي إليك وإلى أمثالك حاجة لا يكون لي إلى الله حاجة .
وهذا القول يلخص نظرتَه للأشياء ، وللحاجة ، وللناس ^٣
انه الزهد ، والإستغناء بالله عما سواه .
وظلما سُمع يردد قول حاتم الأصم :
للزاهد ثلاث شرائع : أولها الصبر بالمعرفة ، والاستقامة على التوكل ، والرضا
بالقضاء .
وكان يقول: الذي منع الصادقين الشكوى إلى غير الله الخوف من الله .
وكان يرى أن (حقيقة الغنى أن تستغني عنن هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفتقر
إلى من هو مثلك) ^٤
والفقيه والصوفي يكون : قوته ما وجدته، ولباسه ما ستره، ومسكنه حيث نزل
°

وكان يقول، حسب رواية الحسن بن علوبة

^١ قلت في نفسي لنفسي

^٢ الرسالة القشيرية ص ٧٤ - ٧٥ طبقات السبكي ٢ / ٣٠٧

^٣ طبقات السبكي ٢ / ٣٠٨

^٤ طبقات الصوفية ص ٤٧

^٥ الرسالة القشيرية ص ٧٤ وطبقات الصوفية ص ٤٨

ليس ينال الرضا من للدنيا في قلبه مقدار .
(ويروى عنه أنه قال : سألت الله عز وجل ثلاث حوائج، ففضى لي اثنتين،
ومعني الثالثة :

سألته أن يذهب عني شهوة الطعام ، فما أبالي أكلت أم لا .

وسألته أن يذهب عني شهوة النوم ، فما أبالي نمت أم لا .

وسألته أن يذهب عني شهوة النساء فما قبل .

قيل : فما معنى ذلك ؟ قال : أن الله تعالى قد قضى في مبدأ خلقه أن يكون
شيء قدره وقضاه ، فلا راد لقضائه .

وروى أنه كان في أول ليلة من رمضان يدخل بيتاً ، ويقول لامرأته :

طِيبِي الباب ، وألقِ إليَّ من الكوة رغيفاً .

فإذا كان يوم العيد فتحته ، ودخلت امرأته البيت ، فإذا فيه ثلاثين رغيفاً في
زاوية البيت ، فلا أكل ولا شرب ولا نام ، ولا فاتته ركعة من الصلاة .

وجاء ولده إليه فقال :

إني أخرجت جرة فيها سمن ، فوقعت فانكسرت ، فذهب رأس مالي ، فقال :

يا بني ، اجعل رأس مالك رأس مال أبيك ، فوالله ما لأبيك رأس مال في الدنيا

والآخرة إلا الله تعالى)^١

وان زهده كذلك متواشجاً مع ورعه وتحسبه ومراقبته لله في كل كبيرة وصغيرة ،
حيث كان يقول:

(بيني وبين الله عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه)^٢

ويذكر القشيري في رسالته حكاية تعزز هذا، حيث نظر أبو تراب يوماً إلى

صوفي من تلامذته قد مد يده إلى قشر البطيخ، وقد طوى ثلاثة أيام، فقال له

^١ طبقات الأولياء ١ / ٣٦٢ / ٣٦٣

^٢ الرسالة القشيرية ص ٧٤

أبو تراب: تمد يدك إلى قشر البطيخ؟
أنت لا يصلح لك التصوف، الزم السوق) ^١
وفي هذا ما يبين أن أبا تراب رأى أن اشتهاه أي شيء ، حتى لو كان قليلا
وتافها، يضر يقين المتصوف وثباته.
وينقل هذا الفهم للطريق والزهد الى تلاميذه ، فيقول لهم :
(مَنْ لبس منكم مرقعة فقد سأل ، وَمَنْ قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل ،
وَمَنْ قرأ القرآن من مصحف أو كيما يسمع الناس فقد سأل) ^٢
وبهذا لا يقرُّ أبو تراب أن يمدَّ الصوفية أيديهم للناس سائلين العون ، ومتكلمين
على غيرهم من العباد ، كما يدعوهم في ذات الوقت الى الإخلاص ، فدخول
المساجد وقراءة المصحف يجب ان يكون لله خالصاً ، ولا يخالطه شيء من
طلب الدنيا ، او التظاهر بين الناس .
وقد انتقل هذا الفهم في الورع والزهد والتحرر من الملكية من أبي تراب الى مَنْ
حوله من تلاميذه .

كان مدرسة تخرِّج منها رجالاً .. وكان ﷺ يُحسن تربية تلاميذه .
(يقول يوسف بن الحسين الرازي : صحبت أبا تراب النخشي خمس سنين ،
وحججت معه على غير طريق الجادة ، ورأيت منه في السفر عجائب يقصر
لساني عن شرح جميعها ، غير أنا كُنَّا مارِّين ، فنظر إلىَّ يوماً وأنا جائع وقد
تورمت رجلاي ، وأنا أمشي بجهد ، فقال لي : مالك ، لعلك جعت ؟
قلت : نعم ، قال : ولعلك أسأت الظن بربك ؟
قلت : نعم ، قال : ارجع إلى ربِّك . قلت : وأين هو ؟
قال : حيث خلَّفته ، فقلت : هو معي .

^١ الرسالة القشيرية ص ٧٤

^٢ الرسالة القشيرية ص ٧٤

فقال: إن كنت صادقًا فما هذا الهمُّ الذى رأى عليك ؟
قال : فرأيت الورم قد سكن، والجوع قد ذهب ، ونشطت حتى كِدْتُ أسبقه .
قال أبو تراب : اللهم إن عبدك قد أقرّ لك فأطعمه .
ونحن بين جبال ليس فيها مخلوق ، فانتبهينا إلى رابية ، فإذا كوز ماء ورغيفٌ
موضوع .

فقال لي ابو تراب : دونك دونك .

فجلست وأكلت وقلت له : ليش ما تأكل أنت ؟

قال : يأكل من اشتهاه^١

وهو بذلك يبين لصاحبه أن الضعف والعجز والجزع.. تسيطر على القلب
عندما ينشغل عن الله ، فإذا عاد القلب إلى ربه وسكن بجواره زالت جميع الهموم
والأحزان .

كان ﷺ رغم محاسبته الشديدة لنفسه وحرصه على مراقبتها والتزامه الورع ،
فهو رغم كل ذلك كان يجدد توبته إلى الله ويجتهد في عبادته إن وجد في أصحابه
ما يكرهه ، ويقول :

(بشؤمي دفعوا إلى ما دفعوا إليه؛ لأن الله عز وجل يقول :

إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْزِرُ مَا يُعْزِرُ حَتَّىٰ يُعْزِرُوا مَا بَأْسُهُمْ^٢)^٣

كراماته :

ولما كان أبو تراب في كل أموره لربه وبربه ، فتحت له الخزائن ، وأفيض عليه من
عطاء ربك ، فكان من أهل هذا الحديث الذى بشر الله به أوليائه وأحبابه
حيث قال:

^١ طبقات السبكي ٣٠٨/٢

^٢ الرعد/ ١١

^٣ الرسالة القشيرية ص ٧٤

لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته صرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه .

لذلك كثرت الكرامات التى رؤيت عنه ، ويقول أبو العباس الرقى: كنا مع أبى تُراب النخشبى فى طريق مكة ، فعدل عن الطريق إلى ناحية ، فقال له بعض أصحابه : أنا عطشان .

فضرب برجله فإذا عينٌ من ماء زلال .

فقال الفتى : أحب أن أشربه فى قدح .

فضرب بيده الأرض فناوله قدحًا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت ، فشرب وسقاني ، ومازال القدح معنا إلى مكة .

ثم يقول الرقى: فقال لي أبو تراب: ما يقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده ؟

فقلت: ما رأيت أحدًا إلا وهو مؤمن بها.

فقال: إنما سألتك من طريق الأحوال! فقلت: ما أعرف لهم قولاً فيه. فقال: بلى، قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق، وليس الأمر كذلك ، لأنما الخدع فى حال السكون إليها، فأما من لم يقترب ذلك فتلك مرتبة الربانيين^١ فبين أن تلك الكرامات مهما بلغت لا ينخدع بها الربانيون لأنهم فى سيرهم إلى ربهم لا يرون غيره ولا ينشغلون إلا به..

وكان أبو تراب ممن تطوى لهم الرض.

قال أبو عبد الله الجلاء: قدم أبو تراب مرة إلى مكة فقلت له : يا أستاذ أين أكلت ؟

^١ طبقات السبكي ٣١٤/٢ ووردت فى كتاب صفة الصفوة ص ٧٨٩ بلفظ انما الخدع

فى حال السكون إليها ، أما من لم يعرج عن الملك فى اعتناق الحقائق فتلك مرتبة الربانيين

قال: جئتَ بفضولك، أكلت أكلة بالبصرة ، واكلت بالنجاج ، وأكلة عندكم .
فكان حقًا على الله أن يكرمهم ويعطيهم بغير حساب ، وكانت أعظم كرامات
أبي تراب هي ختام حياته.. فبينما هو بإزاء ربه في فلاة من الفلوات البعيدة بين
مكة والمدينة ، منفرد عن الخلق إذ هاجمته السباع فقتلته..

وقبل أن يتساءل سائل: وأي كرامة في هذا ، نسوق هذه القصة التي كان
الشاهد عليها بنى من أنبياء الله وهو الكليم موسى عليه وعلى نبينا الصلاة
والسلام..

تقول القصة أن موسى بن عمران صلوات الله عليه خرج يومًا نحو الطّور، وإذا
هو برجل واقف على الطريق ، فقال له: إلى أين يا نبي الله ؟
قال : إلى المناجاة . فقال : لي إليك حاجة .

قال: فما هي ؟ قال: قل له يكرمني بقدر حبه خردل من محبته .
فلما وقف موسى عليه السلام للمناجاة نسي الرسالة من حلاوة المناجاة ،
فناداه ربه تعالى : يا موسى نسيت حاجة عبدى .

قال: يا رب أنت أعلم بما قال عبدك .
قال: نعم ولكن الرسالة حقها أن تؤدى ، ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وأنا لا
أحب الخائنين .

يا موسى قد وهبت له جميع ما أراد .
فرجع موسى فلم يجده في مكانه ، فقال : الهى وسيدى أين ذهب الرجل
صاحب الحاجة ؟

فقال : يا موسى هرب منك . قال: لم ؟
قال : من أحبنا لا يلتفت إلى غيرنا ، فإن أردت أن تراه يا موسى فادخل هذه
الغيضة .

فدخل ، ونظر ، فإذا أسد يأكله ، فقال: الهى ما هذا ؟

قال: هذا صنعي بأحبابي في دار الفناء .انظر يا موسى إلى دار البقاء .
فنظر ، فإذا بقيّة من يا قوته حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات .
فقال : يا موسى هذه له ، وأنا له..^١
وروى أنه قال :

وقفت بعرفات خمساً وعشرين وقفة .

فلما كان من قابل رأيت الناس بعرفات، ما رأيت أكثر منهم عدداً، ولا أكثر
خشوعاً وتضرعاً ودعاءً، فأعجبني ذلك، فقلت : اللهم ، من لم تقبل حجته
من هذا الخلق فأجعل ثواب حجتي له .

وأفضنا من عرفات وبتنا بجمع ، فرأيت في المنام هاتفاً يهتف بي: تتسخى عليّ
، وأنا أسخى الأسخياء ؟ وعزّي وجلالي ما وقف أحد هذا الموقف إلا غفرت
له .

فانتبهت فرحاً بهبة الرؤيا، فرأيت يحيى بن معاذ الرازي ، فقصصت عليه الرؤيا،
فقال : إن صدقت رؤياك فإنك تعيش أربعين يوماً.
فلما كان يوم إحدى وأربعين جاءوا إلى يحيى وقالوا : إن أبا تراب مات، فغسله
ودفنه^٢

وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ٢٤٥ هجرية .

أقوال العلماء في الشيخ أبي تراب :

شهد له كثيرون ، فوصفه الذهبي بأنه :

الإمام القدوة شيخ الطائفة^٣

^١ روض الرياحين ١٢١

^٢ كتاب طبقات الأولياء ص ٣٥٧

^٣ سير اعلام النبلاء ١١ / ٥٤٦

وقال عنه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته الشهيرة إنه :
من جلة مشايخ خراسان، والمذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد
والورع^١

أما ابن الجلاء فيقول : صحبت ستمئة شيخ، ما لقيت فيهم مثل أربعة، أولهم
أبو تراب النخشي^٢

وهناك رواية أخرى تصل بهذا العدد إلى ألف شيخ، والرقمان يدلان على
مكانة النخشي بين الزهاد والعباد والصالحين .

وقال عنه ابو نعيم الأصفهاني :

احد اعلام المتوكلين ، وإمام المتجردين ، تأدب بحاتم الأصم وعلي الرازي المذبوح
، له الرياضات المشهورة والسياحات المذكورة^٣

من أقواله :

وسجل مؤرخو الصوفية في كتاباتهم أقوالا عديدة منسوبة إلى أبي تراب
النخشي، تنطوي رغم

بساطتها على حكم سابعة وألوان ماثورة من الكلام ، وذلك في تصنيفها شكلاً
، أما مضمونها فيبين أن

صاحبها قد استبحر في التصوف إلى مدى بعيد .

ومن هذه الأقوال:

- الناس يحبون ثلاثة وليست لهم : النفس والروح هما الله، والمال وهو للورثة.
ويطلبون اثنين ولا يجدونهما : الفرح والراحة وهما في الجنة.

^١ طبقات الصوفية ص ٤٦

^٢ طبقات الأولياء ص ٣٥٧

^٣ حلية الأولياء ١٠ / ٤٥ برقم ٤٦٢

- إذا تواترت على أحدكم النعم فليبك على نفسه، فقد سلك به غير طريق الصالحين .

- لا أعلم شيئاً أضر على المريدين من أسفارهم على متابعة قلوبهم ونفوسهم، وما فسد من فسد من المريدين إلا بالأسفار الباطلة.

- أشرف القلوب، قلب حي بنور الفهم عن الله.

- اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها واحذر أن تحرق.

- إذا ألفت القلوب الإعراض عن الله عز وجل صححتها الوقعة في الأولياء .

- ثلاثة من مناقب الإيمان : الاستعداد للموت، والرضى بالكفاف، والتفويض إلى الله .

وثلاث من مناقب الكفر: طول الغفلة عن الله، والظيرة، والحسد.

- سئل عن العارف ، فقال: الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء.

- إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقيامته الفعل.

- لو أن رجلاً عاش مئتي سنة ولا يعرف هذه الأربعة أشياء، لم ينج من النار، أحدها معرفة الله، وثانيها معرفة نفسه، وثالثها معرفة أمر الله ونهيه، ورابعها معرفة عدو الله وعدو نفسه.

وأنشده أبو تراب ذات يوم في علامات المحبة:

لا تخدعنَّ فللمحبِّ دلائلُ	ولديه من تحفِ الحبيبِ وسائلُ
منها تنعمه بمِرِّ بلائه	وسروره في كلِّ ما هو فاعلُ
فالمنع منه عطيةٌ مقبولةٌ	والفقر إكرامٌ وبرٌّ عاجلُ
ومن الدلائل أن يرى من عزمه	طوع الحبيب وإن ألحَّ العاذلُ
ومن ال دلائل أن يُرى متبسِّمًا	والقلب فيه من الحبيب بلائُ
ومن الدلائل أن يُرى متفهمًا	لكلام من يحظى لديه السائلُ

ومن الدلائل أن يُرى متقشفًا

متحفظًا من كلِّ ما هو قائمٌ^١

^١ قوت القلوب ١٠٣/٢ برقم ٣٤٥٢

علي بن احمد بن سهل

أبو الحسن البوشنجي

و لُقِّبَ علي بن احمد بن سهل بالبوشنجي نسبة لبوشنج^١ بلدة على فراسخ من هراة^٢، أبو الحسن أحد الأوتاد^٣.

أَبُو الْحَسَنِ الْبُوشَنْجِي، وَاسْمُهُ عَلِيٌّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ، أَحَدُ عُلَمَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمِنْ أَعْلَامِ التَّصَوُّفِ السُّنِّيِّ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ، قَالَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: كَانَ أَوْحَدَ فَتْيَانِ خُرَّاسَانَ، وَمِنْ أَعْلَمِ مَشَايِخِ وَقْتِهِ بِعِلْمِ التَّوْحِيدِ وَعِلْمِ الْمَعَامَلَاتِ وَأَحْسَنِهِمْ طَرِيقَةَ فِي الْفِتْوَةِ وَالتَّجْرِيدِ وَكَانَ ذَا خَلْقٍ مَتَدِينًا مَتَعَهْدًا لِلْفُقَرَاءِ^٤

والبوشنجي الصوفي الزاهد شيخ الصوفية كان عارفاً بعلوم القوم (قيل له ما التوحيد قال إلا يكون مشبه الذات ولا منفي الصفات وسئل عن الفتوة فقال عندك في آية: يُجِيبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^٥

وفي خبر عن رسول الله ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

^١ وبوشنج افتتحها أوس بن ثعلبة التيمي، والأحنف بن قيس، وهما من قبل عبد الله بن

عامر في خلافة عثمان.

^٢ هراة هي مدينة أفغانية في محافظة هراة الأفغانية تقع غربي أفغانستان، فُتحت في عهد

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

^٣ انظر طبقات الأولياء ص ٢٥٢

^٤ طبقات الصوفية ص ٢١٠ وحلية الأولياء ٣٧٩/١٠

^٥ الحشر / ٩

فمن اجتمعاً فيه فله الفتوة وقال النظر فح إبليس نصبه للصوفية وبكى قال الحاكم سمعته غير مرة يعاتب في الجمعة ويقول إن كانت الفضيلة في الجماعة فالسلامة في العزلة توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة^١

، لقي أبا عثمان، وصحب بالعراق ابن عطاء والجريري، وبالشام طاهراً وأبا عمرو الدمشقي، وتكلم مع أبي بكر الشبلي في مسائل، مات سنة ٣٤٨ هـ.

من روى عنهم ورووا عنه :

روى عن :

أبي جعفر محمد بن عبد الرحمن السامي الهروي ومحمد بن عبد المجيد البوشنجي وأبي علي الحسين بن إدريس الهروي .

وروى عنه :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأبو الحسن محمد بن علي بن الحسين الهمداني وأبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني .

دخل إلى الشام والعراق .

وصحب ابن عطاء والجريري وغيرهما واستوطن نيسابور ، وبنى بها خانقاه . ولزم المسجد وتخلف عن الخروج ، واعتزل الناس إلى أن مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. وغسله أبو الحسن العلوي، وصلى عليه، ودفن بجنب أبي علي الغنوي.

وانقطعت طريقة الفتوى والإخلاص من نيسابور بموته .

وكان اعلم وقته في التوحيد والطريق ، وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد^٢

من كلامه :

المروءة ترك استعمال ما حرم عليك مع الكرام الكاتبين .

^١ الواقي بالوفيات ٢٠ / ٨٦

^٢ طبقات الأولياء ص ٢٥٣

وقال : ليس في الدنيا أسمح من محب لسبب وغرض .

وعن مُحَمَّد بن الحسن بن الخشاب ، قال :

سمعت ابا الحسن البوشنجي - وسأله عن السنة - فقال :

البيعة تحت الشجرة، وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال ^١

وقال : الخير منازل، والشر لنا صفة .

وقال : من أذل نفسه رفع الله قدره؛ ومن أعز نفسه أذله الله في أعين عباده .

وقال : الناس على ثلاث منازل :

الأولياء، وهم الذين باطنهم افضل من ظاهرهم .

والعلماء، وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء .

والجهال، وهم الذين علانيتهم بخلاف أسرارهم، لا ينصفون من أنفسهم،

ويطلبون الأنصاف من غيرهم " .

وقال : (التصوف فراغ القلب، وخلاء اليدين، وقلة المبالاة بالأشكال :

فأما فراغ القلب ففي قوله تعالى :

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ^٢

وخلو اليدين لقوله تعالى :

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ^٣

وقلة المبالاة قوله تعالى : وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ^٤) °

وسئل ابو الحسن عن التصوف، فقال: هو الحرية والفتوة، وترك التكلف في

^١ طبقات الصوفية ص ٢١٠

^٢ الحشر / ٨

^٣ البقرة / ٢٧٤

^٤ المائدة / ٥٤

^٥ طبقات الأولياء ص ٢٥٢

السخاء، والتظرف في الأخلاق^١

وسئل عن المحبة، فقال : بذل المجهود، مع معرفتك بالمحبوب؛ والمحبوب - مع بذل مجهودك - يفعل ما يشاء .

وقال أبو سعيد الهروي خادمه :

ما أذكر قط أن الأستاذ بات ليلة وعنده درهم؛ إنما كانت الديون تركبه لنفقاته على الفقراء، فإذا لاح من موضع شيء دفعه إليه .

وسئل عن التوحيد، فقال :

قريب من الظنون، بعيد من الحقائق .

وروى أنه كان يوماً في الخلاء، فدعا تلميذاً له فقال :

انزع عني هذا القميص، وادفعه إلى فلان .

فقيل له : هلا صبرت ؟ فقال :

لم آمن على نفسي أن تتغير عما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص^٢

وقال الأستاذ أبو الوليد :

دخلت عليه في موضعه عائداً، فقلت له : إلا توصى بشيء ؟

فقال : أكفن في هذه الخريقات، وأحمل إلى مقبرة من مقابر المسلمين ، ويتولى الصلاة على رجل من المسلمين^٣

وسئل عن المحبة ، فقال : بذل مجهودك مع معرفة محبوبك ، لأن محبوبك مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء ، وقال : التوحيد حقيقة معرفته كما عرف نفسه إلى عباده ، ثم الاستغناء به عن كل ما سواه ،

وقال : أول الإيمان منوط بآخره ، ألا ترى أن عقد الإيمان لا إله إلا الله ،

^١ طبقات الصوفية ص ٢١٠

^٢ طبقات الأولياء ٢٥٤

^٣ طبقات الأولياء ص ٢٥٥

والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص ، قال الله تعالى :
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^١

^١ طبقات الصوفية ٢١٠ وحلية الأولياء ١٠ / ٣٧٩ برقم ٦٦١

علي بن عبد الله ابو الحسن الشاذلي

شعر بأن الرمال ليست ذات الرمال التي كان يعرفها ... بها شيء قد تغير ..
والطرقاُتُ .. الطرقاُتُ التي تَنَقَّلُ بينها وهو طفل ... يكاد يُقسِمُ انها غير
الطرقاُتُ ..

وهذا الدرب الذي أَلْفَتَهُ حُطاه وهو يذهب صباحاً ليحضر حلقة حفظ القرآن
هل هو ذات الدرب ؟

ربما تتشابه الدروب ، وتتشابه الطرقاُتُ ، لكن المهم اين تصل ... هذه الجملة
سمعتها قبل اليوم في حلقة النحو في تونس حين أخبر معلمه بعزمه السفر بحثاً
عن قطب الوقت .

يذكر نظرة التعجب على وجه شيخه وهو يسأله : قطب الوقت ..؟

ثم يللم حاله ويعود لوقاره وهو يسأل ولماذا تبحث عن القطب ؟

يتذكر صوته كالممس يقول لشيخه أريد ان اعرف الطريق التي توصل الى الله ..
وحين قال شيخه : كثيرة هي الطرق الموصلة الى الله .. يذكر صوته القادم من
بعيد ، كأنه من أعماق روحه : لكن لكل درب شذاه ولونه وللحُطى فيه طعم
مختلف .

انتبه لنفسه .. كان يدور في أرجاء (غماره) وهو في المغرب يبحث عن
القطب .. ترى من اين يبدأ ؟ وأحسَّ ان هذا السؤال يحمل من الوجد ما لا
تطيقه روحه .

وتذكَّر انه حين قرر البدء برحلة البحث عن القطب كان ذات السؤال يحفر في
قلبه ، ترى من أين يبدأ ..؟

يومها قرر ان يتوجه الى بغداد .. ولماذا بغداد ..؟ أليست بغداد عاصمة الخلافة
أليست تحمل عقب النبوة وشذى الصالحين وبين تكاياها ترجيع تسابيح الأولياء

أليس ينام في ثراها الشيخ الجيلاي ، وأنفاس الرفاعي تغمرها ؟
بغداد مستودع الأقمار ومحطة الشمس ودار الأولياء ...
وحين حمل شوقه وتوكله ومضى الى بغداد ، كانت رحلة أشبه بإبحارٍ نحو
المجهول في بحر يلقه الضباب ويحيط التيه بأرجائه ..
بغداد بأقصى الدنيا وهو في تونس ...
لكن .. الطريق الى الله موكلٌ بالجهاد ، وهذا السير في دنيا المجهول جهاد.. وفي
الجهاد يصبح للتعب طعم جميل ، وتتقاصر المسافات ، فحب الله هو الحادي .
ومضى في صحراء ، تقود لصحارى ، ثم صحارى ...
انتبه لنفسه .. كان يتفرد بالوجه من حوله ، انه يعلم انه يبحث عن حلم ..
عن طيف . والإمسك بالظيف صعب .. صعب وليس بمستحيل .
كانت الشمس تميل الى الغروب ، والرمال في (غمارة) تصبح بلون الذهب
وقت الغروب .. يجم صوب المسجد وحين يصلي سيسأل الله .. سيسأل
بإخلاص ويقين .. سيدعو .. وهو يعلم ان الله اذا ألهم عبداً الدعاء فسيتحقق
العطاء ..
وحين وصل الى باب المسجد أحس بالخشوع يغمره .. وبأنوار قدسية تنفذ الى
أعماقه فكأنه يسبح في النور .
تذكر أول صلاة صلاها بعد ان دخل بغداد... شعر بذات الأنوار ، وبنفس
الخشوع ، خشوع في حضرة الملك .. تعلم ان يصلي بكل جوارحه ، كانت تنتابه
خشية ورهبة .. خوف وحب .. خوف وسكينة .. خوف وصفاء
مساجد بغداد جميلة والصالحون فيها كثر .. كلهم منورون .. لكن الشيخ ابو
الفتح نوره يختلف .
تذكر حين التقاه أول مرة ، وتذكر نظرة الشيخ اليه ، نظرة شعر بها تبلغ أعماق
روحه .. وتذكر كيف همس في أذنه بصوت رقيق ، رقيق لكنه قوي : الذي

تبحث عنه موجود في بلدك .

أخذته الدهشة ، شعر بقلبه يرتجف ..وسمع صوته يسأل وبدون ان يدري وعن ماذا أبحث يا شيخ ؟ ابتسم ابو الفتح وهو يقول بلهجة الأب : أنت تبحث عن القطب .. ارجع من حيث أتيت ..

يااااا كل هذه الشهور والأسابيع والسنين ، كل هذا السفر وهذه الصحارى .. والقطب حيث كنت

ويلتفت الى الشيخ ويسأله : وكيف سأعرفه ؟ ابتسم الشيخ وقال : قف بباب الله بصدق ، واطرق الباب بصبر ، سيُفتحُ لك الباب وتلتقي بأهل الصدق .. فربك لا يُضَيِّعُ صادقاً وصابراً .

استيقظ من سيل الذكريات وهو يرى احد اصدقاء طفولته ، كانا قد بدأى حِفْظ القرآن سوياً ، عانقه ، واثناء الحديث قال له كم أعجب للشيخ ابن مشيش وهو مستغرق بعبادته في الجبل ..وأحسَّ بهذا الخبر يفتح الف باب في قلبه ، أحس بأنوار تشع أمام عينه.. أحسَّ.. بأنها اشارة ربانية ..

انه يعرف الجبل ، ويعرف الطريق اليه ، لكنه لا يعرف الشيخ المتعبد في الجبل وينساب سيل اسئلة في قلبه :هل الشيخ هو القطب .. هل سيُقبَلُه ؟ وهل سيأخذ بيده .. وهل ..؟

وهرب من أسئلته ، وتوجه في الصحراء صوب الجبل .

وأحسَّ بأن هذا الطريق ليس بجديد عليه ، لكنه لا يتذكر متى مشاه ...

لكنه يعرف هذه الرمال وهذا الجبل .

كان ابو الحسن جميل المظهر جسماً وملبساً ، وكان فارساً يركب الخيل ويقتنيها ، وكان غير متحرج فيما يتعلق بالمأكل والمشرب من حيث النوع وإن كان يتحرج كل التحرج فيهما من حيث الحل والحرمة . وكان عالماً أجمل ما يكون العلم وأعمقه .

وكان مجاهداً يقف مع الجيوش في الميدان يعمل على احراز النصر .

وكان مكافحاً يعمل في الحرث والغرس والحصاد .

وكان عابداً أدت به عبادته الى قرب ، قال هو عن حقيقته :

(انه الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القرب ... هذا هو ابو الحسن)^١

الاسم والنسب :

هو ابو الحسن علي (وشهرته الشاذلي) بن عبد الله بن عبد الجبار ابن تميم بن

هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف (ابو يعقوب) بن يوشع بن ورد بن علي

(ابو بطال) بن أحمد بن محمد بن عيسى بن ادريس الأول بن عبد الله المحض ابن

حليم اهل البيت الإمام أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي

طالب عليه السلام رزقه من زوجته البتول السيدة فاطمة الزهراء بضعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

سيد الأنبياء^٢

المولد والنشأة :

ولد عليه السلام سنة ٥٩٣ هجرية (١١٩٧ ميلادية) بقرية (عُمارَة) من قرى شمال

افريقيا بالقرب من مدينة (سبتة) ، وهي تتبع للمغرب حالياً .

ولما بلغ سن التعلم تلقى علومه ومعارفه الأولية على يد شيوخ بلده ، فحفظ

القران الكريم وأحسن تفهّمه ، وتلقّى مبادئ الطريقة على يد الشيخ محمد بن

علي بن حِزْرهم^٣ وهو احد شيوخ المغرب والأندلس المعدودين وله شهرة وصيت

طيب في التصوف .

^١ هذا هو الشاذلي ص ٧١

^٢ هذا هو الشاذلي ص ١٥٨

^٣ احد شيوخ الأندلس والمغرب المعدودين ، من كبار الفقهاء حافظاً للفقهِ زاهداً ورعاً

متقشفاً ولد في المغرب بضواحي فاس سنة ٦٣٣ هجرية وتوفي ودفن في الأحواز بالمغرب ،

كان والده شيخاً لأبي مدين ولبس منهم خرقة التصوف

الرحلة والسياحة :

كان ﷺ في عين العناية منذ طفولته ، فكانت روحه تتوق للعلم والمعرفة ، كما ستوق حين يكبر للبحث عن الطريق الموصل الى الله ، وسيقضي كل عمره الشريف باحثاً عن الطريق الى رضوان الله ، أو ، متنقلاً بعدها لينشر نور الله بعد أن أنار الله قلبه وعرف الطريق .

كان دائم البحث والسعي ، حياته قلق وبحث ، ترقّب ووجد وحب .. وهذا شأن العاشقين ، حياتهم بحث ولوعة .

بعد ان اكمل ﷺ علوم القرآن وتجوّده في مدينته تاقت روحه للاستزادة من المعارف وإسكات عطش روحه المتزايد ، والذي سيظل في ازدياد.

ويترك المغرب ويتوجه الى (زَرْوَيْلَة) قرب تونس عام ٦٠٣ هجرية .

كان عمره عشر سنوات ، وابتدأ شيخنا بالتردد على مشيخة تلك الديار ويتزود من علماءها ، ويتفقه ﷺ بعلوم الشريعة على مذهب الإمام مالك ﷺ وبعلم النحو والصرف وعلم الحديث والتفسير ، ويأخذ عنهم آداب الطريقة ومبادئ السلوك .

وينتقل ﷺ بين مدن افريقيا ويدخل مدينة (القيروان) ينتقل بين العلماء ... ففتحت له ابواب الحقائق واتسعت امامه ميادين المعرفة حتى صار عارفاً بالعلوم الظاهرة .

لكن روحه تظل تدفعه للبحث في دنيا الحقيقة ، فالذي كان يبحث عنه أكبر من ان تتسع له الكتب التي قرأها ويتجاوز العلوم التي حصّلها .

حصّل من العلوم كل ما كانت تزخر به علوم العلماء والشيوخ في تونس والمغرب حتى قيل عنه انه كان (ذا علوم جمّة) وهو (صاحب العلوم الغزيرة)^١ وكان

^١ المدرسة الشاذلية ص ٤٧ عن لطائف المنن ص ٤٤

ﷺ كلما ازداد علماً كلما يزداد شعوره بنقصان علومه ، كلما قرأ أكثر شعر بأن الذي لا يعرفه يزداد ويتوسع .

ويستمر الشيخ الشاذلي ﷺ يطلب العلم ويتوسع في المعرفة ، وهو الذي سيجعل العلم أساساً تقوم عليه دعوته ومنهجاً لمريديه لاحقاً ، ويصل رضي الله عنه حين الى الذروة حينما يعتبر الجهل والرضا به من الكبائر ، بل يعتبره من أكبر الكبائر ويقول :

(لا كبيرة عندنا أكبر من اثنتين : حب الدنيا بالإيثار ، والمقام على الجهل بالرضا) .

لأن حب الدنيا اصل كل خطيئة ... والمقام على الجهل أصل كل معصية .
كان دأبه ﷺ طلب العلم والترحال ، التزود من العلم ما أمكن والسياحة في أرض الله ، سافر في صباه من بلده المغرب الى تونس ثم سيسير الى ارض العراق ثم يرجع الى المغرب ثم يعود الى تونس ثم يشد الرحال الى مصر ، وبين كل هذه المراحل ، كان لا يطيب له المقام في بلدة بل كان يقصد الصحراء او يسكن في مغارة بسفح جبل ليختلي مع ربه متعبداً متقرباً متضرعاً ينشد المغفرة والقرب والرضا ، حتى فتح الله عليه وأكرمه بما يكرم به أوليائه .

كانت استزادته من العلم اقتداءً بسيدي رسول الله ، فرغم كل ما أفاء الله عليه من العلم كان خطاب ربنا تبارك وتعالى له ﷺ (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ¹ ، فلم يكن بعدها لعلم العلماء حد يقفون عنده ورسول الله ﷺ مأمور من الله تعالى بزيادة علمه .

وأما سياحاته المتعددة والمتكررة ﷺ انما كانت هجرة الى الله ، وذهاباً اليه ،

¹ طه ١١٤

وفراًاً نأوه وما كان لها من هدف الا ليطلب علماً في البداية ثم ليألو وربه ، وان يغادر كل شيء ليملاً قلبه بالله ، لقد كانت سياأات عبادة ، ولم تكن عبادة شيخنا ﷺ مجرد فروض وسنن ، فتنك ممكنة في الأضر وبين أهله ولا أأناج الى هجرة ، لقد كان قصد ابي الأسن ان يفرأ قلبه ليملاً بالله ، وذاك كان يستدعي الهجرة ، والسيأة .

والهجرة حال الأميع ولكن هجرة الأميع ليست واحدة ، فهناك من يهاجر الى دنيا يطلبها او مال يبتغيه او امرأة يريدأ ، فله من هجرته ما هاجر اليه ، ومن الناس من يترك كل شيء ويهاجر الى الله ورسوله ... غادرت كل الأشياء قلبه ولم يتعلق بشيء وظلت روحه تبحث عن الله ، انه الأب ، الأب الذي لا يدرية الا الذي يسكن الوجد قلبه ويأرق الشوق حناياه ، فيترك نومه ويهجر فراشه ، ولا يطيب له مقام ولا تسكن روحه الى أحد ، فيهاجر يطلب الله ويرجو قربه ووصاله ، فليس عجباً ان يسبح بعدها في الصأراء ، وسط كآبان الرمال ، او يسكن جبلاً بمأارة وسط الصأور ، أأنا رحلة الى الله واختلاء بالأبيب وبأنا عن قرب .

انه فعلاً الأبّ باللوب الأبين .

يقول الشيخ ابو الأسن ﷺ : أأنا الأأققون ان يشهدوا غير الله تعالى ، لما أأققهم به من شهود القيومية وإأاطة الديمومية .

اراد ان يشهد الله متألياً في كل شيء ، والله يتألي للعبد على قدر صفاءه ، فكانت الهجرة أأققاً للصفاء وتزكية للنفس وتأهيراً لها لتأقي في عوالم الصفاء فيتأقق القرب .

فيعتكف شيخنا في جبل زعوان .. وسيرأل عبر الصأراء يباحأ عن القأب ويسيهر الليلي متألاً قائماً صائماً متأزباً بين الوهاد والأودية في عمق الصأراء .

وكم شهدته المغارات والكهوف قائماً في جنح الليل متضرعاً داعياً مستغيثاً بالله
ان يجعله عبداً رانياً من اهل الرضوان والقرب .
كان همه ان ينقي نفسه وان يجاهدها ليزيل عنها شهواتها ، لِتَصْلِحَ للمسير في
طريق السالكين الى الله .

الرحلة الى بغداد :

كان رضي الله كلما ازداد علماً كان يشعر بنقص علمه أكثر ، فكأن العلم بحر
كلما ازداد التوغل فيه يبدو من حجمه ما كان مستوراً فكأنه يكبر كلما اوغل
فيه أكثر .

وبدأت تستفيق بروحه فكرة ان كل هذه العلوم هي مصابيح تنير له الطريق
وليست هي الطريق ، المعارف التي حصل عليها وسيلة للوصول وليست الغاية
، وأحس بأن الذي كان يصبو اليه هو القرب من الله ، ان تستضيء روحه بنور
المعرفة اللدنية ، ان .. يكشف الله له الحجب .

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)^١

بعد العلم سيضع قدمه على الطريق ، وستبتدئ الخطوة الأولى .
والطريق صعب ومسالكة كثيرة ، والمنزقات فيه متعددة ، ولا بد للسائر من
مرشد ، لا بدّ من رجل يعرف الطريق وخبّر مسالكة ويعلم أخطاره .
فمن اين يبدأ ، وأين سيجد هذا الشيخ المجرب العارف بالطريق .
الذين يبدو عليهم الصلاح كثيرون ، والمتكلمون بلسان العارفين عديدون ،
وكثيرون اولئك الذين استزهم الشيطان وصوّر لهم ما شاء ، فحاد بهم عن
الطريق الحق .

فكيف يُسَلِّمُ نفسه لمن لا يعرفه في مسألة الخسارة فيها ضياع الدنيا والآخرة .

^١ العنكبوت ٦٩

وبدى لوهلة ان المأمون الوحيد هو القطب .. الوارث المحمدي .. الذي يعبد الله على بصيرة وعلى هدى .

لكن اين سيجد القطب ، واين مكانه ؟

من اين سيبدأ ؟ واين سيتوجه ؟ الدنيا حوله كبيرة ، كبيرة واكبر من حيرته ، وتصحو بقلبه فكرة ، لم لا يتوجه الى بغداد ؟

حاضرة الدنيا وعاصمتها ، أليست منذ عهد العباسيين قبله طالبي الدين والدنيا؟

أليس فيها كبار المحدثين والقمم العوالي من رجال التصوف ؟

أليس فيها معروف والجنيد ؟ أليس فيها الحلاج والسُرِّي والشبلي والحبيب العجمي وداوود الطائي ،

وأحسَّ بأنه يعرف من أين يبدأ .

وجمع همته وتوجه الى بغداد متوكلاً على الله ، باحثاً عن القطب .

في بغداد :

ودخل بغداد سنة ٦١٨ هجرية وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون عاماً .

وخَيَّل اليه وهو يدور في انحاءها انها أكبر وأجمل مما تصوّر انها جميلة بشكل غير مألوف ، كأن السحر والجمال يتهاديان عبر دروبها وأزقتها ، ولم يستغرب ، فقد خَيَّل اليه انه يشم روائح الجيلاي تضيع من الدروب وروائح بخور طلابه تنتشر بين البيوت ..

وزار الجيلاي ، وزار الجنيد والمعروف والشبلي ، وزار أكثر من مزار ، وأحسَّ بأنه يعرف أصحاب المزارات ، أنهم احبائه واخوانه في الطريق .

التقى الشيخ الشاذلي رحمته الله بأكثر أولياء بغداد وتنقّل بين التكايا وحضر مجالس الذكر وحلقات التوحيد ، وتعرّف على أهل الأحوال ..

وأحسن بقلبه ينشدُ أكثر الى الشيخ ابو الفتح الواسطي تلميذ الإمام القطب سيدي احمد الرفاعي ووالد السيدة فاطمة ام الإمام القطب سيدي ابراهيم الدسوقي رحمته الله اجمعين .

والسيد ابو الفتح رحمته الله سيتوجه بعدها الى مصر ليؤسس فيها الطريقة الرفاعية العلية .

وبعد ان يتعرف السيد ابو الفتح على الشيخ الشاذلي يخبره بأنه يبحث عن القطب في العراق مع ان القطب ببلده ، وينصحه بأن يعود الى بلده ليلتقي بالقطب .

ويعزم الشيخ الشاذلي على العودة الى تونس ، والى غمارة .. سيرجع من حيث أتى .

وسيصحب معه أسئلته : ترى هل سيجد القطب ؟ وان وجده فهل سيقبل بأن يكون مرشده ؟ ومن أين سيبدأ ؟ وكيف سيبحث ؟ و واستعان بالله وبدأ بسفرٍ جديد الى تونس ، والى غمارة مسقط رأسه .

اللقاء بالقطب سيدي عبد السلام بن مشيش :

ويريد الله سبحانه ان يثمر صبر عبده خيراً ، ويصل الى علمه ان ولياً لله يتعبد في جبل خارج قرية (غمارة) ، ويقع في قلب ابي الحسن ان الرجل قد يكون هو ضالته التي يبحث عنها ، ويتوجه الى الجبل .

وعَبَّرَ الصحراء ، وَعَبَّرَ طرقات وعرة يصل الى الجبل ، كان قرب السفح عين ماء ، اغتسل الشيخ رحمته الله في ماءها وصعد الجبل بعد ان تبرأ من علومه ومعرفته وبدأ يرتقي الجبل بأدب وافتقار ، وهذا شأن المقبلين على أولياء الله ، وفي منتصف الطريق رأى شيخاً يهبط الجبل ليلتقيه .

كان الشيخ عليه مرقعة وعلى رأسه قلنسوة من خوص نظر الى ابي الحسن وقال: (يا علي طلعت الينا فقيراً من علمك وعملك ، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة)^١

ثم انه قال له يا علي ابن عبد الله بن عبد الجبار ومضي يذكر نسب الشيخ حتى وصل بالنسب الى الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام .. كل هذا وابي الحسن مستغرق في الدهشة .

يقول الشيخ : فأقمت عنده أياماً ففتح الله عليّ .

والشيخ ابن مشيش قدس الله سره من كبار رجال التصوف وأعلامه ، كان عالماً فقيهاً زاهداً ورعاً متمسكاً بالكتاب والسنة عاملاً بهما .
من جميل اقواله في المحبة :

الزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت تطهرت من دنس الدنيا ، وكلما ملئت الى الشهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى او كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو ، كلما أفقت او تيقظت شربت ، حتى يكون سكرك وصحوك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة ، وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله .

ويندهش ابو الحسن عليه السلام بالشيخ ابن مشيش قدس الله سره وينبهر بعلمه المبني على الكتاب والسنة كما انبهر بولايته وكراماته .

(يروي الشيخ ابو الحسن ما يلي :

دخل رجل على استاذي فقال له : وظّف لي وظائفاً واوراداً .

فغضب الشيخ منه وقال له : أرسول انا أوجب الواجبات ؟

الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة ، فكن للفرائض حافظاً ، وللمعاصي رافضاً

^١ الطرق الصوفية في مصر ص ١٢٦

، واحفظ قلبك من ارادة الدنيا وحب النساء ، وحب الجاه ، وإيثار الشهوات ، واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك ، اذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكرًا ، واذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً .
وكن لله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصلٌ جامع لأنوار الكرامات ، ومصدر ذلك كله أربعة :

صدق الورع ، وحسن النية ، واخلاص العمل ، ومحبة العلم .
ولا تتم لك هذه الجملة الا بصحبة اخ صالح او شيخ ناصح^١
وحين انتهت فترة ملازمة ابو الحسن للشيخ ابن مشيش ، يرسم ابن مشيش لأبي الحسن خط حياته القادمة .
ويرسم ابن مشيش خط حياة أبي الحسن فيما يستقبله من ايام بعد ان انتهت مدة اقامة ابي الحسن ، فيقول له :

يا علي ارتحل الى افريقيا واسكن بلدة تسمى شاذلة فإن الله عز وجل يسميك الشاذلي ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة .

وبعد ذلك تنتقل الى ارض المشرق وبها ترث القطابة .
وكان الشيخ ينظر الى الغيب بنور الله ، وهذا تحقق للشاذلي حرفاً حرفاً .
وحين دنت ساعة الفراق قال ابو الحسن لشيخه : يا سيدي أوصني .
(فقال له : يا علي ، الله الله ، والناس الناس ، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التمايل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح واداء الفرائض ، وقد تمت ولاية الله عندك .

ولا تذكرهم الا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك .
وقل : اللهم أرحني من ذكرهم ، ومن العوارض من قبلهم ، ونجني من شرهم ،

^{١١} قضية التصوف ص ٢٤

واغني بخيرك عن خيرهم ، وتولني بالخصوصية من بينهم ، انك على كل شيء
قدير)^١

وفارق الشيخ شيخه .

ويتوجه شيخنا ابو الحسن الى ارض تونس ... الى شاذلة .

في شاذلة :

وتبدأ رحلة جديدة وسياحة جديدة تُدَكِّرُ برحلة الشيخ الى بغداد ، لكن هذه
الرحلة تختلف .

فإن كانت رحلته الى بغداد كانت رحلة بحثٍ ، فإن رحلته هذه رحلة تكليف ،
رحلة عمل بعد ان وضحت له الطرق وصار عليه السلام أكثر دراية ومعرفة بحاله
وبالطريق الذي يسلكه .

وهو وإن كان قد أنذره شيخه بابتلاء في تونس الا انه موعود بالقطبانية في
منطقة اخرى وفي مدينة ثانية .

والشيخ الشاذلي عليه السلام قد هيا الله له سبل الهداية سائحاً او مهاجراً او مقيم ،
كان مبعث هداية وخير اينما توجه ، الا ان الظاهر ان مُكثته في شاذلة سيكون
فترة عبادة واجتهاد وصقل ، خصوصاً انه التقى بشيخه ابن مشيش .

وحين وصل شاذلة تفاجأ بالتفاف الناس حوله وكأنهم كانوا ينتظرون وصوله او
يترقبون لقاءه ، فيقرر ان تكون اقامته بمحيط البلدة لا بداخلها . ويرتحل خارج
البلدة ، الى جبل (زغوان) لينفرد في عبادة ونسك فيتغلب على آثار هوى في
النفس ، او ليعث كوامن فضائل .

ويحتلي الشيخ في الجبل متعبداً ليرقى في مدارج السالكين وليحقق العروج في
معارج القدس ، بعيداً عن الناس قريباً من الله ، وان كان الشيخ لا يمنع مجيء
محبٍ زائر او محبٍ سالك ، وكان يصحبه ابو مُحمَّد عبد الله بن سلامة الحبيبي

^١ قضية التصوف ص ٢٧

وهو من اهل شاذلة وكان رجلاً تقياً صالحاً مكاشفاً ، والذي سيصحب شيخنا طيلة فترة بقاءه في الجبل والذي سينقل بعدها ما رأى من كرامات الشيخ في انفراده للعبادة فوق الجبل .

(وهو الذي حدث الناس عن عين الماء التي أنبعها الله قريباً منهم ليشربوا منها في مكثهم في الجبل ، وهو الذي ذكر للناس انه كان يرى الملائكة تلتقي بالشيخ الشاذلي تسأله او تحيط به في تحركه ، او عن ارواح الأولياء تأتي زرافات لزيارة الشيخ .

وما كان الحبيبي واهماً بذلك ، وما كان ما يراه سراياً لا حقيقة له ، ولا هماً تجسد او خيلاً تبلور . كلا . فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ^١

ان الملائكة تنزل على كل انسان في هذه الحياة بشرطين :

١ . الإيمان ٢ . الاستقامة) ^٢

وكان الشيخ ومن معه يقتات طيلة مكثه في الجبل على نبات الأرض وزرعها ، متخففاً من كل ما يبعده عن الله او يُطىء في وصوله لحضرته .

و شاء الله تعالى لعبده الشاذلي ان يعود من رحلته في السماء ، ليرحل في الأرض ، وتنتهي فترة الغار والتحنث ، حتى اذا امتلأ القلب بالله ، وتطهرت النفس من الرجز أجمع ، وصارت خيراً بحتاً ونوراً يستضاء به ، أمره الله ان يخرج للناس داعياً وهادياً .

ويحكى شيخنا ابو الحسن كيفية نزوله من جبل زغوان ومغادرة العزلة فيقول :

^١ فصلت ٣٠ - ٣١

^٢ انظر قضية التصوف ص ٢٨ - ٣٠ عن درة الأسرار ص ٢٨

قيل لي : يا علي اهبط الى الناس ينتفعوا بك .
فقلت : يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم .
فقيل لي : انزل فقد أصبحناك السلامة ، ودفعنا عنك الملامة .
فقلت : تكلمي الى الناس آكل من دريهماتهم ؟
فقيل لي : أنفق يا علي وأنا المليء ، ان شئت من الجيب وان شئت من
الغيب .

ونزل الشاذلي رحمه الله من الجبل ليغادر شاذلة ، وليبدأ مرحلة جديدة ، فقد انتهت
المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه .

سبب التسمية بالشاذلي :

(قلت يا رب لم سميتني بالشاذلي ولست بشاذلي - الأولى ان يسمى الغماري
نسبة الى غمار حيث ولد - .

فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي وانما انت الشاذل لي .
بتشديد الذال المعجمة . يعني : المفرد لخدمتي ومحبتي ¹ .
ويغادر شيخنا الجبل ... ويتوجه الى تونس ليبدأ مرحلة جديدة من الجهاد
والعبادة وهو يعلم بأن ابتلاءً ينتظره هناك ... يتوجه الى تونس مستعيناً بالله
طالباً منه المدد .

الشيخ في تونس :

وهبط الى تونس ، لقد سمع النداء : (يا علي اهبط الى الناس ينتفعوا بك) ،
لقد ذهب الى تونس قبل هذه المرة لكنه كان غير مُوجَّه ، اما الآن فهو يذهب
اليها بأمر .

ويهبط الى تونس داعياً الى الله هادياً اليه ، والدعاة على نوعين :

¹ قضية التصوف ص ٣٠

١ . دعاة الى الله يستمدون مبررات دعوتهم من الإذن العام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا النوع يعتمد تأثيره ونجاحه على صفاء نفسه ، وقدرته على الإقناع وفي طلاقة اللسان وفي معرفتهم بالكتاب والسنة ... فمنهم من يؤثّر بالغير ومنهم من لا يمتلك التأثير فيفشل بالدعوة .

٢ . دعاة يدعون على بصيرة وهؤلاء اهل الإذن الخاص ، وهم رجال جاهدوا انفسهم و صَفَّتْ قلوبهم واستنارت بالطاعات وتوافقت مع ما يريد الله سبحانه وأصبح سرهم مع الله فأضحوا من أوليائه وهم ينتظرون الإذن بكل الأمور حتى المباحات منها ، إضافة الى الإذن الخاص بالدعوة .

يقول ابو الحسن مفسراً معنى الإذن بالمباح ومعنى الإذن في حق الولي :
(نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه ، فيمتد ذلك النور على الشيء الذي يريد فيدركه نور مع نور ، أو ظلمة مع نور .

فذلك النور ينبئك ان تأخذ ان شئت ، او تترك أ او تُقبل او تُدبر ، او تعطي او تمنع ، او تقوم او تجلس ، او تسافر او تقيم .
هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير .

فإذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى .
فإن قارنته نية صحيحة لفعل ، برز عن حكم المباح وعاد مندوباً .

وان ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب ، فلا يخلو ان يلوح عليها لائح القبض بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنّبه ، فإنه المحذور او يكاد .

ولا تقطع ذلك الا ببينة من كتاب الله عز وجل او سنة او اجماع .
فإن تلك الظلمة شبه غيم لا ينصدع معه القلب ، ولا يتفرغ به الذهن فتباعد

عنه فإنه يكاد يكون مكروهاً .

ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من هنا خلق كثير)^١

^١ قضية التصوف ص ٣٢

واصحاب هذا النور ، يدعون الى الله بكيانهم كله .
ان صمتهم دعوة الى الله ، وان سيرهم دعوة الى الله ، وان جلوسهم دعوة الى الله ،
وان عملهم دعوة الى الله ، وان حديثهم دعوة الى الله .
ويستجيب لهم الناس سراعاً بمقدار ما في قلوبهم من خير ، وما في افئدتهم من
إيمان ، وينأى عنهم من ليس له في الخير نصيب ، ويحاربهم من حقت عليه
كلمة العذاب .

ويباشر ابو الحسن عليه السلام الدعوة الى الله تعالى .
وتجد دعوته صدى في القلوب ، فيجتمع حوله الرجال وتتسع دائرة احبابه
وتلاميذه ومُتبعيه .

وكان ممن اتبعه جماعة من الفضلاء منهم الشيخ ابو الحسن علي بن مخلوف
الصقلي ، وابو عبد الله الصابوني ، وابو مُجَّد عبد العزيز الزيتوني ، وابو عبد الله
البجائي الحياط ، وابو عبد الله الجارحي .

كلهم اصحاب كرامات على حد تعبير صاحب درة الأسرار ، وكان من بينهم
الشيخ الصالح ابو العزائم ماضي تلميذ الشيخ وخادمه .
ثم كثر المريدون واخذوا يزدادون يوماً بعد يوم الى ان اجتمع حوله خلق كثير ..
ثم ...

ثم بدأت الغيرة تدب في قلب ابن البراء قاضي القضاة في تونس ، وكلما ازداد
اقبال الناس على ابي الحسن أحس ابن البراء بكرسيه يتزعزع ووظيفته في خطر .
كان ابن البراء قاضي الجماعة ويحسب نفسه الرأس في أمور الدين ، ويعد
لنفسه الزعامة والرياسة .. او هكذا توهم .

كان الشاذلي من العلماء في الفقه والتفسير والحديث ، وكان يفتي ويشرح
ويفسر ، وكان كلامه يدخل القلب ويلامس الروح ، يتلمس من حوله نقاء
روحه وصفاء قلبه حين يتحدث ، فكانت دائرة احبابه تتسع .

ويحس ابن البراء بالخوف ، ماذا اذا ذاع صيت ابو الحسن اكثر ، وماذا اذا اكثر مريدوه ، أين سيكون هو ؟ وما مصيره . ويذهب ابن البراء الى السلطان ويصوّر له ان سلطانه في خطر وان ابي الحسن يمثل تهديداً للملكه . وتلك مسألة لا يتهاون بها الحكام والملوك ، فحين يكون المثلث في خطر فليس هناك صديق او قريب للسلطان .

ويجمع ابن براء جماعة من علماء البلد ويرسلون الى الشيخ ابي الحسن لينظروه ، والسلطان (ابو زكرياء) جالس خلف حجاب يسمع ما يدور .

ويأتي الشيخ لحل المناظرة ويبدأ النقاش وتبتدئ المناظرة ، وتتوالى الأسئلة على الشيخ ، فيفيض عليهم بعلوم اسكتهم بها من علوم موهوبة ثم أبهرهم حين تحدث بالعلوم المكتسبة ويسمع السلطان ما لم يسمع مثله من قبل ، كلام يلامس القلوب .. كلام سيقول عنه - فيما بعد - إمام المسلمين في مصر العز بن عبد السلام ناصحاً المستمعين : (اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله) كان كلاماً غريباً لأنه جديد على مسامع الحاضرين ، وقريب العهد من الله ، لأنه الهام من الله تعالى في هذا الوقت القاه في قلب عبده الشاذلي .

وسمع السلطان كلاماً هابه ، ورأى شيخاً مهيباً ما زال في سن الفتوة .. رأى السلطان نضجاً في العلم ونضجاً في التفكير .

ويوقن بأن ابي الحسن من كبار الأولياء .

ولم يستطع ابن البراء ان ينتصر على الشاذلي علمياً فيلجأ الى الدس ثانية .

ويذهب ابن البراء الى السلطان ليخبره بأنه اذا سمح للشاذلي بالخروج من مجلس المناظرة فإنه متأكد من أنه سيسبّح جموع الناس ويؤلبهم ضده وانه لا يستبعد ان يجمع الشاذلي اتباعه ليستولي على الحكم .

ويفعل الأمر في نفس السلطان ما أراده ابن البراء .

فيسمح للعلماء بالخروج ويستبقي ابي الحسن في مجلسه وكأنه محجوز .
ويبقى الشيخ ساكن القلب مطمئن الروح ، ويطلب الشيخ سجادة صلاة وماء
وضوء ، ويصلي ركعتين بالمجلس ويهم بأن يدعو على السلطان ، فنودي في
سره:

ان الله لا يرضى لك ان تدعو بالجزع من مخلوق .

ويلهمه الله ان يقول :

(يا من وسع كرسيه السموات والارض ، ولا يئوده حفظهما وهو العلي
العظيم، اسألك الإيمان بحفظك ايماناً يسكن به قلبي من هم الرزق ، وخوف
الخلق ، واقرب مني بقدرتك قرباً تحقق به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم
خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا لسؤاله منك وحجبه بذلك من نار
عدوك ، وكيف لا يُجْجَبُ عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء ،
كلا ، اني اسألك ان تغنيني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا
يبعده عني ، انك على كل شيء قدير)¹

ويصلي الشاذلي ويدعو من مولاه طالباً الرضا والقرب وأن يعيبه بالقرب في
القرب .

ويجيء أمر الله ، وتتحرك المقادير ، وكل ذلك بأمر الله سبحانه وبمشيئته وهو
الذي يحفظ من يشاء بما شاء وقت يشاء .

كانت للسلطان جارية مقربة اليه محبة الى قلبه ، ويشاء الله لها ان تمرض فجأة
ويزداد وجعها في لحظات ، والسلطان وحكمائه حوله عاجزين ، ويجيء أجل
الجارية بأمر الله ومشيعته فماتت من حينها ، وتُغسَلُ في بيت سكنى السلطان ،
ويذهبون بها للصلاة عليها ، ثم لتدفن ، كل ذلك في وقت احتجاز الشاذلي .

¹ قضية التصوف ص ٣٥

وربك يقول : إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^١

وينشغلون بتكفينها والصلاة عليها : ويغفلون مجمراً في البيت .

كان تديراً منذ الأزل وحدث في اللحظة التي قدرتها العناية الالهية وهي نفس اللحظات التي حبس السلطان فيها الولي الصالح بقصره .

(وأغفلوا مجمراً في البيت فالتهمت النار فلم يشعروا حتى احترق كل ما في البيت من الفرش والثياب وغير ذلك من الذخائر ، فيعلم السلطان انه اصيب من قبل هذا الولي)^٢

وكان للسلطان أخ اكثر من السلطان محبة لأولياء الله ويسعى اليهم ، وكان حينها خارجاً يتفقد بعض بساتينه ويتجول فيها .

وحين يسمع بما حصل في قصر السلطان من مناظرة وحبس للولي وموت الجارية ثم احتراق القصر بعدها ، يرجع مسرعاً ليلتقي بأخيه ، يلومه على ما فرط في حق الولي الصالح وسماعه لرأي ابن البراء ، ثم يذهب الى ابي الحسن يعتذر اليه ويتراضه عما بدر من أخيه ويطبّب خاطره ويتقرب اليه .

ويبين الشيخ لأخ السلطان ان الكون وما فيه ومن فيه في قبضة الله الكبير المتعال ، وقال له : (والله ما يملك اخوك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فكيف يملكها للغير ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً)

ويخرج السيد الشاذلي قدس الله سره الى داره ويعود الى تلاميذه واحبابه ، ويعود ابن البراء يدس على الشيخ ويكيد له .

ويعزم الشيخ الشاذلي على الخروج للحج ويخبر بذلك تلاميذه ومحبوه ليتهيأوا ، ونهضت تونس مودعة شيخها ، وكانت حركة ، وكان ضجيج ، ويصل الأمر لمسمع السلطان فيقع الرعب في قلبه بعد ان ظن ان ابا الحسن يريد الخروج

^١ القمر ٤٩

^٢ قضية التصوف ص ٣٦ عن درة الأسرار ص ٣٠

فهاثياً من تونس فيرسل الى شيخنا وفداً يرجوه البقاء ، فيخبرهم الشيخ عليه السلام بعزمه الخروج حاجاً لبيت الله ويعدهم بالرجوع .

رحلة الى بيت الله الحرام :

ويتحرك الركب بالشيخ ومن معه ميممين نحو الحجاز ، ويتوجهون نحو المشرق فيدخلون الإسكندرية .

يقول صاحب درة الأسرار والذي صحب الشيخ في رحلته :

(فلما توجهنا الى المشرق ، ودخلنا الاسكندرية ، عمل ابن البراء عقداً بالشهادة ان هذا الواصل اليكم شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل في بلادكم . فأمر السلطان ان يعتقل بالإسكندرية فأقمنا بها اياماً .

وكان السلطان رمى رمية على أشياخ في البلاد يقال لهم : القبائل ، فلما سمعوا بالشيخ أتوا اليه يطلبونه بالدعاء فقال لهم :

غداً ان شاء الله نساfer الى القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم .

فسافرنا وخرجنا من باب السدرة والجنادة فيه والوالي ، ولا يدخل احد او يخرج حتى يُفتش ، فما كلمنا أحد ولا علم بنا .

فلما وصلنا الى القاهرة اتينا القلعة فاستأذن على السلطان ، قال كيف وقد أمرنا ان يعتقل بالإسكندرية ؟

فأدخل على السلطان والقضاة والأمراء ... فجلس معهم ونحن ننظر اليه .

قال له الملك : ما تقول يا شيخ ؟

فقال له : جئت أشفع اليك في القبائل .

فقال له : اشفع في نفسك ، هذا عقد بالشهادة فيك وجهه ابن البراء من تونس بعلامته فيه ، ثم ناوله اياه .

فقال له الشيخ : انا وانت والقبائل في قبضة الله .

وقام الشيخ .

فلما مشى قدر العشرين خطوة حركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق .
فبادروا الى الشيخ وجعلوا يقبلون يديه ويرغبونه في الرجوع اليه .
فرجع اليه وحركه بيده ، فتحرك ، ونزل عن سريره ، وجعل يستحلّه ويرغب منه
في الدعاء .

ثم كتب الى الوالي بالإسكندرية ان يرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذه
منهم .. وأقمنا عنده في القلعة أياماً .

واهترت بنا الديار المصرية الى ان طلعتنا الى الحج ورجعنا الى مدينة تونس¹

الى تونس .. من جديد :

ويعود الشيخ الى تونس كما وعد سلطانها وهو يغادر الى الحج زائراً ومتعبداً .
ويعود الى تونس هادياً وداعياً الى الله سبحانه ، ويتكاثر حوله الأحاب ويتكاثر
حوله المريدون والأتباع .

وكلما ازدادت انوار الشيخ ازداد مكر ابن البراء به ، وكلما كثر الأتباع كثرت
محاولات ابن البراء للإيقاع بالشيخ .

ويُقَدِّمُ الى تونس الولي ابو العباس المرسي ويلتقي بالشيخ .

يقول الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : (ما ردّني لتونس الا هذا
الشاب) .

وهذا الشاب سيصحب الشيخ ويلازمه طول حياته ويكون خليفته ووارث
علومه بعد مماته .

(يقول الشيخ ابو العباس المرسي : لما نزلت بتونس حين اتيت من مُرْسِيَّة وانا
ذاك الشاب ، فسمعت بذكر شيخي ابي الحسن الشاذلي رحمه الله فقال لي رجل :
تمضي بنا اليه . فقلت له : حتى استخير الله تعالى ، فنمت تلك الليلة فرأيت
كأني اصعد الى رأس جبل فلما علوته رأيت رجلاً عليه برنس اخضر وهو

¹ درة الأسرار ص ٣١-٣٢

جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل ، فلما نظرت اليه قال لي : عثرت على خليفة الزمان ؟

فانتبهت ، فلما كان بعد صلاة الصبح اتاني الرجل الذي دعاني الى زيارة الشيخ فسرت معه فلما دخلنا على الشيخ رأيته على الصفة التي رأيته فيها على الجبل ، فدهشت فقال لي : عثرت على خليفة الزمان ؟ ما اسمك ؟

فذكرت له اسمي ونسبي ، فقال : رفعت اليّ منذ عشرة اعوام ^١

ويستمر الشيخ بتونس يدعو الى الله ويتحمل أذى ابن البراء وهو يعلم ان بقاءه بتونس لن يطول ، فقد وعده شيخه ابن مشيش رضي الله تعالى عنه بذلك ، لكنه ينتظر الأمر ... الأمر بالمغادرة .

ولم يطل به الانتظار فقد رأى الشيخ في المنام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له :

(يا علي انتقل الى الديار المصرية تربي بها اربعين صديقاً) ^٢

ورغم ان الوقت كان صيفاً ، ورغم حرارة الصيف ، الا ان الشيخ يأمر اتباعه بالاستعداد للتوجه الى الديار المصرية .

ويتم تنفيذ الأمر بسرعة .

ويحط الشيخ رحاله بمصر :

(قال ﷺ : لما قدمت الى الديار المصرية قيل لي :

يا علي ذهبت ايام المحن ، وأقبلت ايام المنن ، عسراً يبسر اقتداءً بجدك صلى الله عليه وسلم .

وكان مسكنه ﷺ في الإسكندرية ببرج من ابراج السور ، حبسه السلطان عليه وعلى ذريته ، دخله عام خمس عشرة وسبعمائة ، في اسفله ماجل كبير ومربط

^١ هذا هو الشاذلي ص ١٩٥ - ١٩٦

^٢ قضية التصوف ص ٣٩

للبهائم ، وفي الوسط منه مساكن للفقراء وجامع كبير ، وفي أعلاه أعلى لسكناه
ولعياله .

وتزوج هناك وولد له اولاد منهم الشيخ شهاب الدين احمد ، وابو الحسن علي ،
وابو عبد الله محمد شرف الدين ،

ومن البنات : زينب ولها اولاد ، وعريفة الخير)^١

اما عن معيشته في الاسكندرية فانه يصفها في احد رسائله الى بعض اصدقائه
بتونس وهي رسالة طويلة يقول ﷺ في بعضها :

(الكتاب اليكم من الثغر^٢ حرسه الله ، ونحن في سوابغ نعم الله نتقلب ، وهو
بفضله وبوده الينا يتحجب ، قد القى علينا وعلى احبابنا كنفه ، وجعلنا عنده ،
فما الطفه ، ندعوه فيلبينا ، وبالعطاء قبل السؤال ينادينا ، فله الحمد كثيراً كما
ينبغي لوجهه الكريم وجلاله العظيم .

وأما الاهل والأولاد والاصهار والاحباب ففي سوابغ نعم الله يتقلبون ،
ويأحسنانه ظاهراً وباطناً مغمورون ، نسأل الله المزيد التام العام لكم ولهم اجمعين ،
وان ينوب عنا في شكره ، انه اكرم الاكرمين)^٣

ولما استقر ﷺ بالإسكندرية اخذ يلقي دروسه بجامع العطارين ، وكان يحضر
عليه أجلاء العلماء واکابر الفضلاء ، ويرشد المريدين ويدعو الى الله على بصيرة
ويقين ، ويعقد حلقات الذكر والوعظ والإرشاد وكان الاقبال على دروسه
عظيماً جداً ، من خاصة الناس وعامتهم .

وفي هذا الجامع قدّم الشيخ تلميذه ابا العباس المرسي واعلن خلافته له ، وأذن
له في القاء الدروس على تلاميذه وطلابه وان يفقههم في دينهم ويعلمهم مبادئ

^١ درة الأسرار ص ٣٣

^٢ يعني الإسكندرية

^٣ درة الأسرار ص ٣٤

الشريعة وأسس الحقيقة ويرشدهم الى الله تعالى .
ثم أكثر الشيخ رحمته بعد ذلك من الترحل بالبلاد والتنقل في داخل الديار
المصرية ، مبشراً بمبادئه ، ناشراً علومه ومعارفه .
وكثيراً ما كان يلزمه تلميذه ابو العباس يرافقه في رحلاته ، او يلحق به في اقامته
ثم يعودان سوية الى الإسكندرية .
وكانت دروس ابي الحسن الشاذلي بمسجد المقياس بالروضة وبالمدرسة الكاملة
بالقاهرة .

وكان درسه مظهراً من مظاهر الهيبة والجلال ، والأنس والجمال ، والرفعة
والكمال ، فكانت مجالسه لا تزال عامرة بأكابر العلماء وصفوة الفقهاء .
لقد كانت مصر حين وصل اليها الشيخ الشاذلي رحمته تعجز بمجموعة من أكرم
العلماء وأفضلهم علماً وحُلُقاً وصلاًحاً ، مجموعة وهبت نفسها لله وأسلمت
قيادها له .

(ولقد استقبلت هذه المجموعة ابا الحسن اجمل استقبال وأحسنه ، ورافقته
متلمذة ومتأخية : يقول صاحب المفاخر العلية نقلاً عن ابن مغيزل :
ان الشيخ رحمته ، لما قدم من المغرب الأقصى الى مصر صار يدعو الخلق الى الله
تعالى ، فتصاغر وخضع لدعوته اهل المشرق والمغرب قاطبة ، وكان يحضر مجلسه
أكابر العلماء من أهل عصره مثل سيدي الشيخ العز بن عبد السلام ، والشيخ
تقي الدين دقيق العيد ، والشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، والشيخ ابو
عمرو عثمان بن الحاجب ، وابن الصلاح ، والشيخ جمال الدين عصفور ، ،
والشيخ نبيه الدين بن عوف .

وهؤلاء سلاطين علماء الدين شرقاً وغرباً في عصرهم .

والشيخ محي الدين بن سراقه ، والعلم ياسين تلميذ ابن عربي رحمته

فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية بالقاهرة ، لازمين الأدب ، مصيحين له ، متتلمذين بين يديه ، وان الشيخ الامام قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة الولي ابن الولي رحمهم الله كان يرى انه في بركة الشيخ ابي الحسن في مصر وكان يفتخر بصحبته ، وبحضور جنازته والصلاة عليه بميثرة ^١)
وحين يرجع الشيخ الشاذلي رحمته من الحج يستقبله أمير العلماء العز بن عبد السلام في موضع يقال له (البركة) يبعد عن القاهرة بستة أميال .
لقد كان مقام الشيخ في مصر مقام خير وبركة على مصر ورجالها ، انتشرت فيها الدعوة وترى فيها الرجال .

بَعْضُ ... من صفات الإمام:

قد يكون صعباً الحديث عما تميز به الإمام الشاذلي قدس الله سره من صفات ومزايا .. فهو عبد نشأ في عين العناية الربانية ، تولاه الله بلطفه ، فأُنعم بالله من مؤدب.

وحيت يكون الحديث عن اللطف والعناية الربانية فإن الأقلام تقف خاشعة ويجف المداد حَجَلاً من عجزه.

لكنها محاولةٌ لتلمس بعض الجمال الذي ملأ صفات واخلاق هذا الولي الصالح رضي الله عنه.

والأظهر مما بدى على الشيخ هو ذلك الأدب الجمُّ في حضرة الله عز وجل وفي حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن مظاهر أدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرويه صاحب درة الأسرار عن شيخنا ابي الحسن:

(لما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً ، وقف على باب الحرم النبوي من اول النهار الى نصفه عريان الرأس حافي القدمين ، يستأذن على رسول الله

^١ قضية التصوف ص ٤١ - ٤٢ عن المفاهر العلية ص ١٥

صلى الله عليه وسلم ، فسئِلَ عن ذلك فقال :
حتى يؤذن لي ، فإن الله عز وجل يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ
النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ
فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام:
يا عليُّ ادخل..

فوقف تجاه الروضة الشريفة وقال :

السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك يا رسول الله افضل
وأزكى وأسنى وأعلى صلاة صلاها على احد من انبيائه واصفيائه ، اشهدُ يا
رسول الله أنك بلَّغت ما أُرسِلتَ به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربك حتى
أتاك اليقين ... كنت كما نعتك الله في كتابه لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ
فصلوات الله وملائكته ورسله وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا
رسول الله.

السلام عليكم يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا ابا بكر ويا
عمر، ورحمة الله وبركاته ، فجزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به
وزيرى نبي في حياته ، وعلى حُسنِ خلافته في أمته بعد وفاته ، فقد كنتما
لسيدنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وزيرَيَّ صِدْقٍ ، وخلفتماه بالعدل والإحسان
في أمته بعد وفاته ‘ فجزاكما الله عن ذلك مرافقته في الجنة ، وإيانا معكما
برحمته انه ارحم الراحمين.

اللهم اني أشهدُك وأشهدُ رُسُلَكَ ، وأشهدُ أبا بكر وعمر وأشهدُ الملائكة
النازلين بهذه الروضة الكريمة والعاكفين عليها ، أني أشهدُ ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له ، واشهد ان مُحَمَّدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين ،
وأشهد ان كل ما جاء به من أمرٍ ونَهْيٍ عما كان او ما هو كائن فهو صِدْقٌ

لا شكَّ فيه ولا امتراء ، واني مُقِرُّ لك بجنايتي ومعصيتي في الخطرة والفكرة والإرادة والفعلية ، وما استأثرت به عليّ اذا شئت أخذت واذا شئت عفوت عنه ، مما هو متضمّن للكفران والنفاق او البدعة او الضلالة او المعصية او سوء الأدب معك ومع رسولك وانبيائك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن ، وما خصّصت به من شيء في مُلكك ، فقد ظلمت نفسي بجميع ذلك ، فأمنن عليّ بالذي مننت به على أوليائك ، فإنك انت الله المنان الكريم الغفور الرحيم. ثم انه كان ظاهراً على الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه هو سعيه لتطابق عمله مع الكتاب والسنة ، وبذلك أوصى محبيه ومتبعي طريقته.

يقول رضي الله عنه:

ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة.

فمن أعطيها وجعل يشتاقي الى غيرها فهو مفتر كذاب ، أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب ، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاقي الى سياسة الدواب وخلع الرضا.

ويقول : اذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة ، فلا تعباً به ، هذا في شأن السالك.

أما من يتصدى للدعوة فإن من دعا الى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يدعي على حد تعبير ابي الحسن.

وينصح رضي الله عنه اتباعه فيقول:

اذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك: ان الله تعالى ضمن العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ، ولا المشاهدة ، مع انهم اجمعوا على انه لا ينبغي العمل بالكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة .

وكان ظاهراً على الشيخ رضي الله عنه سياحته ، وتركه للناس والاستغراق في العبادة في اختلاء.

كان رضي الله عنه كثير السياحة ، قضى الشطر الأكبر من حياته سائحاً يعبد الله مختلياً في صحراء أو مُسَبِّحاً فوق قمة جبل او قائماً يصلي في مغارة بعيدة عن أعين الخلق.

ساح ليخلو الى الله وساح لتصفو نفسه وساح ليتمكن من التركيز ، كان رضي الله عنه يتوجّه الى الله تعالى بكلّيته فلا يشغله عن الله شيء ولا يقطع عليه عبادته قاطع او يحول بينه وبين ربه حائل.

كان قلبه ينادي ، وكما ثبتته في حزبه إني أسألك ان تغنيني بقربك مّي حتى لا أرى ولا أحسّ بقرب شيء ولا يبعده عني ، انك على كل شيء قدير ... كان يرجو القرب ، والخلوة قرب او من أسبابه.

ثم ان السياحة والخلوة ترويض للنفس وإسقاط لحب الشهوات ،

كان يريد رضي الله عنه ان يسيطر على نفسه ، على شهواته ، على ارادته ، وعلى مشيئته.

يقول رضي الله عنه : ان اردت ان تكون مرتبطاً بالحق فتبرأ من نفسك واخرج من حولك وقوتك.

سافر الى تونس ثم الى بغداد ثم عاد الى المغرب ، ثم سافر الى تونس ثم ارتحل الى مصر ، وحج اكثر من مرة... واعتكف في جبل زغوان ، وقضى الليالي قائماً متبتلاً في البوادي والوهاد والأودية.

تشهد له الليالي بظلمتها انه يقوم مصلياً في كهف جبل حيث لا يراه ولا يسمع نجواه غير الله.

كان يريد ان يكون عبداً ربانياً ، من عباد الله الذين رضي عنهم ورضوا عنه.

يقول رضي الله عنه : أبي المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى ، لِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ

من شهود القيومية وإحاطة الديمومية .

ولما وصل الشيخ من تحتته وتعبده وسط الصحارى وفوق الجبال وفي بطون المغارات التي حال من القرب والرضا ، عاد الى الناس مستنيراً معزراً بالنصر موقفاً الى الخيرات يدعو الناس الى الله مبشراً وهادياً.

وكان حب العلم والسعي لتحصيله ظاهراً على الشيخ وواضحاً في سلوكه رضي الله عنه.

بدأت مسيرته مع العلم منذ طفولته ، فسار الى الكتابيب فحفظ القرآن وفهم تفسيره بما يسمح به عمره.

ثم ارتحل ليطلب العلم ويستزيد من المعرفة ، فذهب الى تونس ليدرس علم الحديث والتفسير والنحو والصرف ، لقد درس العلوم الدينية وسائل وغايات ، كل ذلك وهو بعد لم يدخل في علوم القوم حتى كان يُعَدُّ للمناظرة في العلوم الظاهرة ، وصار صاحب علم غزير ومعرفة جمة.

ثم انتقل الى علوم القوم فقرأها ثم عرفها وعرف الأحوال التي تتحدث عنها ، وراح يدرّسها ويشرحها في مجالسه.

ومما يرويه ابن عطاء الله السكندري : قال بعض اصحابنا ان الشيخ قال له: (ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ولا على وجه الأرض مجلس في علوم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي عبد العظيم ، ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك)

يقول الإمام الشعراني في طبقاته:

(وكانت القاعدة عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، والشيخ ابي العباس ، وتاج

الدين بن عطاء الله ، والشيخ ياقوت العرشي ، في قبول الطلاب:

ألا يدخل أحد الطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة وآلاتها ، بحيث يقطع

العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة ، فإذا لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد)

كان العلم عنصر مهم في تكوين شخصية الإمام ، كما كان ركيزة مهمة من ركائز طريقته.

ويمكن ان نتلمس اهمية العلم في فكر وعقيدة الشيخ الشاذلي رضي الله عنه اذا عرفنا ان الشيخ يعتبر الجهل والرضا به من الكبائر ، لا بل يعتبره من اكبر الكبائر ، يقول رضي الله عنه : (لا كبيرة عندنا اكبر من اثنين ، حبُّ الدنيا بالإيثار ، والمقام على الجهل بالرضا)

لقد كانت للشيخ تفاسير لآيات من القرآن أشبه بالدرر المتناثرة كأجمل ما يكون التفسير وكذلك بالنسبة للحديث النبوي.

وحتى تكتمل الصورة سنضرب مثلاً واحداً على اسلوب الشيخ وفقهه في فهم القرآن او الإستدلال بآياته .

يقول رضي الله عنه : من أجلِّ مواهب الله : الرضا بمواقع القضاء ، والصبر عند نزول البلاء ، والتوكل على الله عند الشدائد ، والرجوع اليه عند النوائب ، فمن خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والافتداء بالأئمة ، فقد صحّت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين :

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ

ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة ، فقد تمت له ولاية الله له بقوله : وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ

ففرق بين الولايتين ، فعبد يتولى الله ، وعبد يتولاه الله ، فهما ولايتان : صغرى وكبرى ، فولايتك الله خرجت من المجاهدة ، وولايتك لرسوله خرجت من متابعتك لسنته ، وولايتك للمؤمنين خرجت من الإقتداء بالأئمة ، فافهم ذلك من قوله : وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ

وفي تفسيره لقوله تعالى:

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ
أتراهم منع جنوبهم عن مضاجع النوم ، وترك قلوبهم مضجعة وساكنة لغيره ؟
بل رفع قلوبهم ، ولا يضاجعون بأسرارهم شيئاً ، فافهم المعنى:
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ : عن مضاجعة الأغيار ومنازعة الأقدار.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا : فالخوف منه قطعهم عن غيره ، وبالشوق اليه
أطعمهم فيه .

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ : ولو وسعنا بسط الكلام ههنا لكتبت لك سجلات .
لكن الحق قهر القلوب بقدرته ، وأنعشها بحكمته ، وأغناها بمناجاته عن مخاطبة
خلقه .

ومن اخلاقه رضي الله عنه التي عُرِفَتْ عنه: حُبُّهُ للعمل والكسب الحلال .
يقول ابن عطاء الله : وكان الشيخ ابو الحسن يكره المرید المتعطل ، ويكره ان
يسأل الناس تَابِعُهُ ، وقد كان جواداً بما يملك ، وكرهماً يكره البخل ويحث على
طريق باب الأسباب والعمل .

ويقول شيخنا أبو الحسن : لكل وليّ حجاب — أي ستر يحجبه عن اعتقاد
الناس فيه — وأنا حجابي الأسباب

لقد كان الشيخ رضي الله عنه يعمل في الزراعة وعلى نطاق واسع ، وهو
يتحدث عن زراعته وأرضه في احدى رسائله التي بعثها لصديق له في تونس:

وسبب الإمساك عن السفر زرع لنا يُدرّس قد حُرث لنا في ثلاثة مواضع
وكان رضي الله عنه يُربي الثيران لحرث الأرض ودرس الزرع ليؤمن الإكتفاء الذاتي
في عملية الزراعة.

ثم ان الشيخ لا يحث على العمل ويتخذ من نفسه قدوة لتلاميذه ومحبيه ، ولا
يقتصر على النفور من المرید المتعطل الذي لا عمل له ، ليس ذاك فحسب بل

يوجه اتباعه لما هو أبعد من ذلك ، ومن ذلك ما يرويه ابن عطاء الله
السكندري على لسان الشيخ ابو العباس المرسي اذ يقول:
دخلت يوماً على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فقال لي:
ان اردت ان تكون من أصحابي فلا تسأل أحداً شيئاً ، وان أتاك شيء من غير
مسألة فلا تقبله.

فقلت في نفسي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وقال صلى
الله عليه وسلم : ما أتاك من غير مسألة فخذة.
فقال الشيخ : كأنك تقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ، وقال
ما أتاك من غير هدية فخذة ؟

النبي صلى الله عليه وسلم قال الله في حقه : قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ
متى أوحى الله اليك ؟

ان كنت مقتدياً به في الأخذ ، فكن مقتدياً به كيف كان يأخذ.
كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ شيئاً الا ليشب من يُعطيه ويعوضه عليه.
فإذا نظرت نفسك وتقدس هكذا فاقبل وإلا فلا .
وكان من الأخلاق الظاهرة على شيخنا ابي الحسن كفاحه وجهاده.
فهو رضي الله عنه وإن كان قد قضى كل حياته يجاهد نفسه والدنيا
والشهوات.

الا انه برز في حياته بعد ان انتقل الى مرحلة الدعوة الى الله وتربية المريدين ، برز
نوع آخر من الجهاد هو الجهاد في سبيل الله ضد العدو المحتل ، وهو جهاد
السيف لحماية الدين ... والله تعالى يقول:

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
وربما يتجلى هذا الدور البارز من حياة شيخنا في معركة المنصورة.
سقطت دمياط بأيدي المحتلين الغزاة في الحملة الصليبية التي جاءت تبحث

المسلمين والإسلام يقودهم لويس التاسع ملك فرنسا ومعه جيوش جرارة
ومعهم كل كره الأرض ، جاءوا يحملون ظلامهم وظلمهم .
وكان الكل في المنصورة يتحرك ، لتحصين المدينة او لإعداد السلاح .
كانت المنصورة الخط الأول للإسلام أمام الجيوش الصليبية .
وكان الملك الظاهر بيبرس يتنقل بين جنوده يرفع المعنويات او يسد الثغرات
فالعدو وحققه على أبواب المنصورة داخل مصر .
ويشد شيخنا الرحال الى المنصورة ، ويتوجه الى ساحات القتال ، لم يثنه تقدمه
في السن وكُتِبَ عمره ، كان وهو الباحث عن الجهاد والكفاح وقد خَبَرَ طعمه
وعرف كل اشكاله يشعر ان هذه فرصة للقرب من الله وهو الباحث عن كل
فرصة ليحقق صدق عبوديته وَيَصْدُقْ ما عاهد الله عليه .
وينزل شيخنا الى شوارع المنصورة ، ولم يكن وحده ، حيث توجه الى هناك كبار
علماء مصر ورجال التصوف ..
كان هناك الشيخ عز بن عبد السلام ، ومجد الدين القشيري ، وحي الدين بن
سراقة ، ومجد الدين الأحميمي ، وغيرهم من العلماء الكبار .
كان الشيخ ينتقل بين الجنود يبشرهم بإحدى الحُسنيين نصر او شهادة .
وكان يذكرهم بالصبر ، وان الصابر قريب من الله .
وكان الشيوخ يطوفون على الناس يُعَبِّئُوهم للجهاد ويرفعون الهمم .
وفي المساء جلسوا في خيمة يُصَلُّون ويدعون الله بالنصر ، فما النصر الا من
عند الله .

وحين انتهوا من دعاءهم ، اجتمعوا يقرأون كتاب الرسالة القشيرية ويشرحون ما
يقرأون ، يشرحون والشيخ صامت ، يستمع اليهم بصمت .
وحين سألوه عما يراه وهو من أعلام هذا العلم ومن خاصة رجاله والحَوَا عليه
بأن يتحدث ، سكت الشيخ فترة ثم تكلم بانطلاق وقوة وبروحانية لا يعبر عنها

الا ما قاله الشيخ عز الدين بن سلام الذي قال لمن حوله:
اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله
والشيخ عز الدين من كبار علماء عص عصره.
والكلام الغريب : يعني بأنه غريب على العقول فهو غير مأخوذ من الكتب ، ولم
يتحدث به عالم من قبل.
والقريب العهد من الله: هو الهام الساعة والزمن الراهن.
كان رضي الله عنه مشغولاً بأمر المسلمين حتى أخذ جيش الصليبيين المحاصر
للمنصورة كل تفكيره ومملك عليه قلبه.
حتى أخذته في ليلة من الليالي سنّة من النوم فرأى فيما يرى النائم رؤيا تتعلق
بجال المسلمين في المنصورة.
وتلك الرؤيا حكاها صاحب كتاب درة الأسرار حيث قال:
قال الشيخ ابو الحسن : كنت بالمنصورة فلما كانت ليلة الثامن من ذي الحجة
، بُتُّ مشغولاً بأمر المسلمين وبأمر الثغر ، وقد كنت ادعو الله وأضرع اليه في
امر السلطان والمسلمين.
فلما كان آخر الليل رأيت فسطاطاً واسع الأرجاء عالياً في السماء ، يعلوه نور
ويزدحم عليه خلق من اهل السماء ، واهل الأرض عنه مشغولون.
فقلت : لمن هذا الفسطاط ؟
فقالوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فبادرت اليه بالفرح ولقيت على بابه جماعة من المسلمين والصالحين نحواً من
السبعين اعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام والفقيه مجد الدين بن
مدرّس قوص والفقيه الكمال بن القاضي صدر الدين والفقيه المحدث محي الدين
بن سراقه والفقيه عبد الحكيم بن ابي الحوافر ومعهم رجالان لم أعرف اجمل منهما

، غير اني وقع لي ظن في حالة الرؤيا انهما الفقيه زكي الدين عبد العظيم المنذري
المحدّث والشيخ مجد الدين الأحميمي .

واردت ان اتقدم الى رسول الله صلى تله عليه وسلم فألزمت نفسي التواضع
والأدب مع الفقيه ابن عبد السلام ، وقلت : لا يصلح لك التقدم قبل عالم
الأمة في هذا الزمان .

فلما تقدم وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى تله عليه وسلم يُشيرُ اليهم يميناً
وشمالاً أت اجلسوا .

فتقدمت وانا ابكي بالهمّ والفرح ، اما الفرح فمن اجل قربي لرسول الله صلى
تله عليه وسلم بالنسب ، واما الهمُّ فمن اجل المسلمين والثغر ، وهمّ طلي اليه
صلى تله عليه وسلم ، فمد يده حتى قبض على يدي وقال صلى تله عليه
وسلم :

(لا تهتم كل هذا الهم من اجل الثغر ، وعليك بالنصيحة لرأس الأمر - يعني
السلطان - فإن وليّ عليهم ظالم فما عسى ؟ وجمع اصابع يده الخمسة في يده
اليسرى وكأنه يقلل المدة ، وان وليّ عليهم تقى ف (الله وليّ المتقين) . وبسط
يده اليمنى واليسرى ، وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنين ، أي
العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالمجلس ، وقال صلى تله عليه وسلم :

((ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون))

وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما الى اهل ولايته ونصح المؤمنين
من عباده ، فانصحته واكتب له ، وقل في الظالم عدو الله قولاً بليغاً : ((فاصبر
إن وعد الله حقٌّ ولا يستخفّنك الذين لا يؤمنون)) فقلت : نصرنا ورب
الكعبة ، وانتبهت)^١

ونصّر الله المسلمين نصراً مؤزراً وأسّر الملك لويس ، وأسّر الكثيرين من قواده .

^١ الشاذلي ص ٢٢٠ - ٢٢٢

وفاة القطب :

وبعد ان نجح القطب بنشر دعوته الى الله تعالى ، وربى رجالاً متوجهين الى الحق ، وبعد ان عيّن من سيخلفه في قيادة الدعوة ، لبّي نداء ربه وانتقل الى رحمة ربه سبحانه وتعالى .

ولما كان شهر شوال من عام ٦٥٦ هجرية ارتحل الشيخ عليه السلام الى الاراضي المقدسة للحج فلما كان في حُمَيْثرة بصحراء عيذاب (وهي بين قنا والقصير) جمع الشيخ اصحابه في احدى الأمسيات ، واوصاهم بأشياء ، واوصاهم بحزب البحر وقال لهم (حفظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الاعظم) ثم خلا بأبي العباس المرسي رضي الله عنهما ، وحده ، وأوصاه بأشياء واختصه بما خصه الله به من البركات .

ثم وجه الحديث لأصحابه قائلاً :

(اذا انا مت فعليكم بأبي العباس المرسي ، فإنه الخليفة من بعدي ، وسيكون له بينكم مقام عظيم ، وهو باب من ابواب الله تعالى .

وبات تلك الليلة متوجهاً الى الله تعالى ذاكراً يسمعه أصحابه وهو يقول :

الهي ، الهي

فلما كان السحر سكن ، فظننا انه نام ، فحركناه فوجدناه ميتاً)^١

وجاء الشيخ ابو العباس فغسله وصلى الجميع عليه ودفن حيث توفاه الله .

ويبين الشاذلي ان طريقته تقوم على أصول خمسة هي :

- ١ . تقوى الله في السر والعلن .
- ٢ . إتباع السنّة في الأقوال والأفعال .
- ٣ . الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .
- ٤ . الرضا عن الله تعالى في القليل والكثير .

^١ قضية التصوف ص ٤٢ عن درة الأسرار

٥ . الرجوع الى الله تعالى في السراء والضراء .

وله رحمته مجموعة من الأذكار والأوراد والأدعية توزعت في كتبه مثل كتاب :
(كتاب الأخوة) و (حزب البر) و(حزب البحر) و(الحزب الكبير) و(حزب
الطمس على عيون الأعداء) و(حزب النصر) و(حزب اللطف) و(حزب الفتح)
و(صلاة الفتح والمغرب) وكتاب فيه اوراد واذكار شتى
ومن أشهر تلامذته :

تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري ، وأبا العباس المرسي
ومعظم شيوخ الطريقة في شمال غربي افريقيا يرجعون الى طريقته .

عمر بن سلم أبو حفص الحداد

الإمام القدوة الرباني ، شيخ خراسان ، أبو حفص ، عمر بن سلم ، النيسابوري الزاهد .

وذكرت بعض المصادر ان اسمه عمرو بن سلمة الحداد النيسابوري .

وهناك من ذكره باسم عمرو بن سلم^١

أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري .

(كان من محتشمي هذه الطائفة ، ولم يكن له نظير في الرياضة والكرامة والمروءة والفتوة ، وكان الله تعالى يعلمه ويلقنه على طريقة الإلهام)^٢

قال السلمي : أبو حفص كان حدادا ، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور .^٣

ولد ﷺ في قرية يقال لها (كور داباذ) على باب مدينة نيسابور ، على طريق بخارى وكان أحد الأئمة السادة^٤

تخرَّج به عامة الأعلام النيسابوريون : منهم أبو عثمان النيسابوري ، وشاه الكرمانى .

صحب عبيد الله الأباوردي ، وكان من رفقاء احمد بن خضرويه .

روى عن حفص بن عبد الرحمن الفقيه .

^١ طبقات الصوفية ، حلية الأولياء ، الرسالة القشيرية ، المختار من مناقب الأخيار ، سير اعلام النبلاء ، البداية والنهاية ، طبقات الأولياء ، طبقات الشعراني ، الكواكب الدرية

^٢ تذكرة الأولياء ص ٤٠٨ برقم ٣٨

^٣ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٢

^٤ مسالك الأبصار ص ٥٧

وأخذ عنه : تلميذه أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري ، وأبو جعفر أحمد بن حمدان الحافظ ، وحمدون القصار ، وطائفة .

البداية :

نقل انه كان حداداً ، ويكسب كل يوم ديناراً ينفقه على الفقراء والأرامل ، وكان يفطر على كسرة خبز ، وفي بعض الأيام يحوي بقية البقل التي كانوا يغسلونه في بعض السواقي والبرك ، فيغسله ويأتمم به .

ومضى على هذا زمن حتى مرَّ به يوماً رجل أعمى وقرأ هذه الآية :

وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ^١

فاشتغل قلبه بها ، ووَزَدَ عليه وارد من الله تعالى ، فدهش به ، وأدخل يده في الكير ، وأمسك قطعة حديد محمي بلا كلابتين ، ووضعها على العلاة ، واشتغل تلاميذه بالمطارق ، ولما نظروا اليه ، فإذا الحديدة المحماة على يده ، فقال لهم :

ما لكم لا تدقون ؟

قالوا : وكيف وهي في يدك ؟

فانتبه ، وأفاق ، وترك الدكان ، وفرَّق ما كان له على الفقراء والمساكين ، واشتغل بالعزلة والمراقبة .

وقال :

كنت أشتهي من زمان ان أترك هذا الشغل ، فما تركته حتى هو تركني^٢

كما انه قال :

تركت العمل ، فرجعت اليه ، ثم تركني العمل فلم أرجع اليه^٣

^١ الزمر / ٤٧

^٢ تذكرة الأولياء ص ٤٠٨ برقم ٣٨

^٣ طبقات الصوفية ص ١١٨ و الرسالة القشيرية ص ١٧٠ (التوبة)

حياته :

كانت نظرتة الى التصوف ترتكز الى الأخلاق ، فالأخلاق عبادة ، والأخلاق أساس الترتقي والوصول .

كان ﷺ يقول ان (التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول)^١

وكان شرط الذكر عنده حضور القلب ، وفراغه مما سوى الله تعالى .

(كان لا يذكر الله إلا على الحضور وتعظيم الحرمة ، فإذا ذكر الله عز وجل تغير عليه حاله فإذا رجع قال : ما أبعد ذكرنا عن ذكر المحققين ، فما أظن أن من ذكر الله عز وجل حاضراً من غير غفلة يبقى بعد ذكره حياً إلا الأنبياء ، فإنهم مؤيدون بقوة النبوة ، وخواص الأولياء مؤيدون بقوة الولاية)^٢

فالذكر لحظة وصل بالحيب ، ومن يتصل بالله ، ويتحقق بهذا الوصل فسيشغله وصله عما سوى الله .

وكما كان له فهمه لحقيقة الذكر ، كان له فهم خاص في أخذ الحديث النبوي ، كان ﷺ يعيش مع الحديث النبوي حتى يتحقق به ، فيصبح منهج عمل وطريق السلوك .

نقل انه كان جاراً لدار الحديث ، فقبل له :

لم لا تحضر المجلس وتسمع الحديث ؟

قال : لأني قد سمعت منذ ثلاثين سنة حديثاً ، وهو انه قال ﷺ :

^١ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٣

^٢ حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٠ برقم ٥٦١

من حُسن إسلام المرء ، تركه ما لا يعنيه ^١

وإني لا أستطيع ان اعمل بمعنى هذا الحديث ، فكيف أسمع حديثاً آخر ؟ ^٢
وكان حريصاً على صحة منهجه ، يغلب عليه الخوف ، الخوف من غضب الله
او من البُعدُ عنه .

وقد نقل انه خرج الى الصحراء مع أصحابه ، فبينما طاب وقتهم اذ جاء غزال
، ووضع رأسه في حجر الشيخ ، فلما رأى الشيخ هذه الحالة أخذ يلمم وجهه
ويشهق ، حتى فارقهم الغزال .

فسأله بعض الأصحاب عن ذلك ، فقال :

حين طاب لنا الوقت خطر ببالي ان لو كان عَنَمَة فشوينها وبتنا الليلة هنا ، ولم
نتفرق .

فجاء الغزال وانقاد كما رأيتم .

قالوا : ولم لطمت وجهك وشهقت حتى راح الغزال ، ثم من كان له مع ربه هذا
الشأن ، وعنده هذا القرب كيف يحزن لظهور هذه الكرامة ؟

قال : صدقتم ، ولكن من أُعطي مراده في الدنيا حُرِمَ بذلك القدر في الآخرة ،
أما سمعتم أن نيل مصر كان يجري على مراد فرعون لعنه الله لعنة دائمة ^٣ .
ونقل انه اذا حصل له غضبٌ او انزعاج ، كان يُحَدِّثُ في حُسن الخلق حتى
يسكن غضبه ، ثم كان يشرع في حديث آخر .

كان عليه السلام يجد في حديث رسول الله ﷺ دواءً لأمراض النفس ، وأساساً لتقويمها

^١ رواه مالك في الموطأ ٢/٩٠٣ في حسن الخلق / باب ما جاء في حسن الخلق ، والترمذي
(٢٣١٨ و ٢٣١٩) في الزهد ، باب رقم (١١) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) في الفتن ، باب
كف اللسان في الفتنة ، قال الزرقاني في شرح الموطأ : والحديث حسن ، بل صحيح .

^٢ تذكرة الأولياء ص ٤١١ برقم ٣٨

^٣ مناقب الأخيار ص ٣٣٠

وكان قلبه يتسع للجميع ، فلآلام الآخرين وأحزانهم صدى في نفسه ولأوجاعهم ألم في قلبه .

فقد نقل انه أبصر رجلاً باكياً متضرعاً متحيراً ، فقال له : ماذا أصابك ؟

قال : كان لي من عَرَض الدنيا حمأز ، فضاع مني .

فقال الشيخ : الهي بعزتك اسألك ان تردّ عليه حماره .

فما رفع قدمه عن ذلك المكان بعدُ إذ جاء الحمار الى صاحبه .

ونقل عن الشيخ أبي عثمان الحيري انه قال :

قلت للشيخ أبي حفص الحداد رحمهما الله تعالى : إنه قد ظهر لي ان أحدث للناس وأعظهم .

قال : وما حملك على هذا ؟ قلت : الشفقة عليهم .

قال : والى اي بُعدٍ بلغت شفقتك عليهم ؟

قلت : الى حدّ لو أمرني الله أن أدخل النار بدّل عباده ، وعذبني مكانهم ، وأدخلهم الجنّة لكنت راضياً .

قال : فعلى هذا يجوز لك ان تعظهم ، ولكن عِظْ نفسك أولاً ، ولا تغتَرّ بكثرة الناس في مجلسك ، فإنهم ينظرون الى ظاهرك ، والله تعالى مطّلع على ظاهرك وباطنك .

قال ابو عثمان : فطلعت على المنبر ، وشرعت في الكلام ، والشيخ ابو حفص كان في زاوية المسجد ، فقام شخص وسأل قميصاً ، فخلعت قميصي ، وأعطيته السائل .

فقال ابو حفص : يا كذاب انزل من المنبر .

قلت : وما كذبي ؟

قال : ادّعت ان شفقتك على الناس أكثر من شفقتك على نفسك ، ثم انك

سبقتهم في بذل القميص ، وما تركت لهم هذا الفضل ، وآثرت بها نفسك ،
أفلا تكون كذاباً ؟^١

وهذا تهذيب لسلوك أصحابه وحرصٌ على تنقية أنفسهم من أمراضها .
وكانت له رضي الله عنه كرامات .

قيل انه رحمه الله قصد سفر الحج ، ووصل في سفره الى بغداد ، فقال جماعة
المريدين بعضهم لبعض :

الشيخ لا يعلم لسان العرب أصلاً ، واذا اتفق له مع مشايخ بغداد صحبة ،
كيف يكون الحال ؟ وهذا عار علينا عظيم .

وسيرّ الجنيد جماعة من أصحابه لاستقبال الشيخ ابي حفص .

وعند الملاقاة شرع الشيخ يتحدث معهم بلغة عربية فصيحة ، حتى تعجب اهل
بغداد من فصاحته ، والله على كل شيء قدير .

وفيها نقل انه قال للجنيد عليه السلام :

مُر بعض اصحابك ليحصل من الحلاوى قدراً صالحاً ، ويحمله على حمال ،
ويدور به الحمال في أزقة بغداد حتى يتعب ، وفي أي موضع وجد في نفسه
التعب ليدق أقرب باب اليه ، ويهدي الحلاوى لصاحب ذلك البيت .

ففعلوا ، وحين دقوا باباً ، قال لهم صاحب الدار : إن جئتم بالحلاوى فتعالوا .

فقيل له : وكيف علمت إنّا جئنا اليك بالحلاوى ؟

قال : إني كنت أمس في مناجاة ، فخطر ببالي أن اولادي ما أكلوا الحلاوى من
زمان ، ويطلبونها مني ، علمت ان الله تعالى قد بعثها لهم .^٢

وروي انه اجتمع عنده مشايخ بغداد وقت قدومه اليها ، وسألوه عن الفتوة ،
فقال :

^١ تذكرة الأولياء ص ٤١١

^٢ تذكرة الأولياء ص ٤١٢ برقم ٣٨

تكلّموا انتم ، فإن لكم العبارة واللسان .
فقال الجنيد : الفتوة اسقاط الرؤية ، وترك النسبة .
فقال ابو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندي إداء الإنصاف ،
وترك مطالبة الانتصاف .
فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم عليه السلام
وذريته^١
ولما ورد العراق ، جاء الجنيد ، فراه أصحابه وقوفاً على رأسه يأتمرون بأمره لا
يخطئ أحده بصره عنه ، فقال له الجنيد :
يا سيدي ، لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين
فقال : يا أبا القاسم إنما حسن آداب الظاهر عنوان حسن آداب الباطن
وقال الجنيد :
مكث عندي أبو حفص سنة ، مع ثمانية انفس ، فكنت كل يوم اقدم لهم طعاماً
جديداً ، وطيباً جديداً ، وذكر أشياء من النبات وغيرها .
فلما أراد ان يمر كسوته ، وكسوت أصحابه اجمع فلما أراد ان يفارقني قال :
لو جئت إلى نيسابور علمناك الفتوة والسخاء .
ثم قال : هذا الذي عملت كان تكلفاً ، إذا جاءك الفقراء فكن معهم بلا
تكلف ، فإذا جعت جاعوا ، وإذا شبعت شبعوا ، حتى يكون مقامهم وخرجوهم
عندك شيء واحد^٢
كان عليه السلام ينير لمن حوله ويحرص على صحة منهج إخوانه ، فكان دائم النصيحة
لهم .

^١ مناقب الأخيار ص ٣٣١ وطبقات الصوفية ص ١١٧

^٢ طبقات الأولياء ص ٢٤٨

ونقل ان الشبلي رضي الله عنه قد أضاف أبي حفص أربعة أشهر ، كان يقدم له أنواع الأطعمة اللذيذة ويتكلف في ذلك ، ويهيئ في كل يوم أنواعاً من الطعام والواناً منه .

فقال له ابو حفص يوم الوداع : ان جئت الى نيسابور فسوف أريك طريقة الضيافة ، وأعلمك وظيفة الدعوة للإخوان .

قال الشبلي : وماذا وقع مني من تقصير في الخدمة ؟

قال : ذلك انك تكلفت ، والمتكلف لا يكون ذا فتوة ، بل ينبغي ان تكون رعاية المضيف للضيف على حدٍ لا يضجر من نزوله ، ولا يفرح برحيله ، اذ التضجر بنزول الضيف ، والسرور برحيله ، بعيد من الفتوة .

ثم اتفق للشبلي ان سافر الى خراسان ، وانتهى سيره الى نيسابور ، ونزل عند أبي حفص مع أربعين إلا واحداً من أصحابه .

وفرح ابو حفص وأكرمهم ، وأشعل في الليل واحداً واربعين سراجاً .

فقال له الشبلي رحمه الله تعالى :

يا شيخ ، أليس هذا تكلفاً ، وانت قد منعتنا عنه وأتيت بمثله ؟

قال ابو حفص رحمه الله تعالى : قم يا شبلي وأطفئ السراج .

فقام الشبلي ، واجتهد في اطفاء السراج فلم يقدر إلا على اطفاء واحد منها .

ولما سأل الشبلي عن السر في ذلك ، قال ابو حفص :

أنتم اربعون ، وانا أشعلت لكل منكم سراجاً لوجه الله تعالى ، وأشعلت لنفسي

سراجاً ، فالذي كان لغير الله تعالى قدرت على اطفائه ، والذي كان لله تعالى لم

تقدر على اطفائه ^١

قال المرتعش :

دخلنا على مريض نعوده ، ونحن جماعة ، فقال للمريض :

^١ تذكرة الأولياء ص ٤١٣

ما تشتهي؟ قال : أن أبرأ .

فقال لأصحابه : احملا عنه .

فقام معنا ، وأصبحنا نُعاد في الفُرُش^١

وعن أبي حفص قال : حرست قلبي عشرين سنة ، ثم حرسني عشرين سنة ، ثم

وردت علي وعليه حالة صرنا محروسين جميعا^٢

وقيل : إن أبا حفص دخل على مريض ، فقال المريض :

آه ، فقال أبو حفص : ممن؟ فسكت . فقال أبو حفص : مع من؟

قال : فكيف أقول؟

قال : لا يكن أنينك شكوى ، ولا سكوتك تجلداً ، ولكن بين ذلك^٣

قال الخلدني : سمعت الجنيد ذكر أبا حفص النيسابوري ، فقال صاحب

للحلاج : نعم يا أبا القاسم ، كانت له حال إذا لبسته مكث اليومين والثلاثة ،

لا يمكن أحد أن ينظر إليه ، فكانوا يدعونهم حتى يزول ذلك عنه .

وبلغني أنه أنفد في يوم واحد بضعة عشر ألف دينار يفتك بها أسرى ، فلما

أمسى لم يكن له عشاء^٤

وكان أصحابه وتلاميذه يُجلّونه ويوقرونه ويحبونه .

وفي ذلك قيل :

كان في خدمة أبي حفص شاب يلزم السكوت ، فسأله الجنيد عنه ، فقال :

هذا أنفق علينا مائة ألف ، واستدان مائة ألف ما سألني مسألة إجلالا لي^٥

^١ مناقب الأخيار ص ٣٠٤ و طبقات لأولياء ص ٢٥١

^٢ طبقات الصوفية ص ١١ ومناقب الأخيار ص ٣٠٤

^٣ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٢

^٤ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٢

^٥ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٣

من أقواله :

(قال أبو نعيم : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا أبي قال : قال الأستاذ أبو

حفص : المعاصي بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت .

قيل لأبي حفص : من الولي ؟

قال : من أيد بالكرامات ، وعُيِّب عنها)^١

(وعن أبي حفص : ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء ، ولا لمح بقلبه .

وعنه : الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله بحاجتك إليه .

أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه الافتقار إليه ، وملازمة السنة ، وطلب

القوت من حله)^٢

ومن كلامه ﷺ :

الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله لاحتياجك إليه .

وقال : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن ، لأنه عليه السلام -

قال : لو خشع قلبه لخشعت جوراحه)^٣

وقال : من هوان الدنيا أني لا ابخل بها على أحد ، ولا ابخل بها على نفسي ،

لاحتقارها واحتقار نفسي عندي .

(وكان يقول : من نعت الفقير الصادق أن يكون في كل وقت بحكمه ، فإذا

ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه .

ونقل ﷺ قوله :

الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله لاحتياجك إليه .

وحين سُئل : من الرجال ؟

^١ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٢

^٢ سير اعلام النبلاء ١٢ / ٥١٣

^٣ طبقات الأولياء ص ٢٤٨

قال : القائمون مع الله بوفاء العهود ، قال الله تعالى :
(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) .

وسئل أبو حفص عن العبودية ، فقال : ترك ما لك والتزام ما أمرت به ^١
أقوال العلماء عنه :

جاء في صفة الصفوة :

كان رجلاً من اهل الحقائق ولو رأيتَه لاستغنيت ، وقد يتكلم من طور بعيد ^٢
وقال عنه صاحب كتاب حلية الأولياء :

كان من المتحققين ، له الفتوة الكاملة ، والمروءة الشاملة ، تخرَّج به عامة
الأعلام في نيسابور ، منهم ابو عثمان النيسابوري ، وشاه الكرمانى ^٣
وفي مسالك الأبصار جاء في ترجمته :

رجل كان يستغاث به ، ويمطر البلد الماحل ويُغاث ، استقام على الطريقة ،
واستدام اجتناء الأعمال الوريقة ، واقبل على الله بكلية ، وأقبل اليه بنيتَه ، وقام
بالتكاليف أتم قيام ، وشرذ عن عينيه الكرى والناس نيام ، حتى تجلَّت له
الحجب وُرفعت ، وزادت آماله حيث شاءت وترعت ، فدعي من أقرب مكان
، وقرب فخضع لله واستكان ^٤

أما في تذكرة الأولياء فقد جاء في التعريف به :

كان من محتشمي هذه الطائفة ، ولم يكن له نظير في الرياضة والكرامة والمروءة
والفتوة ، وكان الله تعالى يُعلمه ويُلقنه على طريقة الإلهام ^٥

^١ حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٠

^٢ صفة الصفوة ص ٧٦٠ برقم ٦٨٤

^٣ حلية الأولياء ١٠ / ٢٢٩ برقم ٥٦١

^٤ مسالك الأبصار ص ٥٧ برقم ٢١

^٥ تذكرة الأولياء ص ٤٠٨ برقم ٣٨

وفاته رحمه الله تعالى :

مات سنة أربع وستين ومائتين على الصحيح^١ قاله السلمي .
وقال السمعي سنة خمس وستين .

^١ طبقات الأولياء ص ٢٤٨

عمر بن مُجَدِّ بن عمويه السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي

٥٣٩ هـ - ٦٣٢ هـ

شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري ، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية ، صاحب كتاب (عوارف المعارف) .
(جمع بين الحقيقة والشريعة ، والورع ، والرياضة ، والتسليك)^١

اسمه ونسبه :

هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن مُجَدِّ بن عبد الله بن مُجَدِّ بن عبد الله - وهو عمويه - بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن مُجَدِّ بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيهاها عبد الرحمن بن القاسم بن مُجَدِّ بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي^٢
مولده وأخذه للعلم :

ولد الشيخ في رجب سنة ٥٣٩ هـ بسَهْرَوْرْد^٣ ، ونشأ بها ، ولما بلغ من العمر ستة أشهر قُتِلَ أبوه رحمه الله تعالى فنشأ في حجر عمه أبي النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ .

قدم الشيخ من سهرورد إلى بغداد ، وهو شاب ، وصحب قليلاً الشيخ عبد

^١ طبقات الأولياء ص ٢٦٢

^٢ سير اعلام النبلاء ٢٢ / ٣٧٤

^٣ السهروردي : نسبة إلى سَهْرَوْرْد، وهي بلدة بين زنجان وهمدان ، انظر معجم البلدان ٢٨٩/٣ ، والمشهورون بمذهبه النسبة ثلاثة ، وهم الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣ هـ ، وهو عم المترجم ، وأبو الفتح يحيى السهروردي الحلبي المقتول سنة ٥٨٧ هـ ، وأبو حفص شهاب الدين صاحب الترجمة .

القادر الجيلاي ، وفي البصرة صاحب أبا مُجَّد بن عبد .
وسمع من هبة الله بن أحمد الشبلي، وأبي الفتح ابن البطي، وخزيفة بن الهاطرا ،
وأبي الفتوح الطائي ، وأبي زرعة المقدسي ، ومعمر بن الفاخر ، وأحمد بن
المقرب ، ويحيى بن ثابت .

وانتشر تلامذته في ارجاء المعمورة شرقا وغربا وبالذات الديار الهندية كدعاة
للإسلام على منهج التصوف القادري السهروردي .

(ومن أعظم أصحابه رشيد الدين الفرغاني .

قال الشيخ عنه : كل أصحابنا في قبضتنا، وهو في قبضته)^١

حياته :

(كان مليح الخلق والخلق ، متواضعاً جامعاً للمكارم ما للمال عند قدر، لو
حصل منه ألوف فرقتها. ومات ولم يخلف كفنأ ، ولا شيئاً من أسباب الدنيا)^٢
كان فقيهاً شافعي المذهب ، شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً، جواداً، سَمِحاً، ملجأً
للمكروبين ، وحصناً للملهوفين، كثير الحج والاجتهاد في العبادة، تخرَّج على
يديه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، ولم يكن في آخر عمره في
عصره مثله .

صحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ، والشيخ عبد القادر بن
أبي صالح الجيلاي، وغيرهما، وانتقل إلى البصرة إلى الشيخ أبي مُجَّد بن عبد،
ورأى غيرهم من الشيوخ، وحصل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف والعربية، وقرأ
الأدب.

لازم شهاب الدين السهروردي بعد ذلك الخلوة والذكر والصوم إلى أن خطر له
عند علو سنه أن يظهر للناس ويتكلم، فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه، فكان

^١ طبقات الأولياء ص ٢٦٥

^٢ طبقات الأولياء ص ٢٦٣

يتكلم بكلام مفيد من غير تزويق، ويحضر عنده خلق عظيم، وظهر له القبول من الخاص والعام، واشتهر اسمه، وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة، فتابوا، ووصل به خلق إلى الله، وصار أصحابه كالنجوم، وَنُقِدَ رسولا إلى الشام مرات، وإلى السلطان خُوَارِزْمِ شَاه، ورأى من الجاه والحرمة ما لم يره أحد، وانتهت إليه تربية المريدين وتسليك العباد ومشیخة العراق، وكان

شيخ الشيوخ ببغداد، أنشد يوماً في مجلسه على الكرسي:

لا تسقني وحدي فما عَوَّدتني .. أَيْ أَشْخُ بِهَا عَلَى جُلَّاسِي
أنت الكريم ولا يليق تكْرُماً .. أَنْ يَعْبَرَ النَّدْمَاءُ دَوْرَ الكَاسِ

فتواجد الناس لذلك، وتاب جمع كبير من الحضور.

كُفَّ بصره في آخر عمره، وأُقْعِدَ، ومع ذلك فما أخل بشيء من أوراده.

وكان ﷺ شاعراً ، ومن شعره :

ربيع الحمى مذ حللتم معشب نضر ومن أهابه يزهو بها النظر
لا كان وادي الغضا لا تنزلون به ولا الحمى سح في أرجائه مطر
ولا الرياح، وإن رقت نسائهما إن لم تفد نشركم لا ضمها سحر
ولا خلت مهجتي تشكو رسيس جوى حر قلبي بريا حبكم عطر
ولا رقأت عبرتي حتى تكون لمن ذاق الهوى وضنى، في عبرتي عبر^١

تصوف السُّهروردي :

كان شهاب الدين السهروردي من مشايخ الصوفية في عصره ، وكباقي رجال التصوف وشيوخه كان يؤكد لتلاميذه على ضرورة مطابقة السلوك لما جاء في الكتاب والسنة ، فالكتاب الكريم والسنة المطهرة هي الأساس الذي ينطلق منه فهم التصوف ومعرفته حدوده تفصيلاته .

ونجده في كتابه (كشف الفضائح اليونانية) يتجلى توجهه جلياً ، فقد نصَّ

^١ طبقات الأولياء ص ٢٦٤

على ضرورة الاعتماد على الكتاب والسنة، وأن الطريق إلى الله هو في متابعة الرسول ﷺ .

وفي هذا الكتاب أراد الشيخ الرد على من شغف بمطالعة كتب الفلاسفة.. واستدبر الشريعة واستهان بالعلوم المستنبطة من الأحاديث والقرآن... وإظهار وهن الفلسفة اليونانية وكشف وهنها .

وقد ألف السهروردي هذا الكتاب قبل وفاته بإحدى عشر سنة (٦٢١هـ) وقد أملاه على أحد تلاميذه .

كما ينتقد الشيخ وبوضوح وبصراحة من ينتمي للصوفية وليس منهم التزاماً وسلوكاً^١، ومن يتهاون بحدود الشرع^٢ .

ولهذا يقول عنه ابن تيمية: شهاب الدين السهروردي هو أيضاً من أجلاء المشايخ وأكثرهم حرصاً على متابعة السنة في أعمالهم.^٣

ويقول أيضاً: ... فإن شهاب الدين شيخٌ مسلمٌ محبٌ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، سالكٌ طريقة أمثاله من المشايخ أهل المعرفة والدين، عظيمُ القدر في وقته^٤

مصادر الشيخ السهروردي ومنهجه في الاستدلال والرد على المخالفين:

أ - اعتمد الإمام السهروردي في مسائل العقيدة على الوحيين الكتاب والسنة وأكد على ذلك في غير موضع في ثنايا كتبه، وهذه منقبة له رحمه الله، فمن ذلك الباب الأول من كتاب «كشف الفضائح» والذي جاء عنوانه: (في بيان أن التمسك بالكتاب والسنة توفيق وسعادة، و العدول عنهما خذلان

^١ عوارف ص ٧٧

^٢ عوارف ص ٧٨

^٣ جامع المسائل ٣٩٣/٥

^٤ جامع المسائل ٣٩٤/٥

وشقاوة) ^١

ويقول : فما بالك أيها المسلم الذي وُلِدَ في الإسلام، تترك متابعة رسول الله ﷺ، والافتداء بأصحابه الذين دبروا أمر الدنيا والآخرة بعقولهم الرزينة وآرائهم الرضية، أنظن أنهم اختاروا متابعة رسول الله لقصور في العلم ... ^٢

وقوله فيمن ترك علوم الشريعة وشغف بمطالعة كتب الفلاسفة (... ألم يكن في علوم القرآن والحديث والمستنبط منهما والمعين على فهمهما لهم مهاجر، وفي متابعة رسول الله ﷺ لهم مباح ومتاجر...) ^٣

وفي مقدمة كتاب «أعلام الهدى»: (فمن أراد العقيدة الصحيحة من كل عيب وغوار فعلية باقتفاء تلك الآثار...) ^٤

ويقول: (فأوفر الناس حظاً من الصحة والقرب والعبودية أوفرهم حظاً من متابعة رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وفي آخر الفصل الثامن يقول: فعليك بحسن الاقتداء) ^٥

ويقول في نفس الكتاب : وكل الطريق غير متابعتة مسدودة وكل الدعوات غير دعوة رسالته مردودة ^٦

ب - تقديم النقل على العقل:

◆ يقول في معرض ذكر منشأ البدع والضلالات.

(فأول من تحرك فيه عرق البدعة والجدال، ونبع من معين جبلته مياه الضلال:

^١ كشف الفضائح ص ٧٣

^٢ كشف الفضائح ص ١١٨

^٣ كشف الفضائح، ص ٧٠

^٤ ص ٢٦٨

^٥ ص ٢٧٨، ٢٧٩

^٦ ص ٢٧٨

إبليس، فقال للملائكة في معرض الجدل مستتبداً برأيه راکناً إلى قياسه عاملاً به مع وجود النص، معرضاً عن امثال أمر الله بالسجود لآدم..^١ ويقول في موضع آخر مبيناً سبب هلاك الفلاسفة الجاهلون لعالم الغيب (عدم الإيمان به المؤدي بهم ذلك إلى إنكار العلوم الأخروية ثم إلى إنكار النبوات كل ذلك لكونهم إلى العقل الذي لم يكتحل بنور الشرع...)^٢

مكانته وثناء العلماء عليه:

كان رحمه الله شيخ شيوخ العراق في زمانه ، واحتلّ منزلة عظيمة عند الخليفة الناصر لدين الله ، وأصبح مقصد الناس .

◆ يقول ابن النجار: (وظهر له قبولٌ عظيم من الخاص والعام، واشتهر اسمه وقصده المریدون)^٣

◆ ويقول عنه أيضاً (كان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة ، وانتهت إليه الرياسة في تربية المریدين ، ودعاء الخلق إلى الله ، والتسليك ... وكان تام المروءة، كبير النفس، ليس للمال عنده قدر، لقد حصل له ألوف كثيرة، فلم يدخر شيئاً، ومات ولم يُخلف كفنًا، وكان مليح الخلق والخلق، متواضعاً، كامل الأوصاف الجميلة)^٤

◆ وقال ابن نقطه : كان شيخ العراق في وقته، صاحب مجاهدة وإيثار، وطرق جيدة^٥

◆ وقال الذهبي : (الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ

^١ كشف الفضائح ص ٩٠

^٢ كشف الفضائح، ص ١٤٢

^٣ ذيل تاريخ بغداد ٢٠٩/١٩

^٤ سير اعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣/ رقم ٢٣٩

^٥ التقييد ١٨٣/٢

الإسلام أُوحد الصوفية)^١

◆ وقال أيضاً : ولم يُخلف بعده مثله^٢

◆ قال ابن خَلِّكان : رأيت جماعةً ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته وتسليكه، كجاري عادة الصوفية، فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها وما يجدونه من الأحوال الخارقة، وكان قد وصل رسولاً إلى إربل من جهة الديوان العزيز، وعقد بها مجلس وعظ، ولم تنفق لي رؤيته ؛ لصغر السن .

◆ قال عنه النبهاني: كان أحد رجال العراق ممن انتهت إليه رياسة هذا الشأن، وكان عالماً فاضلاً لبيباً أديباً ذا فصاحة ومعرفة، أُعطيَ طرفاً من العلم الشريف اللدني، وكان يتكلم على المغيبات، ذا كرامات خارقات، متمسكاً بالكتاب والسنة، مُجتهداً في أحكام الشريعة ومقام الحقيقة .

◆ وقال ابن كثير : كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين، وتردد في الرِّسَالَةِ بين الخلفاء والملوك مراراً، وَحُصِّلَتْ له أموال جزيلة، ففرقها بين الفقراء والمحتاجين ... وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين وإعانة للمحتاجين، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، وكان يعظ الناس وعليه ثياب البِدَلَةِ^٣

◆ وقال ابن الدُّبَيْثِيِّ: “قدم بغداد، وكان له في الطريقة قدم ثابت ولسان ناطق، وولي عدة زُطِ للصوفية، وَنُقِّدَ رسولاً إلى عدة جهات” .

مؤلفات الشيخ وكتبه :

١ عوارف المعارف: كتاب في التصوف، ذكر فيه من علومهم التَّالِد والطَّارِف.

٢ نغمة البيان في تفسير القرآن.

٣ جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب.

^١ سير اعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣ رقم ٢٣٩

^٢ العبر ٣/٢١٣

^٣ البداية والنهاية ١/١٣

كرامات السهروردي :

أورد النبهاني في كتابه ” جامع كرامات الأولياء ” مجموعة من الكرامات التي حصلت مع الشيخ شهاب الدين، نذكر إحداها :

فقد قال صاحبه نجم الدين النقليسي :

دخلتُ الخلوة ببغداد عند الشيخ عليه السلام، فشهدتُ في الواقعة في اليوم الأربعين، الشيخ شهاب الدين عمر على جبل عالٍ وعنده جواهر كثيرة، والشيخ بيده صاع وهو يملأ من تلك الجواهر ويثبها على الناس وهم يتدرون إليها، وكلما قلَّت الجواهر؛ ممتَّ كأنها تنبع من عين.

وأضاف :

خرجتُ من الخلوة في آخر يومي ذلك وأتيتُه (السهروردي) لأخبره بما شاهدت، فقال لي: قبل أن أتكلَّم بالذي رأيته :

يا ولدي الذي رأيته حق وأمثاله معه من بركة الشيخ عبد القادر (الجيلاني) عليه السلام ممَّا عوّضني به من علم الكلام، فإنَّه كانت له اليد المبسوطة من الله تعالى في التصريف النَّافذ والفعل الخارق .

وفاته رحمه الله تعالى :

أضّرَّ الشيخ في آخر عمره، وكبر سنه حتى جاوز التسعين، وكان مع علو سنه كثير العبادة، وأقعد في آخر عمره، وكان يُحمل إلى الجامع ويحضر جنائز الصالحين...، إلى أن تُوفي ببغداد في مستهل المحرم ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م .

ودفن في المقبرة الوردية، وبني على قبره قبة على شكل منارة مخروطية الشكل على طراز القباب السلجوقية ، وبني مسجد كبير بجواره سمي باسمه وهو جامع الشيخ عمر .

عمر بن علي

ابن الفارض...سلطان العاشقين

٥٧٦ هـ / ١١٨١ م - ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م

قصائد العشق الإلهي ، قِطْعٌ من الجمال تتغنى بالحب الأقدس والأكمل ، حب الله سبحانه وتعالى .

وربما تستمد هذه القصائد جمالها من كونها قيلت في ذات الله وفي صفاته ، وكلما يتصل برب العزة ، يغرق في الجمال ويذوب في الجلال ، فكانت قريبة من القلوب الوهلي المأسورة بحب الله ، والهائمة في عوالم كمالاته ، والتي سكرت من ترديد قوله تعالى : يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ^١

فكانت تلك القصائد تعبير عن حال الجميع ، وان تفاوتت الخطى وتقدم بعضها على بعض ، فالمنبع واحد ، والمحجوب نفسه ، تباركت أسماءه وجلّت صفاته .

لكن ..

تبقى لبعض القصائد وَقْعٌ في النفوس أقوى ، وتأثير في الأرواح أكبر .
ولبعض الشعراء قُدْرَةٌ أعظم على تحريك الجوى في القلوب الصافية الهائمة في حبه تعالى .

وبعضها تفرض نفسها على حلقات الذكر والتوحيد ، فلا يفتتح مجلس أو يُختم إلا بذكر قصيدة أو أبيات من قصيدة لابن الفارض سلطان العاشقين وشاعر المواجيد والحب الإلهي .

فحين أعطى جلال الدين الرومي الصوفي الشاعر للعالم والتاريخ البشري طريقته المولوية في التصوف عبر قصائده في مثنويته ، فإن ابن الفارض منح الشعر

^١ المائة / ٥٤

الصوفي والعالمي ديوانه "التائية الكبرى" الذي يصفه كثير من النقاد والمختصين في الشعر العربي بأنه يضم أفضل الأشعار الصوفية على الإطلاق ، وهذا ما يفسر حضور أبياته في كل الحفلات والأعمال الغنائية الصوفية وفي حلقات القوم .

ولأن شعره الأرق، صارت قصائده أقرب الى القلوب واكتسب بجدارة لقب (سلطان العاشقين) .

اسمه ونسبه :

هو عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي .
وتعددت ألقابه ، فهو أبو القاسم وأبو حفص وشرف الدين .
أما الصفة التي لازمته فهي سلطان العاشقين ، لغلبة الحب على حياته وشعره .
أما نسبه فيمتد حسب بعض الدراسات إلى بني سعيد ، وهي قبيلة حليلة السعدية مرضعة النبي عليه الصلاة والسلام .

النشأة :

ابن الفارض الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة .
قدم أبوه من حماة (بسورية) إلى مصر ، فسكنها ، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام ، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض .

اجتمعت العديد من العوامل والمتغيرات التي وجّهت ابن الفارض وبلورت شخصيته ورفعت من ورعه وأهله لتجربة صوفية فريدة وخالدة .

فوالده فقيه وعالم زاهد ، ومجتهد ، كان له السبق في فرض حقوق النساء على الرجال ، ومن هنا جاءت كنيته الفارض ، وتقلد الكثير من المناصب المرموقة في الدولة ، وعندما عُرض عليه منصب قاضي القضاة في مصر اعتذر عن تولية القضاء خشية أن يشغله هذا المنصب عن العبادة رغم ما لهذا المنصب من أهمية

تدفع الكثيرين للسعي اليه ، وبالفعل فقد انقطع للتأمل وحياة الزهد، وهو أسلوب الحياة الذي سيتلبسه الابن الذي قرر أن يسير على خطى والده .
ان التوجه الصوفي للأب ، وجو الورع والزهد الصوفي التي توفرت لابن الفارض في البيت ، ساندها وعزز من قوتها تتلمذه على يد واحد من كبار فقهاء الإسلام ، حيث تلقن علوم الحديث والفقہ من الإمام العَلَم أبو مُجَدِّ القاسم بن عساكر الذي زود ابن الفارض بزد علمي متين أعانه على رحلته الطويلة في دروب أهل الطريق .

يضاف لذلك ، الجو العام الذي كانت تعيشه البلاد الذي أسهم في التوجه الصوفي لابن الفارض وبلا قلق او اهتزازات كالتي عاشها الكثير من كبار شيوخ التصوف ، هو انه عاش وعاصر فترة القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي ، وكان شاهدا على سطوع نجمه وعلى انتصاراته العسكرية وإعادة الأمل للمسلمين بعد خيبات الهزائم في الحروب الصليبية .

فلم يعرف ابن الفارض مطاردة السلطة له او التضيق عليه ، كالكثيرين من الشيوخ قبله وبعده .

ان تظافر هذه الأسباب جعلت تجربة ابن الفارض تنساب في دنيا التصوف ، وفوق هذا وقبله ، ان الله سبحانه أراد لابن الفارض ان يتركى ويسير في طريق الرجال ، وان يخلد اسمه مع كبار المتصوفين وأعلامهم ، والله يسبب الأسباب ، ويفعل ما يريد .

ان الباحث في سيرة ابن الفارض (على غناها وترفها الأدبي والصوفي) سيجد نفسه أمام شح في المواد المعرفية التي تناولت حياته بالتفصيل ، والبعض يُرجع هذا الأمر إلى أن كثيرين اهتموا بإنتاجه الشعري أكثر من حياته ، والبعض الآخر يفسرها بطبيعة شخصية ابن الفارض الذي كان يميل الى الخلو والذكر منعزلاً عن الناس ، دائرة المحتكين به والمقربين اليه ضيقة ، فهو ﷺ كان منشغلاً

عن الناس برب الناس .

حياته :

كان الشيخ في شبابه مضرب الأمثال لوسامته ونضارته وحُسن تقاسيمه وإشراق طلعه .

يصف علي (سبط الشيخ ابن الفارض) جدّه فيقول :

(كان الشيخ رحمه الله معتدل القامة ، وجهه جميل حسن ، مشرب بحمرة ظاهرة ، واذا استمع وتواجد وغلب عليه الحال ، يزداد وجهه جمالاً ونوراً ، ويتحدّر العرق من سائر جسده حتى يسيل تحت قدميه على الأرض ، ولم أر في العرب ولا في العجم مثل حسن شكله ، وكان عليه نورٌ وخفّرٌ وجلالٌ وهيبة .

ومن فهم معاني كلامه ، دلّته معرفته على مقامه ، ومن اختصه الله بحبته وأنسه ، يعرف المحب بين أهل المحبة من جنسه ، وقد جعل الله المحبين خزائن أسراره المصونة ، ومعادن قوله تعالى : **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ^(١) ^(٢)

في مكة .. بداية الفتوحات الربانية :

مكة .. كعبة القلوب ، وقبلة الأرواح ، ومقصد القلوب الوهية والمشتاق والمباحثة عن القرب .

من قدّم لها راغباً في نفحات ربانية وصلة بالسماء لا يعود خائباً، حدث هذا مع الكثير من العلماء المسلمين الذين استقر بهم الحال في مكة ، وكانت مفتاح معراجهم الروحي وبداية الفيض والفتح الرباني ، وليس حال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي قدس الله سره ببعيد عن هذا الحال .

فالشيخ انتقل من الأندلس إلى المغرب ثم مصر وصولاً إلى مكة ، وهناك أَلَّفَ دُرّة التاج في الفكر الصوفي ؛ كتاب "الفتوحات المكية" الذي يعتبر من أهم ما

^١ المائدة / ٥٤

^٢ ديوان ابن الفارض ص ٣ - ٤

كتب عن طريق العارفين .

وكذلك كانت مكة مشكاة أنارت لابن الفارض دربه، ففاض علمه وفتح الله عليه من الأنوار الربانية، وهو ما جعله يؤلف ديوانه الوحيد والشهير "التائية الكبرى".

وكان للشيخ حينئذ إلى مكة شأنه في ذلك شأن باقي المحبين ، وكان حينئذ إلى المقامات والحضرات المحمدية في تلك الربوع ، وهو الذي يكاد لسانه لا يتلفظ إلا بها .

ورغم شوقه إلى مكة وشعابها وإلى الحجاز ورحابه ، إلا أنه لم يزرها إلا بعد وفاة والده بمصر .

والقصة الأشهر لسفر ابن الفارض من مصر إلى الحجاز وتحديدًا إلى مكة ؛ ما يروى عنه شخصيًا في العديد من المصادر، حيث يقول :

(فحضرتُ من السياحة يوماً إلى المدينة ودخلت المدرسة السيوفية في القاهرة ، فوجدت شيخاً بقالاً على باب المدرسة يتوضأ وضوء غير مرتّب ، فقلت له : يا شيخ أنت في هذه السن في دار السلام على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين ، وأنت تتوضأ وضوء خارجاً عن الترتيب الشرعي ، فنظر إليّ وقال: يا عمر أنت لا يُفتح عليك في مصر وإنما يفتح عليك بالحجاز في مكة شرفها الله فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح .

فعلم ان الرجل من أولياء الله ، وانه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل بلا ترتيب (الوضوء) ^١

وبالفعل قصد ابن الفارض مكة المكرمة حيث مكث هناك ١٥ سنة، كان نتاجها رحيقاً مصقّى من الشعر، وحالات روحية لم يبلغها ابن الفارض من قبل، وفتوحات شغلت الناس وملأت أخبارها مختلف الأصقاع .

^١ ديوان ابن الفارض ص ٥

ومن الأشعار التي ألفها ابن الفارض عن تجربته المكية :

يا سميري رُوِّح بمكة رُوحِي

شادياً إن رغبت في إسعادي

كان فيها أنسي ومعارض قدسي

ومقامي المقام والفتح بادي

ويتابع الشيخ عمر رحمته الله :

ثم شرعت بالسياحة في أودية مكة وجبالها ، وكنت آنس فيها بالوحوش ليلاً
ونهاراً .

وفي ذلك يقول في تائيته الشهيرة :

فلي بعد أوطاني سكون الى الفلا وبالوحش أنسي إذ من الأنس وحشتي

لقد كانت رحلة ابن الفارض إلى مكة رحلة الفتح العظيم ، وارتقاء نحو

مستويات روحانية، عبر عنها ابن الفارض في قصائده التي تفيض عشقاً إليها

وحباً سماوياً وشوقاً لمرحلة الصفاء .

لقد استمرت سياحة ابن الفارض او خلوته او عزلته في شعاب مكة خمس

عشرة عاماً ، قضّاها في العبادة والذكر والتأمل .

وبعد السنين الخمسة عشر يعود شاعرنا الى مصر .

يعود اليها لا كما غادرها شاباً يافعاً ، بل عاد صوفياً ، وشاعراً ، نضجت

تجربته ، وقوية شخصيته ، فأصبح يعرف ان يخطو ، وان يتوجه .

الصوفي الشاعر .. او شاعر الصوفية :

ابن الفارض ، الذي ذابت بين حروف قصائده قلوب الذاكرين ، الصوفي

صاحب الأحوال والمقامات العالية ، والفيلسوف الذي ارتدت معه الفلسفة

ثوب البلاغة ، والعاشق الذي تفجّر عشقه وشوقه شعراً حتى صار سلطان

العاشقين .

(وعلى رغم تقدّم الزمن، وتبدّل الأحوال، لم يبدل ما جاد به ابن الفارض من اشواق ومعارف أدت إلى أن يصفه شيخ الأزهر، وأحد فلاسفته وعلمائه المستنيرين ، الدكتور مصطفى عبد الرازق، بأنه :

الصوفي المصري الأول بلا منازع، ورأس شعراء التصوف، الذين نظموا قصائدهم بالعربية ، وقيل إن شعره من أرق الدواوين ، وأسرعها إلى القلوب؛ إذ هو صادر عن نفثة مصدرور، وعاشق مهجور .

(وابن الفارض هو الشاعر الصوفي الثاني بعد جلال الدين الرومي، ويُروى أنه كان يغوص في غيبوبة تسكره لأيام ، فإن أفاق منها تدفق لسانه شعراً، حتى أنه كان يملئ على من يكتب عنه نحو أربعين أو خمسين بيتاً دفعة واحدة . وأعلى مراتب شعره حواها ذلك الديوان المعروف باسم «التائية الكبرى»، والذي يتكون من سبعمئة وستين بيتاً .

وقد عدّه الشعراء والنقاد ترجمة لروح من أبدعه، والتي شربت من بحار التصوف حتى ارتوت ، ففيها وصف رياضاته الروحية ومجاهداته التي كان ينشد منها الوصول إلى الكمال الإنساني الخالص، الذي يصل إلى أصفى صورته وأعلى مراتبه حين ينال الإنسان رضا ربه، أو حين يتم «رضاء الحبيب عن محبوبه» كما يقول ابن الفارض نفسه)¹

رحلة في شعر ابن الفارض :

ارتقى ابن الفارض بالشعر الصوفي إلى مراتب عليا ومستويات غير مسبوقة أعيت من بعده وحتى من قبله من المتصوفة .

وعلى الرغم من أن هناك كثيرين حاولوا استنساخ تجربته الشعرية او الإرتقاء الى مستواها ، إلا ان "التائية الكبرى" لابن الفارض كانت نتاج مكابدة روحية وأيام طويلة من العزلة والتأمل والارتقاء في معارج سماوية فكانت عصية على

¹ فرسان العشق ص ٢٠٩

الإستنساخ .

لقد نالت قصائد ابن الفارض إعجاب كبار الأدباء العرب وحتى الفقهاء، ومن بين أجمل وأعذب ما كتب عن أشعار ابن الفارض ما جاد به قلم الأديب العربي الكبير جبران خليل جبران حيث يقول :

كان عمر بن الفارض شاعراً ربانياً ، وكانت روحه الظمآنة تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحة مرفوفة في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وأميال العشاق وأماني المتصوفين ثم يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيات لتدوّن ما رآته وسمعتة بلغة جميلة ومؤثرة .

وكان جبران يصف ابن الفارض وأشعاره بكونها وسيطا بين عالم غير مرئي بلغه ابن الفارض وبين عالم الناس، وكان الأبيات هي رسالة بين عالمين مختلفين لا يخترقهما إلا صاحب حساسية شعرية عالية.

ويقارن جبران بين ابن الفارض وكبار الشعراء في التاريخ العربي فيقول :

لم يتناول ابن الفارض في مواضيعه مجريات يومه كما فعل المتنبي ، ولم تشغله معميات الحياة وأسرارها كما شغلت المعري ، بل كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراء الدنيا ، ويغلق أذنيه عن ضجة الأرض ليسمع أغاني اللانهاية .

وبالفعل، فأشعار ابن الفارض قادمة من عالم آخر، ومبنية على الرموز، والتلميح دون التصريح، والدلالات المعقدة . . . وتحفل بكل معاني الحب السامي .

كان محباً لوى أعنة الحروف في قصائده ، فوجهها نحو قمم الإبداع ، حيث يرسم أجمل صور الحب الإلهي .

كان عاشقاً تفجّر عشقه عبر القوافي ، فارتقى بقصائده الى سماء الحب ، يُنشد أجمل ما يمكن للشعر ان ينشده في عوالم الحب .

ولم يقتصر تقدير ابن الفارض على الأدباء والفقهاء العرب بل تعدّاهم الى ليشمل العالم ، فأشعار ابن الفارض حازت على إعجاب عالمي ، حيث تصفه

الموسوعة البريطانية للأدب بكونه :

"أرق شاعر صوفي في التاريخ"، وتقول الموسوعة إن ابن الفارض نجح في التعبير عن معان روحية معقدة بلغة عربية بليغة وبديعة وبتعابير عذبة وأنيقة .
(شغل ابن الفارض بالشعر اربعين سنة .

وذلك أمد طويل ، لكن شعره بقيمة معانيه وليس بقيمة ألفاظه ، فهو من حيث الديباجة والسبك شاعر ضعيف ، ولكنه من حيث المعاني فحلٌّ من الفحول ، لأنه استطاع الجمع بين الحقيقة والخيال ، فالحقيقة عند هذا الشاعر هي الصورة الروحية ، وأما الخيال فهو الصورة الحسية التي رمز بها الى المعنويات . ولا شك ان ابن الفارض كان يعيش حالات الوجد والفناء بالله كما عاشها كبار مشايخ الصوفية كابن عربي والحلاج وغيرهم فقد كانوا يعيشون في غيبوبة تطول لأيام .

حتى اثناء صحوه كان ابن الفارض احياناً كثيرة لا يسمع كلام محدّثه ولا يراه . وقد أرقته كثيراً قصيدته التائية ، وفي هذا المجال يقول ولده مُجَّد :

سمعت الشيخ عليه السلام يقول :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي : يا عمر ما سميت قصيدتك ؟

فقلت : يا رسول الله سميتها : لوائح الجنان وروائح الجنان .

فقال : بل سمها : نظم السلوك . فسميتها بذلك)^١

(ويلاحظ لنا الدكتور عبد المنعم الحفني الرؤية الفلسفية لابن الفارض بقوله :
«تدور أغراض شعر ابن الفارض حول الحب الإلهي، الذي يقوم على الاتحاد، أي الاعتقاد أن كل ما في الوجود يتساوى في الشرف؛ لأنه يمثل جوانب من الحقيقة الإلهية. فالمسجد والكنيسة وبيت الأصنام والنار كلها جوانب الله .
وشارب الخمر والمتعبد في بيت عبادته، كلاهما يمثل حقيقة واحدة في مظهرين،

^١ ديوان ابن الفارض ص ٨

والله يتبدى لكل محب في محبوبه.

وهنا يكون مذهب ابن الفارض هو وحدة الوجود مثله مثل ابن عربي « .
ولهذا وجه أعداء ابن الفارض إليه تهماً عدة في مطلعها «القول بالحلول
والاتحاد» .

لكن المستشرق الشهير ماسينيون، المختص بدراسة التصوف الإسلامي، يفرق
بين فكرة «الاتحاد» مع الذات الإلهية، مثلما تبني ابن عربي، وبين ما قاله ابن
الفارض؛ إذ إن حديث الأول يدور حول مسائل فلسفية مجردة، أما الثاني
فأخذت هذه المسألة لديه بعداً نفسياً، وتوسلت بالشعر.

إلا أن ابن الفارض، وعلى النقيض من الحلاج والسهروردي، لم يجد كارهوه
ومنتقدوه إليه سبباً؛ لأنه كان يحظى بحماية السلطان قايتباي، الذي أحبه،
وقربه منه، وجعل ساعده يشتد في مواجهة من ناصبوا شعره ورأيه وشخصه
العداء) ^١

ومن شعره رضي الله عنه :

زدني بفرط الحبِّ فيك تحبيراً
وإذا سألتك أن أراك حقيقة
يا قلبُ أنت وعدتني في حُبِّهم
إنَّ العَرامَ هو الحياة فمُتَّ به صَباً
قُلْ لِلَّذِينَ تَقَدَّمُوا قَبْلِي وَمَنْ بَعْدِي
عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا
ولقد خلوتُ مع الحبيبِ وبيننا
وأبأح طرفي نظرة أملتَها
فدهشتُ بينَ جماله وجلاله
وارحم حشَى بلظي هواك تسعراً
فاسمخ ولا تجعل جوابي لن ترى
صبراً فحاذر أن تضيق وتضجرا
فحقك أن تموت وتعدراً
ومن أضحى لأشجاني يرى
وتحدثوا بصباتي بين الورى
سرُّ أرق من التَّسيم إذا سرى
فغدوتُ معروفاً وكنْتُ منكراً
وغدا لسانُ الحالِ عني مخبراً

^١ فرسان العشق ص ٢١١

فَأَدِرْ لِحَاظِكَ فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْحُسْنِ يَكْمُلُ صُورَةَ

تَلْقَى جَمِيعَ الْحُسْنِ فِيهِ مُصَوَّرًا
وَرَأَهُ كَانَ مَهْلَأًا وَمَكْبَرًا

وله رضي الله عنه :

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامَةً
لها البدْرُ كأسٌ وهي شمسٌ يديرها
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها
ولم يُبقي منها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشةٍ
فإنْ ذكرتُ في الحيِّ أصبحَ أهلهُ
ومنْ بين أحشائه الدِّنانِ تصاعدتُ
وإنْ حَطَرْتُ يوماً على خاطرِ امرئٍ
ولو نَظَرَ النَّدمانُ ختمَ إنائها
ولو نَضَحُوا منها ثرى قَبْرِ مَيِّتٍ
ولو طرحوا في فيءِ حائطِ كرمها
ولو عبقتُ في الشَّرْقِ أنفاسُ طيبتها
ولو خضبتُ منْ كأسها كَفُّ لأمسٍ

سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ
هَلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ
ولو لا سناها ما تصوَّرها الوهمُ
كَأَنَّ حَفَاها فِي صُدُورِ النُّهى كَتْمُ
نشاوى ولا عارٌّ عليهم ولا إثمُ
ولم يُبقَ منها في الحَقِيقَةِ إِلَّا اسْمُ
أقامتُ بِهِ الأفرأحِ وارتحَلْ الهَمُّ
لأسكرهم منْ دونها ذلكَ الختمُ
لَعادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وائْتَمَّعَشَ الجِسْمُ
عليلاً وقدْ أشفى لفارقه السُّقْمُ
وفي الغربِ مَزَكومٌ لَعادَ لَهُ الشَّمُّ
لما ضلَّ في ليلٍ وفي يده النِّجْمُ

وله أيضاً :

قلبي يُحدِّثني بأنَّكَ مُتِلِفي
لم أقضِ حقَّ هَواكَ إنْ كُنْتُ الذي
ما لي سِوى رُوحِي وبادِلُ نَفْسِهِ
فَلئنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسَعَفْتَنِي

روحي فداكَ عرفتَ أمْ لمْ تعرفِ
لم أقضِ فيه أسى ومِثلي مَنْ يَفي
في حبِّ مَنْ يهواهُ ليسَ بمسرفِ
يا خبيبةَ المسعى إذا لمْ تسعفِ

يا مانعي طيب المنام ومانحي
عظفاً على رمقي وما أبقيت لي
فالوجدُ باقٍ والوصالُ مُماطلي
لم أخلُ من حسدٍ عليك فلا تُضع
واسألُ نجومَ الليلِ هل زارَ الكرى
لا عرواً إن شحّتْ بعُضُرِ جفونها
ثوبَ السِّقامِ به ووجدي المتلفِ
من جسمي الميضئِ وقلبي المدنفِ
والصبرُ فانٍ واللقاءُ مُسوِّفِ
سَهري بتَشْنيعِ الخيالِ المرَّحِفِ
جفني وكيف يزورُ من لم يعرفِ
عيني وسحّتْ بالدموعِ الدُّرِفِ

ومن شعره :

أعد ذكر من أهوى ولو بسلام
كأن عدولي بالوصال مبشري
طريح جوى صب جريح جوارح
فإن أحاديث الحبيب مداامي
وإن كنت لم أطمع برد سلامي
قتيل جفون بالدوام دوامي

وله أيضاً:

أنتم فروضي ونفلي
يا قبلتي في صلاتي
جمالكم نصب عيني
وسركم في ضميري
آنست في الحيّ نارا
فقلت امكثوا فلعلي
دنوت منها فكانت
صارت جبالي دكا
أنتم حديثي وشغلي
إذا وقفت أصلي
إليه وجهت كلي
والقلب طور التجلي
ليلا فبشّرت أهلي
أجد هداي لعلي
نار المكلم قبلي
من هيبة المتجلي

ولاح سرُّ خفيّ يديره من كان مثلي
أنا الفقير المعنى رقاوا لحالي وذلي

مكانة الشيخ الأدبية والفنية :

ربما يدلل على مكانة الشيخ ابن الفارض وعلوّ منزلته ، ان حلقات الذكر لا تخلو من قصيدة له او أكثر ، وان مشايخ الصوفية يرددون وهم يتواجدون أشعاره .

فكانت قصائده عليه السلام تعبير عن الذي يشعر به الشيوخ وما يحسّونه من مواجيد وهوى وأشواق . وحتى عامة الناس كثيراً ما تغنّوا بقصائده ، فهي قريبة الى قلوبهم ومُحرّكة للجدوة في أرواحهم .

ولم يكن غريباً ان تسمع منشداً في حلقة ذكر ، او شيخ في خلوة ، يردد :

ما بين معترك الأحداق و المهج أنا القتيل بلا إثم و لا حرج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد أوفى محبٍ بما يرضيك مبتهج
و خذ بقية ما أبقيت من رفق لا خير في الحب ان أبقى على المهج
ولم تشهد قصائد شاعر صوفي ، ما شهدته قصائد ابن الفارض من انتشار ومن قدرة على التأثير في القلوب والأرواح .

(ومما يُذكر عنه ان السلطان مُحمّد الكامل كان يحب اهل العلم ويحاضرهم في مجلس مختص بهم ، وكان يميل الى فن الأدب ، فتذاكروا يوماً في أصعب القوافي ، فقال السلطان :

ان اصعبها الياء الساكنة ، فمن كان منكم يحفظ شيئاً منها فليذكره .
فتذاكروا في ذلك فلم يتجاوز احدهم عشرة ابيات .

فقال السلطان : انا احفظ منها خمسين بيتاً من قصيدة واحدة .

فذكرها ، فاستحسن الجماعة ذلك منه ، فقال القاضي شرف الدين كاتب سر

السلطان انا احفظ منها مائة وخمسين بيتاً من قصيدة واحدة .

فقال السلطان :

يا شرف الدين جمعت في خزائني دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وانا احب هذه القافية فلم اجد فيها اكثر من الذي ذكرته لكم ، فانشدني هذه الأبيات .

فأنشده القاضي شرف الدين قصيدة ابن الفارض اليبائية ، التي مطلعها :

سائق الأضغان يطوي البيد طي منعماً عَجَّ على كئيبان طي

فقال السلطان يا شرف الدين لمن هذه القصيدة ؟ فلم اسمع مثلها ، وهذا نَفْس محب .

فقال هذه من نظم الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض .

قال : وفي أي مكان مقامه ؟

قال : كان مجاوراً بالحجاز ، وفي هذا الزمان حضر الى القاهرة ، وهو مقيم بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر .

فقال السلطان : يا شرف الدين خذ منّا الف دينار وتوجه بها اليه وقل له عنا : ولدك مُحَمَّد يسلم عليك ، ويسألك ان تقبل منه هذه برسم الفقراء الواردين عليك ، فإذا قبلها اسأله الحضور الينا لناخذ حظنا من بركته .

فقال : مولانا السلطان يعفيني من ذلك فإنه لا يأخذ الذهب ولا يحضر ، ولا اقدر بعد ذلك ان ادخل عليه حياء منه .

فقال السلطان : لا بد من ذلك .

فأخذها القاضي شرف الدين وقصد مكان ابن الفارض فوجده واقفاً على الباب ينتظره ، فابتدأه بالكلام وقال :

يا شرف الدين مالك وذكري في مجلس السلطان ؟ رُدَّ الذهب اليه ولا ترجع وتجيئي الى سنة .

فرجع وقال للسلطان : وددت ان أفارق الدنيا ولا افارق رؤية الشيخ سنة .
فقال السلطان : مثل هذا الشيخ يكون في زماي ولا أزوره، لا بد لي من زيارته
ورؤيته .

فنزّل السلطان ليلاً الى المدينة متخفياً مع عدد من كبار حاشيته ودخل الجامع
بعد صلاة العشاء .

فلما أحسّ ابن الفارض بهم خرج من باب آخر بظهر الجامع ، وسافر الى
الإسكندرية ، وأقام فيها مدة ، فغضب السلطان منه وردّ طلبه بعد مدة ببناء
ضريح عند قبر أمه بتربة الإمام الشافعي .

وعن منزلته في عصره يقول سبطه ابن بنته الشيخ علي رحمهما الله تعالى :
كان اذا مشى في المدينة تزدحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء ،
ويقصدون تقبيل يده فلا يمكن احداً من ذلك ، بل يضافحه ، وكانت ثيابه
حسنة ، ورائحته طيبة ، وكان اذا حضر في مجلس ، يظهر على ذلك المجلس
سكون وهيبة ، وسكينة ووقار .

ورأيت جماعة من مشايخ الفقهاء والفقراء ، وأكابر الدولة والأمراء والوزراء ،
والقضاة ورؤساء الناس يحضرون مجلسه ، وهم في غاية الأدب معه والتواضع له ،
وإذا خاطبوه فكأنما يخاطبون ملكاً عظيماً ، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة
متسعة ، ويعطي من يده عطاء جزيلاً ، ولم يكن يتسبب في تحصيل شيء من
الدنيا ، ولا يقبل من أحد شيئاً^١

وفاته رحمه الله تعالى :

لم يعمر الشيخ طويلاً ، فكأن قلبه لم يتحمل ما كان به من حب ، او كأنه تمنى
واستعجل لقاء من يجب .

وافته المنية ﷺ عام ١٢٣٥ م ، وهو لم يتجاوز الرابعة والخمسين من عمره .

^١ ديوان ابن الفارض ص ١٣ - ١٤

ودفن رحمه الله تعالى في سفح جبل المقطم في مكان يدعى اليوم قرافة ابن
الفارض في مصر .
وقبره شاخص يزار ويزدحم حوله المحبون .

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text.

مزامرات الصالحين ...

فِي بَنَاتِ

وانت تتجول في بغداد تتجول في تاريخ اسلامي عميق الجذور ... فهنا ضريح
نبي .. وهناك مرقد وليّ .. وهنا قبر إمام من أئمة الفقه .. وهناك يرقد محدث
او مفسر .. فكأن بغداد تغفو في أحضان علماء الأمة وخيرة رجالها .
سنطوف ببعض من مرقد الصالحين في بغداد دار السلام نتبرك ونتعطر بأريج
الجنان .

سنتقل بين شمسٍ زُرعت في الأرض تُشعُّ جمالاً وسناً وطيب ، تنير للسالكين
من بعدهم دروب الجهاد في تصفية النفوس وصفاءها للوصول الى تحقيق
والتحقق بـ لا اله إلا الله .

رجالٌ صدقوا مع الله ، فَخَلدوا في ذاكرة الزمن ، وظلّت أسماءهم تتردد ، في
حين أغفلت الدنيا أسماء ملوكٍ وأمراء ، مرّوا ولم يتركوا أثراً ، فلم يخلد لهم إسمٌ
ولا تمّ لهم أثر .

نبي الله يوشع بن نون

لا يمكن لقوافل الحب أن تمضي دون أن تحطّ ركابها عند خيام النبوة ، تتبرك ، وتتشفّر ... بالصفاء وبأنوار القرب من الله سبحانه .

(هو النبي يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام بن النبي يعقوب عليه السلام ، فتى نبيّ الله موسى عليه السلام والذي ظل ينتظره حين ذهب مع العبد الصالح والذي ورد ذكره في الآية الستون من سورة الكهف في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

والفتى يراد به التابع والخادم)^١

وقد اتفق أهل الكتاب في مروياتهم وكتبهم مع المسلمين أن يوشع كان من أنبياء بني اسرائيل ، حُلفَ بنبوته موسى وأخاه هارون عليهما السلام بعد وفاتهما .

ويوشع بن نون، نبي كريم من أنبياء الله عز وجل ، وقد ورد ذكره في العهد القديم ، في السفر الذي يحمل اسمه وهو سفر يشوع .

حيث ورد في التوراة أن موسى عينه بأمر الرب ليخلفه في شعب إسرائيل ، فقد ورد في سفر العدد الإصحاح ٢٧ : "فَكَلَّمَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلًا: "لِيُوَكِّلِ الرَّبُّ إِلَهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ، يُخْرِجُ أَمَامَهُمْ وَيُدْخِلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ، لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا" .. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اِخُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ، رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ، وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ، وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلْعَازَارَ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. وَاجْعَلْ مِنْ هَيَبَتِكَ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ".

ويعتقد أنه عاش بين القرنين ال ١٣ ق م وال ١٢ ق م .

^١ انظر روح المعاني ٨ / ٢٩٣

حياته عليه السلام :

لما تُوِّجَ نبيُّ الله موسى عليه السلام بعثَ اللهُ تعالى يوشعَ بنَ نونٍ عليه السلام (وكان فتى لموسى وتلميذاً له) نبياً إلى بني إسرائيل، وأمره اللهُ تعالى بالمسيرِ إلى مدينةِ أريحا وهي مدينة الجبارين، وقد اختلفَ العلماءُ في فتحِ أريحا على يد من كان، فقال ابن عباس - رضي الله عنه - : إنَّ موسى وهارون ماتا في التيه، ومات أيضاً كل من دخله وقد جاوزَ العشرين سنةً إلا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، فلمَّا انقضت أربعون سنة أوحى اللهُ إلى يوشع بن نون وأمره بالمسيرِ إلى أريحا وفتحها، وبهذا قال قتادة والسدي وعكرمة. وقال آخرون: إنَّ موسى - عليه السلام - عاش حتى خرجَ من التيه.

لقد أدى نبي الله يوشع - عليه السلام - دوراً تاريخياً كبيراً؛ كونه تولى زمام أمور بني إسرائيل بعد انتقال رسول الله موسى عليه السلام إلى جوار ربه . فهو الذي أتمَّ اللهُ على يديه إخراج بني إسرائيل من التيه، وإدخالهم بيت المقدس بعد قتال، وحصار، وقد وقعت في هذه المعركة القصة الأشهر لهذا النبي الكريم ، وهي قصة حبس الله تعالى للشمس عن المغيب .

لما قصد يوشع بن نون بيت المقدس كان برفقة بني إسرائيل فقطعوا نهر الأردن وانتهوا إلى أريحا وهي بلدة الجبارين ، وفتحوا خلال ذلك بيت المقدس والذي كان مُحصَّناً بسور وكان فيه العديد من القصور، كما كان يسكنها الكثير من الناس، فأحاطوا بها وحاصروها لمدة ستة أشهر وبعدها أنزل اللهُ لهم النصر فسقط سور المدينة وتمكن يوشع ومن معه من دخولها ، وانتهى حصاره للمدينة يوم الجمعة بعد العصر وكان وقت غروب الشمس قريباً ويوشك ان يدخل عليهم يوم السبت الذي كان فيه شريعة لهم عدم الاشتغال فيه فدعا اللهُ تعالى أن يجبس له الشمس حتى يتمكن من فتح البلاد¹ وقد حُبِسَتْ له الشمس عن

¹ انظر البداية والنهاية، صفحة ٣٧٦

المغيب بإذن الله تعالى حتى أتمَّ النبي يوشع قتاله .

ولم يكن الخلاف بين المفسرين وأهل السير في أن حبس الشمس كان ليوشع بن نون وإنما كان خلافهم أن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس أم في فتح مدينة الجبارين وهي أريحا حيث كان فتح البلدتين على يديه عليه السلام ، وقد رجَّح ابن كثير أن حادثة حبس الشمس كانت في فتح بيت المقدس لحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد روى عنه أبو هريرة إنه قال: "أن الشمس لم تُحبس لبشرٍ إلا ليوشع بن نونٍ ليالي سار إلى بيت المقدس"^١

حكم يوشع بن نون بني إسرائيل بأحكام التوراة، وهو من قسم بلاد الشام بين بني إسرائيل، كما جعل الله تعالى له كراماتٍ كإخراج نهر الأردن له، وحبس الشمس، وكان فتح بيت المقدس بقيادته^٢ وظل النبي يوشع في بني إسرائيل يأمرهم بما أحلَّه الله لهم في التوراة وينهاهم عن مخالفة أوامر الله تعالى واتباع الشهوات والركون إلى الدنيا .

المزار الكريم والقبر الشريف :

وقبر النبي يوشع ببغداد ، وهذا ما قال به الخطيب البغدادي صاحب كتاب تاريخ بغداد.

يقع القبر عبر مدخل منخفض لضريح مقبب مبني من الطوب، تم تجديده في السنوات الأخيرة من قبل المرجع الديني السني في العراق. ويوجد بداخله تابوت كبير مستطيل الشكل ومصنوع من خشب الصندل ومغطى بمخمل أزرق مطرز بخط ذهبي وفضي. تزينه فسيفساء على شكل نجمة بها بلاطات عاكسة ومغلقة بشبكة خضراء داكنة حتى لا تسمح للحشرات بالدخول .

^١ رواه ابن حجر العسقلاني، في فتح الباري، عن أبي هريرة ٦ / ٢٥٥ و ابن كثير في

البداية والنهاية ص ٣٧٦

^٢ انظر التحرير والتنوير ص ٣٦٠

ومرقد النبي يوشع بن نون من المراقد التراثية الأثرية في العراق ويقع في مقبرة الشيخ الجنيد البغدادي في جانب الكرخ من بغداد ، ومقابل موقع مطار المثنى ، ويقع إلى جانب المرقد جامع يجتمع فيه المسلمون للصلاة .

وبظهر المرقد قبر البهلول الكوفي الشيخ الصالح الزاهد .

وقريباً من المرقد يوجد مرقد الشيخ الجنيد البغدادي وقبر خاله الشيخ السري رضي الله عنهم .

ويعود بناء وترميم مرقدته إلى العصر الملكي، والقبر مبني من الحجارة القديمة الأثرية ، ومنقوش عليه نقوش إسلامية مغطاة بقماش أسود، وجاري ترميمه الآن من قبل دائرة الآثار والتراث وبإشراف من قبل ديوان الوقف السني في العراق .

ولقد كشف عن قبر الضريح لجنة من كبار العلماء في بغداد من قبل دائرة المعارف ودائرة الأوقاف في عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ومن ضمن اللجنة العلامة المؤرخ مصطفى جواد، والشيخ نجم الدين الواعظ^١

وقال الخطيب البغدادي أن النبي يوشع بن نون مدفون في بغداد في الجانب الغربي بمنطقة يقال لها الشونيزية مستنداً إلى وصية عبد الله بن أحمد بن حنبل بأن يدفن إلى جوار نبي أحب إليه من أن يدفن بجوار أبيه. وهذا شاهد تاريخي على صحة مكان قبره في مقبرة الشونيزية^٢

وقد زاره الرحالة الدماركي نيبهر وقال عنه: "بقرب بهلول دانة (يقصد مرقد بهلول الكوفي) يرى اليوم بناء صغير فيه قبر يسمى النبي يوشع الذي يكثر اليهود من زيارته"

وقد تحدّث الكثير من الرحّالة الذين زاروا العراق عن قبر النبي يوشع عليه السلام

^١ دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية - ديوان الوقف السني في العراق - صفحة ٨٧

^٢ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ١ / ١٢١

واسمه بقي متداولاً في مدونات الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة، فعند بداية القرن السابع عشر زار المنطقة السائح (بيدرو تكسيراً) بين عامي ١٦٠٤ و١٦٠٥، وتطرق إلى القبر باسم يوشع كادول في جانب الكرخ ووصف مزاره^١ وجاء صاحب كتاب نزهة المشتاق مؤكداً كلمة النبي وكادول معا واضعاً بينهما كلمة كوهين عندما قال، ان في جانب الكرخ من مدينة السلام مدفن رجل من أئمة اليهود وصلحائهم يقصدونه للزيارة والتبرك يسمى النبي يوشع كوهين كادول ، وهو بقرب مدفن الشيخ معروف الكرخي ، وغاية مايقول الشعب اليهودي أن هناك مدفن أحد الصالحين أو أحد الرؤساء من الكهنة (الكوهينين) ، ولم يعرفوا عنه شيئاً. كما تكلم عن المزار الرحالة بنيامين الثاني وقال ما تعريبه: وعلى مسافة ساعة من بغداد، بناء صغير تظله ثماني نخلات جبارات ويقسم قسمين في أحدهما قبر يوشع الكاهن العظيم، المزين غاية الزينة الذي ذكره زكريا وتحت النعش نجد مخطوطات كثيرة يقرأ منها بعض المقاطع عند قبره^٢

^١ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ١٨١ و ص ٢٣٤-٢٣٥

^٢ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق - ص ٢٣٣-٢٣٤.

الإمامان الجوادان

في العراق نصف مرقد آل بيت النبي ﷺ ، وتزهو بغداد باحتضان مرقدي الإمام موسى الكاظم وحفيده مُجَدَّ الجواد رضي الله عنهما ، وبهما تزهو وتفخر . تحسُّ حول الضريحين الشريفين كأنك في بقعة من الفردوس فتستشعر حفيف أجنحة الملائكة الكرام وتنشق عطر النبوة وأريجها لخير بيت وأطيب نسل . عتبةٌ تهوى إليها الأفئدة، وتضرب إليها بطون الإبل من مختلف البقاع ، فحق لها أن تكون قلب بغداد النابض بمشكاة النور وألطف الملكوت الأعلى . هذه العتبة المقدسة تستقبل المتشوقين إليها من بعيد بقبَّتها الذهبيتين اللتين تُباهيان الشمس ضياءً، وتُناطحان السماء علواً ، وكأن منادياً يهتف بأرجائها هنا بقية آل مُجَدَّ ، خاتم النبيين وإمام الرُّسل صلوات ربي عليه وسلامه ، وعلى آله الطيبين .

الإمامان الطاهران الزكيان ، سليلاً الدوحة العلوية الهاشمية المباركة الإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام مُجَدَّ الجواد رضي الله تعالى عنهما وزادهما نوراً وقرباً .

الإمام موسى الكاظم (١٢٧ أو ١٢٨ - ١٨٣هـ) :

إمام غلبت صفته اسمه كما غلبت تلك الصفة على كل المنطقة المحيطة بقبره الشريف فسميت بالكاظمية نسبة الى الإمام كاظم الغيظ ، ويالها من صفة تعلق بصاحبها الى مصاف التلة من الذين رضي الله سبحانه عنهم فرضوا عنه ، وأحبهم فأحبوه ، انه سيدي كاظم الغيظ ، الإمام الصابر ، المتمسك بأخلاق جدّه رسول الله ﷺ والسائر على خطاه .

الإمام موسى بن جعفر المعروف بـ (الكاظم الغيظ) سابع أئمة المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحد أعلام الهداية الربانية في دنيا الإسلام وشمس من شمس المعرفة في دنيا البشرية التي لا زالت تشع نوراً وبهاء في هذا الوجود... إنه من العترة الطاهرة الذين قرّهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بمحكم التنزيل وجعلهم قدوة لأولي الألباب وسفناً للنجاة وأمنناً للعباد وأركاناً للبلاد... إنه من شجرة النبوة الباسقة والدوحة العلوية اليانعة ومحطّ علم الرسول وباب من أبواب الوحي والإيمان ومعدن من معادن علم الله .

اسمه و نسبه :

الإمام الملقب بالكاظم هو سابع الأئمة الإثني عشرية .

موسى بن جعفر بن مُحمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .

أشهر ألقابه : الكاظم ، الحلیم ، الطاهر ، الطهر ، العبد الصالح ، باب الحوائج
كنيته : أبو إبراهيم ، أبو الحسن الأول ، أبو الحسن الماضي .

أبوه : الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

أمه : حميدة البربرية أو المغربية بنت صاعد ، أم ولد و تُلقَّب بـ " المصفاة " .

ولادته : يوم السبت أو الأحد (٧) شهر صفر سنة (١٢٨) .

محل ولادته : الأبناء ، و هو مكان بين مكة المكرمة و المدينة المنورة قرب

جحفة .

الولادة والنشأة :

ولد الإمام موسى بن جعفر في نهاية العهد الأموي سنة (١٢٨ هـ) وعاصر أيام انهيار هذا البيت ، وعاصر أيضاً بدايات نشوء الحكم العبّاسي الذي استولى على مركز القيادة في العالم الإسلامي .

وعاش في ظلّ أبيه الصادق(عليه السلام) عقدين من عمره المبارك وتفصيلاً بظلال علوم والده الكريم ومدرسته الربّانية ينهل مما أفاء الله به على عبده الصالح من علمٍ وحكمة .

فعاصر حكم (السّفاح) ثم حكم (المنصور) ، وبعد استشهاد أبيه في الخامس والعشرين من شوال سنة (١٤٨هـ) تصدّى لمنصب الإمامة بعد أبيه الصادق(عليه السلام) في ظروف حرجة كان يُخشى فيها على حياته.

لقد عاش الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ثلاثة عقود من عمره المبارك والحكم العبّاسي لما يستفحل ، ولكنه قد عانى من الضغوط في عقده الأخير ، ضغوطاً قلّما عاناها أحد من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) من الأمويين وممن سبق ، من حيث السجن المستمرّ ومحاولات الترهيب والتهديد .

وكان الإمام طيلة حياته الشريفة حريصاً على التمسك بمنهج جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآبائه المكرّمين علي أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي ومُحمّد وجعفر عليهم السلام ... في تبليغ ونشر الرسالة الإلهية وصيانتها من الضياع والتحريف ، والجدّ في صيانة الأمة من الانهيار ومقارعة الظالمين وتأييد الأمرين المعروف والناهين عن المنكر للصدّد من تمادي الحكام في الظلم والاستبداد .

وقد كانت مدرسته العلمية الزاخرة بالعلماء وطلّاب المعرفة تشكّل بناءً إسلامياً حضارياً يقف أمام تراث كل الحضارات الوافدة وقيمها ، وتربي رجالاً وعلماء

وعُباداً متوجهين بقلوبهم الى الله .

كانت نشاطاته التربوية والتنظيمية تكشف عن عنايته الفائقة بالجماعة الصالحة وتخطيطه لمستقبل الأمة الإسلامية الزاهر والزاخر بالطليعة الواعية التي حفظت لنا تراث ذلك العصر الذهبي العامر بمعارف أهل البيت (عليهم السلام) وعلومهم الشريفة .

وكان الإمام طيلة حياته مدرسة ونموذجاً للعبد الصالح المؤمن الراجع الى الله في كل أحواله والمتقلب برحمته ، والمربي السائر على درب جده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان عليه السلام مدرسة في الصبر وتحمل الأذى والقدرة العظيمة على الصبح والتسامي حتى اشتهر بـ (الكاظم الغيظ) ؛ لشدة حلمه وبـ (التقي ، وباب الحوائج إلى الله) لشدة قربه من الله سبحانه وتعالى .

وكانت له عليه السلام مناظرات علمية مع علماء اليهود والنصارى أتت إجابةً على أسئلتهم وطروحاتهم . وتمّ جمع ما يزيد عن ٣٠٠٠ من أحاديث الإمام الكاظم (ع) في كتاب مُسند الامام الكاظم .

لقد أشادت المصادر من كل طوائف المسلمين ومذاهبهم بعلمه وعبادته وبجوده وحلمه، حتى لُقّب بالكاظم لشدة كظمه الغيظ، كما عُرف بالعبد الصالح، واشتهر بباب الحوائج أيضاً .

ويحظى الإمام باحترام علماء المسلمين باعتباره عالم وفقهه ، حتى صار ضريحه قبلة الزائرين ومحط ركاب المسلمين يقصده الآلاف كل يوم .

أزواجه :

لم تسجل المصادر شيئاً عن عدد أزواجه، ولكن الغالب عليهن كونهن أمّهات أولاد - إماء - كان يشتريهنّ ، ثمّ يعتقهنّ ، ويتزوجهنّ ، أولاهن السيدة نجمة التي أنجبت له الإمام الرضا عليه السلام .

حياته العلمية :

عُمر الإمام موسى بن جعفر ٥٥ عاماً ، قضى منها ٢٠ عاماً في حياة والده جعفر الصادق و ٣٥ بعد وفاته ، وقد عاش تلك الفترة في زمن أبيه وارتاد مدرسته العلمية الكبرى التي أنشأها في الكوفة ، والتي خرّجت الآلاف من العلماء والفلاسفة والفقهاء والمحدثين، حتى قال الحسن الوشاء عند مروره بمسجد الكوفة: (أدركت في هذا المسجد ٩٠٠ شيخ كلهم يقول : حدثني جعفر بن مُحمَّد) ^١ ، وأما منزل أبيه الصادق فكان أيضاً مدرسة علمية يرتادها كبار العلماء والفقهاء، قال مُحمَّد صادق نشأت: «كان بيت جعفر الصادق كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام، فكان يحضر مجلس درسه في أغلب الأوقات ألفان، وفي بعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين . وقد أُلّف تلاميذه من جميع الأحاديث والدروس التي كانوا يتلقونها في مجلسه مجموعة من الكتب تعدّ بمثابة دائرة علمية» ^٢

وفي هذا الجوّ العلمي المليء بالمنظرات والنقاشات والشرح العلمي تربّى الإمام الكاظم فاستفاد من هذا البحر العلمي ، واغترف من علم والده ما اغترف من العلم الرباني ومن الحكمة .

لقد كانت الفترة التي عاشها في أواخر حياة والده الصادق وبعد وفاته هي فترة علمية حساسة جداً في تاريخ المسلمين حيث سيطرت فيها الفلسفة اليونانية على الفكر العام، وكثرت فيها الاتجاهات الفكرية وتنوّعت، وامتد ذلك إلى صلب العقيدة والدين، فمن حركات تدعو إلى الإلحاد ومن حركات فلسفية تشكك في بعض العقائد الدينية، فكان على الكاظم أن يتحمل مسؤوليته من

^١ رجال النجاشي ص ٧٩

^٢ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١ / ٦٢

الناحية العلمية ، فواصل منهج أبيه الصادق في رئاسة المدرسة التي أسسها أبوه
الباقر ، فسار فيها على خطى والده المقتفي لآثار جده النبي ﷺ .

وكانت مدرسته في داره في المدينة وفي المسجد كما كان أباه ، فحضرها كثير
من أعلام المسلمين، وتخرج من هذه المدرسة نخبة من الفقهاء ورواة الحديث،
قدّر عددهم ب(٣١٩) عالماً وفقهياً^١

كان الإمام عليه السلام مدرسة في السلوك والمنهج والمعرفة شملت بنورها كل من
اقترب منها ممن له قلب او القى السمع فهو شهيد .

ومن أخذ عن الكاظم وروى عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، و أبو
المظفر السمعاني في الرسالة القوامية ، وأبو صالح المؤذن في الأربعين، وأبو عبد
الله ابن بطة العكبري في الإبانة ، وأبو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان .

وكان أحمد بن حنبل إذا روى عنه قال: حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني
أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد ابن علي، قال: حدثني أبي علي بن
الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب
، قال: قال رسول الله .

ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قرئ على المجنون لأفاق^٢

وحتى بعد أن سُجن الكاظم في عهد هارون الرشيد ، لم ينقطع عن العمل
العلمي فكانت الأسئلة تأتيه إلى السجن ويجب عليها بصورة تحريرية .

وخصوصاً تلك المسائل الفقهية حول الحلال والحرام .

وقد وصفه الشيخ المفيد بالقول: كان أبو الحسن موسى عليه السلام أعبد أهل
زمانه وأفقههم وأسماهم كفاً وأكرمهم نفساً^٣

^١ علام الهداية ص ١١٠

^٢ مناقب آل أبي طالب ٣ / ٤٣١ - ٤٣٢

^٣ الارشاد، ٢ / ٢٣١

وروى الخطيب البغدادي عن الحسن بن إبراهيم أبي علي الخلال يقول : ما همّني
أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسى بن جعفرٍ، فتوسّلتُ به إلّا سهّل الله تعالى لي ما
أحبّ^١

وفاته عليه السلام :

اعتقل الإمام عليه السلام سنة ١٧٩ هجرية وأودع الى ان مات في السجن سنة
١٨٣ هجرية ، حيث استدعى هارون الرشيد الإمام سنة ١٧٩ هـ من المدينة ،
وأمر بالتوجه به إلى البصرة التي وصلها في السابع من ذي الحجة ، فأودعوه في
سجن عيسى بن جعفر، وبعد فترة انتقلوا به إلى سجن الفضل بن الربيع في
بغداد ومنه إلى سجن الفضل بن يحيى وسجن السندي بن شاهك الذي كانت
نهاية الإمام عليه السلام فيه^٢

^١ الغدير ٥ / ٢٧٩

^٢ الأنوار البهية ص ١٩٢ - ١٩٦

الامام مُجَّد الجواد عليه السلام (١٩٥هـ - ٢٢٠هـ) :

اسمه و نسبه : هو الإمام مُجَّد بن علي بن موسى بن جعفر بن مُجَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .

وهو تاسع الأئمة الاثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ألقابه : من أشهر ألقابه عليه السَّلام : الجواد ، التقى ، المنتجب ، القانع .
كنيته : أبو جعفر الثاني ، لأن جده الامام مُجَّد الباقر (عليه السَّلام) يُكْتَبُ بابي جعفر الأول .

وعرف بعد وفاته بباب المراد إلى الله تعالى لكثرة ما استجيب وقُضي في حرمه الشريف من الدعوات والحاجات بالتوسُّل به إلى الله سبحانه .

أبوه : الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السَّلام) ثامن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

أمه : سبيكة ، و هي أم ولد ، و تُكْتَبُ أم الحسن ، ذكر المؤرخون لها أسماءً أخرى ، منها : مريسية ، درة ، ریحانه ، و يبدو أن الامام الرضا (عليه السَّلام) سمّاها " خيزران " .

ولادته : وُلِدَ سلام الله عليه في العاشر من شهر رجب سنة مائة وخمس وتسعين هجرية ، وقيل ولد عليه السلام في التاسع عشر أو الخامس عشر من شهر رمضان المبارك .

والقول الأول أشهر ويؤيِّده الدعاء المأثور عن الناحية المقدَّسة من أدعية رجب الحرام ، وهو قوله عليه السلام : « اللهمَّ إِنِّي أسألك بالمولودين في رجب محمَّد بن علي الثاني ، وابنه عليّ بن محمَّد المنتجب » .

وهذا الدعاء منسوب إلى الإمام الثاني عشر محمَّد بن الحسن عليه السلام .

محل ولادته : المدينة المنورة .

مدة عمره : (٢٥) سنة .

نقش خاتمه : المهيمن عضدي ، من كثرت شهواته دامت حسراته .

زوجاته : من زوجاته : سمانة المغربية .

شهادته : استشهد الامام الجواد (عليه السّلام) في العاشر من شهر رجب ،

وقيل في آخر شهر ذي القعدة سنة (٢٢٠) هجرية ببغداد .

وُدْفِنَ في مدينة الكاظمية / العراق ، بجوار جده الكاظم (عليه السّلام) في

مقابر قريش

وكان الإمام الرضا عليه السلام يخاطب ابنه الجواد عليه السلام بالإجلال

والتعظيم ، ولم يكن يذكره إلا بكنيته فيقول : « كتب إليّ أبو جعفر » و «

كنت أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام » ، وهو صبي صغير السن في مفاهيم

الناس ومعاييرهم ، وكان عليه السلام يؤكّد هذا الكلام في حقّ ابنه ويكرّره دفعاً

لتعجّب الناس من انتقال الخلافة إليه وهو قليل السنّ ، فكان عليه السلام

يقول :

« إن الله تبارك وتعالى احتجّ بعيسى ابن مريم عليه السلام وهو ابن سنتين ،

وقام عيسى عليه السلام بالأمر وهو ابن ثلاث سنين ، وأخبر سبحانه مثل

ذلك في شأن يحيى عليه السلام حيث يقول تعالى عزّ من قائل : (صَبِيًّا) ،

فيجوز أن يؤتى الرسول والإمام الحكم صبيّاً كما يؤتاه وهو في الأربعين » .

وقد أمر الإمام الرضا عليه السلام أصحابه بالسلام على ابنه بالإمامة والتسليم

له بالطاعة ، وأكدّ وشدّد على ذلك ، حتّى أنّه ذكر لسنان بن نافع : إن ابنه

هذا عليه السلام قد ورث ما ورثه هو عليه السلام من قبل آبائه عليهم السلام

، وأنّه حجة الله تعالى من بعده .

وروي أيضاً أن عمّ أبيه علي بن جعفر الصادق عليه السلام كان ذات يوم

جالساً في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المدينة المنورة ومعه

أصحابه ، إذ دخل عليه أبو جعفر الجواد عليه السلام ، فوثب علي بن جعفر

عليه السلام بلا حذاء ولا رداء ، فقبّل يده وعظمه ، فقال له أبو جعفر عليه السلام :

« يا عمّ : اجلس رحمك الله » ! فقال يا سيّدي ، كيف أجلس وأنت قائم؟! فلَمَّا رجع إلى مجلسه جعل أصحابه يسألونه : أنت عمّ أبيه ، وتفعل به هذا الفعل.

فقبض عليّ بن جعفر على لحيته وقال لهم : اسكتوا ، إذا كان الله عزّ وجلّ لم يؤهّل هذه الشبيبة وأهل هذا الفتي ووضعه حيث وضعه ، أنكر فضله؟! نعوذ بالله ممّا تقولون.

صغير السنّ أوحّد في علمه :

لقد كان أفضل وأكمل إنسان في عصره علماً وعملاً وأخلاقاً ، فقد أدهش وأفحم العلماء الكبار وهو حدث صغير السنّ لا يتعدّى السنة التاسعة من عمره الشريف .

حتى شكّ الكثيرون في علمه وحكمته فأرادوا امتحانه بالأسئلة العلميّة والفقهيّة ، وذهبت الوفود إليه للاستفادة من علمه الجم ليعودوا مقتنعين بفضله وإمامته . فقد ذكر الطبرسي في « أعلام الوري » أنّ أبا جعفر الجواد عليه السلام قد بلغ في وقته من الفضل والعلم والحكمة والآداب مع صغر سنّه منزلة لم يساوه فيها أحد من ذوي السنّ من السادة وغيرهم ، ولذلك كان المأمون معجباً بعلمه وعلوّ منزلته ... حتىّ زوّجه ابنته أمّ الفضل.

وممّا ورد في سعة علمه عليه السلام ما رواه الكليني رحمه الله أنّ قوماً سألوا أبا جعفر الجواد عليه السلام عن مسائل كثيرة فأجاب عنها دون تردّد.

وفاته :

ويوم لبيّ عليه السلام نداء ربه سبحانه وتعالى دُفن الى جوار جده الكاظم في مقابر قريش فيما سمي بعد ذلك بالكاظمية نسبة الى الإمام الكاظم المدفون

فيها ، وهي في جانب الرصافة من بغداد في المنطقة المقابلة للأعظمية ، والتي
تضم ضريح الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان والتي أشتق اسمها من صفتة
ووصفه عليه السلام .

ضريح الإمامين موسى الكاظم وحفيده مُجَّد الجواد عليهما السلام
الإمامين الطاهرين الزكيين ، سليلا الدوحة العلوية الهاشمية المباركة الإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام مُجَّد الجواد رضي الله تعالى عنهما وزادهما نوراً وقرباً .

المزار الكريم والقبرين الشريفين :

العتبة الكاظمية هي ضريح الإمامين موسى الكاظم وحفيده الإمام مُجَّد الجواد، بنيت فوق قبريهما في منطقة الكاظمية في بغداد.
ويقابل المرقد من الجهة الأخرى من نهر دجلة مرقد الإمام أبو حنيفة النعمان (جامع الإمام الأعظم) ويربط بينهما جسر الأئمة .
مساحة المشهد هي ما تقارب ٢٦ ألف متر مربع، ويتشكل من الصحن والروضة والمنارات والضريح والأروقة والقبة. وقد استخدم فيه أنواع الفنون كفن المرايا والقاشاني والتذهيب والخط وغيرها.

تاريخ الحرم الكاظمي :

بعد أن أنهى المنصور عمارة بغداد اقتطع المنطقة المجاورة لمدينته من جهة الشمال فجعلها مقبرة، ولعله اعتبرها خاصّة بعائلته وأُسرته فسُمِّيت فيما بعد بـ (مقابر قريش) ، وكان أوّل من دُفن في هذه المقابر جعفر بن أبي جعفر المنصور، وفي عام ١٨٣ هـ استشهد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، فحُمل جثمانه الطاهر إلى مقابر قريش، واشتهر مدفنه الشريف بـ "مشهد باب التين" أو "مشهد الكاظمية".

وأصبح السكن حول مقابر قريش - بعد دفن الإمامين عليه السلام هناك - في ازدياد واتّساع على مرور الأيام، حيث دفعت العقيدة الدينية بعض الناس إلى السكن حول المشهد المبارك؛ لحمايته وإدارته وإيواء زائريه، فكان هذا التجمّع حول المشهد هو النواة الأولى لمدينة الكاظمية، هذا فضلاً عن الموقع الجغرافي

لمقابر قريش من حيث قربها من نهر دجلة وجودة تربتها، ومجاورتها للقري والأرياف والمزارع والأشجار الوارفة الظلال.

وقد حظيت تلك البقعة المباركة بشرف ضم جثمان الإمام مُجَّد الجواد حفيد الإمام موسى الكاظم في عام ٢٢٠ هـ الموافق ٨٣٤ م بعد ان توفي في سامراء ونقل إلى بغداد ليُدفن بجوار جده .

وأول من بنى المرقد هو معز الدولة البويهبي عام ٣٣٦ هـ، ثم في عام ٣٦٧ هـ قام عضد الدولة ببناء بيوت في المنطقة المحيطة بالمرقد الشريف لزيادة الوافدين والمهاجرين لمجاورة الحضرة .

استمر بناء وتوسعة المرقد عدة مرات إلا أنه تعرض لحريقين عام ٤٤٣ هـ وعام ٦٢٢ هـ فلم يبق من آثارهم شيء. بعد الحريق الثاني أمر الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله ثم من بعده ابنه المستنصر بالله بإعادة بناء المرقد وأمر الأخير بصنع صندوق ووضعه فوق القبر عام ٦٢٤ هـ.

قال الشيخ جعفر النقدي في كتابه (تاريخ الإمامين) ما نصه:

(الصندوق الساج المنتصري باقى إلى يومنا هذا في المتحف العراقي لأن الشاه الصفوي بعد أن جاء بصندوقي الخاتم المرصعين بالعاج ونصبهما على قبر الإمامين أرسل هذا الصندوق إلى المدائن ونصب على قبر سلمان الفارسي صاحب رسول الله وعند تأسيس دار الآثار العراقية نقل من المدائن إليها وعلى هذا الصندوق كتابات لطيفة وفيه من أحسن الفن ودقائقه ما لا يوصف في تزيينه وفي كتابته اسم المستنصر بالله وتاريخه ٦٢٤ هـ).

في عام ٧٦٩ هـ ظهرت الصدوع في الحضرة بسبب تتابع الفيضانات فقام السلطان أويس الجلالتري ببناء قبتين ومئذنتين وأمر بوضع صندوقين من الرخام على القبرين وزيّنت الحضرة بالطابوق القيشاني ونقشت فيه الآيات القرآنية كما عمّر الرواق ورباطاً كان في الصحن.

بعد احتلال إسماعيل الصفوي بغداد عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٩م زار الحضرة في عام ٩٢٩ هـ فأمر بقلع عمارة الحضرة من الأساس وإعادة بناءها بعد توسيع الروضة وتبليط القاعات بالرخام ووضع صندوقين خشبيين فوق القبرين كما أمر أن تكون المآذن أربع بدلا من اثنتين وبني مسجداً سمي بالمسجد الصفوي ثم أصبح يسمى محلياً بمسجد الجوادين وأمر بنقل رباط الحيوانات إلى خارج الجدار وعلق فيه القناديل والثريات.

بعد دخول سليمان القانوني بغداد عام ٩٤١ هـ زار الحضرة ووجد أن العمران فيها قد بدأ إلا أنه لم يتم فأمر بإكماله وبناء المنبر الموجود اليوم في مسجد الجوادين وإكمال بناء إحدى المآذن.

وفي عام ١٢٠٧ هـ أمر السلطان محمد بإكمال ما بدأ من الإعمار فأضاف ثلاث مآذن أخرى على طراز الأولى التي كان قد بناها السلطان سليمان. من تلك الأعمال أيضاً تأسيس صحن واسع يحف بالحرم من جهاته الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية، ويتصل الجامع الكبير بالحرم من جهته الشمالية، وتم تخطيط الصحن بمساحته الموجودة اليوم. الأعمال الأخرى تشمل: نقش باطن القبتين وسقف الروضتين بماء الذهب والمينا وقطع الزجاج الملون، تزيين جدران الروضة كلها من حد الطابوق القاشاني إلى أعلى الجدار المتصل بالسقف بقطع الزجاج الجميل المثبت على الخشب، تذهيب القبتين والمآذن الصغار الأربع، وذلك أنه لما جدد تذهيب قبة الإمام الحسين بكريلاء وبقي الذهب القديم فائضاً عن الحاجة، فنقل إلى الكاظمية، حيث أعيد صقله وطلبه على الطابوق المعد لهذا الغرض، وأضيف إليه ما لزمته إضافته، وتم هذا التذهيب في سنة ١٢٢٩ هـ.

في سنة ١٢٨٢ هـ عُشِّي الإيوان الشرقي بالذهب ممَّا فَضَّلَ من قبة الإمامين العسكريين. في سنة ١٢٩٣ هـ وسع الصحن ونصبت ساعتين كبيرتين.

البناء الحالي :

تبلغ مساحة الحرم الكاظمي ١٤٥١٤ متراً مربعاً. الطول ١٢٣ متراً والعرض ١١٥ متراً.

وللمسجد اليوم قبتين متساويتا الأبعاد وأربع مآذن كبيرة.

ارتفاع السقف يبلغ ٢٥م تعلوه القبتان المزينتان بالزخارف الإسلامية والآيات القرآنية من الداخل، من الخارج غلفت القبتان بتسعة آلاف طابوقة من الذهب الخالص وحوها المآذن الأربع المغلفة بالذهب أيضا والتي ترتفع إلى ٣٥م فوق السقف، وحوال القبب أيضا أربع منارات صغيرة بارتفاع ٤.٥م.

خلال القرن الماضي بني سياج حديدي مشبك خارج الحضرة ويحيط بها فيه بوابتان حديديتان وذلك لتنظيم حركة الزوار، بعد الاحتلال الأمريكي للعراق أصبحت هذه البوابتان الحديديتان تستخدمان للسيطرة وإجراء عمليات التفتيش على النساء والرجال، فرضت هذه الإجراءات نظرا للظروف الأمنية السيئة في العراق.

يتكون الصحن من أربعة أقسام: صحن قريش هو القسم الغربي منه، صحن باب القبلة في القسم الجنوبي، صحن باب المراد في القسم الشرقي وجامع الجوادين في القسم الشمالي. للصحن عشرة أبواب لها تسميات محلية للدلالة عليها، منها ثلاث رئيسية كبيرة للدخول وهي باب المراد، باب القبلة وباب صاحب الزمان، أما السبعة الأخرى فهي صغيرة الحجم بشمل باب قاضي الحاجات، باب الفرهادية ، باب الجواهرية ، باب قريش ، باب الرجاء ، باب المغفرة وباب الرحمة .

للصحن ثلاث أروقة حوله سقوفها مزينة بالآيات الكريمة وتتدلى منها الثريات، تستخدم الأروقة للصلاة حين تضيق قاعة الصلاة في الداخل عن استيعاب المصلين.

الجدار والغرف :

يحيط بالصحن جدار سميك وضخم بارتفاع ١٠م مزين من الخارج الطابوق الفرشي المنقوش بالآيات القرآنية وبعض النقوش الإسلامية. خلف الجدار طابقين من الغرف والأواوين مجموعها ٦٢ غرفة منها ١٤ في الطابق العلوي وتستخدم لتدريس طلبة العلم، معظمهم من المذهب الشيعي، الغرف في الطابق السفلي بعضها للتدريس أيضا وبعضها دفن فيها بعض كبار العلماء ورجال الدين. الغرف مبلطة بالرخام وجدرانها مزينة بالطابوق القاشاني. على هذا الجدار بين باب القبلة وباب المراد ساعة يبلغ ارتفاعها ٢٠م ذات زخارف إسلامية ونقش عليها أيضا آيات قرآنية نصبت عام ١٣٠١ هـ عند بناء آخر توسعة للحضرة، ما زال الجدار والغرف والساعة كما كانت عام ١٣٠١ هـ عدا عمليات الصيانة العادية.

القاعات :

للمسجد أربع قاعات في الداخل تحيط بالروضة الشريفة من جوانبه الأربع: القاعة الشمالية: تقع خلف قبر الإمام مُجَّد الجواد وتتصل بالروضة عن طريق باب فضية. هناك أيضا شباك كبير يطل على الجانب الصفوي من الخلف، جدرانها وأرضيتها من الرخام ومسقوفة بالزجاج الأبيض بأشكال هندسية. في هذه القاعة عدة مكتبات للقرآن وكتب الأدعية والزيارة ويستخدم للصلاة ولأداء مراسيم الزيارة للرجال.

القاعة الشرقية: من جهة رجلي الإمامين وموصول بالروضة بواسطة بابين، ذهبية أمام الإمام موسى وفضية أمام الإمام مُجَّد، للقاعة ثلاثة أبواب تطل على الرواق الخارجي، واحدة ذهبية واثنان فضيتان.

القاعة الجنوبية: تتصل بالروضة عن طريق باب ذهبي من جهة الإمام موسى، لها ثلاثة أبواب تطل على الرواق الخارجي وقد دفن فيها بعض العلماء الكبار.

القاعة الغربية: تقع من جهة رأسي الإمامين وتتصل بالروضة بواسطة بابين فضيين، للقاعة باب واحد إلى الخارج يطل على الرواق الخارجي. في هذه القاعة قبر العالم والفيلسوف نصير الدين الطوسي يعلوه شباك كبير.

الروضة الشريفة :

تنقسم الروضة إلى قسمين، جنوبية وبها قبر الإمام موسى الكاظم، وشمالية وبها قبر الإمام محمد الجواد عليهما السلام ، ويصل بينهما ممران ضيقان. ويقع الضريحين وسط القسمين وفوق كل منهما قبة، وقد قطع جانب من كل ضريح بحاجز حديدي ليفصل بين الرجال والنساء أثناء الزيارة. وقد وضع على القبرين صندوقان من الخشب مغلفان بالزجاج السميك حماية لهما من الغبار، ومنقوش عليهما نقوش إسلامية جميلة. ويحيط بالقبر شباك فضي مطعم بالمينا تعلوه سورتي الدهر والفجر نقشت على المينا الأزرق، وكتبت بالذهب الخالص. جدران الروضة وأرضيتها من الرخام وعلى الجدران نقشت آيات قرآنية ونقوش زجاجية إسلامية تصل إلى باطن القبتين. تتدلى من السقف عدد من الثريات النفيسة وعلى الجدران ساعات جدارية كبيرة.

مسجد وضريح الإمام أبي حنيفة النعمان

رُوي عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: (آخذ بكتاب الله تعالى، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ أخذت بقول الصحابة، آخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب -وعدد رجالاً- فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا)^١

وقال سهل بن مزاحم: (كلام أبي حنيفة أخذ بالثقة وفراز من القبح، والنظر في معاملات الناس وما استقاموا عليه وصلاح عليه أمورهم، يمضي الأمور على القياس، فإذا قبح القياس أمضاها على الاستحسان، ما دام يمضي له، فإذا لم يمض له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به، وكان يؤصل الحديث المعروف الذي قد أجمع عليه، ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغاً، ثم يرجع إلى الاستحسان أيهما كان أوفق رجوع إليه)^٢

هذه النقول وغيرها تدل على مجموع المصادر الفقهية عند الإمام أبي حنيفة، فهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف والعادة.

لماذا فقه أبي حنيفة :

الفقه اصطلاحاً يعني معرفة الأحكام الشرعية على أساس الأدلة الشرعية الموثوق بها.

وكانت معرفة الأحكام الشرعية في صدر الإسلام، عملية سهلة غير معقدة كما جرى لاحقاً، إذ كانت عملية استقراء الأحكام تجري مباشرة من القرآن أو

^١ المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ص ٩١

^٢ الاجتهاد والتقليد في الشريعة الإسلامية وعند أبي حنيفة ص ٣٧٧

الأخبار المنقولة عن الرسول أو المنقولة عن الصحابة ... الفقه كان فقه معاملات متواترة ومتشابهة ويسهل معرفة الأحكام فيها الى مراجعة الأحكام في مثيلاتها في زمن النبي ﷺ او الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

البدايات الجديدة :

في مرحلة النبي ﷺ والصحابة إلى أواخر العهد الأموي، كان الفقه واقعياً فقط، أي عملياً بمعنى أن الناس كانوا يسألون عن حكم الحوادث بعد وقوعها أو يتقاضون فيها، لكن في فترة لاحقة ، بدأت عملية نظرية في الفقه تستند إلى افتراض الحوادث نظرياً ومن ثم استنباط الحكم فيها .

وقد يكون مردّ ذلك لتعقيدات الحياة وافرارات التطور الحضاري نتيجة الاحتكاك بمحضرات جديدة أنشأت علاقات جديدة واشكالات في المعاملات جديدة .

بدأ الفقه أولاً مع رواة الحديث، لكن مع تعقد الحياة الاجتماعية ونشوء مسائل مستحدثة لم يأت ذكرها في الأخبار المنقولة، بدأت تتشكل طبقة جديدة من الفقهاء لحل المعضلات الجديدة واستنباط الاحكام الشرعية.

ظهر في البداية تياران فقهيان: الأول في العراق يعتمد الرأي في التطورات في فهم النص الديني (مدرسة الرأي) ، والثاني في الحجاز ويعتمد النص فقط (مدرسة الحديث) .

مدرسة أهل الرأي هي امتداد لمدرسة عمر وعبد الله بن مسعود اللذين كانا أكثر الصحابة توسعاً في الرأي فتأثر بهما علقمة النخعي أستاذ إبراهيم النخعي وخاله، وإبراهيم هو الذي تتلمذ عليه حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة.

أما مدرسة أهل الحديث، فهي امتداد لمدرسة الصحابة الذين كان يحملهم الخوف والحذر من مخالفة النصوص على الوقوف عندها أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والزبير وعبد الله بن عباس في

الكثير الغالب.

ولقد شاع مذهب أهل الحديث في الحجاز لأسباب كثيرة، قد يكون من أبرزها: كثرة ما بأيديهم من الأحاديث والآثار، وقلة النوازل والأحداث التي تستلزم فتوى جديدة أو رأي فقهي غير مسبوق .

أما مذهب أهل الرأي فقد شاع في العراق، وكان علماء هذا الفريق يرون أن أحكام الشرع معقولة المعنى ، مشتملة على مصالح العباد وحكم شرعت لأجلها تلك الأحكام، وأن على أهل العلم البحث عن تلك الحكم والعلل الضابطة، وربط الأحكام بها، وجعلها تدور وجوداً وعدمياً معها، فإذا عثروا على تلك العلل فرموا الأقيسة القائمة عليها على بعض أنواع الأحاديث إذا عارضتها.

بداية الانفصال :

استند كبار الصحابة في العصر الإسلامي الباكر في فتواهم إلى الكتاب ثم السنة، وإن أعجزهم ذلك أفتوا بالرأي وهو القياس بأوسع معانيه، دون أن يتوسعوا بالرأي كثيراً كما حصل فيما بعد.

ولما جاء الخلف وجد منهم من يقف عند الفتوى على الحديث ولا يتعداه، يفتي في كل مسألة بما يجده من ذلك، وليست هناك روابط تربط المسائل بعضها ببعض، ووجد فريق آخر يرى أن الشريعة معقولة المعنى ولها أصول يرجع إليها فكانوا لا يخالفون الأولين في العمل بالكتاب والسنة ما وجدوا إليهما سبيلاً ولكنهم لاقتناعهم بمعقولية الشريعة وبنائها على أصول محكمة فهتمت من الكتاب والسنة كانوا لا يحجمون عن الفتوى برأيهم فيما لم يجدوا فيه نصاً كما كان يفعل الفريق الأول.

وبدأ انفصال أهل الرأي عن أهل الحديث في القرن الهجري الأول، نتيجة قلة النصوص الدينية بالقياس إلى المسائل والقضايا التي لا تحصى ولا تعد، فإذا لم

يعثروا على حلول لها في القرآن الكريم ولا في سيرة النبي ﷺ اجتهدوا في حلها،
في حين آثرت مدرسة الرأي على التزامها بالنصوص، ولم تعمل بالرأي إلا عند
الضرورة القوية.

لم يكن الصراع في الفقه صراعا بين القديم والجديد، بل كان صراعا بين وجهات
نظر لم تكن تعتمد نفس الأصول والمقدمات في عملية التفسير.

أبو حنيفة التابعي فقيه أهل الرأي

(٨٠-١٥٠ هـ / ٦٩٩-٧٦٧ م)

فقيه وعالم مسلم، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي.

اشتهر بعلمه الغزير وأخلاقه الحسنة، حتى قال فيه الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة» .

وأكثر من نصف أحكام معاملات المسلمين من زواج وطلاق وزكاة وصيام تقوم على فكر هذا الرجل وفهمه للأحكام الشرعية .

ويُعد أبو حنيفة من التابعين، إذ قال : (لقيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن جزء الزبيدي، وجابر بن عبد الله، ومعقل بن يسار، ووائلة بن الأسقع، وعائشة بنت عمر، وعبد الله بن أنيس، رضي الله عنهم) . ويُروى عن أبي حنيفة أنه قال: «سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» .

كان معروفاً بالورع وكثرة العبادة والوقار والإخلاص وقوة الشخصية. وكان أبو حنيفة يعتمد في فقهه على ستة مصادر هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف والعادة.

وُلد أبو حنيفة بالكوفة ونشأ فيها، وقد كانت الكوفة إحدى مدن العراق العظيمة، ينتشر فيها العلماء أصحاب المذاهب والشرائع المختلفة، وقد نشأ أبو حنيفة في هذه البيئة الغنية بالعلم والعلماء، فابتدأ منذ الصبا يجادل مع المجادلين، ولكنه كان منصرفاً إلى مهنة التجارة، فأبوه وجدته كانا تاجرين، ثم انصرف إلى طلب العلم، وصار يختلف إلى حلقات العلماء، واتجه إلى دراسة الفقه بعد أن استعرض العلوم المعروفة في ذلك العصر، ولزم شيخه حماد بن أبي سليمان يتعلم منه الفقه حتى مات حماد سنة ١٢٠ هـ، فتولى أبو حنيفة رئاسة حلقة شيخه

حماد بمسجد الكوفة، وأخذ يدارس تلاميذه ما يُعرض له من فتاوى، حتى وُضع تلك الطريقة الفقهية التي اشتق منها المذهب الحنفي.

وقعت بالإمام أبي حنيفة محنتان، المحنة الأولى في عصر الدولة الأموية، وسببها أنه وقف مع ثورة الإمام زيد بن علي، ورفض أن يعمل عند والي الكوفة يزيد بن عمر بن هبيرة، فحبسه الوالي وضربه، وانتهت المحنة بخروجه إلى مكة عام ١٣٠ هـ، وظل مقيماً بها حتى صارت الخلافة للعباسيين، فقدم الكوفة في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور.

أما المحنة الثانية فكانت في عصر الدولة العباسية، وسببها أنه وقف مع ثورة الإمام مُجَّد النفس الركية، وكان يجهر بمخالفة المنصور في غاياته عندما يستفتيه، وعندما دعاه أبو جعفر المنصور ليتولى القضاء امتنع، فطلب منه أن يكون قاضي القضاة فامتنع، فحبسه إلى أن توفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ، وُدُفن في مقبرة الخيزران في بغداد، وبني بجوار قبره جامع الإمام الأعظم عام ٣٧٥ هـ. يعد الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، من أهم الشخصيات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والتي كان لها دور كبير وفعال في النهضة العربية الإسلامية فهو صاحب مدرسة فقهية كبيرة مازالت قائمة، وصاحب المسجد الكبير في بغداد.

تجمع جميع الروايات التاريخية المتداولة على عربية الرجل وعراقية ولادته ، ومن الثابت والمعروف تاريخياً، أن الرجل ولد في العراق لأسرة عراقية صميمة والراجح أنه ولد في الأنبار من ارض بابل (العراق) وتؤكد المصادر التاريخية أن العراق كانت تسكنه القبائل العربية قبل الفتح الاسلامي، بشكل كبير وكان لها الدور الأكبر والمتميز في عمليات التحرير العربية الاسلامية.

وأجمعوا على أن ديانة اهله كانت نصرانية وهي ديانة عرب العراق وديانة دولة المناذرة العربية ، ثم إنَّ إسم الإمام أبو حنيفة (النعمان) فيه دلالة تاريخية كبيرة

على انتماء آبائه الى عرب العراق الذين سكنوه قبل الاسلام فهو إسم ملك مهم من ملوك العراق العرب، كانت له صولات ضد الدولة الساسانية التي كانت جاثمة على قلوب اهل العراق لحقبة طويلة من الزمن.

قال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ): كان أبو حنيفة نبطياً، أي من عرب سواد العراق، وفي رواية أخرى للخطيب يؤكد أنه انحدر من الأنبار في غرب العراق وهو الراجح

مولده ونسبه :

ولد الإمام أبو حنيفة بالكوفة سنة ٨٠ من الهجرة النبوية، الموافق لسنة ٦٩٩ من الميلاد، على رواية يجمع عليها المؤرخون. وأبوه: ثابت بن النعمان ، وهناك خلاف في تحديد انتماءه العرقي، حيث توجد روايات متعددة، منها أنه من أصل فارسي وهذه الرواية متداولة ومعروفة، وفي رواية أنه من نبط العراق بابلي ، وهو ما رجحته عَدَدُ من الدراسات الأكاديمية، حيث أثبتت عُروبتَه وإنه من أصل عربي عند المؤرخين العرب مثل مصطفى جواد، وناجي معروف ورشيد الخيون وغيرهم، ولقد ألف ناجي معروف كتاباً يثبت فيه عُروبتَه وانتماءه إلى أصل عربي بسند تاريخي، يُبطلُ كُل ما قيل عنه سابقاً بأنه غير عربي، في كتابه القيم عروبة الإمام أبي حنيفة النعمان، تُؤكد المصادر الحنفية، إنه عربي الأرومة، وان ثابت بن المرزبان، من بني يحيى بن زيد بن أسد، من عرب الأزديين هاجروا من اليمن وسكنوا أرض العراق بعد انهيار سد مأرب جراء سيل العرم وباتوا جزء من نبط العراق.

نشأ أبو حنيفة بالكوفة وترى بها، وعاش أكثر حياته فيها، متعلماً ومجادلاً ومعلماً، ولم تُبين المصادر حياة أبيه وحاله وما كان يتولاه من الأعمال، ولكن قد يُستنبط منها شيء من أحواله، فقد يستفاد منها أنه كان من أهل اليسار والغنى، وأنه كان من التجار، وأنه كان مسلماً حسن الإسلام .

ولقد كانت الكوفة وهي مولد أبي حنيفة إحدى مدن العراق العظيمة، بل ثاني مصرية العظمين في ذلك الوقت، وفي العراق الملل والنحل والأهواء، وقد كان موطناً لمدينتي قديمة، كان السريان قد انتشروا فيه وأنشأوا لهم مدارس به قبل الإسلام، وكانوا يدرسون فيها فلسفة اليونان وحكمة الفرس، كما كان في العراق قبل الإسلام مذاهب نصرانية تتجادل في العقائد، وكان العراق بعد الإسلام مزيجاً من أجناس مختلفة وفيه اضطراب وفتن، وفيه آراء تتضارب في السياسة وأصول العقائد، ففيه الشيعة، وفي باديته الخوارج، وفيه المعتزلة، وفيه تابعون مجتهدون حملوا علم من لقوا من الصحابة، فكان فيه علم الدين سائغاً موروداً، وفيه النحل المتنازعة والآراء المتضاربة.

فتحت عين أبي حنيفة فرأى هذه الأجناس، ونضج عقله فانكشفت له هذه الآراء، وابتدأ منذ الصبا يجادل مع المجادلين، ولكنه كان منصرفاً إلى مهنة التجارة، ويختلف إلى الأسواق ولا يختلف إلى العلماء إلا قليلاً، حتى لمح بعض العلماء ما فيه من ذكاء وعقل علمي، فضنَّ به، ولم يرد أن يكون كله للتجارة، فأوصاه بأن يختلف إلى العلماء كما يختلف إلى الأسواق. ويروي عن أبي حنيفة أنه قال: مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني، فقال لي: «إلى من تختلف؟»، فقلت: «أختلف إلى السوق»، فقال: «لم أعن الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء»، فقلت له: «أنا قليل الاختلاف إليهم»، فقال لي: «لا تغفل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة»، قال: «فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله».

توجهه إلى طلب العلم :

انصرف أبو حنيفة إلى العلم بعد نصيحة الشعبي، وصار يختلف إلى حلقات العلماء، وكانت حلقات العلم في ذلك العصر ثلاثة أنواع :

حلقات للمذاكرة في أصول العقائد، وهذا ما كان يخوض فيه أهل الفرق المختلفة، وحلقات لمذاكرة الأحاديث النبوية وروايتها، وحلقات لاستنباط الفقه من الكتاب والسنة، والفتيا فيما يقع من الحوادث.

وقد ذكرت المصادر عدة روايات عن أبي حنيفة تدل على أنه عندما تفرغ لطلب العلم اتجه إلى الفقه بعد أن استعرض العلوم المعروفة في ذلك العصر، واختار أولاً علم الكلام والجدل مع الفرق، ثم انصرف عنه إلى الفقه .

وهذه رواية قد رُويت من عدة طرق إحداها عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة أن أبا حنيفة سُئل: «كيف وُفقت إلى الفقه؟»، فقال: «أخبرك، أما التوفيق فكان من الله، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه، إني لما أردت تعلم العلم جعلت العلوم كلها نصب عيني، فقرأت فناً فناً منها، وتفكرت عاقبته وموضع نفعه، فقلت آخذ في الكلام، ثم نظرت، فإذا عاقبته عاقبة سوء ونفعه قليل، وإذا كمل الإنسان فيه لا يستطيع أن يتكلم جهاراً ورمي بكل سوء ويقال صاحب هوى، ثم تتبعت أمر الأدب والنحو، فإذا عاقبة أمره أن أجلس مع صبي أعلمه النحو والأدب، ثم تتبعت أمر الشعر، فوجدت عاقبة أمره المدح والهجاء، وقول الكذب وتمزيق الدين، ثم تفكرت في أمر القراءات، فقلت: إذا بلغت الغاية منه اجتمع إلي أحداث يقرؤون علي، والكلام في القرآن ومعانيه صعب، فقلت: أطلب الحديث، فقلت: إذا جمعت منه الكثير أحتاج إلى عمر طويل حتى يُحتاج إلي، وإذا احتيج إلي لا يجتمع إلا الأحداث، ولعلهم يرمونني بالكذب وسوء الحفظ فيلزموني ذلك إلى يوم الدين، ثم قلبت الفقه، فكلما قلبته وأدرته لم يزد إلا جلالته، ولم أجد فيه عيباً، ورأيت الجلوس مع العلماء والفقهاء والمشايخ والبصراء والتخلق بأخلاقهم، ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته، وطلب الدنيا والآخرة إلا به، ومن أراد أن يطلب به الدنيا طلب به أمراً جسيماً، وصار إلى رفعة منها، ومن أراد العبادة والتخلي لم

يستطع أحد أن يقول: تعبد بغير علم، وقيل إنه فقه وعمل بعلم». عرف أبو حنيفة إذن العلوم والمعارف الإسلامية كلها التي كانت في عصره، فقد حفظ القرآن على قراءة عاصم، وعرف قدراً من الحديث، وقدراً من النحو والأدب والشعر، وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد وما يتصل به، وكان يرحل لهذه المناقشة إلى البصرة، وكان يمكث بها أحياناً سنةً لذلك الجدل، ثم انصرف بعد ذلك إلى الفقه، واتجه إلى دراسة الفتيا على المشايخ الكبار الذين كانوا في عصره، ولزم واحداً منهم، أخذ عنه وتخرج عليه، ولقد كانت الكوفة في عهده موطن فقهاء العراق، كما كانت البصرة موطن الفرق المختلفة ومن كانوا يخوضون في أصول الاعتقاد، وقد كانت تلك البيئة الفكرية لها أثرها في نفسه، حتى قال: «كنت في معدن العلم والفقه، فجالست أهله ولزمت فقيهاً من فقهاءهم».

ملازمته لشيخه حماد بن أبي سليمان :

في مسجد الكوفة لزم أبو حنيفة حماد بن أبي سليمان، وتخرج عليه في الفقه، واستقر معه إلى أن مات، وإن حماداً قد مات في سنة ١٢٠هـ، فكأنه مات وأبو حنيفة في الأربعين من عمره، وعلى ذلك فإن أبا حنيفة لم يستقل بالدراسة إلا وهو في سن الأربعين، وقد بلغ أشده في الجسم والعقل معاً، وقد روي عن أبي حنيفة أنه قال عن صلته بشيخه حماد: «صحبتة عشر سنين، ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة، فأردت أن أعتزله، وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يوماً بالعشي وعزمني أن أفعل، فلما دخلت المسجد ورأيت أنه لم تطلب نفسي أن أعتزله، فجننت وجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالا، وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت علي مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، ثم قدم فعرضت عليه المسائل، وكانت نحواً من ستين مسألة، فوافقني في أربعين

وخالفني في عشرين، فأليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات».

وقد ثبت أن أبا حنيفة لازمه ثمانى عشرة سنة، فقد روي عنه أنه قال: «قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي ألا أفارق حماداً حتى يموت، فصحبته ثمانى عشرة سنة». ويلاحظ من ذلك أن أبا حنيفة تتلمذ عند شيخه حماد وهو في سن الثانية والعشرين، ولازمه حتى سن الأربعين، ثم استقل بالدرس والبحث، وتولى حلقاته بعد ذلك، وكان مع ملازمته لشيخه حماد قد لاقى غيره من الفقهاء والمحدثين، وكان يتتبع التابعين أينما كانوا وحيثما ثقفوا. جلس أبو حنيفة وهو في الأربعين من عمره في مجلس شيخه حماد بمسجد الكوفة، وأخذ يدارس تلاميذه ما يعرض له من فتاوى، وما يبلغه من أفضية، ويقيس الأشياء بأشباهها، والأمثال بأمثالها، حتى وضع تلك الطريقة الفقهية التي اشتق منها المذهب الحنفي.

فقهه وأصول مذهبه :

القرآن الكريم

القرآن الكريم عند الإمام أبي حنيفة هو المصدر الأول والأعلى في مسائل الفقهية، لأنه الكتاب القطعي الثبوت، لا يُشك في حرف منه، وأنه ليس يوازيه ولا يصل إلى رتبته في الثبوت إلا الحديث المتواتر، لذلك لا يرى نسخ القرآن الكريم بخير الأحاد من السنة، وإنما يعمل بها ما أمكن، وإلا ترك السنة الظنية للكتاب القطعي.

السنة النبوية

لا يجعل الإمام أبو حنيفة السنة النبوية في رتبة واحدة، بل يُقدم مثلاً السنة القولية على الفعلية، لجواز أن يكون الفعل خصوصية للنبي ﷺ، ويُقدم السنة

المتواترة على خبر الآحاد عند التعارض وعدم إمكان الجمع بينهما، بل إنه يترك العمل بخبر الآحاد إذا خالف قاعدة شرعية مأخوذة من نص القرآن أو السنة.

الإجماع

فما أجمع عليه أصحاب الرسول وما اختلفوا فيه لا يخرج عن أقوالهم إلى أقوال غيرهم، والإجماع: هو اتفاق الأئمة المجتهدين في عصر من العصور بعد انتقال الرسول عن الدنيا على حكم شرعي، والإجماع عند الإمام أبي حنيفة حجة معمول به.

القياس

وهو إلحاق فرع بأصل فيه نص بحكم معين من الوجوب أو الحرمة، لوجود علة الحكم في الفرع كما هي في الأصل. والإمام أبو حنيفة يُقدم السنة ولو كان حديثاً مرسلًا على القياس، كما يقدم الحديث الضعيف على القياس.

الاستحسان

وهو طلب الأحسن للاتباع الذي هو مأمور به، وقد بان أن الاستحسان عند الإمام أبي حنيفة ليس اتباعاً للهوى ولا حكماً بالعرض، ولكنه اختيار أقوى الدليلين في حادثة معينة.

العرف والعادة

وهو ما استقر في النفوس من جهة العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول، والأصل في اعتبار العرف دليلاً شرعياً قول ابن مسعود: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، ويكون العرف دليلاً حيث لا دليل شرعي من الكتاب والسنة، أما إذا خالف العرف الكتاب والسنة كتعارف بعض التجار التعامل بالربا، فهو عرف مردود لأنه محادٌ للشرعية ومخالف لها.

تجارته :

نشأ أبو حنيفة في بيت من بيوت أهل اليسار والغنى، فأبوه وجده كانا تاجرين،

ويغلب على الظن أن تجارتهما كانت في الخبز (وهو نوع من الأقمشة)، وهي تجارة تدر على صاحبها الخير الوفير، وأخذ أبو حنيفة عنهما هذه التجارة، فنشأ أول نشأته يختلف إلى السوق، ولا يعكف على الاستماع إلى العلماء، ثم اتجه إلى العلم، ولكنه لم ينقطع عن التجارة، بل استمر تاجراً إلى أن مات، وكان له شريك يظهر أنه أعانه على الاستمرار في طلب العلم وخدمة الفقه ورواية الحديث.

اتصف أبو حنيفة التاجر بصفات تجعله مثلاً كاملاً للتاجر المستقيم، فقد كان ثري النفس لم يستول عليه الطمع الذي يفقر النفوس، ولعل منشأ ذلك أنه نشأ في أسرة غنية فلم يذق ذل الحاجة، وكان عظيم الأمانة شديداً على نفسه في كل ما يتصل بها، وكان سمحاً قد وقاه الله شح نفسه، وكان بالغ التدين شديد التنسك عظيم العبادة يصوم النهار ويقوم الليل. فكان لهذه الصفات أثرها في معاملاته التجارية، حتى كان غريباً بين التجار، وحتى شبهه كثيرون في تجارته بأبي بكر الصديق. ويُروى أنه قد جاءته امرأة بثوب من الحرير تبيعه له، فقال: «كم ثمنه؟»، فقالت: «مئة»، فقال: «هو خير من مئة، بكم تقولين؟»، فزادت مئة مئة حتى قالت: «أربعمئة»، قال: «هو خير من ذلك»، قالت: «تخزأ بي»، قال: «هاتي رجلاً يقومه»، فجاءت برجل، فاشتره بخمسمئة.

ولقد كان أبو حنيفة شديد الحرج في كل ما تخالطه شبهة الإثم ولو كانت بعيدة، فإن ظن إثمًا أو توهمه في مال خرج منه، وتصدق به على الفقراء والمحتاجين، ويُروى أنه بعث شريكه حفص بن عبد الرحمن بمتاع، وأعلمه أن في ثوب منه عيباً، وأوجب عليه أن يبين العيب عند بيعه، فباع حفص المتاع ونسي أن يبين، ولم يعلم من الذي اشتراه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله. وقد كانت تجارة أبي حنيفة تدر عليه الدر الوفير، ويُروى أنه كان يجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج المشايخ والمحدثين وأقوائهم وكسوتهم

وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: «أنفقوا في حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله، فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً، ولكن من فضل الله علي فيكم». كما كان أبو حنيفة حريصاً أن يكون مظهره كمخبره حسناً، فكان كثير العناية بتيابه، يختارها جيدة، حتى لقد كان كساؤه يُقَوِّم بثلاثين ديناراً، وكان حسن الهيئة كثير التعطر.

محنته الأولى وهربه إلى مكة

عاش أبو حنيفة ٥٢ سنة من حياته في العصر الأموي، و١٨ سنة في العصر العباسي، فهو قد أدرك دولتين من دول الإسلام .

ويروى أنه لما خرج زيد بن علي زين العابدين على هشام بن عبد الملك سنة ١٢١هـ كان أبو حنيفة من المؤيدين للإمام زيد، ويروى أنه قال في الاعتذار عن عدم الخروج معه: «لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه إمام حق، ولكن أعينه بمالي، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم».

وانتهت ثورة الإمام زيد بقتله سنة ١٣٢هـ، كما قتل ابنه يحيى في خراسان، وابنه عبد الله بن يحيى في اليمن. ولقد كان لزيد بن علي منزلة في نفس أبي حنيفة، وكان يُقدِّره في علمه وخلقه ودينه، وعدَّه الإمام بحق، وأمدّه بالمال، ثم رآه يُقتل بسيف الأمويين، ثم يُقتل من بعده ابنه، ثم من بعده حفيده، فأحنقه كل ذلك.

كان يزيد بن عمر بن هبيرة والي الكوفة آنذاك، فأرسل إلى أبي حنيفة يريد أن يجعل الخاتم في يده، ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبي حنيفة، فامتنع أبو حنيفة عن ذلك، فحلف الوالي أن يضربه إن لم يقبل، فنصح الناس أبا حنيفة أن يقبل ذلك المنصب، فقال أبو حنيفة: «لو أرادني أن أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل في ذلك، فكيف وهو يريد مني أن يُكتب دم رجل يُضرب عنقه وأختم أنا على ذلك الكتاب، فوالله لا أدخل في ذلك أبداً»، فحبسه صاحب الشرطة، وضربه أياماً متتالية، فجاء الضارب إلى الوالي وقال له: «إن الرجل

ميت»، فقال الوالي: «قل له: تخرجنا من يميننا؟»، فسأله فقال أبو حنيفة: «لو سألتني أن أعد له أبواب المسجد ما فعلت»، ثم أمر الوالي بتخليفة سبيله، فركب دوابه وهرب إلى مكة بعد أن مكَّن له الجلال من أسباب الفرار، وكان هذا في سنة ١٣٠ هـ .

ولقد وجد في الحرم المكي أمناءً، فعكف على الحديث والفقہ يطلبهما بمكة التي ورثت علم ابن عباس، والتقى أبو حنيفة بتلاميذه فيها، وذاكرهم علمه وذاكره ما عندهم، وظل مقيماً بمكة حتى صارت الخلافة للعباسيين، فقدم الكوفة في زمن أبي جعفر المنصور.

محنته الثانية ووفاته :

استقبل أبو حنيفة عهد العباسيين بارتياح، فقد رأى اضطهاد الأمويين لبني علي بن أبي طالب وأهل بيت النبي ﷺ، واستمر على ولاءه للدولة العباسية لمحبه لآل النبي جميعاً، ولقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور يدنيه ويعليه ويرفع قدره ويعطيه العطايا الجزيلة، ولكنه كان يردها ولا يقبل العطاء، ولم يُعرف عن أبي حنيفة أنه تكلم في حكم العباسيين حتى نقم عليهم أبناء علي بن أبي طالب، واشتدت الخصومة بينهم، وقد كان ولاء أبي حنيفة لبني علي، فكان طبيعياً أن يغضب لغضبهم، وخصوصاً أن من ثار على حكومة أبي جعفر هو مُجَّد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن، وأخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وكان أبوهما عبد الله ممن اتصل به أبو حنيفة اتصالاً علمياً، وقد كان عبد الله وقت خروج ولديه في سجن أبي جعفر، ومات فيه بعد مقتل ولديه.

كان موقف أبي حنيفة من خروج مُجَّد النفس الزكية على المنصور شديداً، فقد كان يجهر بمناصرته في درسه، بل وصل الأمر إلى أن ثبط بعض قواد المنصور عن الخروج لحربه. وكان هذا العمل في نظر المنصور من أخطر الأعمال على دولته، لأن أبا حنيفة تجاوز فيه حد النقد المجرد والولاء القلبي إلى العمل

الإيجابي، فأراد المنصور أن يختبر طاعة أبي حنيفة وولائه له، وقد كان بيني بغداد آنذاك، فأراد أن يجعله قاضياً، فامتنع أبو حنيفة، فأصر المنصور على أن يتولى له عملاً أياً كان، فقبل أبو حنيفة أن يقوم ببعض أعمال البناء من إعداد اللبّن وما شابه ذلك، فاستطاع بذلك أن يغمض عنه عين المنصور.

كان أبو حنيفة بعد مناوأة بني علي للمنصور وإيذائه لهم وقتله لرؤوسهم لا يرتاح إلى حكومته، وقد استطاع أن يدرأ عنه أذاه، وانصرف إلى العلم، ولكن كان من وقت لآخر يقول بعض الأقوال، أو تكون منه أمور تكشف عن رأيه فيه وفي حكومته، ومن ذلك أن أهل الموصل كانوا قد انتفضوا على المنصور، وقد اشترط المنصور عليهم أنهم إذا انتفضوا تحل دماؤهم له، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة، فقال: «أليس صح أنه عليه السلام قال: «المؤمنون عند شروطهم»، وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي، وقد خرجوا علي عاملي، وقد حلت لي دماؤهم»، فقال رجل: «يدك مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم، فإن عفوت فأنت أهل العفو، وإن عاقبت فيما يستحقون»، فقال لأبي حنيفة: «ما تقول أنت يا شيخ؟ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟»، قال: «إنهم شرطوا لك ما لا يملكونه، وشرطت عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاثة، فإن أخذتهم أخذت بما لا يحل، وشرط الله أحق أن توفي به»، فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا ثم دعاه وقال: «يا شيخ، القول ما قلت، انصرف إلى بلادك ولا تُثفتِ الناس بما هو شين على إمامك فتبسط أيدي الخوارج».

لقد كان أبو حنيفة يميل إلى أبناء علي بن أبي طالب، وكان ذلك يبدو على لسانه في حلقة درسه وبين تلاميذه، وكان يجهر بمخالفة المنصور في غاياته عندما يستفتيه، كما كان يمتنع عن قبول العطاء من المنصور، وكان ينقد القضاء نقداً مراراً إذا وجد فيه ما يخالف الحق في نظره، من غير أن يلتفت إلى ما يجره

ذلك النقد من ضياع روعة الأحكام.

وعندما دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة ليتولى القضاء امتنع، فطلب منه أن يرجع إليه القضاة فيما يشكل عليهم ليفتيهم فامتنع، فأُنزل به العذاب بالضرب والحبس، أو الحبس وحده على اختلاف الروايات، ويروى أن أبا جعفر حبس أبا حنيفة على أن يتولى القضاء ويصير قاضي القضاة، فأبى حتى ضُرب مئة وعشرة أسواط، وأُخرج من السجن على أن يلزم الباب، وطلب منه أن يفتي فيما يرفع إليه من الأحكام، وكان يرسل إليه المسائل، وكان لا يفتي، فأمر أن يعاد إلى السجن، فأُعيد وغلظ عليه وضُيق تضييقاً شديداً. وقد اتفق الرواة على أنه حُبس، وأنه لم يجلس للإفتاء والتدريس بعد ذلك، إذ إنه مات بعد هذه المحنة أو معها، ولكن اختلفت الرواية: أ مات محبوساً بعد الضرب الذي تكاد الروايات تتفق عليه أيضاً؟ أم مات محبوساً؟ أم أُطلق من حبسه قبل موته فمات في منزله بعد المحنة ومُنع من التدريس والاتصال بالناس؟ كل هذه الروايات رويت.

وفاته :

توفي أبو حنيفة في شهر رجب وقيل في شعبان وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ١٥٠هـ، وقيل سنة ١٥١هـ، وقيل سنة ١٥٣هـ، وقيل توفي في اليوم الذي وُلد فيه الإمام الشافعي، وكانت وفاته في بغداد، ودفن في مقبرة الأعظمية في موضع سُمي فيما بعد مقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور يُزار، وصارت له هناك محلة أُضيفت إلى اسمه "محلة أبي حنيفة" ثم نُسبت إلى صفته (الأعظم) فقيل لها الأعظمية، وصحَّ أن الإمام لما أحس بالموت سجد، فمات وهو ساجد.

وقد أوصى أبو حنيفة أن يُدفن في أرض طيبة لم يجز عليها غضب، وألا يدفن في أرض قد أتهم الأمير بأنه غضبها، حتى يُروى أن أبا جعفر عندما علم ذلك

قال: «من يعذرني من أبي حنيفة حياً وميتاً»، وشيعت بغداد كلها جنازة فقيه العراق، والإمام الأعظم، ولقد قُدِّرَ عدد من صلوا عليه بخمسين ألفاً، حتى لقد صلى أبو جعفر نفسه على قبره بعد دفنه.

مؤلفاته وأسباب قتلها :

لم يكن عصر الإمام أبي حنيفة عصر تأليف وتدوين بالمعنى المعروف فيما بعد، بمعنى أن يخلو العالم إلى نفسه فيكتب أو يملي الأشياء الكثيرة، فلم يكن أبو حنيفة قد فرغ نفسه للتأليف والإملاء، فقد كان يقوم الليل حتى يصبح، فإذا أصبح صلى الصبح ثم جلس يُعلِّم الناس حتى يضحى، ثم ذهب إلى بيته لحاجاته، ثم يخرج إلى السوق لينظر في شؤون تجارته ودينياه، ويعود مريضاً، أو يشيع ميتاً، أو يزور صديقاً، وينام بين الظهر والعصر، ثم يجلس بعد العصر لتعليم الناس والإجابة على أسئلتهم إلى الليل، وهكذا.

والتدريس شغله عن التأليف، وهو فوق ذلك مرجع طلاب العلم وشُدادته، يقصدونه من الكوفة والبصرة وداني البلاد وقاصيها، لذا لم تكن لأبي حنيفة تأليف كثيرة تتناسب مع مكانته العلمية العظيمة.

مصنفاته في علم الكلام :

لقد ثبت عن الإمام أبي حنيفة أنه ألف في علم الكلام كتابي "الفقه الأكبر" و"الفقه الأوسط"، وكتاب "العالم والمتعلم"، وكتاب "الرسالة" إلى مقاتل بن سليمان صاحب التفسير، وكتاب "الرسالة" إلى عثمان البتي فقيه البصرة، وكتاب "الوصية" وهي وصايا عدة لأصحابه. ولقد ترك الإمام أبو حنيفة عدة رسائل صغيرة في علم الكلام نسبت إليه، وقام بشرحها بعض أئمة المذهب الحنفي. ولقد ذكر ابن نديم في ترجمته لأبي حنيفة والكتب التي صنفها أن له: كتاب الفقه الأكبر، وكتاب رسالته إلى البتي، وكتاب العالم والمتعلم، وكتاب الرد على القدرية.

فضله وثناء الناس عليه :

قال وكيع بن الجراح وهو شيخ الإمام الشافعي: «كان أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان يؤثر رضا الله تعالى على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتملها».

وقال الإمام الشافعي: سئل مالك بن أنس: «هل رأيت أبا حنيفة وناظرته؟»، فقال: «نعم، رأيت رجلاً لو نظر إلى هذه السارية وهي من حجارة، فقال إنها من ذهب لقام بحجته».

وقال الإمام الشافعي: «من أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك، ومن أراد الجدل فعليه بأبي حنيفة، ومن أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان». وقال: «من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، كان أبو حنيفة ممن وُفق له الفقه».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إن أبا حنيفة من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد، ولقد ضُرب بالسياط لِيَلِيَّ للمنصور فلم يفعل، فرحمة الله عليه ورضوانه». كما كان الإمام أحمد كثيراً ما يذكره ويترحم عليه، ويكي في زمن محنته، ويتسلى بضرب أبي حنيفة على القضاء.

وقال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «لم يصح عندنا أن أبا حنيفة رحمه الله قال: القرآن مخلوق»، فقلت: «الحمد لله يا أبا عبد الله، هو من العلم بمنزلة»، فقال: «سبحان الله! هو من العلم والورع والزهد وإيثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحد، ولقد ضُرب بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل».

وقال عبد الله بن المبارك: «رأيت أعبد الناس، ورأيت أروع الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس، فأما أعبد الناس فعبد العزيز بن أبي رواد، وأما أروع الناس فالفضيل بن عياض، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري، وأما أفقه الناس

فأبو حنيفة»، ثم قال: «ما رأيت في الفقه مثله».

كما أثنى الشيخ أبو زكريا السلماسي على أبي حنيفة فقال:

أما أبو حنيفة فله في الدين المراتب الشريفة، والمناصب المنيفة، سراج في الظلمة وهُجَّاج، وبجر بالحكم عَجَّاج، سيد الفقهاء في عصره، ورأس العلماء في مصره، له البيان في علم الشرع والدين، والحظ الوافر من الورع المتين، والإشارات الدقيقة في حقيقة اليقين، مهَّد ببيانه قواعد الإسلام، وأحكم بتبيانه شرائع الحلال والحرام، وصار قدوة الأئمة الأعلام، سبق الكافة منهم إلى تقرير القياس والكلام، وغدا إماماً تُعقد عليه الخناصر، ويشير إليه الأكابر والأصاغر، انتشر مذهبه في الآفاق، وعُدَّ من الأفراد بالاتفاق، فضله وافر، ودينه ثابت، وعلمه في مراده للمجد ثابت، اسمه النعمان وأبوه ثابت أبو حنيفة النعمان

وقال الإمام أبو يوسف: «كانوا يقولون: أبو حنيفة زينة الله بالفقه والعلم، والسخاء والبذل، وأخلاق القرآن التي كانت فيه».

وقال الإمام سفيان الثوري: «ما مقلت عيناى مثل أبي حنيفة».

وقال يحيى بن سعيد القطان (إمام الجرح والتعديل): «إن أبا حنيفة -والله- لأعلم هذه الأمة بما جاء عن الله ورسوله».

وقال إسحاق بن أبي إسرائيل: ذكر قومٌ أبا حنيفة عند ابن عيينة فتنقَّصه بعضهم، فقال سفيان: «مه! كان أبو حنيفة أكثر الناس صلاة، وأعظمهم أمانة، وأحسنهم مروءة».

شيوخه :

شيوخ الإمام أبي حنيفة كثيرون لا يسع ذكرهم، ومن شيوخه: أنس بن مالك. وقد روى الإمام أبو حنيفة عن كثير من الشيوخ منهم: عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له وأفضلهم على ما قال، والشعبي، وطاووس، وجبلبة بن سحيم، وعدي بن ثابت، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعمرو بن دينار، وأبي سفيان

طلحة بن نافع، ونافع مولى ابن عمر، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، ومحارب بن دثار، وعلقمة بن مرثد، وعبد العزيز بن رفيع، وحماد بن أبي سليمان وبه تفقه، وسماك بن حرب، وعبد الملك بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن شهاب الزهري، ومُجَدِّ بن المنكدر، وعطاء بن السائب، وهشام بن عروة، وخلق سواهم.

تلاميذه :

حدَّث عن الإمام أبي حنيفة خلقٌ كثيرٌ منهم: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وأبو الهذيل زفر بن الهذيل العنبري، وإبراهيم بن طهمان عالم خراسان، وأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري، وأسد بن عمرو البجلي، وإسماعيل بن يحيى الصيرفي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وحفص بن عبد الرحمن القاضي، وابنه حماد بن أبي حنيفة، وحمزة الزيات وهو من أقرانه، وداود الطائي، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقرئ، ومُجَدِّ بن الحسن الشيباني، ويوسف بن خالد السمطي، وغيرهم كثير.

ذرية أبي حنيفة :

ابن أبي حنيفة اسمه "حماد"، سمّاه أبوه على اسم شيخه حماد بن أبي سليمان، وكان إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة قاضياً، وقد توفي عام ٢١٢ الهجري، واستمرت ذرية أبي حنيفة إلى منتصف القرن التاسع الهجري، وآخر من انتسب إلى أبي حنيفة هو الشيخ حميد الدين مُجَدِّ بن أحمد النعماني البغدادي، قاضي دمشق، المتوفى يوم ٦ ربيع الأول من عام ٨٦٧ الهجري، تُوفي في المدرسة العينية، ودُفن عند سفح جبل قاسيون.

انتشار المذهب الحنفي عبر التاريخ :

يُسمى المذهبُ الحنفي مذهبَ أهل الرأي، وهو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه هو الإمام أبو حنيفة النعمان، وقد نشأ المذهب الحنفي بالكوفة موطن الإمام

أبي حنيفة، ثم تدارسه العلماء بعد وفاة شيخه ببغداد، ثم شاع من بعد ذلك وانتشر في أكثر البقاع الإسلامية، فكان في مصر والشام وبلاد الروم والعراق وما وراء النهر، ثم اجتاز الحدود فكان في الهند والصين، حيث لا منافس له ولا مزاحم، ويكاد أن يكون هو المنفرد في تلك الأصقاع إلى الآن. ويقال لأصحاب المذهب الحنفي أهل الرأي، لأن الحديث كان قليلاً بالعراق، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه. ورؤي أن أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا مذهبه أربعون رجلاً منهم: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وأبو الهذيل زفر بن الهذيل العنبري، وأن أول من كتب كتبه أسد بن عمرو.

إيثار الحنفية بالقضاء في العصر العباسي :

لما تولى هارون الرشيد الخلافة، ولى القضاء أبا يوسف صاحب أبي حنيفة، وذلك بعد سنة ١٧٠هـ، وأصبحت تولية القضاء بيده، فلم يكن يولي ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر (إلى أقصى عمل إفريقية) إلا من أشار به، وكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه، فاضطرت العامة إلى أحكامهم وفتاواهم، وفتشا المذهب في هذه البلاد فشواً عظيماً، حتى قال ابن حزم: «مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان: الحنفي بالمشرق، والمالكي بالأندلس». ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد لإيثار الخلفاء العباسيين بالقضاء، حتى تبدلت الأحوال وزاحمته المذاهب الثلاثة الأخرى. وبلغ من تمسكهم به في القضاء أن القادر بالله استخلف مرة قاضياً شافعيّاً هو أبو العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن الأڪفاني الحنفي قاضي بغداد، فشاع أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية إلى الشافعية، فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد حزبين ثارت بينهما الفتن، فاضطر الخليفة إلى صرف البارزي، وإعادة الحنفية إلى القضاء، وذلك في سنة ٣٩٣هـ.

انتشار المذهب الحنفي في المغرب وصقلية :

كان الغالب على إفريقية السنن والآثار، إلى أن قدم عبد الله بن فروح أبو مُجَدِّد الفاسي بمذهب أبي حنيفة، ثم غلب عليها لما ولي قضاءها أسد بن الفرات بن سنان، ثم بقي غالباً عليها حتى حمل المعز بن باديس أهلها على المذهب المالكي، وهو الغالب إلى اليوم على أهلها إلا قليلاً منهم يقلدون المذهب الحنفي. ورُوي أن المذهب الحنفي ظهر ظهوراً كثيراً بإفريقية إلى قريب من سنة ٤٠٠هـ، فانقطع ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قريباً من الأندلس ومدينة فاس. كما رُوي أن أهل صقلية حنفيون.

انتشاره في مصر :

كان أهل مصر لا يعرفون المذهب الحنفي حتى وَلى الخليفة المهدي قضاءها لإسماعيل بن اليسع الكوفي سنة ١٤٦هـ، وهو أول قاضٍ حنفي بمصر، وأول من أدخل إليها المذهب الحنفي، وكان من خير القضاة، إلا أنه كان يذهب إلى إبطال الأحباس، فنقل أمره على أهل مصر وقالوا: «أحدث لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا»، فعزله المهدي.

ثم فشا المذهب الحنفي فيها بعد ذلك مدة تمكّن العباسيين، إلا أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية، بل كان يتولاه الحنفيون تارة، والمالكيون أو الشافعيون تارة أخرى، إلى أن استولى عليها الفاطميون، وأظهروا مذهب الشيعة الإسماعيلية، وولوا القضاة منهم،

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر، وكان من سلاطينها شافعية، قضوا على التشيع فيها، وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية. وكان نور الدين الشهيد حنفياً، فنشر مذهبه ببلاد الشام، ومنها كثرت الحنفية بمصر، وقدم إليها أيضاً عدة فقهاء منهم من بلاد المشرق، فبنى لهم صلاح الدين الأيوبي المدرسة اليوسفية بالقاهرة، وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى، وفقهاؤهم يكثرون بمصر، إلا

في آخر هذه الدولة. وأول من رتب دروساً أربعة للمذاهب الأربعة في مدرسة واحدة هو الصالح نجم الدين أيوب في مدرسته الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١هـ. ثم فشا هذا النوع من المدارس في الدولتين التركية والجركسية، وحدث في الأولى جعلُ القضاة أربعة، فعاد الحنفية إلى القضاء بعد انقطاعهم عنه مدة الفاطميين، والاختصار مدة الأيوبيين على نواب منهم ومن المالكية والحنابلة عن القاضي الشافعي.

ثم لما فتح العثمانيون مصر حصروا القضاء في الحنفية، وأصبح المذهب الحنفي مذهب أمراء الدولة وخاصتها، ورغب كثير من أهل العلم فيه لتولي القضاء، إلا أنه لم ينتشر بين أهل الريف (الوجه البحري) والصعيد انتشاره في المدن ولم يزل كذلك إلى اليوم.

انتشاره في البلاد الإسلامية الأخرى :

أما بدء دخول المذهب الحنفي في سائر البلاد الإسلامية فكان في القرن الرابع الهجري، وقد كان المذهب الحنفي هو الغالب على أهل صنعاء وصعدة باليمن، والغالب على فقهاء العراق وقضائه، وكان منتشرًا بالشام، تكاد لا تخلو فيه قسبة أو بلد من حنفي، وربما كان القضاء منهم، إلا أن أكثر العمل فيها كان على المذهب الفاطمي في زمنه، أي كما كان بمصر. وكان المذهب الحنفي في إقليم الشرق أي خراسان وسجستان وما وراء النهر وغيرها، إلا في بلاد منها كان أهلها شافعية، وكان أهل جرجان وبعض طبرستان من إقليم الديلم حنفية. وكان غالباً على أهل ديبيل من إقليم الرحاب الذي منه الران وأرمينية وأذربيجان وتبريز، وموجوداً في بعض مدنه بلا غلبة. وكان غالباً على أهل القرى من إقليم الجبال، وكثيراً في إقليم خوزستان المسمى قديماً الأهواز، وكان لهم به فقهاء وأئمة كبار. وكان بإقليم فارس كثير من الحنفية، إلا أن الغلبة كانت في أكثر السنين للظاهرية، وكان القضاء فيهم. وكانت قسبات السند لا تخلو من فقهاء حنفية،

كما أن أهل سجستان كانوا حنفية، وكان ملوك بنجالة بالهند جميعاً حنفية.

انتشاره في البلاد الإسلامية في العصر الحالي :

يغلب على بلاد المغرب العربي في المغرب والجزائر وتونس وطرابلس المذهب المالكي، ولا تكاد تجد فيها من مقلدي غيره إلا الحنفية بقلة، وهم من بقايا الأسر التركية وأكثرهم في تونس، ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفي فإن من السنن المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرسي جامع الزيتونة حنفية، والنصف مالكية،

ويغلب في مصر الشافعي والمالكي: الأول في الريف، والثاني في الصعيد، ويكثر الحنفي وهو مذهب الدولة سابقاً والمتبع في الفتوى والقضاء، والحنبلي قليل بل نادر.

ويغلب المذهب الحنفي في بلاد الشام، فيكاد يشمل نصف أهل السنة بها، بينما ربعهم شافعية، والربع الآخر حنابلة. ويغلب المذهب الشافعي على فلسطين، ويليه الحنبلي، فالحنفي، فالمالكي. ويغلب في السودان المذهب المالكي.

والغالب على الحجاز وتهمامة: المذهب الشافعي والحنبلي، وفيهما حنفية ومالكية في المدن، ويغلب في نجد المذهب الحنبلي، ويغلب في عسير المذهب الشافعي، وأهل السنة في اليمن وعدن وحضرموت شافعية أيضاً، وقد يوجد بنواحي عدن حنفية.

وأهل السنة من أهل فارس أغلبهم شافعية وقليل منهم حنفية. والغالب على بلاد الأفغان المذهب الحنفي، ويقل الشافعي والحنبلي. وكان الغالب على تركستان الشرقية (المسماة أيضاً بالصينية) المذهب الشافعي، ثم تغلب المذهب الحنفي بمسعى العلماء الواردين إليها من بخارى. والغالب على بلاد القوقاز وما والاها المذهب الحنفي، وفيهم الشافعية. والغالب في الهند المذهب الحنفي،

ومسلمو سريلانكا (سرنديب أو سيلان) وجزائر الفلبين والجاوة وما جاورها من الجزائر: شافعية، وكذلك مسلمو سيام، وبها قلة من الحنفية، وهم النازحون إليها من الهند. ومسلمو الهند الصينية شافعية، وكذلك مسلمو أستراليا. والغالب على مسلمي البرازيل المذهب الحنفي، وفي البلاد الأمريكية الأخرى تختلف مذاهب المسلمين.

جامع الإمام الأعظم أو جامع أبو حنيفة النعمان

هو أحد المساجد والمدارس التاريخية في مدينة بغداد، وتسمى المنطقة حول الجامع منطقة الأعظمية نسبة إليه وتقع في شمال بغداد على جهة الرصافة ويقابلها منطقة الكاظمية نسبة إلى مرقد موسى الكاظم الذي يقع فيها، ولقد بني المسجد عام ٣٧٥ هـ بجوار قبر الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم في عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م، بني مشهد وقبة على القبر وكذلك مدرسة كبيرة، وتعتبر مدرسة أبي حنيفة الفقهية من أقدم المدارس وتسمى حالياً كلية الإمام الأعظم، وهي واحدة من ثلاثة أقدم جامعات على مستوى العالم، حيث سبقتها جامعة القرويين في المغرب، إذ بني جامع القرويين في عام ٨٥٩ م، والجامع الأزهر في مصر الذي تأسس في عام ٩٧٢ م، ولقد بنيت أول الجامعات الأوروبية بعد ذلك في عام ١٠٨٨ م، وهي جامعة بولونيا في إيطاليا.

المسجد من أبرز معالم بغداد والذي يعود الى ما يقرب من الألف عام قديماً ، ويتميز المسجد الذي كان بدأه كمدرسة بقدمه وبقائه على أسسه التي أقيم عليها ، كما يتميز بفرادة نقوشه وجمالها .

وقد وصف الرحالة ابن جبير في رحلته إلى بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م، الجانب الشرقي من بغداد فقال : "وبأعلى الشرقية خارج البلدة محلة كبيرة بإزاء محلة الرصافة كان باب الطاق المشهور على الشط وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة وبه تعرف المحلة " وصف الرحالة ابن بطوطة مدينة بغداد بزيارته عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م، وذكر المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة، وهي جامع الخليفة وجامع السلطان وجامع الرصافة بالأعظمية وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل وبقرب الرصافة قبر الامام أبي حنيفة، ولولا وجود مشهد الامام أبي حنيفة ومدرسته في بغداد لكانت المنطقة أندثرت وزالت بعد سقوط بغداد ودخول هولوكو كما أندثرت

مناطق عديدة منها.

في أثناء وجود الصفويين في بغداد تمت ولمرات عدة هدم مشهد الإمام أبي حنيفة وتخطيط المدرسة بسبب الفتنة الطائفية.

قد لقي المشهد والمسجد بعض العناية من قبل الملك مُحمَّد بن منصور الخوارزمي بعد مجئ العثمانيين إلى بغداد عام ١٥٣٤م. وشهد ذلك العام إصلاحات من قبل السلطان سليمان القانوني، فعند عودة السلطان من زيارته لمدينتي كربلاء والنجف زار قبر الامام ابي حنيفة الذي كان مهتما فأمر بإعادة تشييد القبة وإعمار الجامع والمدرسة وأمر كذلك بتعمير دار ضيافة وحمام وخان وأربعين إلى خمسين دكانا حوله، ثم أمر بتعمير قلعة لحراسة الجامع والمدرسة والمنطقة ووضع جنودا بلغ عددهم نحو ١٥٠ جنديا، ومعهم معدات حربية ومدافع لحماية المكان.

كانت بعد ذلك إصلاحات أخرى على يد السلطان العثماني مراد الرابع عند دخوله بغداد عام ١٥٤٨ هـ / ١٦٣٨م، حيث جاء معه إلى الأعظمية بعض من قبيلة العبيد وسكنوا حول ضريح مرقد الإمام أبو حنيفة لحمايته. في عهد المماليك وتحديدًا الوالي سليمان باشا أبو ليلة جدد المرقد وأنشئت المنارة والقبة عام ١٧٥٧م، وفي عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤م، جدد بناء الجامع بأمر السلطانة والدة السلطان عبد العزيز.

بقيت مدرسة الإمام الأعظم المدرسة الوحيدة في الأعظمية إلى جانب بعض الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة والقرآن حتى سنة ١٩١١م، حيث أعيد إعمار الجامع وتنظيم المدرسة التي سميت كلية الإمام الأعظم، وتم بنائها في عهد الدولة العثمانية، وفي عام ١٩٢٣م، صدر الأمر بإعادة (الكلية الأعظمية) وجعلها تابعة لديوان وزارة الأوقاف وصارت أكبر مدرسة دينية في العراق.

حين بُني جسر الأئمة بناءً جديداً عام ١٩٥٧م، أُضطرَّوا إلى هدم الجزء الشرقي

من سياح الجامع ليستقيم الشارع المتجه إلى الجسر .
بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ شيد برج أسطواني بارتفاع ٢٥م وكسي بالفيسفساء
الأزرق والأبيض ليكون جاهزا لاستقبال ساعة الأعظمية التي نصبت عام
١٩٦١م، وما زالت تعمل بانتظام، وفي عام ١٩٧٣ قامت وزارة الأوقاف
بكساء البرج بصفائح من الألمنيوم المضلع باللون الذهبي .
كانت البساتين ثم البيوت تحيط بالجامع حتى نهاية الستينات حين هُدمت
البيوت وصارت تحيط بالجامع حديقة الجسر وساحات .
وبعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م حدثت معركة عسكرية في الأعظمية
يوم ١٠ نيسان ٢٠٠٣م، ودمر على أثرها جزء من منارة الجامع والساعة
والضريح وأجزاء أخرى داخل الجامع، ولقد تحطمت المباني حول الجامع ومنها
مبنى جمعية منتدى الإمام أبي حنيفة .
وتعطلت صلاة الجمعة بعدها لمرة واحدة، ثم قام جمع خير من أهالي الأعظمية
بتنظيف المكان وإزالة الزجاج المتشقق وآثار المعركة وحماية الجامع والمرقد وكلية
الإمام الأعظم من محاولات ذوي النفوس الضعيفة للسرقة أو التخريب، وأقيمت
الصلاة في يوم الجمعة التالية وقام ديوان الوقف السني وبالتعاون مع عدد من
الشركات الساندة، ومساعدة بعض شباب المنطقة، منذ عام ٢٠٠٣م بترميم
الجامع والمرقد وإعادة نصب ساعة الأعظمية إلى برجها .

المسجد اليوم :

يتكون المسجد اليوم من قسمين :
قسم المصلى وهو سلجوقي البناء ، وهو من عهد السلاجقة في نهاية عمر
الدولة العباسية ، وبه تقام صلاة الجمعة ، وصلاة الجماعة في باقي الأيام .
ويتميز المسجد اضافة لقدمه الى جمال بنائه وفراة نقوشه .
والقسم الثاني المدرسة التي ما زالت قائمة تمارس دورها في نشر العلم بالفقه

الإسلامي وبقية العلوم الشرعية ... وذلك بشقيها : الدراسات الحلقية والتي تزوّد طلابها بالإجازات العلمية بفقهاء المذهب الحنفي والشافعي .
والشق الثاني الدراسات الأكاديمية في كلية الإمام الأعظم ذات الثمانية أقسام والتي لها فروع في ستة محافظات ، والتي يأتمها ما يقرب من خمسة الاف طالب علم أو أكثر .

وفي المسجد مقر المجمع الفقهي لأهل السنّة والجماعة في العراق .
ويتشرف المسجد باحتفائه بشعرات النبي مُحَمَّد ﷺ والتي تُعرض للزائرين مرتين كل عام في ليلة المولد النبوي المبارك وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان .
اضافة لوجود ثلاث قطع من ستائر الكعبة المكرمة في خزانات المسجد .

وثائق محفوظة :

في مكتبة الجامع وثائق قيمة مهداة وموقوفة من قبل بعض المتبرعين تشمل:
مصحف كبير ومذهب ومزخرف هدية من حافظ مُحَمَّد أمين الرشدي سنة ١٢٣٦ هـ للسلطان محمود. وقد طبعته وزارة الأوقاف ثلاث مرات في الأعوام ١٣٧٩ هـ، ١٣٨٦ هـ، و ١٣٩١ هـ. والطبعات الثلاث بإشراف الخطاط هاشم مُحَمَّد البغدادي.

المصحف المشهور ب(قرآن أنور باشا) بخط إسطنبولي محلى بالذهب، غلافه من الذهب مرصع بالألماس، أهدي خلال الحرب العالمية الأولى.
مصحف كبير الحجم مزخرف ومذهب جميعه، كل صفحة سطران كبيران بخط كبير، كتب بماء الذهب، وبعضها بحروف اصغر. يقال لهذا النوع ياقوتي. أوقفه مصطفى أغا القابولي سنة ١٠٧٣ هـ.

مصحف زخرفته قليلة (بخط ياقوت) وليس عليه تاريخ.
مصحف كتب بماء الذهب للسطر الكبير، وبقية الأسطر بالحرير الأسود، وفي أطرافه دوائر مزخرفة بالذهب والألوان. أهدها مصطفى أغا سنة ١٠٧٣ هـ وكان

موضوعاً على صف مزخرف بالصدف.

مصحف كتبتُه امرأة.

مصحف ضخّم جداً مذهب ومزخرف على أطرافه تعليقات كوفية مزخرفة بالذهب، كتب سنة ١٠٤٨ هـ. أهدها مصطفى باشا.

مصحف مذهب ياقوتي سطر كبير والبقية أسطر صغيرة، كتبه سنة ١١٠٠ هـ مُحمّد الكاتب. وهو النسخة الخامسة والعشرون مما تمّقه.

مصحف كبير الحجم، تذهيبه قليل وزخرفته قليلة أيضاً، كتبه عمر بن الشيخ حسين سنة ١٠٩٥ هـ.

مصحف كبير جداً كتب سنة ١١٦٠ هـ أوقفه محمود خان مصطفى.

مصحف كبير وضع داخل صندوق كبير من الفضة المزخرفة والمطعم بالأحجار النفيسة، وهو هدية ملك الأفغان مُحمّد ظاهر شاه سنة ١٩٥٠ م.

وهناك مصاحف كثيرة جداً بعضها مزخرف ومذهب في بدايته ونهايته والبعض الآخر بلا زخرفة أو تذهيب.

وتبقى أهمية المسجد بمعناه وليست بمبناه ، فمدرسة ابي حنيفة النعمان خرّجت وأخرجت فحول العلماء ، فيكفي ان الإمام احمد بن حنبل كان تلميذ أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة ، وان الإمام الشافعي كان تلميذ الشيخ مُحمّد بن الحسن تلميذ الإمام ابي حنيفة ، والكثير غيرهم من علماء بغداد ومفتوها تخرجوا من هذه المدرسة المباركة .

مسجد وضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني

الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٠٧٨ م - ١١٦٦ م)

ولد رضي الله تعالى عنه سنة سبعين وأربع مائة للهجرة بالجيل وهي قرية بشاطئ الدجلة قرب المدائن في بغداد^١

وعبدالقادر الجيلاني، هو أبو مُحَمَّد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني.

ويعرف الجيلاني أيضا بـ”سلطان الأولياء”، وهو إمام صوفي وفقه حنبلي شافعي، لقبه أتباعه ومحبه بـ” باز الله الأشهب ” و” تاج العارفين ” و” محيي الدين ” و” قطب بغداد ”. وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية وهي القاب عُرف بها العبد العامل العالم الزاهد عبد القادر الكيلاني رحمته الله.

وقد اختلف بمكان ولادته ، فمن قائل بولادته في منطقة كيلان شمال ايران ، في حين يذهب آخرون لولادته في قرية جيلان وهي قرية من قرى المدائن في العراق ، وهذا الرأي تعتمده الأسرة القادرية في حسم الخلاف ، واليه يذهب مؤرخوا العراق .

وقد قدّمنا التعريف بالشيخ رحمته الله عند الحديث عن شيوخ التصوف ، وعن مدارس التصوف .

^١ بهجة الأسرار ص. ١١٤، انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١٠٨/١

مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني او الحضرة القادرية

الحضرة القادرية هي التسمية التي تطلق على ضريح الشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد والمسجد الذي أقيم جنبه .

والمسجد واحد من أهم مساجد بغداد وأقدمها ، اذ يرجع تاريخ بناءه الى ما يقرب من ألف عام ، حيث بني في الأصل كمدرسة سنة (٥٤١ م) كان القاضي ابو سعيد المخزومي استاذ الشيخ الكيلاني يلقي فيها دروسه .

والمدرسة التي غدت منارة علمية ودينية كان يلقي فيها الشيخ عبد القادر رضي الله عنه دروسه على تلاميذه من طلبة العلم بعد وفاة القاضي ابي سعيد المخزومي ، حيث شهدت المدرسة توبة الكثير من المذنبين من المسلمين ، وإسلام الكثيرين من غير المسلمين على يد الشيخ والذي كان الكثير من غير المسلمين يحضرون مجالسه العلمية بعد ان توسعت دائرة المتابعين لدروس الشيخ ومن بعيد ، وانت تتقدم بمنطقة باب الشيخ تلوح لك أقدم مئذنة في بغداد عند الباحة القادرية العطرة .

وعند جانب الرصافة من بغداد يتربع المسجد الجامع في منطقة باب الشيخ والتي عُرفت باسم الشيخ عليه السلام وقد كانت تسمى قبل ذلك محلة باب الأرج .
وحيث تعبر أزقة وشوارع هذه المحلة البغدادية القديمة تلوح مئذنة وقبة المسجد الكيلاني من كل اتجاه .

تعد الحضرة صرحاً معمارياً مهماً من بغداد و قد سميت الساحة القريبة منه باسمه ساحة الجيلاني . وتعتبر الحضرة القادرية أحد المراكز الرئيسية للتصوف في بغداد و العراق . يقصدها الزوار من أرجاء العراق و الهند و باكستان و غيرها من الدول .

تضم الحضرة القادرية مسجداً و ضريحاً و مكتبة تسمى المكتبة القادرية ، وأماكن لإيواء كبار العلماء ، والتي يلقون فيها دروسهم على طلاب العلم الذين

ينتظمون في حلقات .

تقع غرفة الضريح في الجهة القبليّة من البناء وهي مربعة الشكل ذات جدران سميكة فتح في ثلاثة منها أبواب الشمالي منها يؤدي الى المسجد والشرقي يؤدي الى الرواق المحيط بالمسجد أما الباب الغربي فيؤدي الى غرفة مربعة مجاورة . وتعلو غرفة المرقد قبة جميلة نصف كروية تغطيها الواح الخزف المتعددة الألوان والزخرفة التي تتمثل بالعناصر النباتية والهندسية والكتابات .

يحيط بالقبر الشريف صندوق خشبي ، ويحيط به صندوق من الفضة المزينة باللآزورد ، وضعت فيه نسخة من القرآن الكريم وهي احدى نسختين اهديتا في العهد العثماني والأخرى الى مرقد ابي حنيفة النعمان .

اجتمعت في المقام الشريف انماط من الفن عكست تنوع أضاف لمسات فنية وجمالية في كل ركن من أركان المقام ، فالأبواب كانت للنجارين والنحاتين والنقاشين الهنود والباكستانيين ، أما الأرضيات والجدران فكانت للفنانين الأتراك لمساتهم الفنية والجمالية امتزجت فيها الألوان بالزخارف فعمدت حبهم للشيخ الكيلاني ، والمقام جرت توسعته مراراً كان آخرها في العهد العثماني حيث تم توسعت الحجره التي تضم قبر الشيخ ، كما تم توسعة المسجد وبنيت عليه قبة كبيرة من الجص والطابوق وبلا أعمدة .

وعند الانتقال من غرفة المقام الى المسجد المجاور الأول تمر عبر رواق يستند على أعمدة اسطوانية مغطاة بالمرمر وهي ترفع قباب صغيرة مكسوة بالمرايا المرصوفة بشكل هندسي يعكس فن الهندسة البغدادية ، ويستخدم هذا الرواق للصلاة لضيوف المقام والزوار ، وعبر باب خشبي يتم الانتقال من الرواق الى المسجد الأول الذي تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والأعياد ، تعلو المسجد قبة دائرية كبيرة وهي أقدم قباب الحضرة الكيلانية ، لبس المسجد حلّة جديدة بعد عمارته من قبل وزارة السياحة والآثار التركية التي أعادت تأهيله وتزويده

بثريا دائرية كبيرة اضافة الى نقش جدرانها وسقفها والقبة .
وقد مرَّ المرقد والمسجد قبل ذلك بأكثر من عملية إعمار وترميم وتوسعة على
يد المحبين
والخيرين واحفاد الإمام والدولة العراقية حيث تم شراء البيوت والمحلات المحيطة
بالمسجد ثم الحاقها بمساحة المسجد .

الباحة الثانية للمقام هي مسجد صيفي ذو مساحة كبيرة تتسع للمصلين
والزائرين التي تستقبلهم الحضرة من كل انحاء المعمورة ، وقد زودت بمظلات
كبيرة كتلك الموجودة في المسجد النبوي يلوذ بها الزوار من حرارة شمس الصيف
وأشعتها ، وكثيراً ما شهدت هذه الباحة جلسات السادة الصوفية وهم يؤدون
اذكارهم والعبادة من خلال طقوسهم في الطريقة الصوفية القادرية .

وفي الباحة منارات ثلاث منها منارة الساعة التي تُسمع دقاتها في كل محلة باب
الشيخ ، والمنارة تحمل ساعة بأربعة أوجه ، أما المنارتان الأخريان فأولاهما تقع
عند الباب الرئيس للحضرة القادرية من الجهة اليمنى ، والأخرى عند المدخل
الأسير للحضرة ، اما المسجد الخارجي فتزينه مغتسلات وتحف ونفائس ، وهو
أيضاً مقام لمقابر احفاد الشيخ الكيلاني والذين عرفوا بزهدهم وورعهم فكانوا
امتداداً لجدهم تاج العارفين .

والمكتبة القادرية هي من أعرق وأقدم مكتبات العراق ، توسعت وزُوِّدت
بالكتب اكثر من مرة ، وقد أنشئت المكتبة في القرن السادس أي في العصر
العباسي ، وتحوي المكتبة اكثر من سبعة آلاف كتاب ومخطوطة ، وتضم قسماً
للمطالعة .

والمكتبة بنيت على شكل قباب صغيرة وهي من طابقين كل ركن يضم مكتبة
صغيرة تحوي كتباً كثيرة في العلوم الدينية والدينيوية ، وقد تبرع علماء بغداد
وأعيانها وأشرفها بالآلاف الكتب والمخطوطات وبمختلف اللغات فقد احتوت

المكتبة منذ انشائها على خزانة كتب حافلة بالنفائس والنوادر من الكتب والمخطوطات ، وأقدم المجلدات مجلد عمره تسعمائة وخمسون عاماً في علم اللسانيات واللغويات العربية ، وتضم المكتبة ثماني خزانات لحفظ النفائس من الكتب والمخطوطات النادرة أُهديت الى المكتبة من مختلف أصقاع العالم ، والمكتبة ترفد الباحثين وطلبة العلم بالعلوم والمعارف .
وعلى بعد امتار من مرقد الشيخ عبد القادر يرقد المئات من أبناء الشيخ وأحفاده وكثير من الساسة والعلماء والمفتون في مقبرة الجامع .

مسجد وضريح الشيخ معروف

لله جَذَبَات ... والله نفحات ... والله يصيب برحمته من يشاء ، والكل في كرم الكريم ورحمته ، فمنهم من يشكر ، ومنهم من يجحد ... والكل غارقون في رحمته وكرمه وعطاءه.

طفل نشأ على المسيحية ... أبوين مسيحيين ... ومعلم يعلمهم ان الله شركاء .. وطفل جعل الله بقلبه نور الإخلاص وهداه الى التوحيد ، فاستجاب لا شعورياً الى إيمان ملأ قلبه فراح يردد ان لا اله إلا رب واحد ... وكأن الكون كان يردد معه ان لا اله الا الله .. ومن يُرد الله به خيراً يشرح قلبه للإيمان ... والوصول الى الله لا يحتاج الى واسطة .. فيكفي ان نرجع الى قلبنا حيث الله تعالى مستقر .. او نعود للفترة حيث حب الله يتجلى في كل ما حولنا فتصبح كل الأشياء دالة عليه سبحانه وتقود اليه .

الشيخ معروف الكرخي هو معروف بن فيروز الكرخي ويكنى أبو محفوظ. وهو أحد سادات الصوفية في بغداد، ومن جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع والتقوى، وصحب داوود الطائي، وسكن بغداد ومات فيها ودفن سنة مائتين هجرية، الموافق عام ٨١٥م، في مقبرة الشونيزية أو مقبرة باب الدير العتيقة على جانب الكرخ من بغداد، وسميت فيما بعد بأسمه مقبرة الشيخ معروف.

وكان أبواه نصرانيين، فأسلما إلى مؤدبهم، وهو صبي. وكان المؤدب يقول له قل: ثالث ثلاثة"، فيقول معروف: "بل هو الواحد الصمد"، فضربه على ذلك ضرباً مفرطاً، فهرب منه ، فكان أبواه يقولان : "ليته يرجع ألينا، على أي دين كان، فنوافقه إليه!"، فرجع إليهما، فدق الباب، فقيل: "من"، قال: "معروف"، فقالا: "على أي دين"، قال: "دين الإسلام"؛ فأسلم أبواه... وكانت أول كراماته .

وقد تقدمت ترجمة الشيخ رحمته مع شيوخ التصوف

مسجد الشيخ معروف الكرخي

يعد جامع الشيخ معروف الكرخي الذي يقع في وسط مقبرة من معالم بغداد الأثرية القديمة والمقبرة كانت تعرف قديماً باسم مقبرة الشونيزية، أو مقبرة باب الدير العتيقة وهي من المعالم الأثرية والتاريخية لبغداد. وتقع في أرض واسعة تحيط بالمسجد ، تضم رفات وقبور من كان معروفاً بالوجاهة والصلاح على مر الأزمان... فمنهم شيوخ التصوف كالشيخ داو الطائي ، والمفتين والمفسرين كالشيخ المفتي ابو الثناء الألوسي والشيخ مشيوح ، ومن الوزراء والساسة رحمهم الله .

والمسجد الذي تم تجديده في عام ١٩٩٧ م تحفة معمارية تمتاز بالاضافة الى قيمتها التاريخية والدينية تمتاز بقيمتها الفنية والجمالية ، فهو مصمم على شكل عين بشرية فيها دمعة بكاء عندما ينظر اليه من الأعلى .

يتكون المسجد من اربعة طوابق كل طابق كل طابق يحتوي على مزار هو امتداد علوي لقبر الكرخي عليه السلام المدفون في سردابه الذي كان يحتل به لعبادة ربه جنب بئر ما زال يمدُّ الشاربين والمتوضئين بالماء ..

مراحل عديدة شهدها المسجد للتوسعة والتعمير حاول المعمارى فيها المحافظة على المعالم الأثرية فيه ، ومنها مئذنة المسجد التي دوّن عليها تاريخ إنشاؤها سنة ٦١٢ هـ ، والتي بناها القائم بأمر الله .

وعلى يمين الداخل يقع مصلى الجامع، الذي بني من الحجر والآجر، وجدد بناؤه عدة مرات في عهد الوالي أحمد باشا (١٠٥٩ هـ)، والوالي عبد الرحمن باشا (١٠٨٦ هـ)، وآخر تعمير للجامع والمرقد كان في عام ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١ م، من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وهو التعمير الذي ضاعف مساحته وأضيف إليه مرافق عديدة ومأذنة مرتفعة جديدة .

ويشهد المسجد إقامة دورات على مدار السنة لتحفيظ القرآن وتدرّس الفقه
والسنن النبوية الشريفة ، إضافة الى حلقات التوحيد التي يقيمها السادة الصوفية
كل اسبوع بعد صلاة الجمعة .

مسجد وضريح الشيخ جنيد البغدادي

في غرفة تقع في الجهة القبليّة للمسجد ، ضريحان كريمان للشيخ جنيد البغدادي ، واستاذة وخاله السري السقطي رضي الله عنهما .
 ويفصل بين غرفة الضريحين والمسجد باب يؤدي الى المصلى الذي تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ، كما ويشهد جلسات صوفية يمارس فيها السادة الصوفية عبادتهم واذكارهم وحلقات الذكر .

الجنيد البغدادي (٢١٥ - ٢٩٨ هـ) :

عالم مسلم وسيد من سادات الصوفية وعلم من اعلامهم . يعد من علماء أهل السنة والجماعة ومن اعلام التصوف في ذات الوقت ، إذ جمع بين قلب الصوفي وعقل الفقيه، واشتهر بلقب "سيد الطائفة". وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة، محمياً الأساس من شبه الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع. قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: "هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة". وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد.

السري السقطي :

أبو الحسن سري الدين بن المجلس السقطي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن اعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري وأول من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال، يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي إنه «إمام البغداديين وشيخهم في وقته» وكان تلميذ معروف الكرخي وخال الجنيد وأستاذة، ولد في حدود الستين ومئة.

قال الجنيد: ما رأيت أعبد من خالي ، أتى عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت .

توفي في بغداد ودفن بجانب الكرخ بمقبرة الشوينزي ودفن بجواره الجنيد البغدادي
الذي اشتهرت المقبرة باسمه .

جامع ومرقد الشيخ جنيد

يعتبر من مساجد العراق التراثية والأثرية في مقبرة الشيخ معروف في بغداد ، وأسمه جنيد بن محمد الزجاج المعروف بالبغدادي ، وأول من عمر مرقده الخليفة العباسي المأمون ثم تم تعميده وتوسعته في عهد المملكة العراقية من قبل الملك غازي، وفي عام ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م أعاد بناؤه الشيخ محمود مهاوش الكبيسي، وآخر

مقبرة الشونيزية بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة، وهي من أشهر مقابر بغداد تقع في الجانب الغربي من جهة الكرخ، وتقسم إلى صغرى هي مقابر قريش التي فيها مرقد الإمام الكاظم عليه السلام، وكبرى التي فيها مرقد الإمام الجنيد قدس سره.

مقبرة الجنيد كانت تحتوي على مسجد وخانقاه للصوفية كما ذكر المؤرخون ودفن فيها أعلام كثر كالحواص وأبي نواس والسري السقطي وبهلول الكوفي وسمنون المعروف بسمنون الحب وغيرهم كثير جدا لا يمكن حصرهم لقدمها ولكثرتهم، كما درس عدد من قبورها وفيها أيضا قبر العلامة السيد عبد الحميد الألوسي... وبعد إنشاء الطرق قطع كثير من أجزاء المقبرة وهي اليوم تقع في منطقة الشالجية قرب شارع مطار المثنى ويتوافد عليها الزائرون من شتى الدول، كما أن المسجد تقام فيه صلاة الجمعة والأذكار والدروس العلمية وجرت حملات إعمار للمسجد والمرقد.

مرقد وضريح بهلول الكوفي

بهلول هو أبو وهب بهلول بن عمرو الصيرفي الهاشمي العباسي الكوفي (ت ١٩٠ هـ / ٨٠٧م)، ولد بالكوفة في العراق.

كان شاعراً حكيماً، وكاملاً في فنون الحكم والمعارف والآداب في زمن هارون الرشيد. تظاهر بالجنون لكي يتخلص من متابعة الخلفاء العباسيين له. فتصرّف تصرّف المجانين، وأظهر الهذيان ، وبذلك تمكّن من تمرير آرائه السياسية دون أن يصيبه الأذى، فاشتهر بالجنون خلافاً لما كان عليه.

ذكر النيسابوري: خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ بصُرْ بهلولاً المجنون وخلفه الصبيان وهو يعدو، فقال: من هذا؟! قالوا: بهلول المجنون، قال: كنت أشتهي أن أراه، فأدعوه من غير ترويع، فقالوا: له أجب أمير المؤمنين، فلم يستجب! فقال الرشيد: السلام عليك يا بهلول، فقال: وعليك السلام يا أمير المؤمنين.

قال: كنت إليك بالأشواق، قال: لكني لم أشتق إليك! قال: عظني يا بهلول، قال: وبم أعظك؟! هذه قصورهم وهذه قبورهم!!

قال: زدني فقد أحسنت، قال: يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً ففعل في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار. فظن الرشيد أنه يريد شيئاً، فقال: قد أمرنا لك أن تقضي دينك، فقال: لا يا أمير المؤمنين لا يُقضى الدين بدين؛ أردد الحقّ على أهله، واقض دين نفسك من نفسك!

قال: فإننا قد أمرنا أن يجري عليك، فقال: يا أمير المؤمنين أترى الله يعطيك وينساني؟! ثم ولى هارباً^١

وكان شاعراً ، وأكثر شعره في الوعظ ، ومن شعره :

إن كنت تهاهم حقاً بلا كذب فالزم جنونك في جد وفي لعب

^١ عقلاء المجانين ص ٦٧

فتبتلى بطويل الكد والنصب
فما يضر بأن سبوك بالكذب

ولا تنام عن اللذات عيناه
تقول لله ماذا حين تلقاه

ودان لك العباد فكان ماذا
عليك ترابه هذا و هذا

إياك من أن يقولوا عاقل فطن
مولاك يعلم ما تطويه من خلق
ومن شعره يعظ هارون الرشيد :
يا من تمتع بالدنيا وزينتها
شغلت نفسك فيما ليس تدركه
وقال للرشيد يوماً:

هب أنك قد ملكت الأرض يوماً
ألست تصير في قبر و يحنو

مرقد بهلول الكوفي

من المرقد الأثرية القديمة في العراق، ويقع في مقبرة الكرخ القديمة، في بغداد خلف جامع ومرقد الشيخ معروف الكرخي، ويحوي على قبر الزاهد بهلول بن عمر قصير الصيرفي، المتوفي سنة ١٩٠ هجرية، وينتهي نسبه إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، ولقد رافق بهلول الخليفة العباسي هارون الرشيد في أيام خلافته، وتم ترميم مبنى المرقد من قبل كاظم باشا عام ١٨٩٣م، وبناه بنيانا حسنا.

ويقع بالقرب منه مرقد النبي يوشع بن نون، وبقره ايضا جامع الشيخ جنيد البغدادي، ويبعد عن مركز المدينة حوالي ٢ كم.

مزار وضريح الحلاج ... شهيد الحب الإلهي

وعند الحديث عن الحب .. تتوقف كل القوانين ، ويُغنى المنطق ... فللحب قوانينه التي لا يعرفها إلا من ذاق وجرب ..
أما العقل ، وقوانينه وأحكامه ، فلها دنيا غير دنيا الحب الإلهي .. فللمحبين دنياهم وعالمهم ، وأشجانهم ، ونقاط ابتداء وانتهاء .

تتجافى جنوبيهم عن المضاجع .. يغادرون أهلهم والعوائل ، ويمضون .. يجوبون صحارى ويسكنون كهوف ، يطاردون أشواقهم ويسكنون الى لهفتهم بأمل لقاء او وصال ، أو قُرب ، أو صفاء ، فحبهم شرطه الصفاء والتصفية ... فقراء إلا من حبهم لله وشوقهم اليه ، فقلوبهم مملوءة بالوجد واللوعة ...
فمن للذي لم يذق كل ذلك ان يعذر دمعهم ولوعتهم وسهدهم والسهر ... انه عالم لا يعرفه إلا من دخله ، فلا كلمات تصف ولا عبارات تشرح ولا كلام يُعرّف ، فكل ما يصرحون به : انه الحب الإلهي .. وليس بعد ذلك شرح .

الحلاج : ٨٥٨ م - ٩٢٢ م

ابو المغيث الحسين بن منصور الحلاج، شاعر ومتصوف ، وُلد الحلاج في منتصف القرن الثالث الهجري ونشأ بالعراق، وقُتل في سنة ثلاثمائة وتسعة هجرية. وفي سنٍ مبكرة جداً، و هو بعد غلامٌ في السادسة عشرة من عمره، اتصل بالصوفية، ولبس خرقتهم، وتلمذ على يد أعلامهم كالجنيد، وسهل التستري وغيرهم. ثم أصبح له هو نفسه مع مرور الأيام مريدون كثيرون، كان يعبر عنهم في قصائد بقوله : “أصحابي وخالاني” .

ثم لم يلبث ان صارت له خصوصيته في التوجه الى الله بعد ان غلب عليه حال المحبين .

وانتهى أمره بأن أعدم ثم أُحرق بعد ان رُمي بالزندقة .

وقد تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى .

ضريح الحلاج :

في منطقة الكرخ من بغداد ، وفي أحيائها الشعبية قريباً من مسجد الشيخ معروف الكرخي ، وبجانب مستشفى الكرامة ، وبين البيوت البغدادية القديمة يقع ضريح الشيخ الحلاج في بيت يأمُّه المتصوفون والمحبون ، ليلتقوا بالشهيد الذي غلب عليه حبه ، حتى شاع بين الناس ، ويقال بأنه لم يُحسن التستر وكنتم أشواقه ، وربما لم يرد ان يكتمها ، فأذاعها للذين لم يفهموها فقتلوه .

وفي إحدى غرف البيت الذي فُرِّغ للحلاج يستقر ضريح الشيخ ببساطة ، وقد غُلقت على الجدران بعض أشعاره .

مسجد وضريح الشيخ عبد الكريم الجيلي

عبد الكريم الجيلي (٧٦٧-٨٣٢ هجرية)

هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الربيعي نسبا القادري طريقة .

عبد الكريم بن إبراهيم، قطب الدين. لُقّب بـ "الجيلي أو الجيلاني"، نسبة إلى جيلان (العراق) بلدة أسرته . وُلد فيها "قرب المدائن وهي موطن جده من أمه الشيخ عبد القادر الجيلاني ولقب الجيلي لشهرة أهل أمه وورد في المصادر أنه سبط الجيلاني : أي من أولاد بناته" سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م. وهو الذي أكّد هذا التاريخ بقوله شعراً، في قصيدته الشهيرة "النادرات العينية".

ففي أوّل الشهر المحرم حرمَةً لسّتين مع سبعٍ على سبعمائةٍ ظهوري، وبالسعد العطار طالعٌ مع الهجرة العزّاء، سقتني المراضع. وتوفي الشيخ عبد الكريم الجيلي في عام ٨٠٥ هـ .

كان عالماً واسع المعرفة شديد الذكاء سريع الحفظ ، حتى انه حين مرّ ببلاد فارس تعلم لغتهم وألفَ بها كتاباً .

اسفاره :

كان الشيخ مشدوداً الى السفر فكأنه يطارد العلوم او يسعى خلف الحقائق ، فما يكاد يستقر بمكان حتى يزعم السفر مجدداً ... وكأنه ﷺ يخشى ان يتعلق قلبه بمكان ، فما القلب إلا لله وحده .

فقد رحل وهو في سنّ الشباب عن بغداد ليسافر إلى بلاد فارس . وهناك أتقن اللغة الفارسيّة، ثمّ وضع فيها مؤلّفه الصغير «جنتّ المعارف و غاية المرید والعارف»، ومن هناك رحل إلى الهند، فتعلّم لغتها، وتأمل في عقائد أهلها. وقابل معلّم دياناتهم، وتعرّف أسرار عباداتهم ثمّ درس عقائدهم. ومن الهند انطلق إلى جزيرة العرب، حيث انطلقت الدعوة الإسلاميّة الأولى، وبدأ يتجول

في ما حولها من بلاد، إلى أن حطَّ ترحاله في اليمن، فوصل مدينة زيد سنة ٧٩٦ هـ، إذ كان له من العمر ٣٠ عاماً. وفي هذه المدينة التقى شيخ الصوفيَّة، شرف الدين بن إسماعيل الجبرتي، الذي كان له تأثير كبير عليه. رحل الجيلي من اليمن إلى صحراء بلاد العرب، فاصداً مدينة مكَّة المكرمة، حيث وصلها أواخر سنة ٧٩٩ هـ. فكان له فيها وما في حولها بمنزلة حقيقة الذات الإلهيَّة، التي طالما كان يتوق إليها. وهناك التقى أهل التصوِّف. وعقد معهم الكلام عن اسم الله الأعظم، وعلوم التصوف .

وصل الجيلي سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٢ م، إلى القاهرة في مصر، واجتمع بعلماء جامع الأزهر، وتباحث معهم بأمور الدين. وأنهى كتابه في علوم التصوِّف، «غنية أرباب السماع». وبعد ذلك غادر متوجَّهاً إلى غزّة في فلسطين. ثمَّ انطلق منها، من جديد، إلى اليمن، حيث وصل مدينة زبيدة سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٤ م. ومنها انطلق ليزور باقي مدن اليمن. ليعود بعدها من جديد إلى زيد ، حيث أنهى فيها كتابه «الإنسان الكامل».

شيوخه ومعلِّموه :

كان جمال الدين المكش (ت ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م) أوَّل شيخ فقيه يلتقيه الجيلي. ولم يكن قد بلغ العشرين ربيعاً، فتتلمذ عليه. كما صحب وتتلمذ على يد الشيخ الشاعر الصوفيّ أبي محمَّد الحكاك. كما التقى الشيخ الصوفيّ إسماعيل الجبرتي (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٥ م)، زعيم الطريقة القادريَّة، ومن أصحاب الشهرة في عصره، وأصحاب الجذبات والسماع. وقد ساعده كثيراً في مواقف روحيَّة. وذكره الجيلي في مؤلَّفاته الصوفيَّة، وهذا يدلُّ على قوَّة تأثره بشخصيَّة معلِّمه إسماعيل الجبرتي. ومن بعد وفاته (الشيخ إسماعيل الجبرتي) انتقلت الزعامة الصوفيَّة إلى الشيخ أحمد بن أبي الرداد الذي كان آخر شيوخ الجيلي.

يُعدُّ الشيخ أحمد بن أبي الرداد، من كبار صوفيَّة بلاد اليمن. وكانت تربطه

علاقة قويّة مع الجيلي . وقد ذكره الجيلي في كثير من مؤلّفاته . وقد تكون قوّة علاقتهما مستمدّة من ثقة الشيخ الجبرتي بأبي الرداد ، الذي كان قد نصّبّه شيخاً على الصوفيّة خلفاً له سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠١ م . فتقّة الجيلي بمعلّمه وشيخه الجبرتي ، جعلت منه يثق بخليفته وتلميذه أبي الرداد . وكذلك هناك نقطة ثانية جعلت من علاقتهما قويّة ، هي أنّ تصوّف أبي الرداد كان يميل إلى تصوّف الفلاسفة . وهذا الجانب الفلسفيّ من التصوّف هو ما عُني به الجيلي في حياته .

الجيلي عالماً :

الشيخ كان عالماً صوفياً ، واسع العلم مؤثراً في وسطه ، حاله حال الكثير من شيوخ التصوف في وقته ، لكن الذي تفرّد به الجيلي طروحاته العلمية ، فهو في كتابه الإنسان الكامل يقرر ان للضوء سرعة وذلك كشف فريد لم يسبقه اليه احد ولم يقل به أحد الى عصر اينشتاين ، وقال ﷺ ان هناك من النجوم والكواكب ما لا نراها لأن ضوءها لا يصل اليها بعد ، اي ان الضوء المنطلق من مصدره وهو احد الكواكب ، والمنبعث في هذا الكون الهائل ويقطع المسافات الشاسعة ، لم يصل اليها بعد في مسيرته هذه ، وهو بذلك سبق علماء فيزياء الضوء بقرون عديدة ، ولا يُدرى مصدر هذه المعرفة لرجل صوفي منزوٍ في داره منشغل بذكر الله كما هو حال رجال التصوف .

ثم ان الشيخ وهو في اواخر حياته وهو في بيته في اليمن او في تكيته في القاهرة يسجل تجاربه ومعرفته الصوفية توصل الى ان كل الأشياء من حولنا متحركة وان لا شيء ثابت او في سكون ، مع انه من أيام أرسطو كان الإعتقاد السائد ان الأشياء نامية وجامدة ومتحركة ، يعني انهم يقسمون الأشياء من حولهم الى احدى تلك الحالات الثلاث فقطعة الحديد مثلاً او الحجارة ثابتة ، والنباتات في نمو فهي نامية ، والحيوانات متحركة ، إلا ان الشيخ الجيلي اعتبر كل الأشياء بما فيها الحجارة وقطعة الحديد او الأثاث من حولنا متحركة لأن فيها ما يسميه

روح الله التي تسري في الكون وان هذه الروح اذا زالت او انحسرت من الأشياء اندمجت تلك الأشياء مع بعضها وزالت ، وهذا ما يتطابق مع المعارف والعلوم السائدة اليوم فكل الأجسام تتكون من ذرات وكل ذرة فيها مكونات والمسافة بين هذه المكونات ومركز الذرة كبيرة قياساً بحجم تلك المكونات وهذه مستمدة من حركتها وهذه الحركة هي التي تعطي للمادة شكلها وكيانها ، وانه اذا ما توقفت هذه الحركة او كما سماها انحسرت عنها هذه الروح اندمج كل شيء مع غيره فزال وان قوام كل شيء في حركته ولو توقفت تلك الحركة انتهى الجسم وزال ، وهذه فكرة او معرفة سابقة لعصرها تماماً .

كما ان الشيخ الصوفي المتفرغ للعبادة كتب ان الأرض تتكون من طبقات ، وتلك المعلومة لم تكن جديدة فقد قال بها البعض قبل الشيخ ، لكن شيخنا أتى بجديد حين كتب ان باطن الأرض او قلبها تتكون من صخور مائة او صخور ذائبة ، وبعد قرون ، وتقريباً في القرن السابع عشر قال بعض العلماء الأوربيون ان باطن الأرض فيها نار ، وواضح ان قول الجيلي أكثر دقة خصوصاً اذا ما تصورنا ان استمرارية النار تستلزم وجود الأوكسجين الضروري لإدامة النار واستمرارها ، اما الصخور الذائبة والتي شبهها الجيلي بجهنم فلم يقول بها العلماء إلا حديثاً ، ولا نعرف كيف عرف الجيلي كل تلك العلوم الداخلة في علم الجيولوجيا وعلم فيزياء الضوء وعلم الفيزياء ، وللشيخ الكثير من تلك التلميحات العلمية التي زخرت بها كتبه والتي نظر اليها الناس ككتب صوفية تتناول تركية النفس وتصفيتها .

الجيلي شاعراً :

يتميّز الجيلي بحسّ مرهف في شعره . إذ يميل إلى التشبيه والاستعارة، وهما من أبسط صور البلاغة وأقربها إلى فكر الإنسان وقلبه. وللجيلي كثير من القصائد الشعرية في مؤلفاته الكثيرة، عبّر فيها عن فكره الأدبي الفلسفي. لكنّ أهمّ ما

نظمه شعراً، هو قصيدته "النادرات العينية في البادرات الغيبية"، التي تُعدّ ثاني أطول قصيدة في الشعر الصوفيّ، ويبلغ عدد أبياتها ٥٤٠ بيتاً. والقصيدة التي تسبقها هي قصيدة "نظم السلوك" لابن الفارض، والتي تعدّ ٦٦٧ بيتاً، وتُعرف بالتائية.

تتميّز قصيدة "النادرات العينية" بأثما واحدة من أهمّ النصوص الشعرية في تاريخ الأدب الصوفيّ. وقد عُني بها كثير من المتصوّفة، أمثال الشيخ عبد الغني النابلسي وغيره. وقد تعدّدت وتنوّعت مواضيعها. إذ بالإضافة إلى حديثه - أي الجليلي - عن مفهوم الحبّ الصوفيّ، فهو يسرد لنا سيرته الذاتية، من يوم مولده. كما يسرد لنا كيف أنّ نفسه كانت تتوق من حداثتها إلى سلوك طريق الصوفية، طريق الحقّ. وهو يتحدّث باستفاضة عن تجربته الروحية التي مرّ بها في طريق الحقيقة. وبالإضافة إلى هذه المواضيع، فإنّ الجليلي، يستفيض في قصيدته بتصوير كيف أنّ الروح تهبّط من عند البارئ تعالى إلى العالم الأرضي، ليحلّ في الأبدان. كما أنّه يحدّثنا عن تكوّن الجسم في الرحم، ومسيرة حياته، إلى أن يوضع في التراب. وكأنّه يرّدّد كلام السيّد المسيح للإنسان "من التراب وإلى التراب تعود". وباختصار فإنّ الجليلي قدّم لنا صورة عن فلسفته الصوفية من خلال أبيات قصيدته الشعرية هذه.

مؤلفاته :

وضع الجليلي ما يزيد على ثلاثين مؤلفاً، في مختلف المواضيع الصوفية والفلسفية. منها ما طُبِع ومنها لا يزال مخطوطاً دفين المكتبات.

قد يكون من أهم ما كتب الشيخ كتابه المشهور الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل بجزئين وكان اول ما طُبِع من كتبه ، ثم هناك كتابه الموسوعي في تفسير القرآن الكريم الذي نحا فيه منحاً المتصوفين في التفسير وقد لا يتفق معه بعض الذين لا يميلون للفهم الصوفي لآيات القرآن ، إلا انه يبقى كتاباً موسوعياً

شاملاً .

ونورد هنا بعضاً من أسماء كتبه :

١- المناظر الإلهية. وهو كتاب صغير، فيه مئة منظر ومنظر من المناظر النورانية التي كان قد رآها الجيلي خلال خلواته بربه. وقد شرح فيه حال كل منظر، وذكر لآفة حال ذلك المنظر. والكتاب يساعد المرید على الاطلاع على الأحوال والمقامات التي يمر بها السالك إلى الله. كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية وغير ذلك.

٢- الكهف والرقيم، في شرح بَيْبِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وهو أول كتاب وضعه الجيلي في عالم الصوفية. ويعتمد في شرحه على طريقة علم الحروف وحساب الجمل، والتي عُرف ولع المتصوفة بها.

٣- جنة المعارف وغاية المرید والعارف. وهي رسالة صغيرة كان قد ألفها الجيلي قبل رحيله إلى بلاد اليمن. وقد وضعها باللغة الفارسية.

٤- القاموس الأقدم والناموس الأعظم. وهو كتاب مؤلف من أكثر من أربعين جزءاً. وقد ذكره الجيلي في كتابه شرح مشكلات الفتوحات المكية. ومن أجزاء هذا الكتاب، لوامع الموهن - سرّ النور المتمكن - لسان القدر بنسيم السحر - شمس ظهرت لبدر - قاب قوسين وملتقى الناموسين - روضات الواعظين... والكتاب ما زال معظمه مخطوطاً.

٥- القصيدة العينية، أو قصيدة النادرات العينية. وهي قصيدة شعرية طويلة فيها ٥٤٠ بيتاً من الشعر .

٦- قطب العجائب وفلك الغرائب. وهو كتاب مفقود. ذكره الجيلي في مقدمة كتابه "الإنسان الكامل" (ص ٢٠-٢١) بقوله: "هذا الكتاب هو الإنسان الكامل، لا يفهمه حقّ فهم إلا من كان وقع على كتاب قطب العجائب وفلك الغرائب، ثمّ نظر إليه فوجده جميعه فيه. فإنّ هذا الكتاب له كالأمّ بل كالفرع،

وهو لهذا الكتاب كالأصل بل كالفرع. فافهم المراد بالكتابين والمخاطب بالخطابين تحلّ الرموز وتحوز الكنوز". نفهم من كلام الجيلي أنّ الكتابين يكمل الواحد الآخر.

٧- مراتب الوجود. وهو كتاب صغير. يقسم فيه الجيلي الوجود إلى أربعين مرتبة. أولها مرتبة العماء المطلق وآخرها مرتبة الإنسان الكامل. ويُعدّ هذا الكتاب آخر مؤلفات الجيلي. وقد نُشر بطبعة غير محقّقة في مصر، والطبعة غير مؤرّخة.

٨- الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية. انتهى الجيلي من تأليفه سنة ٨٠٥ هـ / ١٣٠٤ م، في مدينة زبيدة ببلاد اليمن. وقد أشار بطريقة غير مباشرة إلى كتابه هذا في الصفحة الأخيرة من كتابه المناظر الإلهية، بقوله: "يتجلّى الحقّ تعالى في هذا المشهد (المنظر الحادي بعد المئة: العجز عن درك الإدراك: إدراك) بتجلّي يكشف فيه للبعد عمّا أودعه في روحه من الكمالات الإلهية، التي يعجز الكون بما فيه عن حمله. فإذا أشرف عليها شمّ، بقوّة الأحذية، ما فاته من علم ما فيه من تلك الكمالات الإلهية، والاتّصاف بها".

٩- لوامع البرق الموهن. وهو كتاب صغير يذكر فيه الجيلي بعض الحضرات القدسيّة التي اتّسعت لها القلوب المحمّدية. والكتاب مؤلّف من ثمانية أبواب، وكلّ باب فيه ذكر تجلّي ما. والكتاب منشور بدون تاريخ.

١٠- شرح الفتوحات المكّيّة وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنيّة. ليس هذا الكتاب شرحاً كاملاً ومفصّلاً، لأبواب وفصول كتاب الفتوحات المكّيّة لمحيي الدين ابن عربي، وإنّما هو شرح صوّفيّ للباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة من كتاب الفتوحات المكّيّة المذكور. وهذا ما يؤكّده ابن عربي بنفسه. وللكتاب عدد من النسخ الخطيّة محفوظة في كبريات المكتبات الخطيّة العربيّة.

١١- كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. أجمع المؤرّخون على أنّ كتاب الجيلي هذا، إنّما هو كتاب في اصطلاح الصوفيّة.

المستقر في بغداد :

قد تكون سيرة الشيخ ضاعت او اكتنفها الغموض بعد خروجه من القاهرة ، إلا ان الباحثين وجدوا قبراً يحمل اسمه في احدى محلات بغداد في محلة السيد سلطان علي وعلى القبر رخامة قديمة جداً ربما تعود الى عصره تشير الى انه توفي في سنة ٨٣٢ للهجرة

وكان هناك اختلاف في سنة وفاة الشيخ إلا ان هذه الرخامة حددت مكان دفنه إضافة الى تحديد سنة وفاته رحمه الله تعالى .

وقد بنى على الضريح مسجد جامع كبير ، إلا انه نُقض وأزيل في ثلاثينيات القرن الماضي واقامت على انقاضه مدرسة ثانوية ، ولم يبق من المسجد سوى غرفة الضريح

وبقيت بغداد تحتضن ابنها العالم الصوفي الرائد ذو النهج العلمي الذي وضع نظريات علمية وكانت له معرفة علمية سبق بها عصره ، او جاءت العلوم اللاحقة لتؤكد صحتها.

وقد وقع الكثير من المؤرخين وكتّاب السير في لبس اذ اختلطت عليهم سيرة الصوفي البغدادي الجيلي بسيرة رجل صوفي عاش في اليمن اسمه عبد الكريم ابن ابراهيم العجمي ، فاختلطت سيرة شيخنا مع سيرة شبيه له في الاسم .

جامع ومرقد الشيخ عمر السهروردي

شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي (٥٣٩ هـ - ٦٣٢ هـ)

هو الإمام العالم الزاهد المحدث، شيخ الإسلام، شهاب الدين أو حفص شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله - وهو عمويه - بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيها عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي

أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، صاحب كتاب "عوارف المعارف". وصفه الذهبي بـ (الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحده الصوفية)، وقال عنه ابن النجار (كان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله، والتسليك)

توفي شهاب الدين في بغداد في أول ليلة من سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م، ودفن في المقبرة الوردية، وبني على قبره قبة على شكل منارة مخروطية الشكل على طراز القباب السلجوقية ، وبني مسجد كبير بجواره سمي باسمه وهو جامع الشيخ عمر السهروردي.

وقد تقدمت ترجمته .

جامع عمر السهروردي :

جامع ومرقد الشيخ عمر السهروردي، هو من مساجد بغداد الأثرية القديمة، ويقع الجامع بين شارع الشيخ عمر وسور بغداد القديم عند الباب الوسطاني، في جانب الرصافة من مدينة بغداد، ويطل على الطريق السريع (شارع مُجَّد القاسم) ويبعد عن مركز المحافظة كيلو متر واحد .

ويستطيع المار على طريق مُجَّد القاسم السريع أن يستمتع بمنظر الجامع بقبَّته السلجوقية الطراز التي تقف شامخة في مركز العاصمة وكأنها تحكي تاريخ عاصمة الدولة العباسية..

والجامع يعد ثالث أهم جوامع بغداد تاريخياً بعد جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني.

عندما تتوجه إلى الجامع تلوح لك من بعيد الجدران الخارجية العالية التي تعزله عن المنطقة الصناعية المحيطة به والتي تكاد أن تشوّه المنطقة، وعندما تدخل إلى حرم الجامع تصادفك باحة واسعة تتوسطها مجموعة من النخلات، وعلى اليسار مصلى ثم غرفة الضريح المبنية من الخشب الأسود، وهناك بمواجهة الداخل قبر الشيخ عمر، مقام عليه صندوق خشبي حديث مفتوح من الأعلى. المساحة الكلية للمرقد ١٢٠٠م وباحة الحرم الداخلي ٤٥٠م، يتسع إلى أكثر من ٤٠٠ مصلي، أما الباحة الخارجية فمساحتها نحو ٥٥٠م تقريباً من ضمنها حرم للنساء، شُيدت القبّة على بناء مربع تقريباً تتراوح أبعاده بين ٨٦ - ٩٦متر، والمدخل الآخر للقبّة غرفة تعود إلى عصر بناء القبّة وتلاصق البناء من جهته الغربية وهي مقبرة خاصة بآل السهروردي لا تفتح إلا أيام المناسبات.

وللجامع مدخل رئيس تعلوه كتابات موجودة فوق مدخل القبّة وعلى قاعدتها الحاملة لها مكتوبة بخط الثلث تقول "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، جدد هذه العمارة المباركة... لضريح الشيخ

القدوة الرباني قطب الأولياء والعارفين شهاب الدين عمر بن مُجَد السهروردي،
روض الله مرقده، مُجَد بن الرشيد.

ثمة نص آخر على قاعدة القبّة يقول: “بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فانظر إلى آثار
رحمة الله كيف يحيي الله الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل
شيء قدير، أمر بتجديده بعد دثوره”،..... واندرست عبارة “مُجَد بن
الرشيد سنة ٧٣٥”.

الجامع من الداخل :

يُرى من الداخل وعلى ارتفاع ستة أمتار صف من الانحناءات تدور حول
الجدران الأربعة يبلغ عددها اثنتي عشرة انحناءة، في كل جدار ثلاث انحناءات؛
الوسطى متوّجة بعقد مفصص ومحمول على عمودين مندحين من الجص، أما
الأخرى المحيطة بها فهما متوّجتان بعقدين مدبّين.

يعلو صف الانحناءات هذه نص قرآني يلفّ حول جدران القاعدة الأربعة
وبموازاة الانحناءات.

تلي النص القرآني انحناءات منطقة انتقال القبّة، في الصف الأول تجد في كل
زاوية انحناءة عميقة، وبين زاوية وأخرى انحناءة كبيرة مسطحة يليها صف آخر
من الانحناءات، واحدة في كل زاوية ترتكز على سابقتها وبين كل انحناءة زاوية
والثلاث التي تليها، جعلت الوسطى نافذة. يلي هذا الصف شكل نجمي ذو
ستة عشر رأساً حيث تقوم بعده القبّة القريبة الشكل من نصف كرة تتوسط
باطنها دائرة قسمت إلى مناطق تتضمن الآية القرآنية نفسها.

الجامع من الخارج :

إن تخطيط القبّة من الخارج مربع تقريباً أبعاده تتراوح بين ٢٠،٧ - ٥٠،٧ متر
وارتفاعها نحو ٧،٠٧ متر، وما تزال بعض الزخارف موجودة أعلى جدران
المدخل الرئيس، وهي عبارة عن انحناءات ملئت بزخارف هندسية وخطوط

متكسرة تتألف من أشكال زخرفية، كما أن هنالك زخارف نباتية عملت بواسطة الحفر في الحجر، يعلوها شريط كتابي عرضه ٦٥ سنتمراً والنص معمول بالأجر على أرضية من الزخارف النباتية الدقيقة الصنع.

تنتصب القبة المخروطية المقرنصة على القاعدة، وهي تتألف من عشرة صفوف، الصفوف الستة الأولى تتألف من ست عشرة انحناءة محدّبة من الخارج، وبين كل انحناءة وأخرى نصف منشور رباعي، كما يفصل بين كل صف وآخر صف من المنشورات الرباعية.

تلي الصف السابع ثماني انحناءات، وهي أشبه ما تكون بمنطقة انتقال من الشكل ذي الستة عشر رأساً إلى الثمانية رؤوس في الصفوف الثلاثة الأخيرة، ثم تنتهي في القبة المضلّعة.

قبة السهروردي واحدة من أهم القباب في تلك الفترة السلجوقية، وقد حدث فيها ميل نحو الجنوب الشرقي بسبب طبيعة التكوينات الأرضية واتجاه الريح التي تهب من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، وهو أمر يحصل في كثير من المآذن والقباب المماثلة.

وهذه القبة المخروطية يوجد ما يشابهها في بغداد كضريح الست زبيدة ومرقد ذي الكفل في بابل وقبة الحسن البصري في البصرة.

تحيط بالجامع المقبرة الوردية، وهذه المقبرة تجمع رفات كثير من الذين توفاهم الله ومن دفن فيها من أكابر العلماء والأدباء، وأبرز المدفونين في هذه المقبرة، من المعروفين في القرن العشرين، الأستاذ حقي الشبلي عميد المسرح العراقي.

للجامع أهمية دينية وأخرى سياحية، وتأتي أهميته الدينية من الزوار الذي يفدون من كل بقاع العالم، ولاسيما من باكستان وإيران والهند وأفغانستان، وحتى من دول أوروبا لزيارة مرقد العارف بالله الشيخ عمر السهروردي، وأهمية سياحية تتجلى في القيمة التاريخية لهذا المعلم التاريخي والحضاري ووجود القبة المخروطية

التي يبلغ عمرها أكثر من ٦٩٠ سنة.

في بدايات بناء الجامع كانت تقام فيه صلاة الجمعة والعيدين فقط بسبب عدم وجود مناطق مسكونة قربه، وعندما أصبحت المنطقة آهلة بالسكان بدأت تقام فيه الصلوات الخمس وإحياء ليالي رمضان، وكان هذا الجامع مأوى الفقراء وإطعام المساكين ودار استراحة لقربه من باب الظرفية.

كان للجامع في زمن العثمانيين جدول فتحه والي بغداد “حسين باشا” لإيصال الماء إلى هذه المنطقة من نهر دجلة مروراً بمنطقة الميدان ومن ثم منطقة الفضل وبعدها منطقة الجوبة حتى يصل إلى الجامع.

توالى على خدمة الجامع كثيرون من عائلة السهروردي كان آخرهم الشيخ كمال الدين السهروردي المتوفى سنة ١٩٧٩م، وكان أبرز المتولين في العهد العثماني هو الشيخ عبد الرحمن السهروردي، وكان شيخاً محترماً من الجميع، وكانت الحكومة العثمانية تلجأ إليه لحل النزاعات العشائرية وكذلك السفر إلى الدول لنشر ثقافة العلماء العراقيين في مجال الشريعة.

سلم الشيخ كمال السهروردي الجامع بمقتنياته والوقفيات المتمثلة بأغلب المحال الموجودة في المنطقة إلى وزارة الأوقاف آنذاك، وانتهت مهمة المتولي وتسلمت الأوقاف إدارة الجامع واعتمد نظاماً رسمي لتعيين الأئمة والخطباء والقراء والخدم لإدارة هذا الجامع.

مرقد أبو بكر الشبلي

أبو بكر الشبلي (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)

هو الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي بغدادى النشأة والوفاة ، ولد فى سامراء عام ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م، وكان أبوه من رجال دار الخلافة فى سامراء، وهو تركي الأصل من قرية شبيلية من أعمال أشروسنة، ضمن بلاد ما وراء النهر.

ونشأ الشبلي مع أولاد الأمراء والوزراء، وأنخرط فى سلك الوظيفة بدار الخلافة، وحظي من الأمراء بالنعم الوافرة، وعين أميراً على (دومانند) من توابع طبرستان ، ومراكز اخرى .

وكان يرى المظالم فى عمله والسعيات بين الحكام بالباطل فيؤمله ذلك ، ولا يوافق هواه ونزغته الشاعرية وفطرته السليمة .

ويوم التقى بالرجل الصالح (خير النساج) والذي كان من مشاهير الوعاظ فى عصره، بدأ الزهد ينمو فى قلبه ، ويعظم مكانه حب الله سبحانه ، وأحس بقيود الوظيفة، وأراد خلعها لأنه يرى مصيره سيئاً فى الدنيا والآخرة إذا أستمر بالعمل مع هؤلاء المتكالبين على الدنيا .

وحين طلب من الشيخ النساج الاستزادة ، وجهه الى الشيخ الجنيد البغدادى ونصحه بلقاءه .

والتقى الشبلي بالجنيد البغدادى فرحب به الجنيد وأكرمه وحبب إليه العبادات والتصوف والأنصراف عن الدنيا، وأن لا يجعلها كل همه .

ولقد ظهرت عليه حالات من الجذب وتوالت عليه الواردات الإلهية .

وعظَّم فى قلبه حب مولاه ، حتى صار كل همه ، وغلب عليه شوقه حتى نسي ما حوله حتى اتهمه البعض بالجنون ، فكيف يصح فى نظرهم ان يترك الولاية والإمارة والحكم ، ويتفرغ للعبادة والزهد ويعيش حياة الفقر والحاجة .

وكان من اصحاب الحلاج .

وقد أخذ العلم على يد علماء عصره وخدم الحديث الشريف، وغلبت عليه
نزعة الزهد، والتعلق بالتصوف، وكان يعرف الزهد بقوله: (تحول القلوب من
الأشياء إلى رب الأشياء).

وللسبلي ديوان شعر حسن، ومنه يقول:

كم نادت الدنيا على أهلها
لو أن في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر وارثه
وجامع فرقت ما يجمع
وقد تقدمت ترجمته .

مرقد أبو بكر الشبلي

وهو مبنى شيد على قبر الزاهد الصوفي دلف بن جعفر بن يونس المعروف باسم أبو بكر الشبلي ويعتبر من آثار العراق القديمة التي بنيت من عهد الدولة العباسية، وتم تشييده من مادة الطين واللبن، ثم تم إعادة بنائه وترميمه في عام ٢٠١٢ من قبل ديوان الوقف السني في العراق فبني من الطابوق وله قبة كبيرة مزركشة، ويقع وسط مقبرة الخيزران خلف جامع الإمام الأعظم .
قال عنه المؤرخ وليد الأعظمي في كتابه أعيان الزمان وجيران النعمان: (ولقد توفي الشيخ أبو بكر الشبلي ليلة السبت ٢٧ ذو الحجة ٣٣٤ هـ / ٣٠ تموز ٩٤٦ م، ودفن ضحى في مقبرة الخيزران، وقبره ظاهر يزار وعليه قبة، ودفن إلى جواره بعض طلابه ومحبيه)

مرقد الشيخ داود الطائي

العارف بالله تعالى أبو سليمان داود بن نصير الطائي، نسبه إلى قبيلة بني طي، وهو من أكابر القوم والأعيان وأشياخ الطريق أهل العرفان، مولانا الإمام الكبير، والزاهد العارف الشهير، الإمام أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي رضي الله عنه. قال الخطيب في تاريخه: داود بن نصير أبو سليمان الطائي الكوفي، سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

وروى عنه إسماعيل بن علية، ومصعب بن المقدم، وأبو نعيم الفضل بن دكين. وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة، وءاثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره. قال الذهبي رحمه الله: كان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة، ثم تعبد وآثر الخلوة والوحدة وأقبل وعلا شأنه وساد أهل زمانه .

وكان يحضر مجلس الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فقال أبو حنيفة يوماً في تقريره: أما الأدلة فقد أحكمناها، فقال له داود رحمه الله: فما بقى؟ قال: العمل بما علمناه، فاعتزل وتزهّد وتعبد وانقطع لذلك حتى صار في المجاهدة فحلاً من الفحول.

وقيل: إن داود الطائي، لما أراد أن يقعد في بيته اعتقد أن يحضر مجالس أبي حنيفة، رحمه الله، إذ كان تلميذاً له، ويقعد بن أقرانه من العلماء، والا يتكلم في مسألة، فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد في نفسه وآثر العزلة^١

وقال إسحاق السلولي: حدثتني أم سعيد، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصر، فكنت أسمع حنينه عامة الليل، لا يهدأ، وربما ترنم في

^١ الرسالة القشيرية ص ٥٧

السحر بالقرآن، فأرى أن جميع النعيم قد جمع في ترنمه ، وكان لا يسرح عليه ^١
وكان الشيخ داود مريداً للشيخ حبيب العجمي , هذا هو المتفق عليه بين
سلاسل الطرق.

ومن تلاميذه :

أبو بكر النساج... وأحمد بن عاصم الأنطاكي ... وسعدون المجنون ...
ومعروف الكرخي ...

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي
درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي ؟ فقالوا:
داود يجيبكم ؟ أرسلوا اليه ، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة : نحن نذهب
إليه ، قال ابن السماك لحماذ في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه
فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم
يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان
، وأبي أن يقبلها.

وقال حماد بن أبي حنيفة إن مولاة كانت لداود تخدمه قالت: لو طبخت لك
دسماً تأكله، فقال: وددت، فطبخت له دسماً ثم أتته به، فقال لها: ما فعل أيتام
بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي بهذا إليهم، فقالت: أنت لم تأكل
أدماً منذ كذا وكذا، فقال: إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلته صار
إلى الحش، فقالت له: يا سيدي أما تشتهي الخبز ؟ قال: يا داية، بين مضغ
الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

وقال محارب بن دثار: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئاً من
خبره.

توفي داود سنة ستين، وقيل سنة خمس وستين ومائة، رحمه الله تعالى.

^١ سير اعلام النبلاء ٧ / ٤٣٤ - ٤٣٥

وقبره قائم في مقبرة الشيخ معروف الكرخي رحمته الله.

مسجد ومرقد الشيخ حبيب العجمي

حبيب العجمي (ت ١١٩ للهجرة)

حبيب بن عيسى بن مُحَمَّد العجمي، أبي مُحَمَّد - وقيل - أبي مسلم الفارسي أصلاً، ثم البصري سكناً . كان عابداً زاهداً مجاب الدعوة .
لقى الحسن وابن سيرين، وروى عنهما .

مات سنة تسع عشرة ومائة، كما أفاده ابن الجوزي في " المنتظم " .

من كلامه: أن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . ولو أن الله تعالى دعاني - يوم القيامة - فقال: يا حبيب فقلت: لبيك ، فقال: جئني بصلاة يوم ، أو ركعة ، أو سجدة، أو تسيحة، أبقيت عليها من أبلis ، ألا يكون طعن فيها طعنة فأفسدها . ما استطعت أن أقول: نعم ، أي وربّي .

وكان يخلو في البيت، فيقول : من لم تفر عينه بك فلا قرت . ومن لم يأنس بك فلا أنس .

وكان في بداية أمره تاجراً منشغلاً بتجارته وأمواله ، ويوم أراد الله به جذباً واصطفاء ، جعل لذلك سبباً من أسباب الدنيا حيث مر بصبيان يلعبون ، فقالوا : قد جاء أكل الربا ، فوقع قولهم في قلبه وفعل به ما فعل ، فنكس رأسه وقال : يا رب ، أفشيت سري للصبيان ، فمضى وقد تغير حاله ، ورجع فلبس مدرعة من شعر، وغلّ يده، ووضع ماله بين يديه، وجعل يقول: يا رب أني أشتري نفسي منك بهذا المال، فأعتقني . فلما أصبح تصدّق به، وأخذ في العبادة، فلم يُرَ إلا صائماً، أو قائماً، أو ذاكراً .

فمر ذات يوم بأولئك الصبيان، فقالوا: اسكتوا قد جاء حبيب العابد ، فبكي وقال: يا رب أنت تدم مرة ، وتحمد مرة ، فكلُّ من عندك .
جاء في كتاب إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة :

كان حبيب العجمي يخدم الأمام الحسن البصري ، وذات يوم تأخر حبيب في احضار الإفطار ، فسأله الإمام الحسن البصري :
أين الفطور يا حبيب ؟ فقد أهلكنا الجوع .
فقال حبيب : يا سيدي لقد جاء مسكين فأعطيته كل ما عندنا لأني سمعتك تقول إن الإيمان أن تكون فيما عند الله أوثق مما في يدك ..
فقال البصري :

يا حبيب إنك رجل كثير اليقين قليل العلم لو أعطيته النصف وتركت لنا نصف نتقوى به ، فقال يا سيدي ثوابه لك وأنا أستغفر الله .
فلما جن الليل وإذا بقارع على الباب فخرج حبيب ، ففتح الباب فإذا بسلام يحمل إناء مُلئ بما لذ وطاب قال :

هذا هدية من سيدي فتبسم حبيب ، وبكى الغلام وقال : قال لي سيدي أن قبل الطعام منك الحسن البصري فأنت حر لوجه الله وقد طال علي الرق .
فقال حبيب لا إله إلا الله عتق رقبة واطعام جائع ثم دخل به على الحسن وقال
يا سيدي إنك كثير العلم قليل اليقين .
فقال : يا حبيب تقدمناك وسبقتنا .

مسجد حبيب العجمي :

مسجد حبيب العجمي من مساجد العراق الأثرية القديمة، وبني وشيد في القرن التاسع الهجري، في محلة الشيخ بشار على ضفاف نهر دجلة في جانب الكرخ من بغداد قريباً من جسر الشهداء ، وفيه قبر الزاهد حبيب العجمي ويحتوي المسجد على مصلى واسع ورواق وبعض الغرف، وتقام فيه حالياً الصلوات الخمس، ولقد أجريت عليه أعمال الصيانة والترميم عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، وآخر مرة تمت صيانتها وتعميره في عام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م، من قبل ديوان الوقف السني في العراق .

مرقد الشيخ مشيوح

هو السيد الشيخ عبدالله عساف خلف العيثاوي من قبيلة السادة العيثاويين والذي يرجع نسبهم الى الإمام الحسين عليه السلام بن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ، والملقب بمشيوح . وسبب تلقيبه بمشيوح هو لأنه قد قطع شوحا كبيرا في علم الدراية والأحوال وعلم الله اللدني وقطع شوحا آخرًا بطريق التصوف الإسلامي . كما لقب بناطور العراق .

ولد ولي الله الكامل السيد الشيخ عبد الله العيثاوي في بغداد منطقة الدورة قرية البوعيشة (أم العصافير) والواقعة جنوب شرقي بغداد غربي نهر دجلة في عام ١٧٧٥ للميلاد من أسرة فلاحية فقيرة معروفة بالزهد والورع والتقوى ، وقد أشرف على تنشئته وتربيته والده السيد الشيخ عساف رحمه الله وقدم سره العزيز حيث أفاض عليه بما يعلمه من علم الله اللدني ، إضافة إلى تعلية القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فحفظ القرآن وتدبر علومه ومعانيه ، وأنتهج مبادئ الشريعة الإسلامية في حياته وأصبح ذا باع طويل فيها ، يذكر أنه كان لا ينام الليل يستغرقه في عبادة مولاه رب العالمين ، أخذ السيد الشيخ عبدالله يترعع في قرينته الفقيرة هذه بين بساتينها وأهلها ، فأحبهم وأحبوه وكان مساعدا لكل محتاج ومعينا لكل مسكين ، له من الأخوة ثلاث هما السيد الشيخ ظاهر والعلوية ربه والعلوية زرکه .

فتح الله تعالى على عبده الشيخ عبدالله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم يحصل لأقرانه ، فطرق مختلف أبواب المعرفة ، وعرف سائر فنون العلم ، فلم يكن له فيها وقفة ولا كبوة ، تفقه في الدين قبل أن يتزهد في الحياة ويسلك طريق أهل التصوف ، كما وأوضح الشيخ عبدالله معاني الطريق وأبان عن حقيقة التصوف الإسلامي الصحيح الصافي في كثيرا من أفعاله وكراماته ، كان

رحمه الله رجل دعوة عامل لم يقتصر على وعظ العامة ودعوتهم ، إنما كان صداعا بالحق صريحا قويا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

شيوخه :

كانت طريقة السيد الشيخ مشيوح رفاعية قادرية خالصة لله تعالى ، وقد أكرمه السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد الشيخ احمد الرفاعي والسيد الشيخ احمد البدوي والسيد الشيخ إبراهيم الدسوقي فأصبح في عالم التصوف خليفة للأقطاب الأربعة رحمهم الله وقدم سرهم الشريف . وكانت طريقته التوحيد وصفا وحكما وحالا ، وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطنا ، ووصفه قلب فارغ وكونه غائب ، ومشاهدة رب حاضر بسريرة لا تتجاوزها الشكوك وسر لا تتنازعه الأغيار وقلب لا تفارقه البقايا ، أما عن شيخه في الطريقة فهو خاله السيد الشيخ سلمان البري وبعد وفاته اتصل بالشيخ علي أبو خمره وأخذ عنه رحمهم الله تعالى .

الضريح :

وقد دفن الشيخ عبد الله الملقب بالشيخ مشيوح في مقبرة الكرخ في جانب الكرخ من بغداد .

وقد تم إعمار الضريح عام ١٩٩٧ وبنيت فوقه قبة ، وزين داخل القبة بالنقوش

والضريح المبني من الحجر الآجر والمغلف من الداخل بالمرمر يتكون من غرفتين متصلتين ، أولاهما لاستقبال الزوار واستراحتهم ، وهي موصولة بالغرفة الثانية التي تحوي الضريح الذي يعلوه صندوق خشبي .

مرقد الشيخ أبو خمرة

هو الشيخ مُجَّد الملقب بالهندي الرفاعي الحسيني المكنى أبو خمرة .
والشيخ مُجَّد هو النجل الأكبر لوالده الدرويش سليمان الكبير قدس الله أسرارهم
ومنه تعلم أصول الدين وأصول الطريقة وشرب من منهله فوائد العلم الرباني
وأصبح خليفة والده بعد وفاته وكانت طريقته رفاعية قادرية خالصة لله تعالى ،
ولد رحمه الله في منطقة القامشلي في سوريا بعد أن نزحت عائلته إليها من أرض
الحجاز ، ثم نشأ وشب في أرض الموصل الحدياء ، بعدها رحل إلى بغداد
وسكن في حضرة جده الغوث الأعظم السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه
الله و قدس سره الشريف ، بقي هناك يرشد الناس إلى تعاليم الدين الصحيح
وإرشادهم إلى تطبيق الدعوة المحمدية وداعياً لطريق التصوف الإسلامي مستنيراً
بذلك بتعاليم جده الغوث الأعظم الجيلاني قدس الله سره ، وكان رحمه الله كما
اخبرنا ابناءه يتكلم اللغة الهندية وبجميع أصنافها وبطلاقة بارعة دون أن يتعلمها
من احد ، فقد من الله عز وجل عليه بهذه النعمة ليرشد الوافدين الهنود وغيرهم
إلى مرقد الغوث الأعظم الجيلاني ويعطيهم تعاليم الطريقة القادرية المعظمة ، ولذا
لقب بالهندي .

يرجع تاريخ القبر الى ما يقرب من ثلاثمائة عام ، والقبر في الطابق الأسفل من
دار كان يسكنها الشيخ فصارت مدفناً له ، وهذا الطابق كان سرداباً اتخذه
الشيخ مكاناً لخلوته وعبادته ، وهناك سُلماً يؤدي الى القبر الذي تغمره المياه ،
فلا يمكن للزائر إلا ان ينزل بضع درجات فيقف عند حافة المياه التي تغمر القبر
والتي تحول دون الوصول الى القبر ، فيكتفي بالنظر الى القبر وقراءة سورة الفاتحة

والماء الذي غمر القبر الشريف يعود الى ما يقرب من المائة عام وهو ماء زلال
صالح للشرب يتفجر من عيون داخل الأرض ويتدفق الى مسافة محددة تعلقو

القبر ولا تتجاوزه الى الطابق الأرضي ، وقد جرت محاولات لتجفيف المياه وسحبها إلا ان العيون كانت تعاود النضوح ثم تتدفق المياه وتعود الى مستواها القديم .

والدار التي تضم القبر الشريف هي اليوم تكية يجتمع فيها ابناء هذه الطريقة الصوفية لينتظموا بحلقات ذكر وعبادة .

والدار – التكية والقبر الشريف تقع في الرصافة من بغداد في محلة باب الشيخ مجاورة لمرقد وجامع الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمته الله .

مرقد الشيخ ابراهيم الخواص

ابراهيم الخواص امام عالم زاهد جاني هذه الدنيا وأقبل على الله وهو من شيخ التصوف ومن علماء أهل السنّة والجماعة .

بلغ في التصوّف شأناً إلى درجة أن كثيرين كانوا يعدّونه أحد أقران الجنيد والنوري ، نظراً إلى ما كان له في التوكّل والرياضة الروحية من حظ كبير، وهو ما يدل عليه قوله الأثير:

(دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن الكريم بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرّع عند السّحر ، ومجالسة الصالحين)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، أخذ عن أحمد المرواني أبي القاسم وصحب أبا عبد الله المغربي، ومن مريديه أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعرائي وزين الدين القزويني. وقد سمي الخواص نسبة إلى الأخوص، وربما إحالة إلى عمله بصناعة الخوص. ولد في مدينة سامراء العراقية، وعرف بكثرة الحج إلى مكة، إذ قال: «سلكت البادية إلى مكة سبعة عشر طريقاً، منها: طريقٌ من ذهب! وطريقٌ من فضّة».

شهد للخواص كثيرون، منهم ممشاذ الدينوري، الذي قال: كنت يوماً في مسجدي بين النائم واليقظان، فسمعت هاتفاً يهتف: إن أردت أن تلقى ولياً من الأولياء فامضي إلى تلّ التوبة. فقمّت وخرجت، فإذا أنا بثلج عظيم، فذهبت إلى تلّ التوبة، فإذا إنسان قاعد مربع على رأس التلّ وحوله خالٍ من الثلج قدر موضع خيمةٍ، فتقدمت إليه، فإذا هو إبراهيم الخواص، فسلمت عليه وجلست إليه، فقلت: بماذا نلت هذه المنزلة؟ فقال: بخدمة الفقراء.

وقد تقدمت ترجمته ﷺ .

مرض الخواص، وذات مرة كان يقوم إلى الماء ليتوضأ ويعود إلى المسجد ليصلي ركعتين، وكرر هذا مرات، وفي إحداها فاضت روحه، سنة ٢٩١ هـ ، ودفن في

بغداد وله قبر قائم مبني عليه قبة في حجرة في مقبرة الشيخ جنيد البغدادي قريباً
من قبر النبي يوشع عليه السلام وعلى نبينا وسائر الأنبياء الصلاة والسلام .

مرقد ومسجد سيد سلطان علي

وقع خلاف بين كتاب السير والمؤرخين حول شخصية واسم السيد سلطان علي ومع انه جدد في عهد السلطان العثماني عبدالحميد الثاني سنة ١٢١٠ هجرية، وجدد في العهد الملكي في الثلاثينيات، الا ان ذلك لم يقترن بالتأكيد التام من دقة وصحة هذا الاسم، ومن هو السيد السلطان علي؟ وهل ينتمي الى سلالة الرسول ﷺ؟ هل هو سلطان فعلا؟ هل هو بغدادي ام نزح الى بغداد من مكان اخر؟ ثم ان الجامع مشيد في موقع من ابرز مواقع الخلافة العباسية؟ فهل يعني ذلك انه ينتسب الى العباسيين؟

لكن الثابت والمتفق عليه ان لصاحب الجامع كراماته، وانه زاهد وتقي وله في قلوب الصالحين والأتقياء حرمة عظيمة ومكانة كبيرة، ولذلك وقفوا معارضين هدمه، او النيل منه عندما تم شق شارع الرشيد عام ١٩١٥ حيث اوقفوا نهاية الشارع عنده في مرحلته الاولى، ثم اكمل من قبل قوات الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ بشكل ظل فيه الجامع في مكانه، ولم يفقد من بنائه شيئا، ولم يتم نقله الى مكان اخر.

ذهب البعض الى ان السيد سلطان علي هو والد السيد احمد الرفاعي قدس الله سره وان السيد سلطان علي هو ابو الحسن ابن السيد يحيى ابن ابي حازم ثابت بن السيد علي وينتهي نسبه الى الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام اجمعين).

ولد السيد سلطان علي رحمه الله بالبصرة سنة ٤٥٩ هجرية وكان قد درس العلم على يد شيوخ عصره واخذ الطريقة عن ابن عمه السيد حسن بن السيد محمد عسلة المكي الرفاعي واصبح السيد سلطان علي (رحمه الله) صاحب مكانة مرموقة ومقام رفيع وعلم ومعرفه لقب بسطان العارفين لمقامه وكراماته تزوج

بفاطمة الانصارية سنة ٤٩٧ هجرية واعقب منها السيد احمد الرفاعي والسيد عثمان والسيد اسماعيل (رحمهم الله) وفي سنة ٥١٩ هجرية حدثت الفتن بالعراق وجاء السيد سلطان علي الى بغداد في عهد الخليفة العباسي المسترشد بالله ونزل السيد سلطان علي ضيفا عند الامير مالك بن المسيب العقيلي بداره في راس القرية ببغداد وقد نصح السيد سلطان علي الخليفة العباسي لقطع الفتنة ولكن الخليفة يبدو انه لم يأخذ بنصيحته فتألم ثم مرض وتوفي سنة ٥١٩ هجرية فدفنه مالك بن المسيب بداره وبني عليه مرقدا ومسجداً .

وهذا ما جاء في العديد من المؤلفات منها (النور الجلي في اخبار والد سيدنا الامام الرفاعي) لمؤلفه السيد محمد ابي الهدى الصيادي الرفاعي وكذلك كتاب (تنوير الابصار في طبقات السادة الرفاعية والاخيار) وكتاب (حالة اهل الحقيقة مع الله) للسيد احمد الرفاعي وفي كتاب (ارشاد المسلمين) للشيخ عز الدين عمر الفاروئي الواسطي وفي كتاب (مختصر تاريخ الخلفاء) لابن رجب الساعي وكتب اخرى .

بينما ورد في كتاب (هامش الغرائب) والذي نقل منه المؤرخ محمد بهجة الأثري في كتابه أعلام العراق أن السيد علي هو السلطان علي بن إسماعيل بن الامام جعفر الصادق، وهو أخ محمد الفضل. وأضاف الأثري: وما أدعاه بعض الكذابين أن علياً هذا هو والد أحمد الرفاعي بهتان .

يعتبر جامع السيد السلطان علي من ابرز معالم شارع الرشيد اول شارع حديث في بغداد ، ويعتبر جامع سيد سلطان علي هو من مساجد بغداد الأثرية التاريخية ويقع في جانب الرصافة من بغداد في شارع الرشيد بمنطقة المربعة قرب جسر الأحرار، ولقد عمره وأعاد بناءه الوالي علي باشا عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م، والمعروف باسم قره علي.

ولقد ذكر المؤرخ إبراهيم عبد الغني الدروبي في كتابه البغداديون تاريخ الجامع

والمدرسة ففي عام ١٣١٠ هـ جدد عمارته السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وشيد فيه مدرستين لتدريس العلوم العقلية والنقلية، وبني فيه حجرات لطلاب العلم، وأما الكتابات التي على باب الجامع فهي بخط عثمان ياور الخطاط المشهور، وهو خطاط معروف من تلاميذ الخطاط التركي الشهير سامي بك ومن آثاره الخطية ما كتب على الكاشاني الأزرق في مشهد جامع الإمام الأعظم وكذلك مرقد الشيخ معروف الكرخي، ، وتوجد في الجامع قبة كبيرة فوق قبر سيد سلطان علي، كما تحوي المدرسة مكتبة ضخمة تضم نادر المخطوطات والكتب المطبوعة .

وبعد مدخل الجامع على جهة اليسار مرقد سيد سلطان علي وحوله شواهد لعشرة قبور ومنها قبر الشيخ مُحَمَّد الرواس الذي نقل إليه بعد إزالة مسجد الرواس، والسيد عبد الغفور الحيدري مفتي الشافعية أما على الجهة اليمين فهناك باب إلى مدرسة قره علي وفيها شاهد قبر السيدة وضحة خاتون بنت درويش جلي آل قره علي، ويقع في وسط المدخل إلى رواق الجامع .

وتبقى قبور الصالحين ، شمس تُزَيُّنُ أرض بغداد تنتهي الجولة بين رياضهم ، تنتهي الرحلة بين أضرحة العاشقين ... ولا ينتهي ذكرهم ...

ربما أغفلنا البعض ، وربما فاتنا أن نمر بروضة من رياض الصالحين ، فعذرنا أنهم كثيرون ، أكثر من أن يحصرهم عدد او يحيط بهم متتبع ، فبكل انحناءة من انحناءات شوارع بغداد تجد بيت ولي او قبر رجل من الصالحين فكأن بغداد تنام على ترانيم تسيبهم وتغفو على تكبيرهم ...

حتى كأنك وأنت تمشي بين الأزقة والحواري تكاد تلمح آثار خطوات ولي أو تشم عطره

وإذا التفت تطالعك بقايا من ذكريات عاشق لله تنفّس في هذا المكان عشقاً ،

أو ذرف هناك دمة في ظلمة ليل ، أو مكان لسجدة صوفي ...
ومنهم من ستر الله تعالى أحواله فلم يعرف به أحد ، فكم من الأبدال والأفراد
عاش ببغداد ... ومضى ... ولم يعرف به سوى ربه الذي أدناه وقربه ...
أنهم كثيرون ...
شموس تنير طريق السالكين .

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text. The border consists of repeating motifs of stylized flowers and flowing lines, creating a rectangular frame.

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ أحمد بن المبارك المالكي
دار الكتب العلمية، ط: ٣، ٢٠٠٢
٣. ابن الفارض والحب الإلهي مُجَّد مصطفى حلمي
دار المعارف القاهرة ٢٠٠٣
٤. ابن عجيبة (الفهرسة) احمد بن مُجَّد بن عجيبة الحسيني
تحقيق: د عبد الحميد صالح حمدان
دار الغد العربي القاهرة ط ١ ١٩٩٠
٥. ابن عربي سيرته وفكره كلود عَدَّاس
ترجمة: أحمد الصا
دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان ط ١ ٢٠١٤ م
٦. ابن عربي ومولد لغة جديدة د سعاد الحكيم
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط ١ ١٩٩١ م
٧. أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين في القرن الثالث الهجري
الشيخ أحمد فريد المزيدي
دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٧ م
٨. ابواب التصوف مقاماته وآفاته مُجَّد ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني
تحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني
دار الكتب العلمية بيروت ٢٠١٠ م
٩. انحف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين مُجَّد بن مُجَّد الحسيني
الزبيدي
المطبعة الميمنية ١٣١١ هـ

١٠. الاجتهاد والتقليد في الشريعة الإسلامية وعند أبي حنيفة د عبد القادر
مُحَمَّد القيسي
- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ٢٠١٩
١١. احلى قصائد الصوفية مجدي كامل
- دار الكتاب العربي دمشق ط ١ ١٩٩٧
١٢. الإحياء بعد الإنساء في أعقاب طبقة الأشراف الأولي بالحجاز الأشراف
عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح أبو حسن شكر
- دار الكلمة للنشر والتوزيع ٢٠١١ م
١٣. احياء علوم الدين الإمام ابو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي
تحقيق : احمد علي سليمان
- دار الغد الجديد القاهرة ط ١ ٢٠١٧ م
١٤. أخبار الحلاج علي بن أنجب الساعي البغدادي
تحقيق : موفق فوزي الجبر
- دار الطليعة الجديدة دمشق ط ٢ ١٩٩٧
١٥. الأخلاق عند الغزالي زكي مبارك
كلمات عربية للترجمة والنشر القاهرة
١٦. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري الإمام شهاب الدين أحمد بن
مُحَمَّد الشافعي القسطلاني
- تحقيق : مُحَمَّد عبد العزيز الخالدي
- دار الكتب العلمية بيروت
١٧. الإرشاد الشيخ المفيد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النعمان البغدادي
تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث
- المطبعة الحيدرية ط ٢ ١٤١٤ - ١٩٩٣ م

١٨. الاستقامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام

المشهور باسم ابن تيمية

تحقيق: محمد رشاد

جامعة الإمام الرياض ١٤٠٣ هـ

١٩. الإسلام والتصوف مصطلحه ، مقاماته في أقوال كبار مشايخ الطريقة

النقشبندية

الشيخ امين علاء الدين النقشبندي

تقديم الشيخ عبد الكريم المدرس

ترجمة وتحقيق: محمد شريف أحمد

الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٩ م

٢٠. اصطلاحات الصوفية كمال الدين عبد الرزاق القشاني

دار الحكمة دمشق ١٩٩٥ م

٢١. اصطلاحات الشيخ محي الدين ابن عربي معجم اصطلاحات الصوفية

تأليف: محيي الدين بن عربي

تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي

دار السلام - القاهرة ١٩٩٠

٢٢. أطلس أعلام المحدثين سامي بن عبد الله المغلوث

البيكان للنشر ط ١ ٢٠١٩ م

٢٣. أعلام التصوف احمد ابو كف

دار التعاون القاهرة ٢٠٠٢ م

٢٤. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء محمد راغب بن محمود الحلبي

تحقيق محمد كمال

دار العلم ط ٢

٢٥. الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام العباس بن إبراهيم

تحقيق : عبد الوهاب بن منصور

المطبعة الملكية الرباط ط ٢

٢٦. الأعلام من الفلاسفة محي الدين بن عربي أ.د فاروق عبد المعطي

دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٩٣ م

٢٧. أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران وليد الأعظمي

مكتبة الرقيم - بغداد ط ١ ٢٠٠١ م

٢٨. اقطاب التصوف الثلاثة احمد البدوي ، احمد الرفاعي ، عبد الرحيم

القناوي

تأليف : صلاح عزام

مؤسسة دار الشعب / القاهرة

٢٩. اقطاب التصوف السيد احمد البدوي د . عبد الحلیم محمود

دار المعارف / القاهرة ط ٤

٣٠. الإمام احمد الرفاعي المصلح المجدد د. جمال الدين فالخ الكيلاني و د.

زياد حمد الصميدعي

المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم المغرب ٢٠١٣

٣٠. الامام الصادق والمذاهب الأربعة أسد حيدر

مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - بيروت

٣٢. الامام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك د عبد الحلیم محمود

دار المعارف القاهرة ط ١

٣٣. الإمام الرفاعي ومنهجه في التربية والسلوك د. توفيق شافي حسين

ديوان الوقف السني العراق ط ١ ٢٠٠٣ م

- ٣٤ . الإمام الغزالي كما عرفته ١ . د عبد العظيم الديب
دار دؤن للنشر - مصر
- ٣٥ . أنس الفقير وعز الحقير أبو العباس احمد الخطيب الشهير بابن قنفذ
تحقيق : مُجَّد الفاسي
المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط
- ٣٦ . الأنساب عبد الكريم بن مُجَّد بن منصور التميمي السمعاني
تحقيق : عبد الله عمر البارودي
دار الفكر - بيروت ط ١ ١٩٩٨ م
- ٣٧ . الأنوار البهية ، في تواريخ الحجج الإلهية الشيخ عباس القمي
مؤسسة النشر الإسلامي الأولى ١٤١٧
- ٣٨ . الأوراد الإدريسية احمد بن إدريس
مكتبة أم القرى القاهرة ط ١ ٢٠١٤ م
- ٣٩ . ايقاظ الهمم في شرح الحكم احمد بن مُجَّد بن عجيبة الحسيني
تحقيق : د عاصم ابراهيم الكيالي
دار الكتب العلمية بيروت
- ٤٠ . بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار الشيخ مُجَّد باقر
المجلسي
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- ٤١ . بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية أ. د جودة مُجَّد ابو
اليزيد المهدي
- دار غريب القاهرة ط ١ ١٩٩٨
- ٤٢ . بحثاً عن الشمس من قونية الى دمشق عطاء الله تدين
ترجمة أ د عيسى علي العاكوب

دار نينوى دمشق ٢٠١٥

٤٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن

المهدي بن عجيبة الحسيني الأنجزي الفاسي الصوفي

تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان

دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٤٤. البرهان المؤيد السيد احمد الرفاعي

تحقيق صفوت السقا

مكتبة الربيع حلب ط ٢

٤٥. بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني محيي الدين

عبد القادر الجيلاني

تأليف : نور الدين علي بن يوسف اللخمي الشطنوفي

تحقيق الشيخ احمد فريد المزيدي

دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٠ هـ

٤٦. بوارق الحقائق محمد مهدي بهاء الدين الرفاعي (الرواس)

طبع ابراهيم الرفاعي القاهرة ط ١ ٢٠٠٢ م

٤٧. بين سير وطير (التنظير ، حياة الجماعة ، وبنى المؤسسة في تصوف أبي

حفص عمر السهروردي)

تأليف : عرين شوكت سلامة قدسي

دار الكتب العلمية ٢٠١٤ م

٤٨. تاج الصوفية ابو بكر الشبلي د . عبد الحليم محمود

دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ط

٤٩. تاج العارفين الجنيد البغدادي د . سعاد الحكيم

دار الشروق القاهرة ط ١

٥٠. تاج العروس من جواهر القاموس مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الرزاق المرتضى

الزبيدي الحسيني

تحقيق : مجموعة من المحققين

دار ليبيا للنشر - بنغازي

٥١. تاريخ الطرق الصوفية يونس الشيخ ابراهيم السامرائي

مطبعة أسعد بغداد ١٩٨٨

٥٢. تاريخ بغداد الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب

تحقيق مصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية بيروت تاريخ دمشق

٥٣. تاريخ مدينة دمشق ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف

بابن عساكر

تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي

دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٥

٥٥. تحفة الأحباب المرصعة فبمعرفة الأقطاب الأربعة د سعيد ابو الاسعاد

شركة الفتح للطباعة والنشر مصر ٢٠١٥

٥٦. تذكرة الأولياء الشيخ فريد الدين العطار

تحقيق : مُجَّد أديب الجادر

دار المكتبي دمشق ط ١ ٢٠٠٩ م

٥٧. تذكرة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي

تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٥٨. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

تحقيق : ابراهيم شمس الدين

دار الكتب العلمية بيروت ط ١

٥٩. التصوّف الثورة الروحيّة في الإسلام ابو العلا العفيفي

دار المعارف ، مصر ، ط ١ ، ١٩٦٣

٦٠. التصوف الإسلامي والإمام الشعراي طه عبد الباقي سرور

مؤسسة هنداوي ٢٠٢٠ م

٦١. تصوف أهل بغداد طارق حرب

دار ومكتبة عدنان بغداد ٢٠١٤ م

٦٢. التعرف لمذهب اهل التصوف ابي بكر مُجّد الكلاباذي

تحقيق : احمد شمس الدي

دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٩٣

٦٣. تعريف الخلف برجال السلف أبي القاسم مُجّد الحفناوي

مطبعة فونتانا الشرقية في الجزائر ١٩٠٦ م

٦٤. التعريفات علي بن مُجّد بن علي الزين الشريف الجرجاني

تحقيق : ابراهيم الأبياري

دار الكتب العربي بيروت ط ١

٦٥. تفسير التستري الإمام ابي مُجّد سهل بن عبد الله التستري

تحقيق : طه عبد الرؤف سعد وسعد حسن مُجّد علي

دار الحرم للتراث القاهرة ط ١ ٢٠٠٤ م

٦٦. تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

تحقيق : سامي بن مُجَّد السلامة

دار طيبة ١٤٢٠ - ١٩٩

٦٧. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا مُجَّد بن رزق الكعبي

رسالة دكتوراه الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة

العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ

٦٨. التكملة لوفيات النقلة للحافظ المنذري

تحقيق: بشار عوّاد

مؤسسة الرسالة ط ٢ ١٤٠١ هـ

٦٩. التنوير في إسقاط التدبير ابن عطاء الله السكندري

تحقيق موسى مُجَّد علي وعبد العال أحمد العراقي

طبعة مجمع البحوث الإسلامية

٧٠. التوقيف على مهمات التعاريف عبد الرؤوف المناوي

المحقق: عبد الحميد صالح حمدان

عالم الكتب - القاهرة ط ١ ١٩٩٠

٧١. تحافت الفلاسفة أبو حامد الغزالي

دار المعارف - القاهرة ط ٣

٧٢. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابو علي احمد بن مُجَّد بن

يعقوب مسكويه

تحقيق : ابن الخطيب

مكتبة الثقافة الدينية المدينة المنورة ط ١

٧٣. تهذيب الأسماء واللغات أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي

نشر وتصحيح شركة العلماء

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

٧٤. تهذيب المواهب السمرمية في أجلاء السادة النقشبندية

الشيخ مُجَّد أمين بن فتح الله زاده

دار الكتب العلمية بيروت

٧٥. الثبات عند الممات ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن مُجَّد الجوزي

القرشي البغدادي

تحقيق: عبد الله الليثي الانصاري

مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٦ م

٧٦. ثلاثة حكماء مسلمين سيد حسين نصر

دار النهار للنشر ط ٢

٧٧. ثم اهتديت د مُجَّد التيجاني السماوي

تحقيق وتعليق مركز الأبحاث العقائدية - إيران قم / العراق النجف

ط ١ ١٤٣١ هـ

٧٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي مُجَّد عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي

تحقيق: احمد مُجَّد شاکر

دار احياء التراث بيروت ١٩٧٨ م

٧٩. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا عبد الرحمن بن رجب

الحنبلي

تحقيق: شعيب الأرنؤوط

مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ ١٤١١ هـ

٨٠. جامع المسائل تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن تيمية
تحقيق: مُجَّد عزيز شمس
دار عالم الفوائد مكة ط ١ ١٤٢٢ هـ
٨١. جامع كرامات الأولياء الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني
تحقيق ابراهيم عطوة عوض
مركز اهل السنة بركات رضا - الهند ط ١ ٢٠٠١ م
٨٢. جامع الأصول في الأولياء احمد الكمشخانوي النقشبندي
المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ٢٠١٥ م
٨٣. الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي د . مُجَّد البهي
دار إحياء الكتب العربية - القاهرة
٨٤. جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ الأعلام مدينة فاس أحمد بن القاضي
المكناسي
دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣ م
٨٥. الجزائر أرض العقيدة والثقافة كمال بوشامة
ترجمة : مُجَّد المعراجي
دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر ٢٠٠٧ م
٨٦. جلال الدين الرومي د مصطفى غالب
مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر لبنان ١٩٨٢
٨٧. جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام د عناية الله ابلاغ
الأفغاني
الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٩٩٧
٨٨. جمل من أنساب الأشراف أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري
تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي

- دار الفكر - بيروت ط ١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
٨٩. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت
المكتبة العلمية - بيروت ٢٠٠٢ م
٩٠. جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني
قام بجمعه علي حرازم
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦١ م
٩١. حدائق الحقائق مُجَّد ابو بكر بن عبد القادر شمس الدين الرازي
تحقيق : سعيد عبد الفتاح
منشورات دار الثقافة الدينية القاهرة ط ١
٩٢. الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية الشيخ عبد المجيد بن مُجَّد
دار الكتب العلمية بيروت
٩٣. الحسين بن منصور الحلاج شهيد التصوف الاسلامي طه عبد الباقي
سرور
مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر ٢٠١٢
٩٤. الحلاج فيما وراء المعنى والخط واللون سامي مكرم
مكتبة رياض الريس للنشر بيروت ط ٢
٩٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء احمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم
دار الفكر بيروت ١٩٩٦ م
٩٦. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار
تحقيق : مُجَّد بهجة البيطار
- دار صادر - بيروت ١٤١٣ - ١٩٩٣
٩٧. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر مُجَّد امين بن فضل الله
تحقيق مُجَّد حسن مُجَّد حسن اسماعيل

دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧١

٩٨. درة الأسرار وتحفة الأبرار الشيخ الحميري المعروف بابن الصباغ

المكتبة الأزهرية للتراث مصر ٢٠٠١

٩٩. الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة أحمد بن عبد

الأحد بن زين العابدين السَّرْهَنْدِي الحنفي

تعريب : مُحَمَّد مراد بن عبد الله المكي

مكتبة النيل، القاهرة - مصر

١٠٠. الدلالة في لغة الصوفية د. زينة جليل عبد

ديوان الوقف السني بغداد ط ١

١٠١. دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا عصمت عبد اللطيف

دندش

دار الغرب الإسلامي لبنان ط ١ ١٩٨٨ م

١٠٢. ديوان ابن الفارض عمر بن الحسين بن علي بن المرشد

شرح وتقديم مهدي مُحَمَّد ناصر الدين

دار الكتب العلمية بيروت ط ٣

١٠٣. ديوان أبي العتاهية اسماعيل بن القاسم

دار بيروت للطباعة ١٩٨٦

١٠٤. ديوان أبي بكر الشبلي جعفر بن يونس المشهور بدلف بن جحدر

تحقيق د. كامل مصطفى الشبيبي

المجمع العلمي العراقي ١٩٦٧

١٠٥. ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ

دار صادر بيروت ٢٠٠٤

١٠٦. ديوان الإمام الشافعي (الجواهر النفيس) مُجَّد بن ادريس الشافعي

تحقيق وتعليق مُجَّد ابراهيم سليم

مكتبة ابن سينا القاهرة

١٠٧. ديوان الحلاج ابو مغيث الحسين بن منصور

جمع واعداد المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون

١٠٨. ديوان السهروردي القتيل ابو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك

تحقيق وشرح : د. كامل مصطفى الشبيبي

مطبعة الرفاه بغداد ٢٠٠٥

١٠٩. ديوان الشيخ الأكبر محي الدين بن علي بن عربي

تحقيق : مُجَّد قجّه

دار الشرق العربي بيروت

١١٠. ديوان ترجمان الأشواق الشيخ الإمام محي الدين بن علي بن عربي

اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي

دار المعرفة بيروت ط ١ ٢٠٠٥

١١١. ديوان عفيف الدين التلمساني سليمان بن علي بن عبد الله بن

علي

الكومي التلمساني

جمع وتحقيق يوسف زيدان

دار الشروق بيروت ٢٠٠٨

١١٢. ذم الكلام وأهله أبو إسماعيل عبد الله بن مُجَّد بن علي الهروي

الأنصاري

تحقيق : أبو جابر عبد الله بن مُجَّد بن عثمان الأنصاري

مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة

١١٣. الذيل على طبقات الحنابلة الإمام زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن

شهاب الدين الحنبلي

تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين

مكتبة العبيكان / السعودية ط ١ ١٤٢٥ هـ

١١٤. رابعة العدوية امامة العاشقين والحزونين د. عبد المنعم الحفني

دار الرشاد القاهرة ط ٢

١١٥. رجال حول الرسول خالد مُحمَّد خالد

المكتبة العصرية - بيروت ٢٠١٢

١١٦. رجال النجاشي أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي

ترجمة الحسن الوشاء

شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

١١٧. رحلة المنى والمنّة الطالب احمد المصطفى بن طوير الجنة

تحقيق أ د رحماه الله وُلد السالم

دار الكتب العلمية - بيروت

١١٨. الرسالة الأحمديّة في تاريخ الطريقة البكتاشية احمد سرى بابا

مطبعة الشباب مصر ١٩٣٤ م

١١٩. الرسالة القشيرية في علم التصوف الامام ابي القاسم عبد الكريم بن

هوازن القشيري

تحقيق : العارف بالله الامام عبد الحليم محمود

و الدكتور محمود بن الشريف

مطابع مطبعة الشعب ١٩٨٩م

١٢٠. الروح الإمام مُحمَّد بن أبي بكر بن أيّوب ابن القيم الجوزية

دار التربية للطباعة والنشر بغداد ١٩٨٨

١٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني العلامة الشيخ ابي

الفضل

شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي

تحقيق : علي عبد الباري

دار الكتب العلمية بيروت ط ٤

١٢٢ روض الرياحين في حكايات الصالحين عفيف الدين أبي السعادات

اليافعي

تحقيق مُجَّد عزت

المكتبة التوفيقية القاهرة

١٢٣ الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر برهان الدين ابراهيم بن

علي بن احمد الحلبي الشافعي القادري

تحقيق مُجَّد ابراهيم الحسين

دار اقرأ للطباعة والنشر دمشق ط ١

١٢٤ روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد

شمس الدين مُجَّد بن احمد بن الأبطعاني

تحقيق : احمد فريد المزدي

دار الكرز القاهرة ط ١ ٢٠٠٤ م

١٢٥ الزهد أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي

تحقيق: عامر حيدر

دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٧ م

١٢٦ سلطان العارفين ابو يزيد البسطامي د عبد الحلیم محمود

دار المعارف - القاهرة ط ٢

١٢٧ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس

أبو عبد الله مُحَمَّد بن جعفر بن إدريس الكتاني

تحقيق : عبد الله الكامل الكتاني و حمزة بن مُحَمَّد الطيب

الكتاني و مُحَمَّد حمزة بن علي الكتاني

دار الثقافة الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

١٢٨ سنن ابن ماجة مُحَمَّد بن يزيد ابو عبد الله القزويني

تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي

دار الفكر بيروت

١٢٩ سنن البيهقي الكبرى احمد بن الحسين بن علي ابو بكر البيهقي

تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عطا

مكتبة ابن الباز مكة المكرمة ١٩٩٤

١٣٠ السيد ابراهيم الدسوقي احمد عز الدين عبد الله خلف الله

وزارة الأوقاف / لجنة التعريف بالإسلام مصر ١٩٩٢

١٣١ السيد احمد الرفاعي حياته - آثاره يونس الشيخ ابراهيم السامرائي

مكتبة الشرق الجديد بغداد

١٣٢ سير السلف الصالحين اسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل القرشي

التميمي الاصبهاني

تحقيق : مُحَمَّد حسن مُحَمَّد وطارق فتحي السيد

دار الكتب العلمية بيروت

١٣٣ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر قاسم

مخلف

تحقيق : عبد المجيد خيالي

دار الكتب العلمية ٢٠٠٣ م

- ١٣٤ شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد بن مُجَّد
ابن العماد الحنبلي
تحقيق : محمود الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط
دار ابن كثير، دمشق - بيروت ط ١ ١٩٨٦ م
- ١٣٥ شرح بداية الهداية لحجة الإسلام الغزالي عبد القادر بن احمد الفاكهي
تحقيق : مُجَّد العزازي
دار الكتب العلمية - بيروت ط ٣
١٣٦ شطحات الصوفية د عبد الحلیم محمود
دار المعارف - القاهرة ط ٢
- ١٣٧ شق الجيب بعلم الغيب الشيخ محي الدين ابن عربي
تحقيق: سعيد عبد الفتاح
مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠٠١
- ١٣٨ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم
نشوان بن سعيد الحميري اليمني
تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري ، ومطهر بن علي الإيراني ،
ود يوسف مُجَّد عبد الله
دار الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر دمشق ط ١ ١٩٩٩ م
- ١٣٩ شيخ الشيوخ ابو مدين الغوث د. عبد الحلیم محمود
دار المعارف القاهرة
- ١٤٠ الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراءه الاعتقادية والصوفية الشيخ سعيد بن
مسفر القحطاني
مكتبة المدينة المنورة ط ١ ١٤١٨هـ/١٩٩٧

١٤١ الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة د. جمال الدين فالح
الكيلاني

مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي / بغداد ٢٠١١

١٤٢ صحيح ابن حبان مُجَّد بن حبان بن احمد التميمي البستي

تحقيق : شعيب الأرنؤوط

مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢

١٤٣ صحيح البخاري مُجَّد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري

ضبط نصه وعلق حواشيه عبد الخالق محمود علام

دار صبح الدار البيضاء ٢٠١١ م

١٤٤ صحيح الجامع الشيخ مُجَّد ناصر الدين الألباني

المكتب الاسلامي دمشق ط ٢

١٤٥ الصدق ابي سعيد احمد بن عيسى الخراز

تحقيق : د عبد الحلیم محمود

دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٥

١٤٦ صفة الصفوة جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي

تحقيق : خالد مصطفى طرطوسي

دار الكتاب العربي بيروت ٢٠١٢ م

١٤٧ ضوع الطيب من سيرة الحبيب عدنان احمد ياسين الفلاحي

ديوان الوقف السني بغداد ط ١

١٤٨ طبقات الأولياء ابن الملقن ابو حفص عمر بن علي بن احمد المصري

تحقيق: نور الدين شريبه

مكتبة الخانجي القاهرة ط ٢ ١٩٩٤

- ١٤٩ طبقات الشاذلية الكبرى تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين
السبكي
المحقق : د. محمود مُجَّد الطناحي د. عبد الفتاح مُجَّد الحلو
هجر للطباعة والنشر ط ٢ ١٤١٣ هـ
- ١٥٠ طبقات الشاذلية الكبرى (المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات
السادة الشاذلية) : الحسن بن مُجَّد الكوهن الفاسي
تحقيق : مرسي مُجَّد علي
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ٢٠٠٥ م
- ١٥١ طبقات الشافعية جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي
تحقيق عبد الله الجبوري
مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٠ هـ
- ١٥٢ طبقات الصوفية مُجَّد بن الحسين بن مُجَّد أبو عبد الرحمن السلمي
تحقيق : نور الدين شريبة
مطبعة المدني ط ٣ مصر ١٩٨٦
- ١٥٣ الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار
دار المعارف مصر ط ٥
- ١٥٤ الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها د. عبد الله بن دجين السهلي
دار كنوز اشبيلية للنشر والتوزيع السعودية ط ١ ٢٠٠٥
- ١٥٥ الطواسين الحسين بن منصور الحلاج
تحقيق الأب بول نوي
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٢
- ١٥٦ العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري د. عبد الحلیم محمود
دار الرشاد القاهرة ط ٢ ٢٠٠٤

- ١٥٧ العالم العابد ذو النون المصري د عبد الحليم محمود
دار الرشد القاهرة
- ١٥٧ عبد القادر الجيلاني أديباً د إيمان كمال مصطفى المهدي
ديوان الوقف السني / العراق ط ١
- ١٥٨ عبد الله بن المبارك الإمام القدوة مُجَّد عثمان جمال
دار القلم دمشق ط ٤ ١٩٩٨
- ١٥٩ العبر في خبر من عبر شمس الدين أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد الذهبي
تحقيق: أبو هاجر بسيوني
دار الباز ١٤٠٥ هـ
- ١٦٠ عدة المرید الصادق الشيخ احمد زروق
تحقيق: الصادق عبد الرحمن الغرياني
دار ابن حزم ط ١ ٢٠٠٦
- ١٦١ عقلاء المجانين أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابوري
تحقيق: د. عمر الأسعد
دار النفائس ط ١ ١٩٨٧ م
- ١٦٢ العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية الشيخ عبد الغني النابلسي
مطبعة الترقى - دمشق ط ٢ ١٩٣٢ م
- ١٦٣ علم التصوف وأثره في العبادات منى ياسين طه الرفاعي
ديوان الوقف السني بغداد ٢٠٠٩ م
- ١٦٤ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية أبو
العباس أحمد الغبريني
تحقيق: عادل نويهض
منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٦٩ م

١٦٥ الغدير في الكتاب والسنة والأدب الشيخ عبد الحسين الأميني
مؤسسة الأعلمي بيروت ط ٤ ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م

١٦٦ عوارف المعارف شهاب الدين ابي حفص عمر بن مُجَّد بن عبد الله
السهروردي البغدادي الشافعي
تحقيق : مُجَّد عبد العزيز الخالدي
دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٩٩

١٦٧ الغزالي د . مصطفى غالب
دار ومكتبة الهلال ١٩٧٩ م

١٦٨ الفاظ المتصوفة حلمي عبد الله حسين عدوي
رسالة ماجستير في اللغة وآدابها - جامعة النجاح الوطنية
نابلس فلسطين

١٦٩ الفتح الرباني والفيض الرحماني الشيخ عبد القادر الجيلاني
دار المعرفة بيروت ١٩٧٩

١٧٠ الفتح المبين في الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخريين

جمع : الشيخ سالم ابراهيم الفلاحي
مطبعة الإمارة بغداد الطبعة الأولى

١٧١ الفتح المبين في جملة من أسرار الدين الإمام عبد الوهاب الشعرائي
دار الكتب العلمية ٢٠٠٦ م

١٧٢ فتوح الغيب الشيخ عبد القادر الجيلاني
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده / مصر

ط ٢ ١٩٧٣

- ١٧٣ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية أحمد بن عجيبة الحسني
تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي
دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ ٢٠١٠ م
- ١٧٤ الفتوحات المكية محي الدين بن عربي
تحقيق: د عثمان يحيى
دار المعرفة - بيروت
- ١٧٥ فصوص الحكم الشيخ محي الدين بن عربي
تحقيق: أبو العلاء عفيفي، مصر:
دار الكتاب العربي مصر ط ٢
- ١٧٦ الفضيل بن عياض صوفي من الرعيل الأول د. عبد الحليم محمود
دار الرشد القاهرة ط ٢ ٢٠٠٠ م
- ١٧٧ فقه الشيخ محيي الدين بن عربي في العبادات ومنهجه في كتابه
الفتوحات المكية محمد فاروق صالح البدري
دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ٢٠٠٦ م
- ١٧٨ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن عبد الخالق
مطبعة ابن تيمية الكويت ط ٢
- ١٧٩ في التصوف الاسلامي رينولد نيكلسون
ترجمة وتحقيق: ابي العلا العفيفي
لجنة التأليف والترجمة - مطبعة الجثة مصر ١٩٤٧ م
- ١٨٠ الفيلسوف الغزالي عبد الأمير الأعمش
دار قباء - القاهرة ط ١٩٩٨
- ١٨١ القاموس الجامع مجد الدين الفيروز ابادي
المطبعة المصرية القاهرة ط ٣ ١٩٣٥

- ١٨٢ القاموس المحيط مجد الدين مُجَدِّ بن يعقوب الفيروزآبادي
تحقيق : د أنس مُجَدِّ الشامي و د زكريا جابر احمد
دار الحديث القاهرة ٢٠٠٨
- ١٨٣ قتلى القرآن أبو اسحاق الثعلبي
تحقيق : ناصر بن مُجَدِّ المنيع
مكتبة العبيكان الرياض ط ١ ٢٠٠٨ م
- ١٨٤ قضية التصوف المدرسة الشاذلية د . عبد الحلیم محمود
دار المعارف مصر ط ٣
- ١٨٥ القطب الرباني مولاي عبد السلام بن مشيش عبد الصمد العشاب
دار العلم للملايين لبنان ، مطبعة المعارف
- ١٨٦ القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش الدكتور عبد الحلیم محمود
دار المعارف - مصر ١٩٩٧ م
- ١٨٧ القطب الصوفي السيد ابراهيم الدسوقي ابو العينين الشيخ احمد فريد
المزيدي
كتاب ناشرون - بيروت الطبعة الأولى
- ١٨٨ قطب المغرب سيدي عبد السلام ابن مشيش عبد الحلیم محمود
دار الكتاب المصري، القاهرة - ودار الكتاب اللبناني، بيروت
- ١٨٩ قطبا التصوف د . عبد الحلیم محمود
دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ١٩٩٠
- ١٩٠ قلائد الجواهر الشيخ مُجَدِّ بن يحيى الحنبلي
مطبعة عبد الحميد احمد مصر
- ١٩١ قواعد التصوف احمد بن احمد البرنسي المغربي المشهور ب (زروق)
تحقيق : محمود بيروتي

دار البيروتي دمشق ط ١ ٢٠٠٤ م

١٩٢ قوت القلوب ابو طالب المكي

مكتبة مصطفى الحلبي القاهرة ١٩٦١

١٩٣ كتاب الزهد الإمام احمد بن حنبل أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني

تحقيق : د . مُحَمَّد جلال شرف

دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١

١٩٤ كتاب الزهد وويله كتاب الرقائق شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك

المروزي

تحقيق الشيخ حبيب الرحمان الأعظمي

دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ م

١٩٥ كتاب العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي

تحقيق : د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ،

طبعة دار ومكتبة الهلال

١٩٦ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون مصطفى عبد الله كاتب

جلبي المعروف بالحاج خليفة

تحقيق : مُحَمَّد شرف الدين يالتقايا

دار احياء التراث العربي بيروت

١٩٧ كشف الغمة في معرفة الأئمة ابو الحسن علي بن عيسى بن

ابي الفتح الاربلي

دار الاضواء - بيروت لبنان ط ٢ ١٩٨٥ م

١٩٨ كشف الفضايح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية

الإمام شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي

تحقيق د. عائشة المناعي

- طبع دار السلام ١٤٢٠ هـ
- ١٩٩ كشف المحجوب ابو الحسن علي بن عثمان الجلابي الهجويري
تحقيق ودراسة إسعاد عبدالهادي
طبع دار النهضة العربية ١٩٧٤
- ٢٠٠ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية
أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوي
المحقق: عدنان درويش - مُجد المصري
مؤسسة الرسالة - بيروت
- ٢٠١ الكنوز النورانية من أدعية وأوراد السادة القادرية مخلف يحيى العلي
الحسيني
دار النور العلية للعلوم النورانية
- ٢٠٢ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية زين الدين مُجد عبد
الرؤوف المناوي
تحقيق : احمد فريد المزدي
دار الكتب العلمية بيروت
- ٢٠٣ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة الشيخ نجم الدين مُجد بن مُجد
الغزي
تحقيق : خليل منصور
دار الكتب العلمية ١٤١٨ - ١٩٩٧
- ٢٠٤ لسان التعريف بحال الولي الشريف سيدي ابراهيم الدسوقي
تأليف الشيخ جلال الدين الكركي
تحقيق : عليه عاطف وفدي
مكتبة الرحمة المهداة مصر ٢٠٠٣

- ٢٠٥ لسان العرب مُجَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين
ابن منظور الأنصاري
دار صادر - بيروت ط ٣ ١٤١٤ هـ
- ٢٠٦ لسان الميزان شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة.
دار البشائر الإسلامية بيروت ط ١ ١٤٢٣ - ٢٠٠٢
- ٢٠٧ لطائف الإشارات = تفسير القشيري
عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري
المحقق: إبراهيم البسيوني
الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ط ٣
- ٢٠٨ لطائف الاعلام في اشارات اهل الالهام عبد الرزاق بن احمد الكاشاني
تحقيق : سعيد عبد الفتاح
دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٩٦
- ٢٠٩ لطائف المنن العارف بالله ابن عطاء الله السكندري
تحقيق د عبد الحلیم محمود
دار المعارف القاهرة ط ٣
- ٢١٠ لطائف المنن والأخلاق الإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعرائي
تحقيق : أحمد عزو عناية
دار التقوى ط ١ ٢٠٠٤ م
- ٢١١ اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي أبو نصر عبد الله بن علي بن
السراج الطوسي
تحقيق : د عبد الحلیم محمود و طه عبد الباقي سرور
دار الكتب الحديثة مصر و مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٠

- ٢١٢ لوازم الحب الإلهي الشيخ محي الدين بن علي بن عربي
تحقيق موفق فوزي الجبر
دار معد دمشق ط ١ ١٩٨٨
- ٢١٣ متصوفة بغداد عزيز السيد جاسم
المركز الثقافي العربي المغرب ١٩٩٧
- ٢١٤ مثنوي مولانا جلال الدين الرومي جلال الدين الرومي
ترجمة د . ابراهيم الدسوقي شتا
المجلس الأعلى للثقافة / القاهرة ١٩٩٧
- ٢١٥ مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الرابع عشر
العدد الثاني
- ٢١٦ مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ابن عربي محي الدين مُحمَّد بن عربي
جمعها الشيخ خواجه احمد ضياء الدين كمشخانوي
تحقيق : د عاصم ابراهيم الكيالي
كتاب - ناشرون بيروت ط ١ ٢٠١٣ م
- ٢١٧ محي الدين بن عربي طه عبد الباقي سرور
هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة ، مصر ٢٠١٢ م
- ٢١٨ مختارات من ديوان شمس الدين التبريزي مولانا جلال الدين الرومي
ترجمة ابراهيم الدسوقي شتا
المركز القومي للترجمة القاهرة ط ٢ ٢٠٠٩
- ٢١٩ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله مُحمَّد بن سعيد بن
الديبشي الإمام شمس الدين مُحمَّد بن احمد الذهبي
تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
دار الكتب العلمية - بيروت

٢٢٠ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر مُجَّد بن مكرم بن علي
تحقيق : روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، مُجَّد مطيع
دار الفكر للطباعة والنشر دمشق
ط ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤ م
٢٢١ مخطوطة حقيقة الحقائق الشيخ عبد الكريم الجيلي
دار المخطوطات العراقية برقم ٣٥٧٦٧ - ورقة ١٣٥ -
٣٧ ب

٢٢٢ المدارج مُحمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي
والملقَّب ابن القيم
تحقيق : حامد الفقي
دار الكتب العلمية بيروت

٢٢٣ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين مُجَّد بن أبي بكر
بن أيوب ابن قيم الجوزية
دار الكتاب العربي - بيروت ط ٣ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
٢٢٤ المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية علي جمعة مُجَّد عبد الوهاب
دار السلام - القاهرة ط ٢ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
٢٢٥ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ابو مُجَّد عبد الله اليافعي
منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت ط ٢ ١٩٧٠

٢٢٦ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان شمس الدين أبو المظفر يوسف بن
قَزْأوغلي بعبد الله المعروف بـ (سبط ابن الجوزي)
تحقيق : [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه]
مُجَّد بركات، كامل مُجَّد الخراط، عمار ربحاوي، مُجَّد رضوان

عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، مُجَّد معتز

كريم الدين، زاهر إسحاق، مُجَّد أنس الخن، إبراهيم الزبيق

دار الرسالة العالمية دمشق ط ١ ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

٢٢٧ مراحل الفكر الاسلامي د . عبد الرزاق احمد الحربي

مكتبة الخطيب بغداد ط ١ ٢٠٠١

٢٢٨ مرشد الزوار إلى قبور الأبرار موفق الدين أبو مُجَّد بن عبد الرحمن ابن

الشيخ أبي الحرم مكِّي بن عثمان الشارعي الشافعي

الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط ١ ١٤١٥ هـ

٢٣٠ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار شهاب الدين احمد بن يحيى بن

فضل الله العمري الدمشقي

تحقيق : كامل سلمان الجبوري

دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ ٢٠١٠ م

٢٣١ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ابن النجار

تحقيق : د. قيصر أبو فرح

دائرة المعارف

٢٣٢ مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن مُجَّد بن حنبل

بن هلال بن أسد الشيباني

تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون

مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٢٣٣ مشاهير شعراء الشيعة عبد الحسين الشبستري

ستارة - قم ط ١ ١٤٢١ هـ

- ٢٣٤ مشرب الأرواح ، الف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله تعالى
ابي مُجَّد روزبهان بن ابي نصر البقلي الشيرازي
دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٥ م
- ٢٣٥ المطرب في مشاهير أولياء المغرب عبد الله بن عبد القادر التليدي
دار الأمان - الرباط ط ٤ ٢٠٠٣
- ٢٣٦ المطرب من أشعار أهل المغرب عمر بن حسن بن دحية أبو الخطاب
تحقيق : إبراهيم الإبياري - حامد عبد المجيد - أحمد أحمد بدوي
دار العلم للجميع - بيروت
- ٢٣٧ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول حافظ بن أحمد
الحكمي
تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر
دار ابن القيم ١٤١٥ - ١٩٩٥
- ٢٣٨ معجم اصطلاحات الصوفية عبد الرزاق الكاشاني
تحقيق د. عبد العال شاهين
دار المنار - القاهرة ط ١ ١٩٩٢
- ٢٣٩ المعجم الصوفي د سعاد الحكيم
دندره للطباعة والنشر ط ١ ١٩٨١
- ٢٤٠ معجم الفاظ الصوفية د حسن الشرفاوي
مؤسسة مختار للنشر والتوزيع القاهرة ط ١ ١٩٨٧ م
- ٢٤١ معجم القرطبي اللغوي جمع وتأليف د مُجَّد طه ياسين الدليمي
ديوان الوقف السني بغداد ط ١
- ٢٤٢ معجم المعاني الجامع موقع الكتروني معتمد على مجموعة معاجم

٢٤٣ معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر عادل نويهض

مؤسسة نويهض الثقافية بيروت ١٩٨٣

٢٤٤ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي

المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا

٢٤٥ المعجم الوسيط إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر و عطية الصوالحي

ومحمد خلف الله

مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق ٢٠٠٤

٢٤٦ معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة ابو القاسم الموسوي

الخوانساري

مكتبة الآداب للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٧٦

٢٤٧ معجم مصطلحات الصوفية د عبد المنعم الحفني

دار المسيرة بيروت ط ٢ ١٩٨٧ م

٢٤٨ المعزى في مناقب سيدي ابي يعزى احمد بن ابي القاسم الهروي التادلي

تحقيق: احمد فريد

دار الكتب العلمية بيروت

٢٤٩ معلمة المغرب الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مطابع سلا ٢٠٠٥ م

٢٥٠ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة جلال الدين عبد الرحمن بن ابي

بكر السيوطي

الجامعة الاسلامية ط ٣ المدينة المنورة

٢٥١ المفردات في غريب القرآن ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف

بالراغب الأصفهاني

تحقيق محمد سيد الكيلاني

دار المعرفة بيروت

٢٥٢ معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين

تحقيق عبدالسلام مُجَّد هارون

دار الجيل ط ١ ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٢٤٥ مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن مُجَّد بن خلدون الحضرمي

دار القلم بيروت ط ٥ ١٩٨٤

٢٥٣ مكاشفة القلوب في معاملة علام الغيوب ابو حامد مُجَّد الغزالي

تحقيق : الشيخ يوسف الحاج احمد

مكتبة العلم الحديث ٢٠٠١

٢٥٤ مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب

تحقيق: تصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف

المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م

٢٥٥ مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار في طبقات الصوفية الحسين بن نصر

بن مُجَّد ابن خميس الموصللي

تحقيق : سعيد عبد الفتاح

دار الكتب العلمية بيروت

٢٥٦ مناقب الإمام احمد بن حنبل الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

تحقيق : سعد كريم الفقي

دار ابن خلدون للنشر الاسكندرية

٢٥٧ المنتظم في تاريخ الأمم ابي فرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

تحقيق مُجَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٩٢

٢٥٨ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عبد الرحمن بن علي أبي الفرج

تحقيق : مُجَّد عبد القادر عطا

مصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ ١٩٩٥ م

٢٥٩ المنقذ من الضلال الإمام ابو حامد مُجَّد بن مُجَّد الغزالي

دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٨٨ م

٢٦٠ المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق مُجَّد بن علي

السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي

دار التوفيقية القاهرة ط ١ ٢٠١١ م

٢٦١ الموسوعة الصوفية د عبد المنعم الحفني

مكتبة مدبولي القاهرة ط ٥ ١٩٨١ م

٢٦٣ موطأ الإمام مالك مالك ابن أنس ابو عبد الله الأصبحي

تحقيق مُجَّد فؤاد عبد الباقي

دار احياء التراث

٢٦٤ موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه اهل التصوف والعرفان

الشيخ السيد مُجَّد الكسنزان الحسيني

دار آية بيروت ٢٠٠٥ م

٢٦٥ نسق الخطاب على تحفة الأحباب هذا الشاذلي ابو الحسن د سعيد

ابو الإسعاد

شركة الفتح القاهرة ٢٠١٦

تأليف د . سعيد ابو الاسعاد

- شركة الفتح للطباعة والنشر / مصر ٢٠١٦
- ٢٦٦ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب أحمد بن المقرئ التلمساني
تحقيق : إحسان عباس
دار صادر- بيروت - لبنان ١٩٩٧ م
- ٢٦٧ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق يوسف رزق الله غنيمه
مطبعة الفرات بغداد ١٩٣٤ م
- ٢٦٨ نفحات الأنس من حضرة القدس الملا نور الدين عبد الرحمن بن
احمد الجامي
تحقيق : مُجَّد اديب الجادر
دار الكتب العلمية بيروت
- ٢٦٩ الترك د بديعة مُجَّد عبد العال
الدار الثقافية للنشر القاهرة ط ١ ٢٠١٠
- ٢٧٠ لنهضة العربية في سير أعلامها المعاصرين د . مُجَّد رجب بيومي
دار القلم - دمشق الدار الشامية - بيروت ١٩٩٥
- ٢٧١ الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية الدكتور مُجَّد تقي الدين الهلالي
دار الطباعة الحديثة الدار البيضاء ط ٢ ١٩٧٧ م
- ٢٧٢ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين إسماعيل باشا البغدادي
دار احياء التراث بيروت
- ٢٧٣ هذا والدي د . مُجَّد سعيد البوطي
دار الفكر المعاصر دمشق ١٩٩٥ م
- ٢٧٤ هكذا تكلم ابن عربي د نصر حامد أبو زيد
الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ م

٢٧٥ الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي

تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى

دار إحياء التراث - بيروت ٢٠٠٠ م

٢٧٦ الوجيز في فقه الإمام الشافعي أبو حامد الغزالي

المحقق: علي معوض - عادل عبد الموجود

دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٢٧٧ الوصايا محي الدين ابن عربي

دار الفكر بيروت

٢٧٨ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان

تحقيق : إحسان عباس

دار صادر - بيروت

٢٧٩ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر الإمام أبي المواهب

عبد الوهاب بن احمد الشعراي

تحقيق : الشيخ عبد الوارث محمد علي

دار الكتب العلمية - بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

البقرة ١٢٧

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text. The border consists of repeating motifs of stylized flowers and flowing lines, creating a rectangular frame.

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٥	حرف الشين	١
٧	شاه كرمان (ابو الفوارس شاه ابن شجاع)	٢
١٢	شعيب بن الحسين الأنصاري (ابو مدين الغوث)	٣
٤٠	شقيق البلخي	٤
٥١	شيبان الراعي	٥
٥٧	حرف الصاد	٦
٥٩	صالح بن عبد الجليل	٧
٦١	حرف الطاء	٨
٦٣	طيفور بن عيسى (ابو يزيد البسطامي)	٩
٨٧	حرف العين	١٠
٨٩	عبد الحلیم محمود	١١
١٠٦	عبد الرحمن بن احمد (ابو سليمان الداراني)	١٢
١١٢	عبد الرحيم القنائي	١٣
١٢٤	عبد السلام بن مشيش	١٤
١٣٧	عبد الغني النابلسي	١٥

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
١٤٩	عبد الفتاح القاضي	١٦
١٦٢	عبد القادر الخطيب	١٧
١٦٦	الشيخ عبد القادر الكيلاني	١٨
٢٠١	عبد الكريم مُحمَّد المدرس (عبد الكريم يياره)	١٩
٢١٣	عبد الكريم هوازن (ابو القاسم القشيري)	٢٠
٢٢١	عبد الله بن المبارك	٢١
٢٥٤	عبد الواحد يحيى (رني هجينو)	٢٢
٢٧٥	عبد الوهاب الشعرائي	٢٣
٣٠٠	عسكر بن حصين (ابو تراب النخشي)	٢٤
٣١٣	علي بن احمد (ابو الحسن البوشنجي)	٢٥
٣١٨	علي بن عبد الله (ابو الحسن الشاذلي)	٢٦
٣٥٧	عمر بن سلم (ابو حفص الحداد)	٢٧
٣٦٩	عمر بن مُحمَّد بن عمويه (عمر السهروردي)	٢٧
٣٧٧	عمر بن علي (ابن الفارض)	٢٩
٣٩٣	مزارات الصالحين في بغداد	٣٠

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٣٩٧	النبي يوشع بن نون	٣١
٤٠٣	الإمامان الجوادان	٣٢
٤٠٥	الإمام موسى الكاظم	٣٣
٤١١	الإمام مُجَّد الجواد	٣٤
٤٢١	الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت	٣٥
٤٤٧	مسجد ومرقد الإمام الأعظم أبي حنيفة	٣٦
٤٥١	مسجد ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني	٣٧
٤٥٧	مسجد ومرقد الشيخ معروف الكرخي	٣٨
٤٦٠	مسجد ومرقد الشيخ الجنيد البغدادي	٣٩
٤٦٣	مرقد بهلول الكوفي	٤٠
٤٦٦	مرقد الحلاج	٤١
٤٦٧	مسجد ومرقد عبد الكريم الجيلي	٤٢
٤٧٦	مسجد ومرقد عمر السهروردي	٤٣
٤٨١	مرقد ابو بكر الشبلي	٤٤
٤٨٤	مرقد داود الطائي	٤٥

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٤٨٧	مسجد ومرقد حبيب العجمي	٤٦
٤٨٩	مرقد الشيخ مشيوح	٤٧
٤٩١	مرقد الشيخ ابو خمرة	٤٨
٤٩٣	مرقد الشيخ ابراهيم الخواص	٤٩
٤٩٥	مسجد ومرقد سيد سلطان علي	٥٠